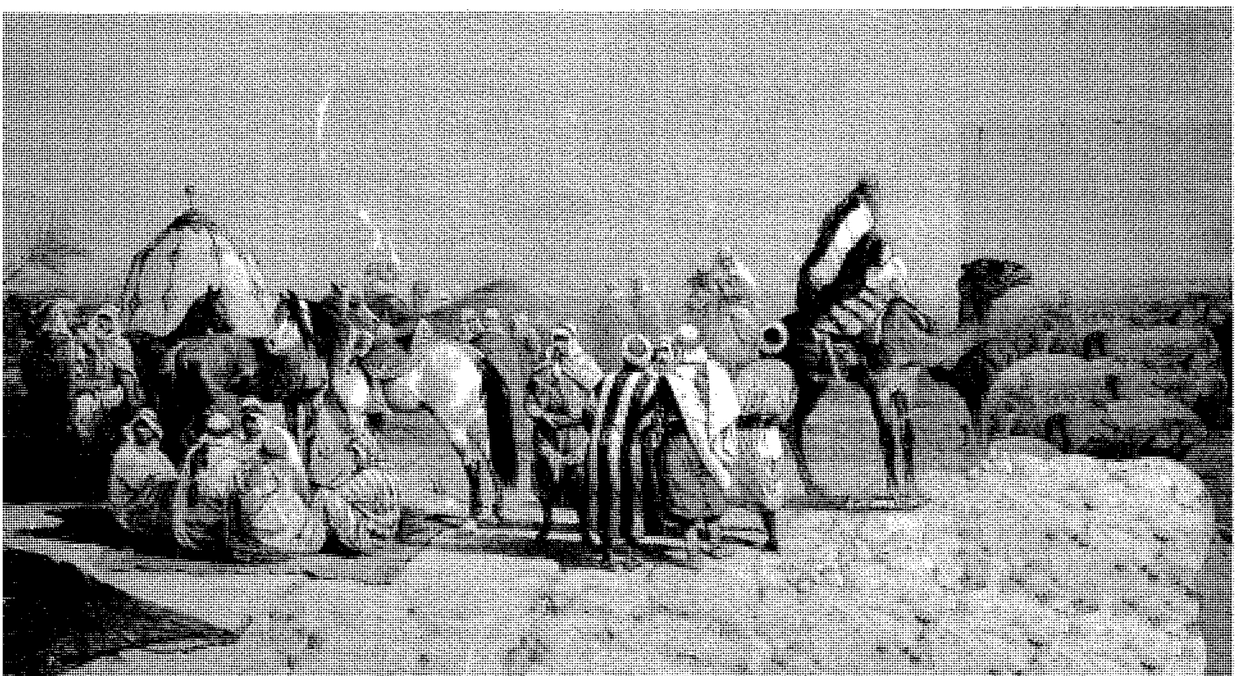
القبائل العربية في بلاد الشام

منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموي

د. محمد عزب دسوقي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

القبائل العربية في بلاد الشام

منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموى

دكتور

محمد عزب دسوقى

كلية الآداب ـ جامعة المنوفية

شبين الكوم ـ جمهورية مصر العربية

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٨

الاخراج الفنى :

ادارة التيبو

إهـــداء

الى روح والـــــدتي

طيب الله ثـــراها

مقـــدمة

القبائل العربية فى بلاد الشام
منذ ظهور الاسلام الى نهاية العصر الأموى

تتناول الدراسة المقدمة موضوعا لعله من أهم موضوعات التاريخ الاسلامى وهو القبائل العربية فى بلاد الشام منذ ظهور الاسلام الى نهاية العصر الأموى ، وقد وقع اختيارنا على دراسة الوجود العربى فى بلاد الشام باعتباره الامتداد الطبيعى لبلاد العرب من جهة الشمال ، ولقدم العلاقة بينهما منذ فجر التاريخ ، ولأنها كانت موضع اهتمام النبى ﷺ طوال حياته وحتى مماته ، هذا فضلا عن أن ظهور الاسلام أحدث تطورا كبيرا وسريعا فى حياة القبائل العربية فى هذه البلاد وخاصة بعد فتحها بما لم يكن منتظرا أو متوقعا .

ومما لا شك فيه أن هناك ارتباطا وثيقا بين التاريخ والأنساب وهى تشكل الى حد كبير الهيكل العظمى للتاريخ الاسلامى ولا يتأتى فهم وقائع هذا التاريخ الا بمعرفة أنساب العرب لارتباطها الوثيق برجالاته وصانعى أحداثه ، فالأحداث التاريخية لا تنفصل عن ذوات القائمين بها ، وكثيرا ما عولج تاريخ البلاد معالجة تاريخية لا تهتم بالعناصر التى أوجدتها أو شاركت فيها ، ولذلك كانت دراستنا مزيجا بين التاريخ والأنساب ومحاولة لاسناد كل حدث الى من قام به قدر الطاقة بغرض تعميق المعرفة التاريخية وتأصيل قيمتها .

ولعل فى هذه الدراسة ما يشير الى نمط جديد فى معالجة الكتابة التاريخية تربط بين الحدث وفاعله وهو الذى من أجله اخترنا موضوع البحث ابرازا لدور هذه القبائل فى صنع تاريخ بلاد الشام فى فترة الدراسة التى نحن بصددها ٠

فالمسلمون الذين صنعوا أحداث التاريخ الاسلامى والذين تحدثت عنهم الكثير من المصادر التاريخية هم جماع قبائل عربية متعددة على اختلاف أصولها ومشاربها ، ومن ثم فلم يعد كافيا لدينا القول بأن المسلمين فعلوا كذا أو ساهموا فى كذا وانما بات من الضرورى التحديد والتخصيص لأن الأنساب القبلية وعصبيات القبائل واتجاهاتها كان لها تأثير مباشر على سلوكها وسياستها تجاه نفسها وتجاه غيرها من القبائل وتجاه الخلفاء والدولة مما يفسر كثيرا من أحداث تلك الفترة وتاريخها ٠

وهذا فضلا عن أنه يؤكد الحدث التاريخى بما لا يدع مجالا للشك فيه فانه يلقى الضوء على المسلمين الذين ذكرهم كثير من المؤرخين بصفتهم دون أنسابهم وقبائلهم عند الحديث عن كثير من وقائع التاريخ وأحداثه وخاصة أن المسلمين الذين انساحوا فى البلاد فى أعقاب حركة الفتوحات الكبرى هم مجموع قبائل عدنانية وقحطانية كثيرة متشعبة الأصول والأنساب مما يفرض علينا الالمام بأنسابها ٠ ولعل فى قوله تعالى : « **شعوبا وقبائل لتعارفوا** » اشارة لنا لكى نتعلم الأنساب ٠ وقد روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة فى الأهل مثراة فى المال منسأة فى الأجل »٠ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل أحدهم : ممن أنت ؟ قال : من قرية كذا » (١) ٠

ومن هذا المنطلق كانت معالجتنا لدراسة هذه القبائل معالجة حيوية فى اطار من الأحداث التاريخية التى اندمجت فيها بعيدا عن الجداول الرقمية والاحصاءات الجامدة التى قد لا تصلح لدراسة التاريخ معتمدين فى ذلك على قدر لا بأس به من المصادر الأصلية والمراجع الجادة التى انعكست مادتها على عناصر موضوع بحثنا كما يتبين من العرض والدراسة لأهمها وما أوردته قائمة المصادر والمراجع المثبتة ٠

وقد اتبعنا فى هذا البحث منهجا جامعا لبيان مقصدنا بالنسبة لزمن الدراسة ومكان البحث ، فتناولنا فترة ما قبل الاسلام ثم العهد النبوى

---

(١) ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة : ص ١٢ ٠

وزمن الفتوحات بالنسبة للشـــام والحروب القبلية قبل العهد الأموى وفى صدره ·

أما فترة ما قبل الاسلام فقد تناولنا فيها بايجاز الهجرات القديمة من شبه الجزيرة العربية الى بلاد الشام وسيادة قبائل قضاعة بها وركزنا على قبائل الأزد الذين كان منهم الغساسنة ملوك الشام قبل الاسلام وذلك فى وقت خـروجهم من اليمن وحتى اسـتقرارهم فى المهجـــر وسلسلة ملوكهم ·

أما البـاب الثـانى فقد تناولنا فيه العلاقات بين قبائل الشـام وعـرب الحجاز فى العهد النبوى وذلك من حيث الموقف العـدائى لهذه القبائل من الاســلام وكان معظم تلك القبائل من المتنصرة ، وبينا جهاد النبى ﷺ ضدهم وسلسلة سراياه وغزواته اليهم وقدوم بعض وفودهم اليه بالمدينة ·

أما البـاب الثـالث فيتناول الوجود العربى فى بـــلاد الشـــام بعد الفتح الاسلامى من حيث القبائل التى اشتركت فى معارك الفتح وكانت صاحبة الفضل والسبق فيها ، ثم القبائل التى وردت البلاد بعد فتحها وأنسابها والمناطق التى استقرت فيها وموقف قبائل غسان بزعامة جبلة بن الأيهم من المسلمين وأخيرا الصورة النهائية لتوزيع القبائل العربية فى بلاد الشام بعد الانتهاء من معارك الفتح ·

وفى الباب الرابع رؤية قبلية وتصـوير دقيق للحرب بين قبائل الشام والعراق تلك الحرب التى انتهت بمقتل على بن أبى طالب وانتهاء خلافة الراشدين وقيام الدولة الأموية ·

أما الباب الخامس والأخير فهو يتناول العصبية القبلية فى أهل الشام من قيس ويمن وقيس وتغلب باعتبارها السبب الأول من أسباب انهيار هذه الدولة وزوالها بسبب ما جرت اليه من حروب شرسة فى مرج راهط وتوابعها وما جاءت به من سفك للدماء فى ديار مضر والجزيرة الفراتية بين قيس وتغلب وكيف كان موقف الخلفاء من هذه الحروب والفتن فى صدر الدولة وفى نهايتها بما يوضح أن القبائل التى أقامت الدولة بعد انتصـــارها فى الصراع ضد على وأهل العراق هى التى أسقطتها بعد هزيمتها فى صراعها ضد العباسيين وأهل فارس ·

القبائل العربية فى بلاد الشــام
منذ ظهور الاسلام الى نهاية العصر الأموى
عرض ودراسة لأهم المصادر

تعتبر الدراسة المقدمة عن القبائل العربية فى بلاد الشام فى الفترة المذكورة محاولة للربط بين الحدث وفاعله ، واسناد الأمور الى من قاموا بها وذلك بغرض تعميق المعرفة التاريخية وتأصيل قيمتها ، ومن ثم فقد جاءت هذه الدراسة مزيجا من الأنساب والتاريخ للارتباط الوثيق بينهما ، فقد اهتم العرب بأنسابهم اهتماما كبيرا حتى لا نكاد نعرف أمة من الأمم القديمة أو الحديثة عنيت بأنسابها عناية العرب بأنسابهم ولا نكاد نعرف أمة من الأمم عاش ماضيها فى حاضرها كأمة العرب ، يدل على ذلك كثرة المصادر التى تناولت أنساب القبائل وترجمت لمشاهير علماء النسب كما أن حفظ الأنساب كان ميزة ومفخرة لأولئك الذين اشتغلوا بها فذاع صيت كثير من رجالات العرب بسبب حفظهم للأنساب .

وقد خدمت دراسات الأنســاب علم التــاريخ فى المادة وفى خطة الكتابة (٢) فلما ازدادت العناية بالأنساب مع مجىء الاسلام تم وضع الديوان فى عهد عمر بن الخطاب ليؤكد على الاهتمام بها ، وقد شجع الأمويون هذه الاهتمامات ابتداء من معاوية بن أبى سفيان ، ولما جاء الوليد الثانى أمر بعمل سجل واف بالأنساب (٣) ، ثم ان الحاجات الادارية كتنظيم العطاء واسكان القبائل فى الأمصار أدت الى وضع سجلات بالأنساب وعززت الاهتمام بها ، يضاف الى هذا أن الخصومات القبلية وأثر الأوضاع السياسية على وضع القبائل وظهور أرستقراطية قبلية جديدة فى الاسلام كل هذه عوامل شجعت على الاهتمام بأنساب القبائل وتسلسلها .

(٢) عبد العزيز الدورى : بحث فى نشاة علم التاريخ عند العرب : ص ٣٩ .
(٣) ابن النديم : الفهرست : ص ٩١ .

وقد جاءت معظم المعلومات عن الأنساب من الشعر وخاصة شعر النقائض وفى الروايات العائلية والقبليه وفى سجلات دواوين الجند ، وقد ظهر النسابون الأولون فى الفترة الأموية وكانت عنايتهم محـدودة بأنساب قبيلة من القبائل ثم ظهر نسابون عنوا بأنساب أكثر من قبيلة وذلك فى فترة جمع الروايات أو التدوين فى القرن الثانى الهجرى الثامن الميـــلادى (٤) ٠

وبفضل هؤلاء النسابين وجـد ما عرف بعلم النسب وهو يتناول الحديث عن أنساب العرب منذ القدم ويفصل قبائلهم وعشائرهم ويوضح أواصر القربى التى تربط بين القبائل التى تمت الى أصل واحد وتئول الى أب مشترك ويتحدث عما وقع بين مختلف القبائل من مصاهرات أو انفصال عشيرة عن أصلها أو التحامها بقبيلة أخرى كما يحدثنا هذا العلم عن أسماء القبائل والأحلاف القبلية ومآخذها ويضع لكل قبيلة جدولا للأنساب لا يزال يرتقى بها صعدا حتى يصلها بجدها الأعلى ٠

وفيما يلى سوف نعرض لأهم المصادر التى اعتمدنا عليها فى هـذا المجال ومدى افادتنا منها وأولها كتاب « **جمهرة أنساب العرب** » لابن حزم المتوفى ٤٥٦ هـ ــ ١٠٦٤ م وهو من أوسع كتب النسب وأغناها وأدقها ، فقد استفاد ابن حزم من جميع كتب الأنساب والتاريخ والتراجم والرجال واستخلص منها مادة كتابه هذا فجاء شاملا جمع بين دفتيه كل ما يحتاجه العالم والباحث فى هذا المجال ، كما أشار المؤلف الى الأحداث التاريخية والقبلية والأدبية بدقة والتزام وذكر بعض المدن والأماكن التى سكنتها القبـــائل العربية مع التحقق من كل ذلك وبيان الخلاف فيه مع الحكم الصادق ، كذلك تحدث ابن حزم عن مفاخرة عدنان وقحطان وذكر أسماء البلدان وعلل تسمياتها وغير ذلك مما جعله كتابا ذا فائدة كبيرة وخاصة فيما يتعلق بالتراجم وأنساب البطون والعشائر التى وردت بالبحث مع قدر لا بأس به من الأحداث التاريخية التى نسبت الى هذه القبائل ٠

وهناك أيضا كتاب «**الأنساب**» للمؤرخ المحقق سلمة بن مسلم العوتبى الصحارى وهو من علماء القرن الخامس الهجرى العمانيين ولا يعلم سنة وفاته ، وقد أسهم العوتبى الصحارى فى اثراء فن الأنساب بما اقتفاه من أثر السابقين عليه فى هذا المضمار ممن اهتموا بتحرير أنساب العرب والتعريف بها على الرقعة العريضة من شبه الجزيرة وابتدأ فيه بخلق الكون ثم تناول أنساب العرب فى شتى منازلها وتتبع منهج من سبقه

---

(٤) الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ ، ص ٤٠ ٠

وأكثر النقل عن محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام بن محمد الرائدين في هذا المجال ٠

وقد أفرد العوتبي في الجزء الثاني من كتاب « **الأنساب** » بابا مستقلا عن أنساب الازد وقبائلهم وأولادهم وقصة رحيلهم من بلاد اليمن وتجوالهم في شبه الجزيرة العربية ووصولهم الى بلاد الشـــام واستقرارهم فيها ونسب ملوكهم والحرب بينهم وبين سليح الضجاعم من قضاعة ، وهو مما أفدنا منه افادة كبيرة في الفصل الثاني من الباب الأول عن قبائل الأزد وملك الغساسنة بالشام ٠

أما كتاب القلقشندي : «**نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**» ، فهو كتاب قيم في معرفة أنساب القبائل وبطونها وعشائرها وبرغم أن صاحبه من المتأخرين (توفي ٨٢١ هـ ـ ١٤١٨ م) الا أنه نشأ وتربى على العلم وأخذ العلوم الشرعية على مشاهير علماء عصره وتطلع الى كثير من الفنون العربية والأدب فنال منها حظا كبيرا وقرأ الكثير من الكتب ذات الفنون المتنوعة وقد استفدنا من هذا الكتاب في التحقق من أنساب الكثير من القبائل والبطون التي وردت في ثنايا البحث وهوامشه ٠

ويعتبر كتاب ابن عبد البر المتوفي ٣٦٨ هـ ـ « **الانباه على قبائل الرواه** » من أهم كتب الأنساب التي وصلت الينا في هذا المجال لما ذكره هو نفسه عن كتابه حيث قال : « اني ذكرت في كتابي هذا أمهات القبائل التي روت عن رسول الله ﷺ وقربت ذلك واختصرته وبينته وجعلته دليلا على أصول الأنساب ليكون عونا للناظرين فيه ومنبها على ما يحتاج اليه من معرفة الأنساب فانه علم لا يليق جهله بذوي الهمم والآداب لما فيه من صلة الأرحام ، وقد أخذته من أمهات كتب العلم بالنسب وأيام العرب بعد مطالعتي لها ووقوفي على أعراضها ومن ذلك كتاب محمد بن اسحاق وهشام بن محمد بن السائب الكلبي وكتاب محمد بن حبيب وكتاب الزبير ابن بكار في نسب قريش وكتاب عمه مصعب ، وأخذت من ذلك كله عيونه وما يجب الوقوف عليه ويجمل بأهـــل الكمـال والأدب معرفته والانتساب اليه » (٥) وقد استفدنا من هذا الكتاب في بحثنا عن أنساب عدنان وقحطان التي ذكرها المؤلف باسهاب مطول وكذلك أنساب القبائل والبطون المتفرعة منها والتي لها صلة بموضوع دراستنا وهي متناثرة ومنتشرة في كل أجزاء البحث ٠

---

(٥) كتاب الانباه : مقدمة المؤلف : ص ١١ ، ١٢ ٠

ويوجد لنفس المؤلف كتاب آخر في الأنساب يسمى « **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم** » ركز فيه ابن عبد البر على التعريف بأصول العرب وجذورهم الأولى من أول ولد سام بن نوح وابراهيم الخليل وقال في ذلك : « أما بعد فاني أذكر في هذا الكتاب بعون الله أصول أنساب الأمم من العرب والعجم وما تداخل من بعضهم على تباعد البلدان ومر الدهور والأزمان اذ لا يحصى عروعهم وجماعاتهم الا الله ـ خالقهم » (٦) . وقد أفدنا من هذا الكتاب في التحقيق من الأصول النسبية الأولى للعرب من عدنان وقحطان لدواعي تفهم أحوال العصبية عند العرب .

ويعتبر كتاب نسب قريش لأبي عبد الله المصعب الزبيري المتوفى سنة ٢٣٦ هـ من أحسن ما وصل الينا في نسب قريش حتى الآن فهو كتاب جامع لأصول وفروع هذه القبيلة العظيمة التي تعتبر أم القبائل في تاريخ الدولة العربية والعباسية ، وقد أفدنا من هذا الكتاب في بحثنا افادة كبيرة وخاصة فيما يتصل بأنساب الأعلام والأشخاص القرشيين الذين ورد ذكرهم في مختلف الموضوعات ومن ارتباط بهم سواء بالنسب والمصاهرة أو بالحلف والولاء .

وهناك أيضا كتاب : (**أبو جعفر بن حبيب البغدادي**) المتوفى سنة ٢٤٥ هـ المسمى «**مختلف القبائل ومؤتلفها**» وقد استفدنا منه في التحقق من المتشابه في أسماء القبائل وضبط هذه الأسماء ومعرفة أصولها وأنسابها .

وبالنسبة للبلاذري المتوفى ٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م فترجع أهمية مصنفاته الى أنه عاش في عصر قريب من العهد الأموي وكان من خاصة الخليفتين العباسيين المتوكل والمعتمد ، كما أنه روى عن شيوخه مباشرة وهم يتجاوزون المائة وأكثرهم من جلة الرواة والمحدثين وبعضهم من كبار المؤلفين . مما يدل على ضخامة ما تلقاه البلاذري من أخبار وأحاديث . ومن أهم مصنفات البلاذري التي أفادت بحثنا : أنساب الأشراف الذي يتناول تاريخ العلية من العرب من الجاهلية الى الاسلام الى القرن الأول من تاريخ بني العباس وقد حظيت فيه أخبار بني أمية بقدر كبير يتجاوز ثلث الكتاب وهو لا يرتبه ترتيبا زمنيا بل يسوقه في شكل قصص تتناول تاريخ الشخصية التي يعرض لها ونسبها كما يتناول الأخبار ويستقصي الأحداث فهو كتاب يجمع بين التاريخ والأنساب والتراجم والأدب وقد استفدنا منه في معرفة أنساب الأعلام وتراجم كبار الشخصيات التي وردت في

(٦) ابن عبد البر : القصد والأمم : ص ١٣ .

بحثنا وكذلك فى كثير من الأحداث التاريخية المرتبطة بهذه الشخصيات وفى موضوع الاختلاف فى نسب قضاعة وما أثير حوله من أقاويل .

كان هذا عرضا بالنسبة لأهم المصادر التى اعتمدنا عليها فى معرفة أنساب القبائل والبطون والعشائر التى وردت فى مختلف موضوعات البحث يضاف اليها كتاب عبد الكريم السمعانى المسمى « **الأنساب** » وكتاب المبرد : **نسب عدنان وقحطان وكتاب القلقشندى : قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان** وهى من المصادر ذات القيمة فى تحقيق أنساب القبائل ومعرفة أصولها وفروعها .

أما بالنسبة للمصادر التاريخية عن الدولة العربية فمن المعروف أن أصول المستندات الرسمية لها فقدت ابان الحروب والفتن الداخلية كما حدث سنة ٨٢ هـ ٧٠١ م عندما احترق الديوان العـــام بالكوفة (٧) بما يحويه من وثائق ومستندات فى أعقاب احدى الفتن ضد الحجاج بن يوسف الثقفى وضياع المستندات الخاصة بالدولة وكذلك فى أواخر عهد الدولة الأموية حينما احتدم الصراع بين القيسية واليمنية وقامت الحروب بينهما وتدخل فيها الخلفاء لنصرة طرف على حساب الآخر وعمت الفوضى كل أنحاء البلاد مما عجل بسقوط الدولة الأموية قبل عهد التدوين ، فلما جاءت الدولة العباسية العدو اللدود لبنى أمية لم تكتف بالقضاء على دولتهم وانما قضت أيضا على كل أوراقهم الرسمية .

ومن ثم فان كل ما لدينـــا عن الدولة العربية لم يكن معاصرا لها وانما وصلنا من عهود تالية وخاصة من العهد العباسى الذى كان معاديا للأمويين ولذلك فان الفترة الأمـــوية فى تاريخ الدولة العربيـــة لم تلق ما تستحق من الانصاف عند معظم المؤرخين المسلمين وحوت الكتابات عنهم كثيرا من المعلومات التى تستدعى التدقيق والتفحص والتأكد من صحتها بعرضها على العقل والمنطق ومقابلتها بالروايات الأخرى وبالرجوع الى كتب الأدب والشعر التى تمدنا بكم كبير من الحقائق والمعلومات وذلك لمحاولة التعرف على الحقيقة والوقوف على جوانب الصحة أو الزيف فيها ، فقد أتهم يزيد بن معاوية بالجهل وسوء السيرة وأيضا يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد ومع أنه وجد بين خلفاء بنى العباس والفاطميين وغيرهم ممن كانوا كذلك الا ان التاريخ قد أسدل الستار على كثير من مساوىء هؤلاء واهتم أغلب المؤرخين بانتقاص بنى أمية باحثين عن أسباب هذا الانتقاص هنا وهناك لأنهم صارعوا على بن أبى طالب وأبناءه وانتصروا عليهم (٨) .

---

(٧) أبو يوسف : كتاب الخراج : ص ٦٨ .

(٨) احمد شلبى : الدولة الأموية والحركات الثورية فى عهدها : ص ١٧ .

وعلى أية حال فاذا نحينا هؤلاء الضعاف الذين لابد من ظهورهم في كل دولة وعصر فاننا نرفع كثيرا من خلفاء بني أمية من أمثال معاوية وعبد الملك والوليد وعمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك الى أسمى مكانة وأجل تقدير ومع ذلك فانه من العجب أن بعضا من الباحثين المحدثين تلقوا ما كتبه المؤرخون الأول على أنه حقائق ثابتة فجاءت بعض الدراسات الحديثة عن العصر الأموى بعيدة عن الانصاف والحيدة مما يستدعى وضع الأمور فى نصابها على أساس من الحقيقة والواقع ومن حضارة الأمويين التى لا تزال تنبض بها دمشق وغيرها من العواصم الاسلامية ومدن الأندلس ومن صنوف التفكير التى أنتجها العقل الأموى كالبريد والسكة وتعريب الدواوين وتنظيم الجيوش وغيرها (٩) ٠

يعتبر الانتاج الأصلى من الكتب التى كتبها مؤرخو الدولة العربية هى الأساس الذى يعتمد الباحثون عليه فى هذا التاريخ وذلك لكثرتها وتنوع موضوعاتها ومحتوياتها فضلا عن أنهم ينقلون فيها حوادث معاصرة أو يعتمدون على مصادر معاصرة ليست موجودة الآن ، وبرغم ذلك فان هذا الانتاج الأصلى مع أهميته يجب ألا يؤخذ على أنه حقائق مسلم بها لأن معظم ما وصلنا منه عن تاريخ الدولة العربية يعتمد على الرواية الشفوية وهى الطابع الأولى لكتابة التاريخ الاسلامى لتأخر التدوين حتى العصر العباسى بسبب طبيعة العرب البدوية التى كانت تميل الى الحفظ أكثر من التدوين ٠

يعتبر تاريخ اليعقوبى المتوفى سنة ٢٨٤ هـ-٨٩٧ م ، وتاريخ الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ - ٩٢٢م هما المصدران الأساسيان للتاريخ الأموى الذى اعتمد عليه كثير من المؤرخين المسلمين ممن جاء بعدهم كابن الأثير المتوفى ٦٣٠ هـ - ١٢٣٣ م وابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ - ١٣٧٣ م وابن خلدون المتوفى ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م وغيرهم ، فأما اليعقوبى فقد كان علويا لم يستطع اخفاء عدائه لبنى أمية ويتضح ذلك مما ورد فى كتاباته عنهم ، وأما الطبرى فلم يبد اهتماما بالشام ومصر قدر اهتمامه بالعراق وفارس فجاءت كتاباته محدودة القيمة بالنسبة للتاريخ الأموى ولكن مما يعوض ذلك ويسد النقص فيه هذه الكتب الأدبية والجغرافية ودواوين الشعر القديمة التى تعتبر معينا لا ينضب عن الحقائق التاريخية المختلفة فى تاريخ الاسلام عبر كل العصور ، وليس من المبالغة فى شىء اذا قلنا ان كثيرا جدا مما نعرفه عن تاريخ الدولة الأموية مستمد من كتب الأدب(١٠)،

---

(٩) نفسه ٠ ص ١٩ ٠

(١٠) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى : ص ٧٥ ٠

ولا نستطيع فى هذه الدراسة الموجزة للمصادر التى اعتمدنا عليها فى بحثنا فيما يختص بالناحية التاريخية أن نلم بها جميعا وانما انتقينا أهمها وأكثرها صلة بموضوع البحث ويأتى فى مقدمة هذه المصادر ـ تبعا لترتيب الأبواب ـ كتاب وهب بن منبه : **«التيجان فى ملوك حمير»** ويعرض فيه لملوك اليمن ودولهم ويشيد بأمجادهم ومآثرهم أيما اشادة وقد أفدنا منه فى الباب الأول فيما يختص بقبائل الأزد الغساسنة الذين خرجوا من اليمن الى الشام قبل الاسلام وصراعهم مع سليح الضجاعم من قضاعة الذين سبقوهم الى هذه البلاد وكيف انتصروا عليهم حتى صارت لهم السيادة والزعامة فيها .

أما بالنسبة لملوك الغساسنة ونسبهم وتسلسلهم وأهم أعمالهم فقد أفادنا فيها كتاب حمزة الأصفهانى المتوفى سنة ٣٥٥ هـ تقريبا المسمى « **تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء** » حيث ذكر لنا ملوك هذه الدولة التى أقامتها قبائل الأزد فى بلاد الشام قبل الاسلام ابتداء من جفنة بن عمرو وحتى جبلة بن الأيهم وهم اثنان وثلاثون ملكا فى مدة ستمائة سنة .

ويعتبر كتاب الهمدانى : أبى محمد الحسن بن محمد الهمدانى الملقب بابن الحائك المتوفى ٣٣٤ هـ ــ ٩٤٥ م صفة جزيرة العرب من أحسن الكتب التاريخية الجغرافية القديمة التى اعتمدنا عليها فى تحديد كثير من مواطن القبائل العربية التى سكنت بلاد الشام مثل لخم وجذام وعاملة وطيء وكلب وقضاعة وبطونها وعشائرهم فهو كتاب يتصف بالدقة البالغة فى تحديد هذه المواطن ويصف حدودها ومواقعها وأهم بلدانها وغير ذلك مما أفدنا منه افادة كبيرة فى الفصل الثانى من الباب الثالث عند الحديث عن مناطق استيطان القبائل العربية بالشام بعد الفتح الاسلامى .

وفيما يختص بالباب الثانى عن العلاقات بين قبائل الشام وعرب الحجاز فى العهد النبوى فقد كانت الكتب التى ألفت فى السيرة النبوية خير معين لنا فى الكتابة عنهـا ، ومن أهم هـذه الكتب الكتاب الشهير : **سيرة ابن هشام** » المتوفى بالبصرة عام ٢١٣ هـ ــ ٨٢٨ م وهو أول كتاب تاريخى متصـل وصلنا عن سيرة النبى ﷺ وتاريخ العرب قبـل الاسلام استوحاه مؤلفه من الكتب التى وضعت قبله ولم تصلنا وبخاصة مؤلفات أبى عبد الله محمد بن اسحق المتوفى سنة ١٥٠ هـ ــ ٧٦٧ م الذى يعتبر أول من ألف فى سـيرة النبى ﷺ بناء على طلب الخليفة العبـاسى المنصور (١١) ، وقد أفدنا من سيرة ابن هشام فى كثير من الموضوعات

(١١) ابن خلدون : المقدمة : ص ٧٥ .

التى وردت فى الباب الثانى عن موقف قبائل الشام من الاسلام وجهاد النبى ﷺ ضد عرب الشام ووفود القبائل الشامية الى المدينة فى حياة النبى ﷺ .

وهناك أيضا فى هذا المجال كتاب « **الطبقات الكبرى** » لصاحبه محمد ابن سعد المتوفى ٢٣٠ هـ ــ ٨٤٥ م وهو أشبه بدائرة المعارف لسيرة النبى ﷺ ومغازيه وللخلفاء الراشدين والأمويين والصحابة وغيرهم حتى عهده ، وكان ابن سعد معاصرا للواقدى المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ــ ٨٢١ م وأخذ عنه كثيرا حتى أنه كان يعرف بكاتب الواقدى وقد أفدنا من هذا الكتاب فى شتى موضوعات البحث فيما يختص بتراجم الرجال والأشراف والأعلام وأنسابهم بالاضافة الى ما حواه من المعلومات التاريخية القيمة المرتبطة بالأشخاص الذين ترجم لهم والعصور التى عاشوا فيها .

تعتبر كتب الفتوح من أهم المصادر التاريخية القيمة التى اعتمدنا عليها فى الدراسة المقدمة عن القبائل العربية فى بلاد الشام منذ ظهور الاسلام الى نهاية العصر الأموى ولا سيما فيما يختص بالباب الثالث الذى يتناول القبائل العربية فى معارك فتح الشام والمناطق التى استقروا بها فى تلك البلاد بعد الفتح ، فقد عنى المؤرخون الأوائل بالتأليف فى موضوعات الفتوح والمغازى ولقى هذا النوع من التاريخ اقبالا شديدا منهم لما يحويه من دلالة على قوة الاسلام وانتصارات المسلمين ، ويرجح أن أقدم من ألف فى ذلك أبو عبد الله محمد المعروف بالواقدى المولود فى أول سنة ١٣٠ هـ ــ ٧٤٧ م ، وقد تولى الواقدى القضاء لهارون الرشيد وابنه المأمون واهتم بالتأليف فى المغازى والفتوح حتى قيل ان ما خلفه منها عند موته عام ٢٠٦ هـ بلغ ستمائة قمطر كبير (١٢) ضاع معظمها وبقى بعضها ومنه كتاب «**فتوح الشام**» الذى اعتمدنا عليه فهو كتاب عظيم القيمة وان أغفل صاحبه المصادر التى استقى منها معلوماته على عكس ابن هشام فى كتابه عن السيرة النبوية وبرغم ذلك فهو من أهم المصادر التاريخية عن الفتوح الاسلامية .

وهناك كتاب آخر عن فتوح الشام لمحمد بن عبد الله الأزدى الذى قيل ان تاريخ وفاته ١٧٨ هـ ــ ٧٩٤ م (١٣) وهو كتاب لا يقل قيمة عن

---

(١٢) ابن النديم : الفهرست : ص ٩٨ .
والقمطر أو القمطرة ما يصان فيه الكتب من صندوق وغيره . ومما قيل فيه :
ليس بعلم ما يعى القمطر ما العلم الا ما وعاه الصدر
الرازى : مختار الصحاح : ص ٥٥٠ ، ٥٥١ .
(١٣) مقدمة فتوح الشام للأزدى بقلم المحقق وليم ناسوليس .

كتاب الواقدى فى هذا المجال ويعتبر من أمهات الكتاب فى موضوعه لسبقه وسلامة سنده ولما حواه من جملة الخطب والرسائل والكتب كما أنه يضع أمام المؤرخ الوقائع التاريخية متكاملة فى تخطيطها الأول وفى تنفيذها ومتابعتها ونتائجها ، وقد اعتمد الأزدى فى تأريخه فتوح الشام على نقل الخبر بسنده منتهيا الى المشاهدين له أو السامعين لمن شهدوه وكلهم من رجال السند الثقات الصالحين المعتبرين فى كتب الرواة ، وقد أجمعت كتب الفهارس العربية على نسبة كتاب فتوح الشام للأزدى وذكرت أنه فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى .

وهنـاك أيضـا الكتاب القيم « **فتوح البلدان** » من تصنيف العالم الفارسى أحمد بن يحيى البـلاذرى المتوفى ٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م وكان من خاصة الخليفتين المتوكل والمعتمد وفيه ينقل البلاذرى بالرواية المسندة أخبار حروب النبى ﷺ ومغازيه وفتوح العرب فى الشام ومصر والجزيرة وغيرها ويبدو أنه مختصر لكتاب آخر كبير صنفه البلاذرى اذ يذكر عنه المسعودى المتـوفى ٣٤٥ هـ ـ ٩٥٦ م : بأنه لا يعلم فتـوح البلدان أحسن منه (١٤) .

وعن أخبـار القبـائل فى اليرموك وبقية معارك فتح الشام اعتمدنا أيضا على كتاب ابن أعثم الكوفى المسمى « **الفتوح** » ولم تورد لنا المصادر الكثير من أخبـار ابن أعثم واكتفى ياقوت بالقول عنه : « الاخبـارى المؤرخ » (١٥) ولأهمية هذا الكتاب وصحة ما ورد فيه من معلومات فقد نقله محمد بن أحمد المستوفى الهروى الى الفارسية وذكر المجلسى فى كتابه « **بحار الأنوار** » انه نقل كتاب الفتوح لابن أعثم ، وقال بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى (١٦) عن أبى أعثم : « ان له كتاب الفتوح وهو تاريخ قصصى للفتوحات والخلفاء الى عهد يزيد » ، ولم يحدد ياقوت تاريخ وفاة ابن أعثم وترك حاجى خليفة موضع التـاريخ فارغا فى كشف الظنون مما أدى الى الاختلاف فى تحديد هذا التاريخ وأول اشارة وردت عن تاريخ الوفاة جاءت فى الترجمة الفارسية لكتاب الفتوح وهى سنة ٣٠٤ هـ . وبصـفة عامة فقد استفدنا من كتب الفتـوح والمغازى للواقدى والأزدى وابن أعثم فى شتى موضوعات البحث لما حفلت به جميعها من معلومات غزيرة وخاصة فى جهاد النبى ﷺ ضد عرب الشام وفى تحديد هوية القبائل العربيـة التى حاربت فى اليرموك واستكملت الفتـوحات ودور كل منها

---

(١٤) المسعودى : مروج الذهب : جـ ١ ص ١٤ .
(١٥) ياقوت : معجم الأدباء : جـ ٣ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .
(١٦) نفسه : جـ ٣ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

وما نسب اليها من أعمال وانجازات وأسماء القادة والأعلام المنتسبين الى هذه القبائل ممن كان لهم الدور البارز في فتوح الشام .

وفي هذا المجال أيضا أفدنا كثيرا من الامام الحافظ المؤرخ ثقة الدين ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفي سنة ٥٧١ هـ صاحب كتاب تاريخ دمشق الكبير الذي يقع في ثمانين مجلدا وابن عساكر هو امام أهل الحديث في زمانه ، ولد في المحرم سنة ٤٩٩ هـ وسمع الحديث وعمره ست سنوات ولما بلغ العشرين جاب البلاد والآفاق وأوغل في الرحلة وجمع وكتب الكثير ، وجملة شيوخه الذين سمع منهم ألفا وثلثمائة شيخ ونيفا وثمانين امرأة ، قال عنه النعيمي في « **تنبيه الطالب وارشاد الدارس** » : انه صنف التصانيف الجليلة ومنها تاريخ دمشق في ثمانين مجلدا ، وقد سمع منه أبو سعد السمعاني وأكثر عنه النقل .

وقد أفادنا كتاب تاريخ دمشق الكبير في الحديث عن العلاقات بين قبائل الشام وعرب الحجاز في العهد النبوي وعن القبائل العربية التي استوطنت بلاد الشام بعد انتهاء حركة الفتوح وكذلك في حروب صفين ودور القبـائل فيهـا وما تلاها من معـارك وفتن بين القبائل القيسية واليمنية في بلاد الشام وغيرها مما أفدنا منه كثيرا في شتى موضوعات بحثنا لما حفل به هذا الكتاب من غزارة في المعلومات وتراجم الأشخاص والأعلام وما ارتبط بهم وما نسب اليهم .

أما بالنسبة للباب الرابع الخاص بالحرب بين قبائل الشام وعرب العراق في صفين فكان مصدرنا الأساسي فيه كتاب **وقعة صفين** لنصر ابن مزاحم بن سيار المنقري المتوفي سنة ٢١٢ هـ ونسبته الى بني منقر ابن عبيد بن الحارث بن عمرو من بني زيد مناة بن تميم وهو مؤرخ شيعي كوفي النشأة ولكنه سكن بغداد وحدث بها عن سفيان الثوري مما حدا بالخطيب البغدادي أن يفرد له ترجمة في تاريخه ويذكر المترجمون له أنه كان عطارا يبيع العطور ولعل ذلك ما أصبغ على تأليفه الذوق الحسن في كتابته فهو يسوق مقدمات حرب صفين في حذق ودقة وحسن استيعاب ويروي لنا أحاديث القوم وخطبهم وأشعارهم بما في ذلك الشعر من صناعة الرواة أو تلفيق أصحاب الأخبار ولكنه في ذلك كله يكاد لا يخطئه التوفيق في مراعاة الانسجام واتساق العرض ، والناظر في كتاب نصر بن مزاحم يلمس هدوء المؤرخ الذي لا تستفزه العصبية الى هواه الا في القليل الذي لا يسـتطيع منه افلاتا فهو حين يذكر مثـالب معاوية لا يخفي مطـاعن الأعداء في علي .

ويعتبر الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ من أقدم من كتب فى تاريخ صفين غير أنه لم يفرد لها تأليفا خاصا كما فعل نصر بن مزاحم وانما ذكرها فى أثناء تأريخه لحوادث سنة ٣٣ هـ وسنة ٣٧ هـ ، ويعتبر أقدم نص معروف لدينا فى هذه الواقعة هو كتاب صفين لنصر بن مزاحم الذى نستطيع أن نعده فى طبقة شيوخ أساتذة الطبرى اذ أن الأخير يروى عمن يروى عن أبى مخنف المتوفى سنة ١٧٠ هـ الذى يعد نصر بن مزاحم من طبقته (١٧) .

وقد ذكر ياقوت(١٨) عن نصر بن مزاحم أنه عارفا بالتاريخ والأخبار، وسرد له ابن النديم (١٩) من المصنفات : كتاب الغارات وكتاب الجمل وكتاب مقتل حجر بن عدى وكتاب مقتل الحسين بن على وزاد أبو على محمد بن اسماعيل صاحب « منتهى المقال » كتاب عين الوردة وكتاب أخبار المختار وكتاب المناقب مما يوضح الاتجاه الشيعى عند نصر بن مزاحم ، ومع ذلك فلم تحفظ لنا الأيام من آثاره الا هذا الكتاب المسمى « وقعة صفين » وهو كتاب غزير فياض بما حواه من معلومات استطعنا من خلالها تكوين رؤية قبلية واضحة لمواقع القبائل على اختلاف أنسابها من عدنانية وقحطانية فى هذه الحرب الطاحنة بما ترتب عليها من آثار بالغة فى تاريخ الدولة العربية .

كانت هذه أهم المصادر التى اعتمدنا عليها فى بحثنا من الباب الأول حتى الرابع فيما يتعلق بالأنساب والتاريخ ، أما فيما يختص بالباب الخامس عن العصبية القبلية فى أهل الشام وما جرت اليه من حروب وفتن وكيف أسقطت الدولة الأموية ودور القبائل فى ذلك فكانت مصادرنا فيها كثيرة ومتنوعة نخص بالذكر منها ابن قتيبة والدينورى والطبرى وابن عبد ربه والمسعودى والأصفهانى وابن الأثير بالاضافة الى دواوين الشعر لكل من جرير والفرزدق والأخطل ونقائضهم وغير ذلك مما رجعنا اليه فى كثير من المصادر الأخرى والأشعار المتصلة بموضوعنا . ومما هو جدير بالذكر أن اعتمادنا على هذه المصادر لم يكن وقفا على الباب الأخير فقط بل رجعنا اليها فى سائر موضوعات البحث حسب الحاجة اليها .

يعتبر ابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ هـ ـ ٨٨٩ م من العلماء الأجلاء والحفاظ الكبار وهو امام فى اللغة والأدب والأخبار وأيام الناس وقد عدت

---

(١٧) مقدمة وقعة صفين لنصر بن مزاحم المحقق عبد السلام هارون .

(١٨) معجم الأدباء : جـ ١٩ ص ٢٢٥ .

(١٩) الفهرست : ص ٣٣٧ .

كتبه من أمهات الكتب القديمة المفيدة ولذا أشاد المؤرخون بذكره وأطنبوا في مدحه ، ومؤلفات ابن قتيبة كثيرة ومتعددة مما يدل على أنه كان ذا علم وافر وثقافة واسعة ، ومما اعتمدنا عليه من مؤلفاته : كتاب المعارف وهو عبارة عن موسوعة تتصف بالتنسيق وحسن الاختيار تضم أنسابا وتراجم في ايجاز يستوعب ويلخص التاريخ من غير اخلال فجمع كل ما يعنى الناس أن يعرفوه عن أسلافهم من أخبار وحقائق وقد أفدنا منه في معرفة تراجم وأنساب الخلفاء والولاة والأمراء والأعلام والمشهورين بالاضافة الى كثير من المعلومات التاريخية مما يخص العصبية القبلية وحروبها ٠

أما أبو حنيفة الدينوري المتوفى ٢٨٢ هـ ـ ٨٩٥ م صاحب كتاب **«الأخبار الطوال»** فنجد في كتابه صفحة من تاريخ الاسلام في القرنين الأول والثاني الهجري بعبارات مختصرة ، ورغم أن الدينوري أطنب في الحديث عن أخبار فارس قبل الاسلام وفتح العرب لها وظروف سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية على أكتاف الفرس بما يوضح انتماءه فاننا وجدنا في ثنايا كتابه معلومات قيمة فيما يختص بالفتن القبلية التي اجتاحت الدولة الأموية في أواخر عهدها وفيما يتعلق بالعصبية بين القبائل والحروب التي قامت من جرائها ٠

وبالنسبة للطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ ـ ٩٢٣ م فله كتب « **تاريخ الأمم والملوك** » الذي يعتبر أول عمل تاريخي بين مصنفات العرب يقام على منهج مرسوم فأكمل ما قام به من كانوا قبله كاليعقوبي والبلاذري والواقدي وابن اسحق وأبي محنف والمدائني (٢٠) ومهد السبيل لمن جاء بعده كالمسعودي وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم ، وقد عرف الطبري بذاكرته القوية ودأبه الذي لا يكل في جمع الأخبار التي تتصل بالبشر منذ القدم حتى عصره على ترتيب السنين سواء بالرواية الشفوية أو من كتب المتقدمين ٠

وترجع أهمية كتاب الطبري الى أنه استطاع أن يجمع فيه المواد المودعة في كتب التاريخ والحديث والتفسير والأدب واللغة والسير والمغازي وتاريخ الوقائع والأشخاص ونصوص الشعر والخطب والعهود ونسق فيها تنسيقا مناسبا وعرضها عرضا جميلا وناسبا كل رواية الى صاحبها (٢١)٠

---

(٢٠) جواد علي : موارد تاريخ الطبري : مجلة المجمع العلمي العراقي : عدد ٢ ص ١٣٥ ـ ١٩٠ ـ ١٩٥٢ م ، عدد ٣ ص ١٦ ـ ٥٦ ـ ١٩٥٤ م ٠

(٢١) مقدمة تاريخ الطبري : ص ٤ ٠

ومع أن معظم مصادر الطبرى من العراق الا أنه اتخذ موقف المؤرخ المحايد الذى غرضه استيعاب الأخبار والمحافظة على صحتها من أفواه الرواة ولذلك فان كتابه يعتبر من أمهـــات المصـــادر فى دراســـة تاريخ الدولة العربية،ورغم أنه اختص أقاليم فارس والعراق بالقسط الأوفر من اهتمامه الا أننا أفدنا من تركيزه على السياسات والحروب والمعارك والدول والسير الخاصة فى شتى موضوعات البحث وخاصة موضوع العصبية القبلية والحروب بين القيسية واليمنية ولا سيما موقعة مرج راهط التى عرض لها عرضـــا جميلا شيقا أفدنا منـــه افادة فى فهم ظروف هـــذه المعركة وملابساتها وما ترتب عليها وذلك فى الفصل الثانى من الباب الأخير ٠

ومن المصادر الهامة أيضا ابن عبد ربه الأندلسى المتوفى ٣٢٨ هـ ــ ٩٤٠ م (٢٢) صاحب العقد الفريد الذى أخذ معظم علمه الواسع بتاريخ وأدب المشرق عن أشياخه بالأندلس ، ويتصف ابن عبد ربه بميله الشديد الى التاريخ يعرضه ويتوسع فيه وينقل منه كثيرا ممزوجا بالأدب كما أنه يتمتع بثقافة دينيـــة وأدبية وتاريخية عظيمة فهو يتحـدث عن الوفود والأنساب وأيام العرب وأخبـــارهم فى الجاهلية والاسلام (٢٣) وسير الخلفاء وتواريخهم وذلك من غير اسناد طلبا للتخفيف ، وقد أمدنا كتاب ابن عبد ربه بكثير من المعلومات القيمة عن أيام القبائل وأخبارها وحروب العصبية القبلية وسير خلفاء بنى أمية المتأخرين الذين زجوا بأنفسهم فى غمارها ٠

أما المسعودى المتوفى ٣٤٥ هـ ــ ٩٥٦ م (٢٤) فهو عالم فلكى حاسب جغرافى فقيه محدث جدلى ناسب أخبارى أديب راوية كثير التنقل بالقارىء من تاريخ الى علم الى فقه الى أدب مما يدل على أنه ذو ثروة علمية فذة (٢٥) وقد تنقل المسعودى فيما بين فارس والهند والشام ومصر بسبب حبه للعلم والاطلاع وطاف أكثر بلاد العالم الاسلامى وقضى الجزء الأخير من حياته فى سورية ومصر حيث ألف كتاب مروج الذهب ومات بالفسطاط (٢٦) ٠

وكتاب مروج الذهب للمسعودى كتاب تاريخى جغرافى يعرض فيه لتاريخ العرب فى الجاهلية والاسلام وأهم أحوالهم وعاداتهم وقد استن

(٢٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان : جـ ١ ص ١١٠ ــ ١١٢ ٠

(٢٣) جبرائيل جبور : ابن عبد ربه وعقده : ص ٢٨ ، ٢٩ ٠

(٢٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان : جـ ٤ ص ٣١٣ ــ ٣٢٢ ٠

(٢٥) مقدمة كتاب مروج الذهب ٠

(٢٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان : جـ ٤ ص ٣٢٤ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الأخشيديين : ص ٩ ، مصادر التاريخ الاسلامى : ص ٣٥ ، ٣٦ ٠

فيه صاحبه فى تأليف التاريخ سنة جديدة فصار لا يرتب موضوعاته حسب السنين الهجرية بل جمعها تحت رءوس موضوعات عن الشعوب والملوك والأسرات وتبعه فى هذه الطريقة بعض المؤرخين لا سيما ابن خلدون (٢٧) ٠

وقد أورد المسعودى فى الجزء الثانى من كتاب مروج الذهب كثيرا من المعلومات عن قبائل اليمن وأنسابهم بما فيها ملوك الشام من غسان وخبر سيل العرم وتفرق الأزد فى البلاد وهو ما أفدنا منه فى الباب الأول ، وتناول المسعودى فى الجزء الثالث من كتابه الحديث عن السبب فى العصبية بين النزارية واليمانية والأشعار التى أهاجتها والأزمة التى أدت الى مرج راهط فى خلافة مروان بن الحكم وغير ذلك مما يدل على حس تاريخى سليم أفدنا منه كثيرا فى موضوعنا ٠

يعتبر كتاب الأغانى لصاحبه أبو الفرج على بن الهيثم الأموى الكاتب الشهير بالأصفهانى المتوفى ٣٥٦ هـ ـ ٩٦٧ م من المصادر الهامة لتاريخ الدولة العربية لما حواه من أخبار وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة وقصص الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الاسلام وقد أفدنا مما ورد فيه عن وقائع بين قيس وكلب فى بادية السماوة والوقائع بين قيس وتغلب فى بلاد الجزيرة الفراتية ودور الأخطل فيها وكذلك أهم الأيام التى حدثت بين القبائل العربية بصفة عامة بالاضافة الى كثير من الأشعار المتصلة بالعصبية وحروبها فى الفترة موضوع البحث ٠

وهناك أيضا كتاب الكامل فى التاريخ لأبى الحسن على المعروف بابن الأثير المتوفى ٦٣٠ هـ ـ ١٢٣٣ م وهو الذى كرس معظم حياته لكتابة تاريخ كامل للاسلام حتى عصره ، وقد عرف ابن الأثير بحصافته فى تحرى الأخبار ونقلها وان رتبها كالطبرى على نظام الحوليات ، ويقال عن سبب وضعه لهذا الكتاب أنه كان محبا للتاريخ فلما تأمل كتبه رآها متباينة فى تحصيل الغرض بين مطول ممل ومختصر مخل والشرقى أهمل فى أخبار الغرب والغربى قصر فى معرفة أحوال الشرق وهذا ما جعله يؤلف تاريخا جامعا لأخبار ملوك بلدان الشرق والغرب (٢٨) ٠

وكتاب الكامل شأن كتب التاريخ القديمة سرد الأحداث والأخبار بحسب تواريخها ومع أنه يعترف بأنه نقل من الطبرى الا أنه ينتقد بعض

---

(٢٧) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى : ص ٣٦ ٠

(٢٨) مقدمة الكامل لابن الأثير : جـ ١ ٠

ما نقله ولا يكتب الا ما يراه صحيحا ، وقد أفدنا من ابن الأثير في ذكر الأيام والوقائع التى كانت بين قيس وتغلب فى الجزيرة اذ أنه ذكرها جميعا بالتفصيل كما تعرض لأحوال العصبية ودواعيها بين العرب فى قيس ويمن وما اتصل بها من حالة الفوضى والفتن التى حلت بالدولة الأموية فى نهاية عهدها .

وما من شك في أن الشعر يأتى فى مقدمة المصادر الأدبية التى يمكن أن نستقى منها أطرافا من تاريخ العرب ، فهو يعتبر سجلا معاصرا لأخلاقهم وحياتهم وأخبارهم ولهذا استحق أن يطلق عليه ديوان العرب لأن نجم دولة الشعر لم يأفل بظهور الاسلام ولزم كثير من فحول الشعراء خلفاء بنى أمية بالشام من أمثال جرير والأخطل والفرزدق والطرماح وغيرهم مما نقلنا من دواوينهم ونقائضهم فى كثير من النقاط التى تعرضنا لها فى الباب الأخير عن العصبية والمفاخرة والتهاجي وغير ذلك مما جعل من هذه الدواوين مرآة صادقة لأحوال القبائل فى العصر الأموى بما حوته من مادة حية قيمة انعكست على موضوعنا فى الباب الختامى .

ومما هو جدير بالذكر أن معظم شعر العصر الأموى شأنه شأن الشعر الجاهلى وصلنا عن طريق الرواية الشفوية كالحديث والأخبار وقد ساعد على بقائه ما تمتع به العرب من ذاكرة الحفظ ، ويعتبر حماد الراوية المتوفى ١٥٥ هـ ـ ٧٧٢ م والذى عاصر مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين أهم ناقل للشعر فى ذلك الوقت وكان من المقدمين المكرمين وسمى راوية لأنه كان يروى لكل شاعر (٢٩) .

ومن كتب المعاجم والبلدان رجعنا الى أشهرها وأدقها وهو معجم البلدان لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٢ هـ ـ ١٢٢٥ م وهو كتاب مرتب على حروف الهجاء حققت منه معظم أسماء البلدان التى ذكرت فى البحث بالاضافة الى كثير من الأسماء والشخصيات والأحداث التاريخية الأخرى ، وكان ياقوت محترفا لنسخ الكتب وتجارتها ولذلك فقد جال بلاد فارس وبلاد العرب وآسيا الصغرى ومصر والشام وبلاد ما وراء النهر وأفاد كثيرا من التنقيب فى خزانات الكتب ولا سيما خزائن مدينة مرو ، ويعتبر معجم البلدان من أهم ما كتبه ياقوت لدقته وترتيبه واتساعه وجمعه بين الجغرافية والتاريخ والعلم والأدب (٣٠) .

---

(٢٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان : جـ ١ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٣٠) زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى : ص ١٠٣ ، ١٠٥ .

هذا بالاضافة الى مجموعة القواميس والمعاجم وكتب اللغة التى أعانت على فهم ما استغلق من المعانى والألفاظ التى وردت بالبحث وبعض أبيات الشعر وما كان منها سائدا فى تلك الفترة بقدر الامكان ومدلولاتها بالاضافة الى ضبط أسماء القبائل والبطون والعشائر .

ومما اعتمدنا عليه فى ذلك نذكر :

ابن منظور	ت ٧١١ هـ ـ ١٣١١ م	لسان العرب .
الجوهرى	ت ٣٩٣ هـ ـ ١٠٠٣ م	الصحاح .
الرازى	ت ٦٦٦ هـ ـ ١٢٦٨ م	مختار الصحاح .
الفيومى	ت ٧٧٠ هـ ـ ١٣٦٩ م	المصباح المنير .
الفيروز أبادى	ت ٨١٧ هـ ـ ١٤١٤ م	القاموس المحيط .
ابن سيده	ت ٤٥٨ هـ ـ ١٠٦٦ م	المخصص .

كان هذا فيما يختص بالمنابع الأصلية لموضوع دراستنا أما المراجع ذات الأهمية التالية فهى تضم مجموعة الكتب والمؤلفات الحديثة التى تعتمد فى كتابتها على التحليل والتفسير واتباع قواعد المنهج الحديث للتاريخ وقد أفدنا من أهمها وأكثرها جدية فى القاء الضوء على موضوع البحث واختيار المنهج المناسب له وأخص بالذكر من أصحابها شكرى الآلوسى وفيليب حتى وجورجى زيدان ومحمد كرد على وجواد على وعبد العزيز الدورى وعمر رضا كحالة والشيخ الخضرى وحسن ابراهيم حسن وغيرهم من أصحاب المؤلفات الجادة التى استفدنا مما ورد بها من آراء ووجهات نظر فيما يتعلق بالموضوع وقد قمت باثباتها جميعا فى مواضعها بالهوامش وفى بيان المصادر والمراجع فى نهاية البحث .

الباب الأول

القبائل العربية فى بلاد الشام قبل الإسلام

الفصل الأول : الهجرات القديمة من شبه الجزيرة العربية وسيادة قبائل قضاعة بالشام .

الفصل الثانى : قبائل الأزد وملك الغساسنة بالشام .

أولا : خروج الأزد من اليمن .

ثانيا : وصول الغساسنة الى الشام .

ثالثا : ملك الغساسنة بالشام .

١ ـ الحرب مع الروم .

٢ ـ الحرب مع سليح الضجاعم من قضاعة .

٣ ـ ملوك الغساسنة .

الفصل الأول

الهجرات القديمة من شبه الجزيرة العربية وسيادة قبائل قضاعة بالشام

عاش سكان ما بين النهرين وسكان الهلال الخصيب قديما فى بحبوحة من العيش فى وقت كان فيه سكان شبه الجزيرة العربية تتقاذفهم عوامل الطرد والجذب ، فكان الجفاف وضيق العيش فى بلادهم يدفعهم الى التطلع للخروج من بلادهم وكانت أقاليم الغنى والثروة فى منطقة الهلال الخصيب وما بين النهرين تجذبهم للهجرة اليها (١) ، وعلى ذلك فقد خرجت الهجرات على دفعات كل واحدة منها حملت أعدادا ضخمة من السكان الى البلاد الغنية المجاورة فنزلت بها وامتزجت بأهلها وتفاعلت معهم مما نتج عنه حضارات جديدة استمرت مدة طويلة كحضارة بابل وآشور فى بلاد ما بين النهرين والحضارة الفينيقية فى بلاد الشام (٢) .

(١) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : جـ ١ ص ٢٩ ، جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام : جـ ١ ص ١٦٩ ، جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٤٢ ، ٤٣ ، محمد عزة دروزة : تاريخ موجات الجنس العربى ودولها ومآثرها فى بلاد الشام : ص ٧ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم : جـ ٣ ص ٤٧ .

(٢) انظر : فيليب حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ٨٥ ، جواد على : تاريخ العرب : جـ ٢ ص ٣٠٣ ، جورج ينى : تاريخ سورية : ص ٢٦ ، جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٤٣ ، عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : جـ ١ مصر والعراق ص ٤٦٠ ـ ٤٨٢ ، محمد عزة دروزة : تاريخ موجات الجنس العربى : ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، اسرائيل ولفنستون : تاريخ اللغات السامية : ص ٥٤ ،
Musil : Arabia Deserta : p. 477.

وأول هذه الهجرات التى خرجت من شبه جزيرة العرب كانت فى الألف الرابعة قبل الميلاد وحملت معها جماعات الكنعانيين الذين تركوا بأرض سورية وفلسطين (٣) وفى الألف الثالثة قبل الميلاد خرجت الهجرة الثانية وحملت معها الأكادين الى بلاد ما بين النهرين ، وخرج العموريون الى بابل وبلاد ما بين النهرين فى الشرق والى سورية وفلسطين فى العرب فى موجة الهجرة الثالثة فى الألف الثانية قبل الميلاد ، أما الهجرة الرابعة فى الألف الأولى قبل الميلاد فقد حملت الى أراضى الهلال الخصيب الجماعات العبرانية والآرامية (٤) وهما العنصر الغالب على بلاد الشام قبل الاسلام وزمن الفتـــح (٥) •

وهكذا خرج من شبه الجزيرة العربية فى العصور القديمة هؤلاء الذين استقروا فى بلاد الهلال الخصيب فى الأربعة آلاف سنة قبل الميلاد فعمروا هذه الجهات وأنشأوا بها حضارات راقية ، وكأن شبه الجزيرة كان خزانا يفيض بما يزيد عن طاقته فى حقب متعاقبة تبلغ الواحدة منها زهاء الألف عام تقريبا ، وهذه الهجرات منذ بدء الجفاف بعد انتهاء العصر المطير وحتى الألف الأولى قبـــل الميلاد لا يطلق عليها هجرات عربية انما تسمى هجرات المجموعات البشرية ذات الثقافة السامية من سكان شبه الجزيرة لأن لفظـــة عرب لم تنتشر الا فى منتصف الألف الأولى قبل الميـــلاد (٦) •

---

(٣) حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ٦٦ ، ٦٧ ، يوسف ألدبس : تاريخ سورية : ص ٢٥٥ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم : جـ ٣ ص ١٨٣ ، ولفستون : تاريخ اللغات السامية : ص ٥٤ ، دروزة : تاريخ موجات الجنس العربى : ص ٤٥ •

(٤) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام : جـ ٢ ص ٣١٩ ، جميل نخلة المدور : تاريخ بابل وآشور : ص ١١١ ـ ١١٥ ، جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٤٠ ـ ٤ ، الدبس : تاريخ سورية : ص ٣١٢ ، ٣١٣ ، حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ١٧٧ ، جيمس هنرى بريستد : تاريخ مصر القديمة من اقدم العصور : ترجمة حسن كمال : ص ٢٦٧ ، طه باقر : مقدمة فى الحضارات القديمة : ص ١٣٩ ، ولفنستون : تاريخ اللغات السامية : ص ١٢١ ، ١٢٣ ، رينيه ديسو : العرب فى سورية قبل الاسلام : ص ٢ ، دروزة : تاريخ موجات الجنس العربى : ص ١٩١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم : جـ ٣ ص ١٨٤ ، عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : جـ ١ مصر والعراق : ص ٤٦٢ ، محميد طه أبو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب : ص ١٥٦ •

(٥) المسعودى : التنبيه والاشراف : ص ٣٦ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ٢ ص ٢٩٥ ، القلقشندى صبح الأعشى: ص ٥ ص ٤٧٢ ، أحمد أمين : فجر الاسلام : ص ١٣٠ ، ١٣١ •

(٦) زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٤٠ . ٤١ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى : جـ ٣ ص ١٨٠ ، طه أبو العلا : مرجع سابق : ص ١٥٧ •

على أن أهم هذه الهجرات جميعا كانت هجرة قبائل النبط (٧) الى شمال شبه الجزيرة فى القرن السابع قبل الميلاد وهجرة قبائل معد بن عدنان فى القرن الأول الميلادى الى بلاد الهلال الخصيب(٨) وهجرة القبائل اليمنية بعد انهيار سد مأرب على دفعات فى القرن الثالث الميلادى بعد ازدياد حالة الجفاف فى بلاد اليمن (٩) ٠

وهكذا فان الصلات بين بلاد العرب والشام قديمة جدا لم تنقطع فى أى وقت من الأوقات ، ولم يكن انتقال القبائل العربية الى بلاد الشام دفعة واحدة بل حدث على مراحل زمنية متعددة استغرقت قرونا طويلة وكان دخول العرب الى بلاد الشام ظاهرة دائمة وعادية ظلت مستمرة الى ما قبل ظهور الاسلام ولذلك فانه لا يمكن تحديد زمن معين لوصول القبائل والبطون العربية الى مسرحها الجديد (١٠) ٠

ان تاريخ شمال شبه الجزيرة العربية وبادية الشام قبل الاسلام هو تاريخ الأحداث التى شهدتها جماعات سياسية صغيرة قامت واحدة وراء الأخرى على طول حدود الصحراء من ساحل البحر الأحمر الى أطراف فلسطين وسورية وأرض الرافدين (١١) ٠

---

(٧) ذكر أصحاب المعاجم عن النبط انهم جيل من العجم كان ينزل البطائح بين العراقين وسموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء ، وسمى أولاد شيث بن نوح انباطا لأنهم نزلوا هناك ، وكان العرب تنفر من النبط وتزدريهم واذا أراد احدهم توبيخ الآخر قال : يا نبطى ٠

الزبيدى : تاج العروس : جـ ٥ ص ٢٢٩ ، الفيروز أبادى : القاموس المحيط : جـ ٢ ص ٣٧٨ ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ٩ ص ٢٨٨ ، جواد على : المفصل فى تاريخ العرب : جـ ٣ ص ٦ ، ١١ ، زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٨١ وحاشيتها ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب « جـ ١ عصر ما قبل الاسلام » ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٤٩٧ ٠

(٨) البلاذرى : أنساب الأشراف : ص ١٣ ــ ٢٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٩ ، ٤٣٤ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٧٨ ٠

(٩) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٦ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء : ص ٩٨ ، العوتبى كتاب الأنساب : جـ ٢ ص ٥٢ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٠١ ٠

(١٠) رينيه ديسو : العرب فى سورية قبل الاسلام : ص ٢ ٠

(١١) الطبرى : التاريخ : جـ ١ ص ٢٢٠ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٦ ص ١٣٨ ، المسعودى : التنبيه والاشراف : ص ٧٨ ، مروج الذهب : جـ ٢ ص ٢٤٤ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٠ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الارض والأنبياء : ص ٦٥ ، جواد على : المفصل فى تاريخ العرب : جـ ٣ ص ٦ ، زيدان : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ٨٤ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب : جـ ١ عصر ما قبل الاسلام : ص ٢٢١ ، حتى : تاريخ سوريا : ٤٣٣ ،
Procopius : Hist. of the wars : Vol. 1. p. 295, Musil : Palmyrena : p. 237.

وكانت هذه الدويلات قصيرة العمر لأنها لم تكن سوى نتاج فرعى لعملية الاتصال بين منطقة البداوة ومنطقة الحضارة فلم تكن فقط ملتقى ومحطا لموجات الهجرة القادمة من الصحراء وانما كانت فى الوقت نفسه حاجزا بين البدو والحضر (١٢) ٠

وبالاضافة الى هذا العامل الجغرافى شاركت قوى اقتصادية فى تكوين تاريخ العرب فى العصور القديمة ، فقد كان يحد شبه الجزيرة طريقان أساسيان على حافة الصحراء تنتقل عليهما السلع من المحيط الهندى الى موانىء فلسطين وسوريا ، وكان أحد هذين الطريقين يمتد من اليمن الى جنوب فلسطين والثانى يمتد من الخليج العربى ويدخل وادى الرافدين ثم ينحرف الى سوريا قاصدا دمشق (١٣) ٠ وعلى هذين الطريقين قامت دويلات الحدود العربية وكان استعمالها أو اغلاقها على حسب الموقف السياسى فى الشرق الأدنى يقرر مصير تلك الدول (١٤) ، وقلما كان البدو يظهرون على مسرح التاريخ الا حين ينتقلون الى دول الحدود فهم المعين الذى لا ينضب للشعب العربى (١٥) ، لأنهم حين يتغلغلون فى المناطق المستقرة ويظهرون على مسرح الأحداث ينقطعون عن البداوة ويتركون أماكنهم فى الصحراء لآخرين يتبعونهم عبر الحدود ، وما ترويه التوراة « من أن أخوة يوسف باعوه لتجار عرب » هو أقدم اشارة الى الشعب العربى (١٦) ، وقد أدت حركة الهجرة الموسمية من الصحراء نحو المناطق المزروعة فى الشمال الى أن قامت حوالى القرن الخامس قبل الميلاد أول دولة متحدة على الأطراف الخارجية لمنطقة فلسطين (١٧) ٠

وكانت عاصمتها البتراء (١٨) وهى محط هام على الطريق التجارى الممتد على حافة شبه جزيرة سيناء (١٩) ، وقد بلغت دولة النبط ذروة

---

(١٢) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠٤ ٠

(١٣) موسل : شمال الحجاز : ص ١ ، ٢ ، موسكاتى : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠١ ٠

(١٤) Gibbon : the decline and Fall of the Roman Empire Vol. 5, p. 216.

(١٥) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠١ ٠

(١٦) المرجع السابق : ص ٢٠٢ ٠

(١٧) المسعودى : مروج الذهب : جـ ١ ص ٢٣ ، التنبيه والاشراف : ٣٦ ، ٧٨ ، جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام : جـ ٣ ص ١٣ ، خليل يحيى نامق : نشر نقوش سامية قديمة : ص ١١٨ (ونقش رقم ٩٠) ، فيليب حتى ، تاريخ سوريا : ص ٤٢٦ ، جورجى زيدان : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ٨١ ، موسكاتى : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠٢ ٠
Gibbon : the decline and fall of the Roman Empire. Vol. 5, p. 214.

(١٨) ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٣٣٥ ٠

(١٩) موسل شمال الحجاز : ص ٢ ٠

ازدهارها فى الفترة السابقة لاحتلال الرومان سورية عام ٦٥ ق٠م(٢٠)، ففى هذه الفترة خضعت كل المنطقة الواقعة شرق فلسطين وجنوبها حتى مدينة الحجـر (٢١) التى تسمى الآن مدائن صالح وتأثر النبط بلغة الأراميين وحضـارتهم الى حد كبير (٢٢) ، غير أن فتح الرومان للشرق الأدنى كان ايذانا باضـمحلال دولة النبط حـين دانوا لسيادة الرومان ووقعوا ضـحية لسياسـة تراجان فى الشرق (٢٣) الذى حول دولتهم عام ١٠٥ م الى ولاية رومانية سماها « بلاد العرب » (٢٤)

وقد أدى انصـداع قوة النبـط الى هجـر طريقـهم التجـارى بالتدريـج (٢٥) والتحول الى طريق الفرات فزاد هذا من أهمية المحطـة الواقعة على ذلك الطريق بين الفرات ودمشق وهى واحة تدمر (٢٦) وشيئا فشيئا ظهرت دولة تدمر (٢٧) وازدادت قوة خلال النصف الأول من القرن السابق على الميـلاد لأهميتها التجاريـة كمحطة قوافـل (٢٨) وأهميتها السياسية لوقوعها بين امبراطوريتى الفرس والروم (٢٩) ، وقد نمت تدمر فى ظل حضـارة الاراميين واتخـذت لغتهم ومبادئهم الأساسية فى الدين والثقافة (٣٠) ـ كما فعل النبط ـ وظلت قوتها تزداد حتى شملت سوريا والشرق الأدنى الرومانى فى منتصف القرن الثالث الميلادى (٣١) الا أن النزعة الاستقلالية للملكة زنوبيـا (٣٢) أدت الى القضاء على هذه

---

(٢٠) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠٣ ٠
Strabo : Geography : Vol. 2 - p. 5, 12.

(٢١) مدينة الحجر تقع بوادى القرى بين المدينة والشام كانت بها منازل ثمود ٠ ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٢١ ٠

(٢٢) الطبرى : التاريخ : ج ١ ص ٢٢٠ ، المسعودى : التنبيه والاشراف : ص ٣٦ ، جواد على : المفصل : ج ٣ ص ٦ ، حتى : تاريخ سوريا : ص ٣٨٥ ٠

(٢٣) ديسو : العرب فى سوريا قبل الاسلام : ص ٨ ٠

(٢٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى : ج ١ ص ٢٠ ٠

(٢٥) Doughty : Travels in Arabia Deserta, p. 41.

(٢٦) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٦٩ ٠

(٢٧) Musil : Palmyrena : p. 237.

(٢٨) ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٧٠ ، حتى : تاريخ سورية : ص ٣٨٩ ، موسكاتى : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠٣ ، جواد على : المفصل : ج ٣ ص ٨١ ٠

(٢٩) حتى : تاريخ سوريا : ص ٤٣٣ ٠

(٣٠) ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٧٠ ، موسكاتى : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠٣ ، Musil : Palmyrena : p. 238.

(٣١) حتى : تاريخ سوريا : ج ١ ص ٣٩٥ ٠

(٣٢) الطبرى : التاريخ : ج ١ ص ٦١٧ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٦٥ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٣ ص ٦٩ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ج ١ ص ٣٤٥ ، جواد على : المفصل ج ٣ ، ص ١٠٣ ٠

الدولة ، ففي عام ٢٧٢ م دخل الامبراطور أورليان مدينة تدمر وقضى على استقلالها الى الأبد (٣٣) ٠ ومع ذلك فقد ظلت توجد تجمعات عربية صغيرة على أطراف الامبراطورية الرومانية في سوريا وفي أرض الرافدين ولكن لم تكن لها قوة دفاعية كبيرة (٣٤) ، وفي أثناء ذلك كان بدو شبه الجزيرة يمتلئون بقوة جديدة ، فقد أدى تصدع سد مأرب واضمحلال دول اليمن الى أن تهاجر منها الى الشمال قبائل بأسرها (٣٥) بحثا عن أرض جديدة وكان من نتيجة هذه الحركة أن جاء عقب البتراء وتدمر دويلتان جديدتان على أطراف الصحراء ، ففي القرنين الخامس والسادس ازدهرت حول دمشق (٣٦) مملكة الغساسنة (٣٧) وفي الوقت نفسه ازدهرت دويلة اللخميين (٣٨) في الحيرة (٣٩) بالقرب من ضفاف الفرات وكانت هاتان الدويلتان تابعتين لامبراطوريتي بيزنطة وفارس وكانتا بمثابة مركزي حراسة لهما على حدود الصحراء ولكنهما اضمحلتا واختفتا قبيل الفتح الاسلامي تاركتين الامبراطوريتين وجها لوجه مع الفاتحين العرب (٤٠) وأيا كان الأمر فان ما يهمنا في هذا الموضوع هو هجرة القبائل اليمنية بعد انهيار سد مأرب وازدياد حالة الجفاف في بلاد اليمن وندرة وسائل المعيشة ، فقد نتج عن ذلك هجرة قبائل بأجمعها من جنوب بلاد العرب الى شمالها بحثا عن أرض جديدة (٤١) ٠

ويذكر المسعودي (٤٢) « أن أول من ملك الشام من اليمن هو فالغ ابن يغور ، ومن بعده يوتاب وهو أيوب بن رزاح ثم غلبتهم الروم على

---

(٣٣) جواد علي : المرجع السابق : ج ٣ ص ١٢٠ ، ادوارد جبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها : ص ٢٧١ ، موسكاتي : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠٤ ٠

(٣٤) موسكاتي : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠٤ ٠

(٣٥) العوتبي : كتاب الأنساب : ج ٢ ص ١٩٩ ٠

(٣٦) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٦٣ ـ ٤٧٠ ٠

(٣٧) حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء : ص ٩٨ ـ ١٠٤ ، مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٢ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٨٢ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج ص ٧٢ ، ٧٣ ، زيدان : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ١٩٧ ٠

(٣٨) حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٨٣ ـ ٩٧ ، الطبري : التاريخ : ج ١ ص ٥٥٨ ، جواد علي : المفصل : ج ٣ ص ١٥٧ ٠

(٣٩) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٢٨ ـ ٣٣١ ٠

(٤٠) موسكاتي : الحضارات السامية القديمة : ص ٢٠٤ ٠

(٤١) المرجع السابق : ص ٢٠٤ ٠

(٤٢) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٦ ٠

ديارهم فتفرقوا في البلاد » (٤٣) . ويجمع المؤرخون على أن قبائل قضاعة أولهم الضجاعم هم أول وجود عربى حقيقى فى بلاد الشام منـذ ولاية الروم عليهـا (٤٤) والضجاعم هم بنو ضجعم بن مالك بن حمير من عرب حلوان بن عمران بن الحـافى بن قضـاعة بن مالك بن حمير من عرب قحطان (٤٥) ، وقد اصطنعهم الروم ودخلوا فى النصرانية وصاروا الملوك بالشام على من حوى من سائر العرب (٤٦) . ثم ملك بالشام من قضاعة بعد الضجاعمة تنوخ (٤٧) وهم بنو تنوخ بن مالك بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان (٤٨) وأول من ملك من تنوخ النعمان ابن عمرو بن مالك ومن بعده عمرو بن النعمان بن عمرو ، ثم الحوارى بن النعمان ولم يملك من تنوخ غير هؤلاء (٤٩) ، وقيل ملك بعد النعمان بن عمرو ابنه مالك ومن بعد مالك ابنه عمرو (٥٠) ، وفى هذه الأثناء وردت الشام الموجة الثالثة من قبائل قضاعة بن مالك بن حمير القحطانية متمثلة فى بنى سليح بن حلوان بن عمران من قضاعة فتغلبت بنو سليح على تنوخ (٥١) واعتنقت النصرانية فملكتهم الروم على سائر قبـائل عرب الشام ، فلم يكن الاعتبار عندهم الا للأقوى الذى يستطيع بسط الأمن وحماية أطراف البلاد من غارات البدو وجباية القبائل لصـالح الروم . وعلى أية حال فقد استقام ملك سليح بالشام وأخذت بطون قضاعة ترد الشام تباعا الواحدة وراء الأخرى ، فوصل بنو عاملة بن الحارث بن مالك ابن ربيعة بن قضاعة واخوتهم بنو وبرة ، وأكثر بنو وبرة بالشام عددا وأشدهم بأسا ونجدة وعزا بنو كلب بن وبرة منهم جناب ومنهم العمائر ومنهم عدى وعليم وأوس الله وتيم الله وسـعد الله ووهب الله وزيد

---

(٤٣) المصدر السابق : جـ ٢ ص ١٠٦ .

(٤٤) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ ، ابن حبيب : المحبر ص ٣٧ ، المسعودى : التنبيه والاشراف : ص ١٨٦ ، مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٦ ، ابن حزم الأندلسى : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٥٠ .

(٤٥) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٥٠ .

(٤٦) ابن حبيب : كتاب المحبر : ص ٣٧٠ ، المسـعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٦ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ٤ .

(٤٧) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٦ ، ديسو : العرب فى سوريا : ص ١٠ .

(٤٨) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٥٣ ، القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب : ص ١٧٨ .

(٤٩) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٦ .

(٥٠) ابن رشيق : العمدة : ص ٤١٦ .

(٥١) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٦ .

الله (٥٢) فهؤلاء ولد رفيدة بن ثور بن كلب • ومنهم العليص ومنهم كنانة الكبرى وهم حماة الشام وبدورها الذين لهم الخفارات على قوى الشام ومدائنها •

وقال أحدهم فى ذلك :

نحن الليوث اذا حمسنا فى الوغى والحلم شميتنا اذا لم نحمس
نحن الصخور ومن يحاول عضها تفلأ نواجذه عليه وتضرس
أعداؤنا لم يسلموا وحريمنا لم تستبح وثراؤنا لم يغمس(٥٣)

وقد ظلت قضاعة تسود عرب الشام حتى قدمت عليهم غسان من شبه الجزيرة فتغيرت الأوضاع • وكانت ديار قضاعة بالشام فى جبل الشيخ وجبال فلسطين والبلقاء والغور وفى العقبة وجبال الكرك والمنطقة ما بين الشام والحجاز والعراق (٥٤) •

---

(٥٢) المبرد : نسب عدنان وقحطان : ص ٣٣ ، الأصمعى : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ٧٥ •

(٥٣) الأصمعى : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ٧٥ ، ٧٦ •

(٥٤) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٧٠ ، البغدادى : مراصد الاطلاع : جـ ٣ ص ١٣٥٤ ، البكرى : معجم ما استعجم : جـ ١ ص ١٩ « تفصيل منازلهم وهجرتهم » ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٢ ص ٢٤٩ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ٣ ص ٩٥٧ ، ٩٥٨ •

الفصل الثانى

قبائل الأزد وملك الغساسنة بالشام

أولا : خروج الأزد من اليمن :

فى الوقت الذى كانت فيه قبائل قضاعة مستقرة بالشـام كانت قبائل قحطانية أخـرى تشق طريقها من اليمن الى الشـام وهى قبائل الأزد (١) ، وهم بنو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (٢) ، وبطون الأزد كثيرة ، منهم الأنصار وهم بنو الأوس والخزرج (٣) ابنى حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة ابن مازن بن الأزد (٤) ، وبارق وهم بنو عدى بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء وبنو العتيك بن الأزد بن عمران بن عمرو مزيقياء (٥) . ويقال ولد الأزد سبعة نفر خرجت منهم قبائل وبطون كثيرة هم : نصر وكان أكبر ولده ، ومازن وهو غسان واليه تنتهى كل جموع غسـان وعمرا وعبد الله والهنو وقلاد ويقال قدار والهبوب (٦) . ومازن بن الأزد هو

(١) العوتبى : الأنساب : جـ ١ ص ١٩٩ .

(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٨٤ « نسبه وأولاده وعقبه » .

(٣) العوتبى : الأنساب : جـ ١ ص ٦١ ، ٦٢ .

(٤) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٨٤ .

(٥) وهب بن منبه : كتاب التيجان : ص ٢٧٣ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٨٤ .

(٦) عن قبائل وبطون الأزد وأنسابها انظر : العوتبى : كتاب الأنساب : جـ ٢ ص ٤٥ ـ ٥٠ .

غسان أبو الملوك واليه جماع غسان كلها ، وقيل فى سبب تسميته غسان أقوال عديدة اتفقت على أن التسمية لمورد غزير المياه (٧) واختلفت فى موقعه فذكر أنه كان بمأرب (٨) ، وكان مازن بن الأزد وولده ينزلون ذلك الماء دون بنى أبيهم وكان الرجل من الأزد وغيرهم اذا جاءهم فى أمر قال : أريد غسان فسموا بذلك ، وعلى هذا عامة العلماء (٩) ، وقيل ان ماء غسان بالمسلك قريب من الجحفة بينها وبين المشلل أو هو بين قديد والجحفة (١٠) أقاموا به زمانا بعد خروجهم من اليمن فى طريقهم الى الشمال فسموا به (١١) ، وقيل بل هو ماء لبنى زبيد (١٢) نزل عليه بنو مازن فنسبوا اليه أو هو بالشام (١٣) حيث كان أول نزول بنو مازن . وأيا كان المكان باليمن أو شمالها أو بالشام فان غسان هو ماء نزل عليه بنو مازن فتسموا به . وآل جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء هم ملوك غسان وأرباب الشام وملوكها (١٤) .

وقد خـرج الأزد من موطنهم باليمن فى نهـاية القرن الرابـع الميلادى (١٥) بعد انهيار سد مأرب وسيل العرم فخرجوا من جنتى مأرب

---

(٧) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٣٧٨ ، جـ ٦ ص ٢٩٢ .
قال حسان بن ثابت الأنصارى :

وغسان ماء كان فى الدهر منزلا ... وحمى لنـا من كل باد وحاضر

العوتبى : كتاب الأنساب : جـ ٢ ص ٤٩ .

(٨) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٣٤ ـ ٣٨ .

(٩) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٨١ ، العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٤٨ .

(١٠) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٣٧٨ .

(١١) العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٤٨ .

(١٢) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٨١ .

(١٣) العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٤٩ .

(١٤) قال حسان بن ثابت الأنصارى وهو من الأزد :

اولاد جفنة حول قبر أبيهـم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل

وقال ايضا :

اذا سـألت فانا معشر نجب ... الأزد نسبتنا والماء غسـانا

وقال كعب بن مالك الأنصارى :

غسـان اصـلى وهم معقـلى ... فنعـم الارومـة والمعقـل

فمن رامهـم لم ينـل عزمهـم ... اذا ذكر الحسـب الاطـول

العوتبى : كتاب الأنساب : جـ ٢ ص ٤٩ ، ص ٥٢ .

(١٥) Ency. Isl. II, p. 984.

يسيرون فى الأرض فوصلوا مكة (١٦) وبها يومئذ جرهم بن قحطان (١٧)، فأقامت الازد بمكة مدة ثم افترقوا ، منها فرقا لضيق العيش بها فكانت كل فرقة منهم بأرض وبلاد ، فمنهم من نزل السروان (١٨) ثم افترقوا من السروان فسار بعضهم الى عمان (١٩) وأقام منهم من أقام بالسروان ونزل بعضهم السهل ومنهم من تخلف بمكة وما حولها ومنهم من سار الى يثرب (٢٠) ومنهم من قصد العراق (٢١) . وسار ثعلبة وجفنة ابنا عمرو ابن عامر ومن بقى من اخوتهم وقومهم فنزلوا بالمشلل (٢٢) بين قديد والجحفة فأقاموا به زمانا (٢٣) ثم نهضوا حتى لحقوا بأرض الشام (٢٤) فنزلوا حوران وأذرعات وقرن الثنية (٢٥) فى نواحى الجنوب الشرقى من أرض دمشق على مقربة من الطرف الشمالى للطريق الذى كان يربط مأرب فى الجنوب ودمشق فى الشمال (٢٦) .

ثانيا : وصول الغساسنة الى الشام :

لما نزل بنو غسان الشام وجدوا صاحب الأمر على من بها العرب قبيلة سليح الضجاعم القضاعيين (٢٧) أول من أقام للعرب ملكا بالشام ،

---

(١٦) العوتبى : كتاب الأنساب : ج ٢ ص ٥٢ ، ٥٣ ، ص ١٩٩ ـ ٢٠١ ، حمزة الاصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء : ص ٩٨ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : ج ١ ص ٧٢ .

(١٧) البلاذرى : أنساب الاشراف . ج ١ ص ٧ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٨ .

(١٨) السروان : محلتان من محاضر سلمى أحد جبلى طىء .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٢١٦ .

(١٩) المصدر السابق : ج ٤ ص ١٥٠ ـ ١٥٢ .

(٢٠) نفسه : ج ٥ ص ٤٣٠ ، ٤٣١ .

(٢١) انظر منازل قبائل الأزد وتنقلاتهم فى شبه جزيرة العرب بعد خروجهم من اليمن : وهب بن منبه : كتاب التيجان فى ملوك حمير : ص ٢٧٣ ـ ٢٩٣ ، العوتبى : الأنساب : ج ٢ ص ١٩٩ ـ ٢٠٦ « خبر مسير الأزد حين أخرجهم سيل العرم وتفرقهم فى البلاد » .

(٢٢) المشلل : جبل يهبط الى قديد من ناحية البحر .
ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١٣٦ .

(٢٤) العوتبى : الأنساب : ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٢٤) ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤١ ، العوتبى : الأنساب : ج ٢ ص ٢٠٠ ، ٢٠٢ .

(٢٥) المسعودى : التنبيه والأشراف : ص ١٥٨ ، حتى : تاريخ العرب : ص ١٠٢ .

(٢٦) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٣٣٣ .

(٢٧) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٤ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧٠ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٦ ، ابن رشيق : العمدة : ص ٤١٦ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : ج ١ ص ٧٢ ، حتى : تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٦ ، عبد اللطيف الطيباوى : محاضرات فى تاريخ العرب والاسلام : ص ١١ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٦٢ .

فقالت غسان لسليح : ارعونا بلدكم ، فقالوا لهم : ليس لنا من الأمر شيء وذلك الى الملك قيصر ، فقالت لهم غسان : أنتم شفعاؤنا اليه فكلموه في غسان وأخذوا لنا منه عهدا ، وأذنت الروم لغسان بنزول الشام فأقاموا مع سليح وجاوروهم بأحسن جوار وعند غسان كتاب من قيصر بالعهد الذى أعطاه لهم حين توسطت لهم سليح (٢٨) ، واستمر الوضع على ذلك حينا من الزمن حتى خرج عامل لقيصر من سليح الضجاعم جباة الروم بالشام في ذلك الوقت ويدعى سبيط بن المنذر بن عمرو بن عوف ابن ضجعم ابن حماطة (٢٩) ومعه جريدة من قومه وعساكر الروم وذلك ليجبي من تحت يده من الروم وغيرهم ، وكانت سليح يجبون من نزل بساحتهم من مضر وغيرها للروم (٣٠) وكانوا يجبونهم لكل رأس دينارا ونصف ودينارين في كل سنة على أقدارهم (٣١) وحسب الأحوال من جدب ورخاء فأتى غسان يجبيهم فعظم ذلك عليهم لأنهم كانوا لا يعرفون الجباية ولم تكن التبابعة تفعل ذلك ولا هي من سنتهم وما كانوا يدخلون بيوت أموالهم الا ما جبوا بأسيافهم (٣٢) ٠ فلما أتاهم عامل قيصر في الجباية ثقل ذلك عليهم وقالوا له : ان كتاب قيصر بالعهد عندنا وانما جاورنا لوجه الراحة (٣٣) ٠ فقال لهم الجابى : لا أدرى ما تقولون ولكن أدوا ما عليكم والا فليس لكم عندى الا السيف ولا يبقى انسان منكم الا أعطاني دينارا فاصطفوا صفا واحدا فاذا مررت برجل ناولنى دينارا ففعلوا ٠ وجعل لا يمر برجل الا أعطاه حتى أتى على الصفوف والملك حارثة بن ثعلبة العنقاء (٣٤) قائم بمعزل عنهم فقال لهم : ما بال هذا لا يعطينى ! فقالوا له : ذلك ابن الملك ٠ فقال لهم : لا أعرف ملكا غير قيصر وطلب منه دينارا ، فقال حارثة : « أنا راعى قومى والملك أبصر لنفسه يحمل عنهم الضيم ولا يؤدى قومه الى ما يكرهون » (٣٥) ٠ ومر الجابى على جذع بن سنان الغسانى (٣٦) وهو واقف في طرف الناس

---

(٢٨) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٤ ٠

(٢٩) ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء : ص ٩٨ ٠

(٣٠) ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٠ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧٠ ٠

(٣١) ابن حبيب : المصدر السابق : ص ٣٧١ ٠

(٣٢) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٤ ٠

(٣٣) المصدر السابق : ص ٢٩٤ ٠

(٣٤) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٣٣٢ ، وفيه سلسلة نسبه ٠

(٣٥) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٤ ٠

(٣٦) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٣٧٤ وفيه سلسلة نسبه : ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤١ ٠

وفى يده سيف خلق الجفن (٣٧) وقد قعد به الدهر فقال له جذع : خذ سيفى حتى أعطيك دينارا فكاكه فأنهره الجابى وقال له ما يشينه (٣٨) ٠ فلم يسمع ما قاله لأنه لا يسمع جيدا ، ولكنه علم انه لم يقل خيرا وسأل من حوله عما قاله ؟ فلم يعلموه لشدة ذلك على نفسه ٠ فقال ابن أخت له قال كذا وكذا فسل جذع سيفه وضرب رأس الجابى فأطاح به (٣٩) وقال : خلفت الراحة والدعة فى سد سبأ ثم أحمل ضيما لطلب الراحة والدعة ٠ فقال رجل من غسان نكاية فى الجابى « خذ من جذع ما أعطاك » (٤٠) فذهبت مثلا تناقلته العرب ٠

خرج كاتب لقيصر فأعلمه الذى كان ، فبعث اليهم قيصر مائة رجل ليسوقوا غسان فيقتلوا منهم من (٤١) شاءوا فلقيتهم غسان بوادى الكسوة (٤٢) وعمدوا الى المائة رجل فقتلوهم وأخذوا كسوتهم وخيلهم وأتى الخبر الى قيصر فبعث الى غسان الجاثليق « وهو رجل من كبار أعوانه » لينظر له حال القوم وما هم عليه ، فأتى الجاثليق غسان فوجدهم على عهد قيصر وأخرجوا له كتابه (٤٣) فرجع وأعلمه بذلك وقال له : أيها الملك ان القوم لهم منعة ومن الصواب أن نكفف عنهم الجند ونوفى لهم الشرط ، فبعث اليهم قيصر ان أرسلوا بمائة رجل من أشرافكم وخياركم حتى أعهد بينى وبينهم عهدا وأعقد لهم عقدا ، فلما أتاهم رسول قيصر اجتمعت غسان للتشاور فقال حارثة : ما تقول يا جذع فقال له : ارسل معى تسعة وتسعين عبدا وأنا تمام المائة (٤٤) ٠

---

(٣٧) الجفن : غمد السيف وسيف خلق الجفن أى سيف مشهور من غمده ٠

الفيروزبادى : القاموس : مادة جفن ، الرازى : مختار الصحاح : مادة جفن : ص ١٠٦ ٠

(٣٨) وهب بن منبه : التيجان : ص ٤٩٥ ، ابن رشيق : العمدة : ص ٤١٦ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ ، ٩٩ ٠

(٣٩) ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ ، ابن رشيق : العمدة : ص ٤١٦ ، الآلوسى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب : ص ١٧٣ ٠

(٤٠) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٥ ، الميدانى : كتاب الأمثال : ج ٢ ص ٢١٥ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ١٧٤ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٨٦ ، الآلوسى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب : ص ١٧٣ ٠

(٤١) وهب بن مبنه : التيجان : ص ٢٩٥ ٠

(٤٢) تسمى بذلك للكسوة التى أخذتها غسان من الروم وهو بمكان يسمى جلق فى جنوب حوران على بعد عشرة أميال جنوبى دمشق ٠

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٦١ ٠

(٤٣) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٥ ٠

(٤٤) المصدر السابق : ص ٢٩٥ ٠

لما أتى جذع الى قيصر قال له : من أنت ؟ قال : جذع بن سنان ، فقال : ومن هؤلاء الذين معك ؟ قال جذع هؤلاء تسعة وتسعون عبدا ليس فيهم حر غيرى وأما أن يأتيك خيارنا ووجوهنا فتفعل بهم أمرك فلا . فافعل خيرا ان أردته وان كان شرا قتلت تسعة وتسعين عبدا وقتلتنى شيخا أعور أصم (٤٥) . فلما رأى قيصر ذلك وأنه لم ينل حاجته شاور أصحابه فقالوا له : اذ لم تنل حاجتك فاعط هذا الرجل حاجته ، فسأله قيصر عن حاجته فقال له جذع : ان فى نفسك منا شيئا لابد لك منه ومقامنا معك غرور وأنت ملك تقدر ان تقول فتفعل واذا قدر الأعجمى فعل ونحن العرب نقدر ونترك لطفا ورأفة . فقال قيصر لجلسائه ـ حسب رواية صاحب التيجان (٤٦) ـ اسمعتم ما لقبنى به هذا الأعمى !! فقالوا له : « ابذر الحب العام لمن تريد أن تذبحه قابل » « فقال له جذع : اكتب لى كتابا بالصلح بيننا وبينكم واعطنا فيه ذمة ابراهيم واسحاق وتفى بالكتاب الأول الذى كنت كتبت لنا ولا تمنع منـا من أراد الدخول فى بلدك ولا من أراد الخروج ولا تمنعنا مرعى نرعاه ولا يأتينا عدو الا كانت عساكرك أنصارنا ولا يظلمنا ظالم الا نصرتنا والمواساة منك بالعدل ، فأعطاه ذلك وكتب له كتابا وأرسله الى عامله وأرسله العامل الى حارثة وقال لهم : لكم العدل والمقام متى شئتم والرحيل متى شئتم .

قبل الغساسنة عهد الروم مع الحيطة والحذر فقال جذع لأصحابه : أعطاكم عطفا تحته حتف (٤٧) فأعطوه استقامة تعقبها ندامة ، واحذروا فانى لا آمنه عليكم انما أراد أن يسكنكم حتى تسكنوا ثم يفاجئكم بغدرة كأن قلبه لكم كالمرجل وانى والله ما التقى بصرى وبصره الا ورأيت العداوة فى نظره وان ظريفة ـ « كبيرة الأزد وعرافتها » ـ قد وصفت لكم من يقيم بأرض الشام وما تلقون من حروبهم وهم بنو جفنة فأقيموا ووصفت من يلحق بيثرب فانهم يا حارثة بنوك وبنو بنيك فاطيعونى فمازلت لكم ناصحا (٤٨) ، وما زال جذع بن سنان الأزدى محذرا قومه من الأزد مخاطر الاقامة فى الشام (٤٩) وأن الروم لابد وأن ينتقموا لقتلى وادى

---

(٤٥) نفسه : ص ٢٩٦ .

(٤٦) نفسه : ص ٢٩٦ .

(٤٧) نفسه : ص ٢٩٦ .

(٤٨) نفسه : ص ٢٩٦ ، ابن حبيب : كتاب المحبر : ص ٣٧١ .

(٤٩) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٦ .

الكسوة فأطاعه حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر (٥٠) ورجع مع بنيه الأوس والخزرج الى يثرب (٥١) ٠

بينما رجع الأوس والخزرج الى يثرب أقام جفنة بالشام وأقام معهم اخوانهم من بنى عمرو بن عامر وغيرهم من قبائل الأزد فدخلوا فى نسب بنى جفنة وهم بنو قيس بن جفنة وعامر بن جفنة وجبلة بن جفنة وأولادهم، وقدم عمرو بن جفنة على قومه واخوته وبنى عمه بالشـام (٥٢) فنزل البلقاء (٥٣) ، وبذلك اكتمل جمع بنى غسان بالشام بعد أن أقام من أقام وظعن من ظعن ٠

ثالثا : ملك الغساسنة بالشام :

١ ـ الحرب مع الروم :

لما بلغ قيصر الروس دقيوس Dkuos أن حارثة بن ثعلبة خرج فى قومه من الشام يريد يثرب من أرض العرب طمع فيمن بقى بالشام من غسان واستهان بهم فأراد أن يبيدهم أو يردهم من حيث أتوا لمنافرتهم وصعوبة قودهم ، وربما خشية تمردهم على سلطان الدولة فجمع لهم قليل من روم البلقاء ومعهم سليح وسائر عرب الشام من كنانة (٥٤) ولخم

---

(٥٠) العوتبى : الانساب : جـ ٢ ص ٢٠٢ ٠

(٥١) أم الأوس والخزرج هى : قيلة بنت الارقم بن عمرو بن جفنة بن عمرو بن عامر ، وقال البعض : بل هى قيلة بنت كاهل بن عمرو بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ٠
ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٣٢ ، العوتبى : كتاب الأنساب : جـ ٢ ص ٢٠٢ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ٠

والأوس والخزرج هم الذين أكرمهم الله بهجرة نبيه صلى الله عليه وسلم فنصروه ولذلك سموا أنصارا « فكان لهم اسما ونسبا » ٠

ابن هشام : السيرة : جـ ٢ ص ٢١ ، العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٢٠٢ ٠

(٥٢) وهب بن منبه : التيجان فى ملوك حمير : ص ٢٩٧ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ ، ٩٩ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٧ ، ١٠٩ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٧٢ ، العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ابن رشيق : العمدة : ص ٤١٦ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ٧٢ ٠

(٥٣) ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٤٨٩ ٠

(٥٤) كنانة هو الأب الثامن فى سلسلة نسب النبى صلى الله عليه وسلم ، وبنو كنانة من القبائل العدنانية التى نزلت فلسطين واستقرت بجوار عسقلان ٠

انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ١١ ، ١٨٠ ـ ١٨٢ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٦٦ ، مصطفى مراد الدباغ : القبائل العربية : ص ١٨٦ ٠

وجذام ، فصعب على سليح أن يغدروا ببني جلدتهم وقد لجئوا اليهم ولم يروا منهم الى ذلك الوقت الا خيرا ، فتظاهروا بنصرة الروم دون فعل حقيقى ثم انسحبوا منهزمين فنالت غسان من الروم بالبلقاء وأوقعت بهم (٥٥) .

لم يرض الروم بقتل من قتل منهم فى البلقاء وشعروا أنهم استهانوا بأمر غسان وأنه لابد من تأديبهم حفظا لهيبتهم وردعا لسائر عرب الشام فجمعوا لهم جمعا كبيرا فاق عددهم ومعهم سليح وكنانة وجذام حلفاء الروم ، ووقعت الحرب بينهم وبين غسان فى مرج الظباء وتكاثرت الروم ومن معهم على بنى جفنة فصبروا للقتال (٥٦) وما لبثت كنانة أن اتخذت جانب غسان ونادى زعيمهم زيد بن نمر الكنانى قائلا : « يا آل قحطان أما ترون الروم يقتلون غسان ويهدمون بنى قحطان ونحن نسر بذلك ونعين عليهم » (٥٧) ورأى عمر بن جفنة حرج موقفه من تكالب الأعداء وقلة العدد وكثرة الجراح فأراد ان يستنقذ قومه من الابادة وأرسل الى قيصر فى المهادنة والصلح ، ولكن قيصر رفض العرض الغسانى الا اذا ألقت غسان سلاحها ونزلت على حكمه ، ولكن الاستسلام لم يكن من شيم العرب فرفضت غسان شروط قيصر الروم (٥٨) واستأنفت المعركة واستماتت العرب فى الحرب لموت كريم ولا عيش ذليل وهب اخوتهم وبنو عمومتهم من جزيرة العرب لنجدتهم ومالت القبائل الموالية للروم الى بنى جنسهم فلم يستطع الروم حسم الأمر لصالحهم سريعا فضلا عن عدم صبرهم للقتال لوقت طويل فى الصحراء فأرسل قيصر الى غسان بوقف الحرب نظير الجزية فصالحوه على أن يدفعوا دينارا عن كل واحد منهم (٥٩) ،

---

(٥٥) فى ذلك يقول عمرو بن جفنة :

كان الجماجم بيض النعـــام ... بقـارعة الشـعب من بالعــة

أقمنا الظبا فى رءوس العـدا ... نقديهـا فى الوغى قاطعــة

وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٧ .

وبالعة مكان المعركة من قرى البلقان فى أرض دمشق ذكرها ياقوت فى معجمه : جـ ١ ص ٣٢٩ .

وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٧ .

(٥٦) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٧ .

(٥٧) المصدر السابق : ص ٢٩٨ .

(٥٨) قال غسان بن جذع بن سنان فى ذلك :

لعمرى لقد فاز الذين تقدموا ... وصاروا الى عز ولم يتذللـوا

فما الموت عار أن يصاب به الفتى ... ولكن عارا أن يزول التجمـل

فلا تخضعوا للدهر عند ملمـة ... فكل الذى يؤتى به المرء ينـزل

المصدر السابق : ص ٢٩٨ .

(٥٩) المصدر السابق : ص ٢٩٨ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ .

وأتى رسول قيصر يجبى المال من غسان فنزل بباب دمشق فسمى باب الجابية (٦٠) وظل يعرف بذلك الى زمن طويل ، ويعتبر ذلك نصرا لقبائل غســـان لأن الروم لم يفلحوا فى ردهم الى شبه الجزيرة أو استئصال شأفتهم من الشام بل ازدادت غسان قوة وتمسكا بما تحت أيديهم من أراض ومراع ٠

٢ ـ الحرب مع سليح الضجاعم من قضاعة :

استمرت قبيلة سليح الضجاعم من قضاعة القحطانية تجبى غسان لصالح الروم فترة من الزمن (٦١) حتى جاءت عليهم سنة جدباء نزلت فيها غسان بواد يقال له المحفف شتوا فيه فى جهد شديد فأتاهم جابى الروم من سليح ويدعى وسيط بن عوف الضجعمى (٦٢) أرسله قيصر الى غسان وأمره فيهم بالغلظة فجمع الاتاوة حتى انتهى الى دار جذع ابن سنان (٦٣) هو ومن معه من الروم فقال له جذع : أما ترى ما نحن فيه من الهزال وما بينك وبين الخصب الا انسلاخ هذا الشهر فاصبر الى أن تأخذ (٦٤) ٠ ولكن الجابى وسيط من سليح رفض الانتظار فطعنه جذع بالسيف فقضى عليه واجتمعت غسان وأخذوا ما كان جبى منهم من مال وتنادت سليح بشعارها وتنادت غسان بشعارها والتقوا بموضع يقال له المحفف ووقعت الحرب بينهما فانتصرت غسان انتصارا حاسما (٦٥) وقضت على سليح (٦٦) ٠ ويذكر بعض المؤرخين (٦٧) أن غسان أبادت

---

(٦٠) الجابية قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان قرب مرج الصفر شمال حوران وبالقرب منها تل يسمى تل الجابية بدمشق منسوب الى هذا الموضع ٠
ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٩١ ٠

(٦١) ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٥٨٣ ٠

(٦٢) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٨ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ ٠

(٦٣) حمزة الأصفهانى : المصدر السابق : ص ٩٨ ٠

(٦٤) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٩ ٠

(٦٥) وهب بن منبه : المصدر السابق : ص ٢٩٩ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٢ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ ، ٩٩ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٥٨٣ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ١ ص ١٦٧ ، نلدكة : أمراء غسان : ص ٨ ٠

(٦٦) فى ذلك يقول حبة بن الأسود شاعر غسان :

فمن مبلـــغ عنـــا يمانى قومنـا ... بانا قتلنـــا بالمحفف ضجعمـــــا
قتلنا سليحا والذين تضـــجعموا ... بأسيافنا اذ صيروا الأمر مبهمـا
أراد ملوك الروم أن يبلغـــوا العلا ... فلاقى وسيطا نحبه يقطر الدمـا
فذوقوا من الوجد الذى هو دائم ... فـان لكم يومـا عبوســـا رمرما

وهب بن منبه : التيجان فى ملوك حمير : ص ٣٠٠ ٠

(٦٧) ابن حبيب : المحبر : ص ٢٧١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٢ ٠

سليح الضجاعم عن آخرهم بالمحفف بينما يذكر آخرون أنه بقيت منهم بقية فى مواضع متفرقة بالشام الى زمن متأخر (٦٨) ، ويؤكد ذلك أن النابغة الذبيـانى زار أحدهم (٦٩) فى بصرى (٧٠) ، وأن جماعة من الضجاعم حاربوا خالد بن الوليد فى قصم (٧١) وفى دومة الجندل (٧٢) بقيادة ابن الجورجان (٧٣) ٠

وأيا كان الأمر فان سليح الضجاعم لم يعد يسمع بهم فى تاريخ الشام بعد وقعة المحفف وقفزت غسان الى مركز الصدارة (٧٤) وصارت زعيمة عرب الشام جميعا وذلك أن قيصر خشى أن يدخل عليه خلل فى ملكه أو يفتق عليه ما لا يستطيع رتقه (٧٥) وكان أكثر خوفه أن تميل غسان مع فارس عليه فضلا عن حاجته الى حليف قوى يسوس بقية القبائل العربية فى الشام يوحفظ الأمن والنظام ويحرس ربوع البلاد من غارات البدو والأعراب (٧٦) فى ذلك الاقليم الهام المتصل ببلاد فارس من ناحية الشرق وببلاد العرب من ناحية الجنوب وهى أكثر الجهات خطرا على سلطان الدولة فى الشام ، ولم يكن هذا ليتوفر فى ذلك الوقت الا لقبائل غسان من الأزد القحطانية (٧٧) النازحة من اليمن الى الشمال والتى فرضت نفسها على مسرح الأحداث وتهيأت لتولى هذه المهام ٠

فبعد وقعة المحفف وقتل معظم سليح الضجاعم أرسل قيصر الى غسان رسالة جاء فيها : « أنتم قوم لكم بأس شديد وعدد كثير وقد قتلتم هذا الحى وكان أشد حى فى العرب وأكثرهم عدة وانى جاعلكم مكانهم وكاتب بينى وبينكم كتابا ان دهمكم دهم من العرب أمددتكم بأربعة آلاف

---

(٦٨) نلدكه : أمراء غسان : ص ٨ ٠

(٦٩) يقول النابغة الذبيانى :

لعمرى لنعم المرء من آل ضجعم	نزور ببصرى أو ببرقة هارب
فتى لم تلده بنت عم قريبة	فيضوى وقد يضوى سليل الأقارب

النابغة الذبيانى : الديوان : نشره محمد جمال : بيروت ١٩٢٩ ص ١٨ ٠

(٧٠) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ٠

(٧١) المصدر السابق : ج ٤ ص ٣٦٥ ٠

(٧٢) نفسه : ج ٢ ص ٤٨٧ ـ ٤٨٩ ٠

(٧٣)البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٣٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٣ ص ٣٧٨ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٧٨ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ٤ ، السيد عبد العزيز سالم:دراسات فى تاريخ العرب : ج ١ عصر ما قبل الاسلام : ص ٢٧٥ ٠

(٧٤) ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٥٨٣ ٠

(٧٥) وهب بن منبه : التيجان : ص ٣٠٠ ٠

(٧٦) عمر فروخ : تاريخ الجاهلية : ص ٦٨ ، محمد مبروك نافع : تاريخ العرب « عصر ما قبل الاسلام » ص ١١١ ٠

(٧٧) العوتبى : الانساب : ج ٢ ص ٤٤ وما بعدها ٠

فارس وثمانية آلاف راجل بأدواتهم ، وان دهمنا دهم من العرب فعليكم عشرة آلاف مقاتل بأدواتهم على ألا تتدخلوا بيننا وبين فارس » (٧٨) وقبلت غسان ما جاء فى رسالة قيصر وكتب الكتاب بينهم (٧٩) وجعلت الروم سادة غسان من قبائل الأزد اليمنية ملوكا على عرب الشام فى ظل السيادة الرومية (٨٠) وكان ذلك فى أواخر القرن الخامس الميلادى (٨١)٠

وبذلك استطاعت قبائل أزد غسان المهاجرة أن تؤسس لنفسها دولة بالشام استمرت قرنا وبعض قرن من أواخر القرن الخامس الميلادى وحتى ظهور الاسلام وعاشت فى كنفها سائر القبائل العربية التى استوطنت الشام فى ذلك الوقت مثل كلب وتنوخ ولخم وجذام وبهراء وبلقين وبلى وعذرة وغيرها من القبائل التى ظلت موجودة الى جوار غسان حتى ظهر الاسلام واشتركت فى وقائع فتح الشام وحرب اليرموك ضد المسلمين (٨٢) وهم الذين سماهم بعض المؤرخين « متنصرة العرب » (٨٣) ٠

٣ ـ ملوك الغساسنة :

امتدت دولة الغساسنة بعد استقرار حال قبائلها فى الشام لتشمل اليرموك والجولان وحوران والبلقاء والغوطة وبعض الأردن فضـــلا عن أعراب البادية المقيمين وبدوها الرحل (٨٤) وكان مقر الملك لآل جفنة فى بداية الأمر مخيما متنقلا بحسب مصالح القبيلة (٨٥) استقر بعد فترة فيما بين الجابيـــة بالجولان جنوب غرب دمشق وبين جلق فى جنوب حوران (٨٦) ولم يسكن الغساسنة فى بداية الأمر المدن الكبيرة كبصرى وتدمر دمشق لأنها كانت مدنا محصنة تتمركز فيها الحاميات البيزنطية ٠

(٧٨) وهب بن منبه : التيجان : ص ٣٠٠ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٣ ٠

(٧٩) ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٣ ٠

(٨٠) ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٣ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٧ ، ابن رشيد : العمدة : ص ٤١٦ ٠

(٨١) نلدكه : أمراء غسان : ص ٨ ، جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام : جـ ٤ ص ١٢٥ ، عبد اللطيف الطيباوى : محاضرات فى تاريخ العرب : ص ١١ ٠

(٨٢) الأزدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٨١ ٠

(٨٣) الواقدى : فتوح الشام : ص ١٦٥ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٣ ص ٣٨٩ ٠

(٨٤) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٩ ، عبد اللطيف الطيباوى : محاضرات فى تاريخ العرب والاسلام : ص ١٢ ٠

(٨٥) حتى : تاريخ العرب : ص ٤٤٩ ٠

(٨٦) عن الجابية وجلق انظر ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٩١ ، ١٥٥ ، دائرة المعارف الاسلامية مادة جابية ومادة جلق ٠

فضلا عن اعتمادهم على الصحراء حماية لظهورهم اذا داهمهم الخطر فكانت تغنيهم عن المدن الحصينة ومن ثم فقد كانت معظم حروبهم تدور على أطراف البادية واليها التجئوا فى وقت الشدة (٨٧) ٠

اختلف المؤرخون اختلافا كبيرا فى عدد ملوك دولة قبائل أزد غسان بالشام وفى مدة حكمها ، وأخبارهم عن ذلك مليئة بالاختلاط والاضطراب والتناقض (٨٨) ولعل ذلك مرجعه الى أن حياة الغساسنة فى كنف الروم وتجاربهم السابقة معهم ونظرة الروم اليهم على أنهم مجرد حراس الصحراء جعلتهم يتوجسون خيفة من الغدر بهم فى أى وقت فاتسمت حياتهم بعدم الاستقرار وكانت لهم أكثر من عاصمة (٨٩) ، وقد حاول المستشرق الألمانى تيودور نولدكه أن يوضح الغموض الذى أحاط بتاريخ دولة بنى غسان فوضع كتاب « **أمراء غسان** » وضح فيه الأخبار التى وردت عن هذه الدولة فى المراجع العربية واليونانية والسريانية واستخلص أن ملوكها الذين عرفهم الروم عشرة فقط أولهم فى أواخر القرن الخامس الميلادى وآخرهم عند ظهور الاسلام فيما لا يتجاوز قرنا وبعض قرن (٩٠) ، وكانت الديانة المسيحية قد بدأت تتسرب الى قبائل أزد غسان منذ القرن الرابع الميلادى (٩١) بحكم المجاورة وتأثير ما بينهم وبين الروم غير أن مذهبهم لم يكن المذهب الملكانى مذهب الدولة وانما المذهب المنوفستى السائد فى البلاد السورية حينذاك (٩٢) يعتبر جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن

---

(٨٧) المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٥ ، عبد اللطيف الطيباوى : محاضرات فى تاريخ العرب والاسلام : ص ١٢ ٠

(٨٨) الأصمعى : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ١٠١ ـ ١١٣ ، ابن حبيب : المحبر ص ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣١٤ ـ ٣١٦ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ ـ ١٠٤ ، المسعودى ، مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٧ ـ ١١٠ ، ابن رشيق : العمدة : ص ٤١٦ ، ٤١٧ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : ج ١ ص ٧٢ ، ٧٣ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ١٠ ، جواد على : المفصل : ج ٤ ص ١٢٥ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ص ٢٧١ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٦١ ٠

(٨٩) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ ، حتى : تاريخ العرب : ص ٤٤٩ ٠

(٩٠) نلدكه : أمراء غسان : ص ٩ ٠

(٩١) يذكر فيليب حتى أن بعض الأسر المسيحية التى تعيش اليوم فى سورية ولبنان مثل آل معلوف وآل عطية ترجع بأصلها الى الغساسنة ٠

تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ج ١ ص ٤٤٦ هامش ١ ٠

(٩٢) حتى : تاريخ العرب : ج ١ ص ١٠٣ ٠

مازن بن الأزد مؤسس دولة الغساسنة وأول ملوكهم (٩٣) ، واسم جفنة حارثة بن عمرو (٩٤) ويقال انه سمي جفنة لأنه أول من أطعم الطعام في الجفنة (٩٥) فغلب عليه هذا الاسم ، وسمي عمرو « مزيقياء » لأن الأزد تمزقت على عهده بعد سيل العرم فذهبت كل قبيلة الى مكان . فلعلهم المقصودين بقوله تعالى : « **فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق** » (٩٦). وكان سيل العرم قبل الاسلام بحوالى أربعمائة سنة وقد أرخت به العرب (٩٧) ، وقيل ان جفنة حكم خمسا وأربعين سنة وملكه على عرب الشام نسطورس Nastors امبراطور الروم فدانت له سائر قبائل قضاعة بالشام وبنى جلق والقرية وعدة مصانع (٩٨) .

ولسهولة تتبع حكام السلالة الجفنية على قبائل أزد غسان بالشام نذكر أن جفنة بن عمرو ولد ثلاثة رهط هم : الحارث بن جفنة وثعلبة ابن جفنة وعمرو بن جفنة (٩٩) ، فولد عمرو بن جفنة : ثعلبة وأنجب ثعلبة الحارث الأكبر والأرقم فولد الحارث الأكبر يزيد وجبلة وولد الأرقم مارية ذات القرطين (١٠٠) الشهيرة فتزوج جبلة بن الحارث ابنة عمه مارية بنت

---

(٩٣) حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ ، المسعودى التنبيه والاشراف ص ١٨٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٧٢ ، العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٥٢ ، اليعقوبى : تاريخ : جـ ١ ص ١٦٧ ، حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ٤٤٦ ، السيد عبد العزيز سالم :دراسات : ص ٢٧٣ ، ٢٧٥ .

(٩٤) ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٣١ ، ٣٦٧ .

(٩٥) العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٥٢ .

(٩٦) سورة سبأ : آية ١٩ .

ذكر هذا التفسير حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ ، العوتبى : كتاب الأنساب : جـ ٢ ص ٥٣ وأخذ به : نولدكه : أمراء غسان : ص ٣ هامش ١ ، الالوسى : بلوغ الأرب : ص ١٧٢ .

وعن لقب ماء السماء انظر : وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٧٣ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ ، الالوسى : بلوغ الأرب : ص ١٧٢ .

(٩٧) حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ .

(٩٨) ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٣ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ١ ص ١٦٧ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب : جـ ١ عصر ما قبل الاسلام : ص ٢٧٥ .

(٩٩) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٥٣ القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب : ص ٢٠١ .

(١٠٠) هى مارية بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، والقرط ، الذى يعلق فى شحمة الأذن ، ومارية هى اول امرأة عربية تقرطت وكان قرطاها درتين كبيض الحمام نفيسى القيمة قيل انهما قوما باربعين الف دينار وقد سار بهما المثل « خذه ولو بقرطى مارية » .

الأرقم فولدت له الحارث الأعرج (الشهير بابن مارية ذات القرطين) (١٠١) ، وملك بعده النعمان (١٠٢) بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة ثم المنذر بن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن جفنة ومن بعده أبو شمر ابن الحارث بن جبلة ثم الحارث بن أبى شمر فكان ملكه حين بعث رسول الله ﷺ (١٠٣) ولم يزل الملك فيهم حتى كان آخرهم جبلة بن الأيهم بن جبلة ابن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة (١٠٤) وهو الذى اتصل ملكه بخلافة عمر بن الخطاب فأسلم ثم ارتد (١٠٥) وله حديث نذكره فى مكانه ٠

حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ١٠٠ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٧ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٧٢ ، ابن خلدون : العبر جـ ٢ ص ٥٨٥ ، الرازى : مختار الصحاح : ص ٥٣٠ ، الآلوسى : بلوغ الأمب فى معركن أحوال العرب : جـ ٢ ص ١٧٤ هامش ١ ٠

(١٠١) ذكره حسان بن ثابت فى شعره فقال :

أولاد جفنة حـــول قبـر أبيهـــم — قبر ابن مارية الكريم المفضـــل
يغشـــون حتى ما تهر كلابهـــم — لا يســـألون عن السواد المقبـل
بيض الوجوه كريمة أحســـابهم — شـم الأنـــوف من الطراز الأول

العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٥٣ ، ٥٤ ٠

(١٠٢) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٧ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ٨ وما بعدها ٠

(١٠٣) كتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم كتابا مع شجاع بن وهب الأسدى يدعوه الى الاسلام جاء فيه : « من محمد رسول الله الى الحارث بن أبى شمر ٠ سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق فانى أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك » ، وقد أبى الحارث الاجابة لان النصرانية كانت متمكنة من ملوك غسان توارثوها من بعضهم ٠

ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ١٧ ، ١٨ ، الطبرى : التاريخ : جـ ١ ١٥٥٩ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٢ ، ص ١٤٣ ، ١٤٥ ، ابن طولون : أعلام السائلين : جـ ١٢ ص ١ ، القسطلانى : شرح القسطلانى : جـ ١ ص ٢٩٦ ، محمد حميد الله الحيدر أبادى : مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى : ص ٣٧ ٠

(١٠٤) عن ملوك غسان وولد بنى جفنة وبنى كعب ابنا عمرو مزيقياء أصل غسان وسلسلة نسبهم انظر : ابن قتيبة : المعارف ص ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، ٣٧٣ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ ـ ١٠٤ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٧ ـ ١٠٩ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ٣٧٢ ـ ٣٧٥ ، العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٥٣ ـ ٥٧ ، ابن رشيق : العمدة : ص ٤١٦ ، ٤١٧ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ٧٢ ، ٧٣ ، القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب : ص ٢٠١ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ٩ ، جواد على : المفصل : جـ ٤ ص ١٢٦ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات ، ص ٢٩٠ ، ٢٩٢ ٠

(١٠٥) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٦٠ ـ ١٧٠ ، الأصمعى : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ١١١ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، ٢٣١ ـ ٢٣٧ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٨٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ص ٦٨ ـ ٧١ ٠

وبحكم اتصال شمال بلاد العرب ببوادى العراق شرقا وبوادى الشام غربا كانت المنافســـة حامية بين دولة بنى غســـان بالشــــام ودولة اللخميين (١٠٦) بالعراق فى الزعامة والسيطرة فضلا عن العداوة التى خلقت بينهما لولاء لخم للفرس وغسان للروم وهم الأعداء التقليديون فى ذلك العصر ، وقد ذكر المسعودى (١٠٧) عن عدة من الاخباريين ان حسان ابن ثابت (١٠٨) الأنصــارى وأصــلة من الأزد القحطانية زار الحارث ابن أبى شـــمر الغسانى بالشام وكان النعمان بن المنـــذر اللخمى (١٠٩) ملك الحيرة يسامره فقال له وهو عنده : لقد نبئت أنك تفضل النعمان على ، فقال : « وكيـــف أفضـــله عليك ؟ !! فو الله لقفاك أحسن من وجهه (١١٠) ولأمك أشرف من أبيه ولأبوك أشرف من جميع قومه ولشمالك أجود من يمينه ولحرمانك أنفع من نداه ولقليلك أكثر من كثيره (١١١) ولثمادك (١١٢) أمرع من غديره ولكرسيك أرفع من سريره ولجداولك أغور من بحره وليومك أطول من شهره ولشهرك أمد من حوله ولحولك خير من حقبه ولزندك أورى من زنده ولجندك أعز من جنده وانك من غسان وانه من لخم فكيف أفضله عليك ؟! أو أعـــدله بك ؟!! » فقال : يا بن الفريعة هذا لا يسمع الا فى شعر فقال :

---

(١٠٦) عن هذه الدولة وملوكها انظر : حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٨٣ ــ ٩٧ .

(١٠٧) مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(١٠٨) هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو ابن مالك بن النجار ، والنجار من ولد ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة المنتهى نسبه فى ازد قحطان .

ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٣٤٧ .

(١٠٩) هو النعمـــان بن المنذر أبو قابوس كان وثنيا ثم تنصر ، أمه سلمى بنت وائل بن عطية من أهل فدك ، وقد ملك اثنين وعشرين عاما ثم قتله كسرى ابرويز بن هرمز فانقطع الملك عن لخم وبسبب قتله وقعت حرب ذى قار : حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٤ ، ٩٥ .

(١١٠) المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٧ .

(١١١) المسعودى : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٠٨ .

(١١٢) الثمد : الماء القليل ، الرازى : مختار الصحاح : ص ٨٦ .

ونبئت أن أبا منذر يساميك للحارث الأصغر
قفاؤك أحسن من وجهه وأمك خير من المنذر
ويسرى يديك على عسرها كيمنى يديه على المعسر (١١٣)

لم تول المصادر العربية عناية كافية بتاريخ أمراء الغساسنة وتفاصيل حياتهم وانجازاتهم وحروبهم وكل ما ورد عنهم هو القليل المقتضب ولا نعلم السبب فى ذلك • الا أنه قد عوض بعض هذا النقص التواريخ البيزنطية (١١٤) غير أنها لم تهتم بالغساسنة الا من خلال علاقاتهم مع بيزنطة ومن ثم فانه لم يعرف بشكل مرض من تواريخ ملوك بنى غسان الا الخمسة الأخيرين الذين شمل حكمهم القرن الذى سبق الاسلام بحكم العلاقات والاحتكاك بين الطرفين •

وعلى أية حال فقد ملك بالشام من أمراء الغساسنة بعد جفنة ابنه عمرو بن جفنة وكان اهتمامه موجها الى اقامة الأديرة (١١٥) مدفوعا بحماس الدين الجديد الذى دخل فيه فبنى دير حافر (١١٦) ودير أيوب (١١٧) ودير هند (١١٨) واتبع سياسته ابنه ثعلبة بن عمرو فبنى عقة وصرح الغدير فى أطراف حوران (١١٩) مما يلى البلقاء (١٢٠) ،

---

(١١٣) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، الآلوسى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب : جـ ٢ ص ١٧٤ •

(١١٤) Procopius : Hist. of the Wars, I, p. 17, 45, Musil Palmyrena p. 144, Richard Bell : the origin of Islam in its christian environment, p. 21.

(١١٥) حمزة الأصفهانى : ص ٩٩ • أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ٧٢ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ص ٢٧٧ •

(١١٦) دير حافر يقع بين حلب وبالس من أرض الشام ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٥٠٤ •

(١١٧) دير أيوب بحوران من نواحى دمشق بها كان أيوب وبها ابتلاه الله وبها العين التى ركضها برجله والصحراء التى عليها وبها قبره ، ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٤٩٩ •

(١١٨) دير هند : من قرى دمشق • المصدر نفسه : جـ ٢ ص ٥٤٣ •

(١١٩) المصدر نفسه : جـ ٢ ص ٣١٧ ، ٣١٨ •

(١٢٠) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ١٠٠ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ٧٢ • والبلقاء كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادى القرى قصبتها عمان ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ، ص ٤٨٩ •

ولما جاء جبلة بن الحارث وجه اهتمامه الى العناية بمظاهر العمران فاقام القناطر (١٢١) وبنى أدرج والقسطل (١٢٢) ٠

على أن أعظم أمراء الغساسنة على الاطـلاق هو الحارث بن جبلة ابن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة (٥٢٩ ـ ٥٦٩) ابن مارية ذات القرطين (١٢٣) وكان الحارث بن جبلة معـاصرا للامبراطور الرومانى جستنيان ٥٢٧ ـ ٥٦٥ م ، كما كان معاصرا للملكين من ملوك الفرس هما كسرى قباذ ٤٤٨ ـ ٥٣١ م وكسرى أنو شروان ٥٣١ ـ ٥٧٩ م (١٢٤) ، وقد ذكر نلدكه عن المؤرخ السريانى ملالا أنه كان عاملا للروم (١٢٥) وكان أول ظهوره عام ٥٢٨ م عندما حارب المنذر اللخمى ملك عرب الحيرة حليف الفرس أعداء الروم ، وفى العام التالى أخمد ثورة فى فلسطين قام بها السامريون (١٢٦) ، وتقديرا لجهود الحارث فى حمـاية أطراف الشـام وخـدمة الدولة فقد عينه الامبراطور جستنيان فى سنة ٥٢٩ م سيدا على كل قبائل العربية فى بلاد الشام ومنحه لقب فيلاركوس (١٢٧) بمعنى رئيس قبيلة (١٢٨)ليجعل منه ندا قويا للمنذر ملك عرب الحيرة الذى يرجع العداء بينهما أساسا الى النزاع على أراضى البادية الواقعة جنوبى تدمر والأراضى الممتدة على جانبى الطريق من دمشق حتى مدينة سرجيوس

---

(١٢١) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ١٠٠ ٠

(١٢٢) القسطل فى لغة أهل الشام الموضع الذى تفترق منه المياه ، وهو مكان بين حمص ودمشق ، وقسطل موضع قرب البلقاء من أرض دمشق فى طريق المدينة ٠ قال كثير الشاعر :

سـقى الله حيا بالموقر دارهـم ... الى قسطل البلقـاء ذات المحارب

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٣٤٧ ٠ وانظر ملحق رقم ١٤ « خريطة بلاد الشام فى العصر الأموى » ، موقع القسطل ٠

(١٢٣) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ١٠٠ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢١٦ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ٧٢ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ٩ ، حتى : تاريخ سورية جـ ١ ص ٤٤٧ ٠

السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ص ٢٧٧ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٦٧ ٠

(١٢٤) نلدكه : أمراء غسان : ص ١٠ ، جواد على : المفصل : جـ ٤ ص ١٢٨ ، السيد عبد العزيز سالم ، دراسات : ص ٢٧٨ ٠

(١٢٥) نلدكه : أمراء غسان : ص ٩ ٠

(١٢٦) نلدكه : المرجع السابق : ص ١٠ ، حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ٤٤٧ ، جواد على : المفصل : جـ ٣ ص ٤٠٥ ٠

O'leary : Arabia before Mohammed : p. 164.

(١٢٧) Procopius. History of the wars, Transl., by Dewig 7 Vols. London 1951, I, p. 17, 45.

(١٢٨) حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ٤٤٧ ٠

حيث ادعى كل منهما سيطرته على القبائل العربية الضاربة فى هذه الأراضى (١٢٩) ومعظمها من قبائل قضاعة القحطانية وبعض قبائل مضر العدنانية وخاصة كنانة ، تدفع له الجزية ويبسط حمايته عليها (١٣٠) ، هذا فضلا عن الحروب المستمرة بين الفرس والروم والتى كانت تلفحهم نارها بحكم التحالف والجوار ٠ ففى سنة ٥٤١ م اشتركت قبائل الأزد الغسانية ومن والاها من قبائل الشام تحت امرة الحارث بن جبلة (١٣١) فى حملة بيزنطة الموجهة لحرب الفرس فى بلاد ما بين النهرين بقيادة بليزاريوس (١٣٢) غير أن أنفة الحارث من القتال تحت قيادة رومية وخشيته من ألسنة الشعراء وهجاء خصومه منعته من الاستمرار فى هذه الحملة فلم يكد يعبر نهر دجلة مصاحبا لجيش الروم حتى ارتد الى بلاده من طريق آخر مما ألقى ظلالا من الشك على ولائه للروم (١٣٣) ٠

وعلى أية حال ففى عام ٥٤٤م وبعد ثلاث سنوات من حملة بليزاريوس على الفرس اشتبك الحارث بن جبلة بمفرده مع ملك عرب الحيرة المنذر ابن النعمان المعروف بابن ماء السماء فى حرب ضارية انتهت بهزيمة الحارث وأسر أحد أبنائه فذبح قربانا للالهة العزى (١٣٤) ـ التى عبدت فى بلاد العرب وجنوب الشام فى ذلك الوقت ـ مما جعل أباه يعاود الاغارة على الحيرة فهزم المنذر بن النعمان واضطره الى الفرار من المعركة

---

(١٢٩) كانت القبائل فى نجد ما كان منها بالقرب من الحيرة تبعا لملوك العرب بالحيرة وما كان منها فى بادية الشام تبعا لملوك آل جفنة بالشام الا أن هذه التبعية كانت اسمية لا فعلية لأن القبائل لا تقبل أن تحكم حكما ملكيا يحد من حريتهم التى جبلوا عليها : محمد الخضرى بك : محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية : ص ٥٣ ٠

(١٣٠) نلدكه : أمراء غسان : ص ١٨ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى : جـ ١ ص ٤٧ ، ٦١ ، جواد على : المفصل : جـ ٤ ص ١٣٠ ، محمد الخضرى بك : محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية : ص ٥٣ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : جـ ١ ص ٢٨٠

(١٣١) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ١٠٠ ٠

(١٣٢) نلدكه : أمراء غسان : ص ١٨ ٠

(١٣٣) نلدكه : المرجع السابق : ص ١٨ ، جواد على : المفصل : جـ ٣ ص ٤٠٧ ، حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ٤٤٧ ، زيدان : تاريخ العرب : جـ ١ ص ١٩٩ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : جـ ١ ص ٢٨١ ، بيومى مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٦٩ ، ريجيس بلاشير : تاريخ الأدب العربى : العصر الجاهلى : ترجمة ابراهيم كيلانى : ص ٦٠ ،

A. Musil : Palmyreta, N. Y., 1928, p. 214, Hitti : History of the Arabs p. 79.

(١٣٤) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩١ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ١٨ ، جواد على : المفصل : جـ ٤ ص ٥٩ ٠

وأسر ولدين من أبنائه (١٣٥) ، ولم يكن فى ذلك نهاية للعداء بين غسان ولخم وانما اشتد هذا العداء وبلغ ذروته ، فبعد ذلك بحوالى تسع سنوات وفى عام ٥٥٤ م اشتبك الطرفان فى قتال وحشى قرب قنسرين (١٣٦) قتل فيه المنذر ملك الحيرة نفسه (١٣٧) وأحد أبناء الحارث فدفنه أبوه فى قلعة عين عوداجة بالقرب من قنسرين وكانت تابعة لاقليم تدمر (١٣٨)٠ وترتب على هذه الموقعة أن دخلت قنسرين فى حوزة الحارث بن جبلة الغسانى (١٣٩) ثم كان يوم حليمة (١٤٠) نسبة الى مرج حليمة (١٤١) ابنة الحارث الغسانى التى كانت تطيب عساكر أبيها قبل المعركة (١٤٢) وهو الذى جرى به المثل « ما يوم حليمة بسر » (١٤٣) ٠

---

(١٣٥) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ٨٤ ، جواد على : المفصل : جـ ٤ ص ٦٠ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ص ٢٨١ ٠
A. Musil, Palmyrena : p. 144.

(١٣٦) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ٠

(١٣٧) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩١ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ١٩ ، جواد على : المفصل : جـ ٤ ص ٦١ ، السيد عبد العزيز سالم ٠ دراسات : جـ ١ ص ٢٨٢ ٠

(١٣٨) ابن قتيبة : المعارف : ص ٢١٨ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ١ ص ٣٢٦ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ٨٤ ، نلدكه : أمراء غسان ص ١٨ ،
A. Musil : Palmyrena : p. 144.

وعن تدمر يذكر ياقوت أنها مدينة قديمة مشهورة فى برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام سميت بتدمر بنت حسان بن اذينة بن السميدع المنتهى نسبه الى سام بن نوح وهى من عجائب الأبنية موضوعة على العمد والرخام ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ١٧ ــ ١٩ ٠

(١٣٩) ابن الأثير : الكامل : جـ ١ ص ٣٢٦ ٠

(١٤٠) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢١٦ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٨١ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ١ ص ٣٢٧ ــ ٣٢٩ ، زيدان : تاريخ العرب : ص ٢٠٠ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : جـ ١ ص ٢٨٣ ٠

يذكر ياقوت عن هذا اليوم : انه يوم سار فيه المنذر بن المنذر بعرب العراق الى الحارث الغسانى الذى خرج اليه فى عرب الشام وهو من أشهر أيام العرب سد الغبار فيه عين الشمس ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ٠

(١٤١) ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ٠

(١٤٢) ابن قتيبة : المعارف : ص ٢١٦ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٨١ ،
Hitti : History of the Arabs : p. 79.

(١٤٣) الميدانى : مجمع الأمثال : جـ ١ ص ١٣٢ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٩٦ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ١ ص ٣٢٧ ٠

وقد وصلت دولة غسان في عهد الحارث بن جبلة ذروة نفوذهـا واتساعها فامتدت من قرب البتراء (١٤٤) الى الرصـافة (١٤٥) شمالى تدمر واشتملت على البلقاء والصفا وحران (١٤٦) وأصبحت بصرى (١٤٧) مقر أمراء الغساسنة والتى بنيت كاتدرائيتها عام ٥١٢ م العاصمة الدينية فى المنطقة كما اشتهرت كمركز تجارى هام (١٤٨) وهى التى مر بها النبى صلى الله عليه وسلم مع قافلته قبل مبعثه (١٤٩) حيث اطلع على كثير مما عرفه عن المسيحية ، وفى عام ٥٦٣ م رحل الحارث بن جبلة الى القسطنطينية فى زيارة عمل لمشاورة الحكومة البيزنطية فيمن يخلفه من أولاده (١٥٠) وما يجب اتخاذه لمواجهة عمر بن المنذر ملك عرب الحيرة (١٥١) ، وهناك بهر بمظاهر الحضارة البيزنطية وترك أثرا عميقا فى نفوس رجال البلاط الامبراطورى كشيخ عربى مهيب (١٥٢) ٠

ولما كـان الحـارث متنصرا على مـذهب الطبيعـة الواحـدة « المونوفستى » (١٥٣) (Monophysitism) فقد سعى لدى الامبراطورة تيودورة لتعيين يعقوب البرادعى — مؤسس الكنيسة السورية اليعقوبية —

(١٤٤) ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٣٣٥ ٠

(١٤٥) المصدر السابق : جـ ٣ ص ٤٧ ، ٤٨ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٣٧ ، ١٥٨ ٠

(١٤٦) المصدر نفسه : جـ ١ ص ٤٨٩ ٠ جـ ٣ ص ٤١١ ، جـ ٢ ص ٢٣٥ ، لسترنج : نفسه : ص١٣٤ ، ١٥٧ ٠

(١٤٧) المصدر نفسه : جـ ١ ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ، لسترنج : المرجع السابق : ص ٧٢ ٠

(١٤٨) حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ٤٤٨ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٧١ ٠

(١٤٩) ابن هشام : السيرة : جـ ١ ص ١٢ — ١٣١ ٠

(١٥٠) نولدكه : أمراء غسان : ص ٢٠ ، جواد على : المفصل : جـ ٣ ص ٤٠٩ ، حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ٤٤٨ ، زيدان : تاريخ العرب : ص ٢٠١ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : جـ ١ ص ٢٨٤ ، عبد اللطيف الطيباوى : محاضرات فى تاريخ العرب : ص ١٤ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٧٢ ٠

(١٥١) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٣ ، جواد على : المفصل : جـ ٣ ص ٤٠٩ ٠

(١٥٢) حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ٤٤٨ ، زيدان : تاريخ التمدن : ص ١٩٣ ٠

(١٥٣) المذهب المونوفيزيتى أو المونوفستى Monophysitism هو المذهب القائل بأن للمسيح طبيعة واحدة ، أى أن للمسيح طبيعتين : الهية وبشرية ولكن عند التجسد أصبحتا طبيعة واحدة ، وقد تزعمت كنيسة الاسكندرية وعلى رأسها كيرلس بطريرك الاسكندرية هذا الاتجاه لمواجهة بدعة نسطور الذى نادى بأن للمسيح طبيعتين الهية وبشرية ولكنهما منفصلتين أى لم تتحدا اتحادا كاملا وكان ذلك فى مجمع أفسوس عام ٤٣١ م ٠

أسد رستم : الروم : جـ ١ ص ١٢٣ ،

Vasiliev : the Byzantine Empire : p. 98.

ورفيقه ثيودوروس أسقفين فى المقاطعات العربية فى الشام (١٥٤) واستمر الحارث طوال حكمه حاميا لمذهبه وكذلك ابنه المنذر من بعده حتى انتشر فى معظم قبائل عرب الشام شمالا وجنوبا (١٥٥) مما أثار بيزنطة وبطارقة القسطنطينية الذين كانوا يكرهون مذهب الشـام ويعتبرونه نوعـا من الهرطقة الدينية (١٥٦) ومات الحارث بن جبلة فى أواخر سنة ٥٦٩ م بعد أن قضى أربعين عاما فى حكم امارة الغساسنة وترك أثرا طيبـا فى نفوس قبائل عرب الشام وذاعت شهرته حتى أن بعض كتاب العرب كانوا يطلقون اسم الحارث على كل أمير غسانى قوى أو ممن لا يعرفون أسماءهم من أمراء الغساسنة (١٥٧) ٠

خلف الحارث بن جبلة بعد وفاته ابنه المنذر الملقب بالأكبر (١٥٨) تمييزا له عن المنذر الأصغر الذى جاء بعد ذلك (١٥٩) ، وقد استهل المنذر الأكبر عهـده بحرب أعدائه التقليديين من عرب الحيرة (١٦٠) ، ففى سـنة ٥٧٠ م أغار اللخميون بقيـادة ملكهم قابوس بن المنذر اللخمى (١٦١) على أراضى الغساسنة فاشتبك معه المنذر الأكبر الغسانى

---

(١٥٤) نولدكه : أمراء غسان : ص ٢٠ ، حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ٤٤٨ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : جـ ١ ص ٢٨٤ ، عبد اللطيف الطيباوى : محاضرات فى تاريخ العرب : ص ١٤ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٧١ ٠
Francois Nau : Les Arabs Christiens : p. 52, Hitti : History of the Arabs : p. 79, J. B. Bury : A History of the later Roman Empire, II : P. 391, Richard Bell : The origin of Islam in the christian environment : P. 21, W. R. Smith : Kinship and Marriage in Early Arabia : II p. 328.
Bell Op. Cit., p. 23.

(١٥٥) حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ٤٤٨ ، Bell : Op. Cit., p. 23.

(١٥٦) نلدكه : أمراء غسان : ص ٢٢ ، Bell : Op. Cit., p. 23.

(١٥٧) نلدكه : المرجع السابق : ص ٢٣ ٠

(١٥٨) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ١٠٠ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ١ ص ٥٤٠ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٨١ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ٧٢ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ٢٥ ، جواد على : المفصل : جـ ٣ ص ٤١٢ ٠

(١٥٩) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ١٠٠ ٠

(١٦٠) حمزة الأصفهانى : المصدر السابق : ص ٩٤ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢١٨ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ١ ص ٣٢٦ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٥٨٦ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ٢٧ ، جواد على : المفصل : جـ ٣ ص ٤١٣ ، محمد الخضرى بك : محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية : ص ٣٥ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : جـ ١ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٧١ ، Hitti : History of the Arabs p. 79.

(١٦١) عنه أنظر : حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٤ ٠

فى معركة عين أباغ فيما وراء الأنبار على طريق الفرات الى الشام (١٦٢) فأحرز عليه نصرا حاسما ، غير أن العلاقات بين المنذر وبيزنطة لم تكن على ما يرام بسبب الخلافات الدينية وتعصب المنذر لمذهبه مما جعل الامبراطور جستين الثانى ٥٦٥ ـ ٥٧٨ يحاول التخلص منه ففر الى البادية وتمرد على سلطان الروم ما يقرب من ثلاث سنوات (١٦٣) مما جعل اللخميون يغيرون على أطراف الشام ويعيثون فيها فسادا (١٦٤) فاضطر الروم الى استرضاء الغساسنة والمنذر الأكبر لاعادة الأمن والتوازن وقد تم ذلك فى بلدة الرصافة بالشام فى أواخر جستين (١٦٥) ، وقام المنذر مع ولدين له بزيارة الامبراطور الجديد طيباريوس الثانى ٥٧٨ ـ ٥٨٢ فى القسطنطينية سنة ٥٨٠ م وهناك استقبل استقبالا حافلا وأنعم عليه بالتاج (١٦٦) ٠

ومع ذلك فان أيام الود لم تدم بين العرب والروم ، ففى عام ٥٨٠ أراد موريقس ولى العهد الامبراطورى شن الغارة على احدى ولايات فارس بالتعاون مع الغساسنة (١٦٧) وعندما هم بعبور الفرات وجد الجسر الرئيسى المقام عليه مهدما فارتد حانقا على غسان باعتبارها مسئولة ـ فى نظره ـ عن وجود هذا الجسر ورسخ فى نفسه أن فى الأمر خيانة (١٦٨) مما ألقى ظلالا جديدة من الشك فى علاقات بيزنطة بغسان وهى التى لم تصف طويلا فى أى وقت مضى منذ قيام دولة قبائل أزد غسان بالشام بسبب نظرة الروم للغساسنة نظرة السيد صاحب البطش

---

(١٦٢) ذكر ياقوت أن بها منازل اياد بن نزار وأباغ رجل من العمالقة نزل ذلك الماء فنسب اليه ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ١٧٥ ٠

(١٦٣) نلدكه : أمراء غسان : ص ٢٥ ٠

(١٦٤) نلدكه : المرجع السابق : ص ٢٦ ، حتى : تاريخ سورية : ص ٤٤٩ ، جواد على : المفصل : جـ ٣ ص ٤١٣ ، ٤١٤ ، بلاشير : تاريخ الأدب العربى : ص ٦٠ ٠

(١٦٥) نلدكه : أمراء غسان : ص ٢٦ ، :

A. Musil : Palmyrena : P. 165, 264.
Hitti : History of the Arabs, p. 80.

(١٦٦) نلدكه : المرجع السابق : ص ٢٦ ، جواد على : المفصل : جـ ١٣٦ ، حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ٤٤٩ ، زيدان : تاريخ التمدن : ص ٢٠١ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : جـ ١ ص ٢٨٧ ، محمد بيومى مهران : تاميخ العرب القديم : ص ٥٧٢ ،
A. Musil : Op. Cit., p. 264.

(١٦٧) نلدكه : أمراء غسان : ص ٣٠ ٠

(١٦٨) نلدكه : المرجع السابق : ص ٣١ ، حتى تاريخ سورية : جـ ١ ص ٤٤٩ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : جـ ١ ص ٣٨٧ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم : ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، بلاشير : تاريخ الأدب العربى : ص ٢٨٧ ٠

والجبروت ورفض غسان نظرة المسود الذى يجب أن يسمع ويطيع لولى النعم تحمى ظهورهم الصحراء التى جاءوا منها ٠

وعلى أية حال فان المنذر الأكبر بن الحارث لم يلبث أن أغار على الحيرة عاصمة اللخميين خلفاء الفرس وأحرق قطاعا منها (١٦٩) وعـــاد محملا بالغنائم ، ورغم أن المنذر أراد بهذا العمل ــ فيما يبدو ــ أن يمحو عن نفسه شبهة التواطؤ التى اعتقدها الروم عنه الا أن عمله هذا فسر من جانبهم على أنه تحـــد ســـافر لقوتهم وانجاز لما عجزوا عن القيام به ٠ وذلك مرده الى بذور الشك والريبة التى كانت تسود علاقات الطرفين فى ذلك الوقت ، فصدر أمر بيزنطة الى ماجنوس حاكم سورية الرومانى بالقبض على المنذر (١٧٠) ، وخشية فراره الى الصحراء كما فعل فى الماضى أو تمرد قومه بما يثير الفوضى أحيط الأمر بالتكتم والسرية وأعملت الحيلة فى استدراجه ، ولم يشك الرجل فى نيات الروم ربما لأن ماجنوس كان صديقا له أو أنه لم يزل فرحا بنصره على الحيرة ولم يتوقع عقابا على هذا النحو وأيا كان الأمر فان الرجل استدرج الى كنيســـة فى بلدة حوارين (١٧١) بالشام بحجة افتتاحها ، وهناك قبض عليه وأرسل الى القسطنطينية مع بعض أفراد أسرته وظل بها حتى مات طيبريوس وتولى موريقس ٥٨٢ م فأمر بنفى المنذر الى صقلية (١٧٢) ٠

أشعل نفى المنذر النار فى قلوب بنى غسان حقدا على الروم وكمدا على مليكهم فتركوا ديارهم الآمنة بالشام وغادروا مدنها وتحصنوا بالبادية واتخذوها قاعدة للانتقام من الروم بقيادة النعمان بن المنذر وبدءوا فى الاغارة والاســتيلاء على كل ما تصـــل اليه أيديهم بالشـــام ولم تسلم

---

(١٦٩) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ١٠١ ، ابن رشيق : العمدة : ص ٤١٦ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٥٨٦ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : جـ ١ ص ٢٨٨ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٧٤ ٠

قال عدى بن زيد الشاعر مخاطبا النعمان بن المنذر فى حرق الحيرة :

ســـــنا صـــقر فاشـــعل جانبيها والهـــاك الـــروح والغـــريب

فبتن لـدى الثـــوية ملجمــــات فصيحن العبـــاد وهن ســـيب

حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ١٠١ ٠

(١٧٠) نلدكه : أمراء غسان : ص ٣١ ٠

(١٧١) ذكر ياقوت انها من قرى حلب وقيل انها حصن من ناحية حمص ، ياقوت ، معجم البلدان : جـ ٢ ص ٣١٥ ، ٣١٦ انظر ملحق رقم ١٤ (خريطة بلاد الشام فى العصر الاموى) « من أعمال حمص » ٠

(١٧٢) نلدكه : أمراء غسان : ص ٣١ ، جواد على : المفصل : جـ ٤ ص ١٣٨ ، بلاشير : تاريخ الأدب العربى : ص ٦٠ ٠

بصرى (١٧٣) من اغاراتهم فأثاروا الفوضى والفزع فى كل مكان مما اضطر الروم لاعـــداد حملة بقيـادة ماجنــوس حاكم سوريا الرومانى لتأديب الغساسنة (١٧٤) حلفاء الأمس ولكن أسلوب الكر والفر لم يمكن الحملة من تحقيق أهدافها فى فل شوكة غسان فلجئوا كعادتهم الى الحيلة والمكر فى القبض على النعمــان بن المنـذر (١٧٥) ورغم أن المراجع لم تذكر تفاصيل ذلك الا أن الروم نجحوا فى مهمتهم وحمل النعمان أسيرا الى القسطنطينية سنة ٥٨٣ م (١٧٦) كوالده من قبل فكان ذلك بداية لتمزق قبائل عرب أزد غسان القحطيانة بالشام كما تمزقوا من قبل عند تصدع سد سبأ وخروجهم من اليمن بعد سيل العرم (١٧٧) وكأنه كتب عليهم التمزق مصداقا لقوله تعالى : « **فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ، وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور** » (١٧٨) ، ويذكر نلدكه نقلا عن يوحنا الأفسى أن عرب غسان بعد القبض على النعمان بن المنذر انقسموا الى خمس عشرة فرقة لكل فرقة منها زعيم ، رحل بعضها الى بلاد ما بين النهرين ودخل فى سلطان الفرس ورحل بعضها الى شمال الشام ودخل بلاد الروم واعتنق مذهب الطبيعتين ، والبعض الآخر الى كبادوكيا بآسيا الصغرى (١٧٩) .

وعلى هذا النحو تصدعت امارة الغساسنة وتفككت وحدتها وصار لكل قبيلة منها زعيما وبدأت القبائل تتطاحن فيما بينهما على الزعامة وموارد الكلأ والطعام وتركوا سلوك الحضارة بعد أن غاب عنهم الاستقرار والأمان وعادوا الى سلوك الأعراب من الاغارة والسطو على مناطق العمران بالشام فعمت الفوضى وقض مضجع الروم الذين أخذوا فى السعى من جديد الى تهدئة الوضع فى جنوب الشام فسعوا الى تنصيب أمير جديد للغساسنة فتولى بضعة أمراء ضعاف عرش الامارة المفككة فى آخر عهدها .

---

(١٧٣) ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٧٢ .

(١٧٤) نولدكه : أمراء غسان : ص ٣٢ ، جواد على : المفصل : جـ ٤ ص ١٣٩ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : جـ ١ ص ٢٨٩ .

(١٧٥) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ١٠١ .

(١٧٦) نلدكه : أمراء غسان : ص ٣٢ ، حتى : تاريخ العرب : جـ ١ ص ١٠٥ .

(١٧٧) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٧٣ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٦٤١ ، العوتبى : الأنساب : جـ ١ ص ٤٨ ، ١٩٩ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ٧٢ .

(١٧٨) سورة سبأ : آية ١٩ .

(١٧٩) نلدكه : أمراء غسان : ص ٣٤ .

وقد اختلف المؤرخون فى عددهم وأسـمائهم (١٨٠) وانقطع الاخباريون اليونان عن الحديث عنهم لقلة شأنهم اللهم الا آخـرهم جبلة بن الأيهم ملك غسان فى الاسلام الذى عاش حتى عصر عمر بن الخطاب وعاصر معارك الفتح واشترك فيها الى جانب الروم (١٨١) ٠

وعلى أية حال فان الوجود القبلى القحطانى والعدنانى فى صـحراء الشام وباديتها والدول الشامية الحدودية ذات الأصل العربى وآخرها دولة الغساسنة كان توطئة لفتح العرب بلاد الشام تحت راية الاسلام وتثبيتا لدعائم هـذا الفتـح العظيـم اذ لم تلبث بوادر النصر أن لاحت للفاتحين حتى دانت القبائل الشامية لبنى جلدتهم بالطاعة والولاء فكانوا من الجند المخلصين الذين أعانوا المسلمين على استكمال فتوحاتهم حتى أقصى شمال البلاد ٠

---

(١٨٠) الأصمعى : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ١٠١ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ ـ ١٠٤ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣١٤ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٧ ـ ١١٠ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ٧٢ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : جـ ١ ص ٢٩٠ ـ ٢٩٢ ٠

(١٨١) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ١٠٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ص ٦٨ ٠

الباب الثاني

العلاقات بين قبائل الشام وعرب الحجاز في العهد النبوى

الفصـــل الأول

أولا : حال العرب فى شبه الجزيرة والشام وقت ظهور الاسلام ·

ثانيا : موقف قبائل الشام من الاسلام ·

١ ـ أهل دومة الجندل ·

٢ ـ قبائل جذام وغسان ·

٣ ـ الروم ·

الفصـــل الثـانى

جهاد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضد عرب الشام

أولا : سرية زيد بن حارثة الى قوم من جذام بمنطقة حسمى فى فلسطين سنة ٦ هـ ·

ثانيا : سرية كعب بن عمير الغفارى الى ذات أطلاح سنة ٨ هـ .

ثالثا : غزوة مؤتة سنة ٨ هـ .

رابعا : غزوة عمرو بن العاص الى ذات السلاسل سنة ٨ هـ .

خامسا : غزوة تبوك سنة ٩ هـ .

سادسا : بعث أسامة بن زيد الى آبل الزيت سنة ١١ هـ .

الفصــــل الثــــالث

وفود القبــائل الشمالية الى المدينة فى حياة النبى ـ صلى الله عليه وســلم ـ :

أولا : جـــذام .

ثانيا : لخم .

ثالثا : طيء .

الفصل الأول

أولا : حال العرب فى شبه الجزيرة والشام وقت ظهور الاسلام :

تعتبر بلاد الشام أهم الأقطار المجاورة بالنسبة لشبه جزيرة العرب على الاطلاق ، فهى امتداد طبيعي لهايتسم بالخصب والثراء ، ولذلك فانها كانت مستودعا للكثير من سكانها منذ أقدم العصور (١) هاجروا اليها وأقاموا فيها ورعوا مراعيها وتاجروا معها (٢) واستزرعوها فكانت بالنسبة لهم مصدرا للكثير من مقومات الحياة (٣) ، وبلغة العصر « مجالها الحيوى » ولم يغب ذلك عن سكان الجزيرة فى أى وقت من الأوقات على مر العصور ، ولذلك فانه لما دعا داعى الاسلام فى جزيرة العرب ودانت به قبائلها بدوها وحضرها كانت بلاد الشام أول الأقطار المجاورة فى العالم الخارجى التى اتصل بها النبى صلى الله عليه وسلم ، فكانت دعواته ورسله لأهلها على اختـــلاف أجناسهم لدخول الاسلام (٤) ، ثم كانت غزواته وسراياه وبعوثه المتكررة اليها بمثـــابة بداية لفتح هذه البـــلاد وتوطئة لدخول المسلمين اليها وتنبيها حيا لخلفه بمتابعة المسيرة وتحقيق الهدف وهو ما تم بالفعل ٠

---

(١) المسعودى : التنبيه والاشراف : ص ٣٦ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٢ ص ١٩٥ ، القلقشندى : صبح الأعشى : ج ٥ ص ٢٧٢ ص ٢٧٢ ، أحمد أمين : فجر الاسلام : ص ١٣٠ ، ١٣١ ٠

(٢) الأزرقى : أخبار مكة : ص ٦٢ ، ٦٣ ٠

(٣) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧١ ٠

(٤) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ٨٣ ، الطبرى : التاريخ : ج ٢ ص ٦٤٤ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٦٩ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٧٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ١ ص ١٣٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٣ ص ٧١٠ ٠

وهذا يؤكد لنا أن الفتح العربى لبلاد الشام لم يبدأ فى عهد أبى بكر الصديق انما بدأ فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأن ما فعله الخليفة الأول هو استكمال لمسيرته من بعده وأنه صلى الله عليه وسلم لو كان قد امتد به العمر لتم الفتح على يديه ولا غرو فى ذلك فهو الذى جهز بعث أسامة بن زيد الى الشام وهو فى مرضه الأخير (٥) ، وهو الذى خرج الى منبره على الناس عاصبا رأسه يحثهم على انفاذ بعث أسامة حين استبطأه الناس (٦) ٠

وعلى أية حال فانه اذا كانت غزوات النبى صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه الى الشـــام قد غلب عليهـــا الطابع الاستطلاعى وجمع المعلومات واكتساب الخبرة بالاحتكاك المباشر فان ذلك لا يعيب عرب الجزيرة فى مواجهة أهل الشام فى هذه المرحلة لأن هذا كان هو التمهيد الصحيح الذى ارتأى النبى صلى الله عليه وسلم بنفاذ بصيرته أنه يمكن أن يكون سببا لنصر من الله وفتح مبين وهو ما تم بالفعل فى معارك فتح الشام فى عهد أبى بكر وعمر بن الخطاب (٧) ، وقد ثبت على مر العصور وحتى الآن أن الانتصارات الكبيرة فى الحروب بدأت بالأســلوب الذى بدأ به صلى الله عليه وسلم فمعظمها يدين بالفضل لاستطلاع ومعلومات صحيحة وخبرة مباشرة ٠

لما فتح النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ مكة سنة ٨هـ ــ ٦٣٠م (٨) ودخلت سائر القبائل العربية فى الاسلام بدأ التطلع الى العالم الخارجى وكانت البداية ببلاد الشام بحكم الصلات القديمة والجوار الوثيق (٩) وبدأت العلاقات بين عرب الجزيرة وقبائل عرب الشام تتخذ شكلا جديدا غلب عليه التوجس والحذر المشوب بالعداء وخشية المجهول والتأرجح فى

(٥) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٤٢ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ٣ ص ١٧٤ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٢٢٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٨٤٥ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١١٧ ، المقريزى : امتاع الأسماع : جـ ٢ ص ٥٣٧ ٠

(٦) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٧٠ ٠

(٧) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٧ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٠٥ ، الأزدى : فتوح الشام : ص ٨٧ ٠

(٨) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٥ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٣ ص ٣٨ ــ ٦١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٣ ص ٧٤٦ ٠

(٩) المسعودى : مروج الذهب . جـ ٢ ص ١٠٦ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٨ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ١٠٠ ، جواد على : المفصل فى تاريخ العرب : جـ ٣ ص ١١ ، زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٨١ ، ٨٢ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب : جـ ١ عصر ما قبل الاسلام : ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ٠

الولاء بين المسلمين والروم وذلك مرده الى أن ولاء القبائل الشامية للروم وديانة معظمهم بالنصرانية (١٠) ووظيفتهم فى الحجز بين حضر البادية(١١) واستقرارهم فى بلاد الشام كل ذلك بات مهددا بالزوال من قبائل عرب الجزيرة التى دانت بالاسلام الذى خلق منهم خلقا جديدا لم يعرفوه من قبل فى بادية ولا حضر وقد ساعد على ذلك الحالة التى كانت عليها بلاد الشام نفسها ، فقد جاء الاسلام والسيطرة لغسان فى الجنوب(١٢) وتنوخ فى الشمال (١٣) وتغلب فى الشرق (١٤) وكثير من قبائل قحطان هنا وهناك ، وكانت هذه القبائل العربية قد تركت عبادة الأوثان ودانت بالنصرانية فقويت الروابط بينها وبين الروم الذين اصطنعوهم ودفعوا لهم الرواتب ليحموا الشام من غارات أهل البادية ويحموا آسيا الصغرى من غزو الفرس الذين استغلوا فرصة انشغال الامبراطورية فى حروبها ضد الصرب فى أوربا ودخلوا الشام سنة ٦١٣ — ٦١٤ م (١٥) قبل الهجرة للدولة ، ومع أنه نجح فى طرد الفرس واسترداد الشام سنة ٦٢٦ م سريعا نحو الشرق للدفاع عن الشام لأهميته الاقتصادية وموقعه ومكانته للدولة ، ومع أنه نجح فى طرد الفرس واسترداد الشام سنة ٦٢٦ م الا أنه فقد ولايتى دلماشيا Dalmashia وبانونيا Banonia اللتين سقطتا فى أيدى الصرب والكروات فأفل نجم الدولة وساء طالعها وازدادت عليها مظاهر الضعف والتردى التى كانت تعانى منها فى شيخوختها (١٦) كشيخوخة الامبراطور نفسه حيث سلم مقاليد أموره للبطريرك سرجيوس صاحب مذهب الطبيعة الواحدة (١٧) وشغل نفسه ورعاياه بالمسائل الدينية والخلافات المذهبية ٠

---

(١٠) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ١ ص ١٥٥٩ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص ١٤٣ ، ١٤٥ ٠

(١١) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٥ ، حتى : تاريخ سوريا : جـ ١ ص ٤٤٨ ، جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام : جـ ٣ ص ١٠٢ ٠

(١٢) وهب بن منبه : التيجان : ص ٣٠٠ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٢ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ١ ص ١٦٧ ، نلدكة : أمراء غسان : ص ٨ ، ٩ ، كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٦٩ ٠

(١٣) الأصفهانى : الاغانى : جـ ١٢ ص ١٥٥ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٥ ٠

(١٤) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٥ « ديار ربيعة » ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ١٤ ، ١٥ ٠

(١٥) Thonmin, Histoire de Syrie , 2ed. Paris, 1929, p. 161.
ادوارد جبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها : ص ٢٧٠ ، ٢٧١ ٠

(١٦) جبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية : ص ٢٨٥ ، كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٧٠ ٠

(١٧) انظر ما سبق ذكر عن هذا المذهب ٠

وكانت النصرانية فى هذا الوقت قد تشـــعبت الى مذاهب ونحل كالنساطرة واليعاقبة وغيرهم ، وكره أصحاب هذه المذاهب حكومة الروم التى كانت تضطهدهم باسم المذهب الأرثوذكسى فى ظل ضعف الامبراطور وهرمه واستسلامه لرجال الدين (١٨) مما جعله ينظر الى قوة العرب الفتية نظرة العاجز الضعيف أو نظرة المستهين بأمرهم وربما دفعه هذا وذاك الى الاقتناع بقدرة حلفائه من قبائل عرب الشام بالقضاء عليهم عند اللزوم فلم يحرك ساكنا فى الوقت الذى كانت فيه هذه القبائل ترقب الأمور فى حذر وانتظار لا سيما وأن خزائن هرقل كانت خاوية ومرتبات الأمير الغسانى وسائر أمراء القبائل التى كانت تجريها عليهم الدولة منقطعة والنفوس فى الشام يعمها السخط من سوء الادارة الرومانية وكثرة المغارم والمظالم فضلا عن الحروب والغارات وأطماع الفرس التى لا تنقطع ووسط هذا كله كان الأمل يراود الناس بقرب التغيير (١٩) ٠

لم تنقطع العلاقات بين الشام وجزيرة العرب فى أى وقت من الأوقات وقد غلب على هذه العلاقات الطابع التجارى وجلب الميرة والغذاء وبعض المصنوعات الأساسية (٢٠) ، وكانت طرق التجارة بين الشام والجزيرة كثيرة ومتعددة تعج بالقوافل الرائحة والغادية فى أى وقت من أوقات السنة وأهمها طريق الحجاز والشام (٢١) ، وكانت أول معرفة النبى ﷺ بالشام حين خرج فى احدى القوافل القرشية مع عمه أبى طالب وهو مازال صبيا (٢٢) فنزل بصرى (٢٣) من أرض الشـــام فى حكم الغساسنة وصار يتأمل ويتعرف على كل ما حوله فى العالم الجديد وحكايته مع الراهب بحيرى معروفة (٢٤) لما يروى بأنه كان من علماء أهل الكتاب ، فيقال انه تعرف عليه بما عنده من صفة ووصف أهل الكتاب لنبى مقبل وعلم بقرب مبعثه وأنه نصح عمه أبا طالب أن لا يوغل به

(١٨) حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ١٣٤ ، جواد على : المفصل فى تاريخ العرب : جـ ٤ ص ١٥٢ ، جبون : اضمحلال الامبراطورية : ص ٣٧٤ ، كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٧٠ ، ٧١ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ١٤٣ ٠

(١٩) ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٢ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٩ ، كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٧٠ ، جواد على : المفصل : جـ ٤ ص ١٢٦ ٠

(٢٠) ابن منظور : لسان العرب : جـ ٩ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى : جـ ١ ص ٢٠ ، أحمد الشريف : مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول : ص ٣١ ٠

(٢١) الاصطخرى : مسالك الممالك : ص ١٤ ، الأزرقى : أخبار مكة : ص ١٨ ٠

(٢٢) ابن هشام : السيرة : جـ ١ ص ١٢٩ ٠

(٢٣) بصرى من أعمال دمشق وهى قصبة كورة حوران ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٧٢ ٠

(٢٤) ابن هشام : السيرة : جـ ١ ص ١٢٩ ، ١٣٠ ٠

فى الشام وأن يرتد الى بلده مسرعا بعد فراغه من تجارته كى لا يتعرف عليه اليهود فينال منهم شرا (٢٥) ، ثم كانت المرة الثانية حين خرج محمد عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه الى الشام بتجارة للسيدة خديجة بنت خويلد بصحبة غلامها ميسرة ضمن عير لقريش فباع وابتاع وربح وعاد سالما الى مكة (٢٦) .

وكثيرا ما كان يرد مع قوافل التجارة رقيق من الشام للعمل فى خدمة السادة من أشراف القبائل مثلما فعل حكيم بن حزام بن خويلد الأسدى (٢٧) حينما جاء من الشام بتجارة ومعه رقيق فيهم زيد بن حارثة المنتهى نسبه الى ثور بن كلب بن وبرة من أشراف الشام (٢٨) ، وبرغم أنه لم تعلم الظروف التى استرق فيها زيد الا أنه جاء مكة بصحبة حكيم وصار من غلمانه ، ويروى أن عمته خديجة بنت خويلد دخلت عليه وهى يومئذ عند رسول الله ﷺ فقال لها : أختارى يا عمة أى هؤلاء الغلمان شئت فهو لك فاختارت زيدا فرآه النبى عندها فاستوهبه منها فوهبته له فأعتقه ﷺ وتبناه وذلك قبل أن يوحى اليه (٢٩) .

وزيد هذا هو الذى أرسله النبى ﷺ فى سرية الى القردة (٣٠) وهى ماء من مياه نجد (٣١) لاعتراض عير لقريش كانت فى طريقها بتجارة الى الشام وذلك أن قريشا خافوا طريقهم الذى كانوا يسلكون الى الشـام

(٢٥) ابن هشام : المصدر السابق : جـ ١ ص ١٣١ .

(٢٦) نفسه : جـ ١ ص ١٣٥ .

(٢٧) المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٢٣١ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٩٩ ، ٢٣٥ .

(٢٨) هو زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر ابن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة من قضاعة القحطانية وكان أبوه حارثة جزع عليه جزعا شديدا عند فقده وبكاه بكاء مرا فكان يقول :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحى فيرجى أم أتى دونه الأجـل

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أغالك بعـدى السهل أم غالك الجبل

وقد ظل حارثة يسال عنه القبائل الرائحة والغادية الى الشام حتى اهتدى اليه وعلم بمكانه فقدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فخـيره النبى بين الاقامة معه أو الانطلاق مع أبيه فاختار جوار النبى حتى بعثه الله فصدقه وأسلم وصلى معه فلمـا أنزل الله « ادعوهم لآبائهم » الأحزاب : آية ٥ ، قال : أنا زيد بن حارثة .

ابن هشام : السيرة : جـ ١ ص ١٨٠ ، ١٨١ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ١٥ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ص ٤٦٩ .

(٢٩) ابن هشام : السيرة : جـ ١ ص ١٨٠ .

(٣٠) الطبرى : التاريخ : جـ ٢ ص ٥٩٦ « غزوة ذى قرد » .

(٣١) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٣٢٢ .

حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق المؤدى الى الشام (٣٢) فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة وهى من أعظم تجارتهم مع الشام واستأجروا رجلا من بنى بكر بن وائل يقال له فرات بن حيان يدلهم على الطريق فبعث اليهم النبى ﷺ زيد بن حارثة فى سرية لاعتراضهم فأخذ العير وما فيها وفر الرجال وأسر اثنين فيهم الدليل فرات بن حيان الذى أسلم بعد ذلك وقدم زيد على النبى بالمدينة بما غنم (٣٣) فخمسها النبى ﷺ فبلغ خمسها عشرين ألفا وقسم أربعة أخماسها على السرية مما يدل على عظم التجارة التى كانت تتبادلها قريش مع الشام فى ذلك الوقت ، وكان ذلك بعد غزوة بدر بستة أشهر على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة وكان رئيس هـذه العير صفوان ابن أمية (٣٤) .

ثانيا : موقف قبائل الشام من الاسلام :

استمرت العلاقات التجارية بين الشام وبلاد العرب على ما هى عليه وظلت القوافل تروح وتغدو بين الطرفين منذ مبعث النبى ﷺ رغم ما كان بينه وبين قومه من عداء (٣٥) فلما كانت سنة خمس للهجرة وقبل فتح مكة بثلاث سنوات رغب النبى ﷺ أن يحمى ظهره من ناحية الشام قبل المسير الى مكة وأن يؤمن طرق التجارة بينها وبين المدينة ويحمى مصادر التموين والغذاء الآتية من الشام الى بلاد العرب ولم يجد النبى ﷺ من وسيلة لتحقيق ذلك سوى الشدة والقوة لأن الاسلام حتى هذا الوقت لم يكن قد وجد صدى طيبا فى نفوس القبائل العربية الضاربة فى بلاد الشام ولم يظهر فى الأفق ما يشير الى قرب ذلك .

١ ـ أهل دومة الجنـــدل :

كانت دومة الجندل (٣٦) فى بادية الشام بالقرب من دمشق هى بداية اهتمام النبى ﷺ لأنها كانت بابا من أهم أبواب الشام الى الجزيرة

---

(٣٢) الطبرى : التاريخ : جـ ٢ ص ٥٩٧ ، ٥٩٨ .

(٣٣) ابن هشام : السيرة : جـ ٢ ص ٢٢١ .

(٣٤) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤١٠ .

(٣٥) الازرقى : اخبار مكة : ص ٩٨ .

(٣٦) بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة أو ست عشرة وهى أرض نخل وزرع يسقون على النواضح وحولها عيون وزرعهم الشعير وعليها سور ولها حصن مشهور فى العرب يدعى ماردا .

ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ١٠٥ هامش ١ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٤٨٧ ـ ٤٨٩ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير : جـ ١ ص ٩٠ ، كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٧١ .

العربية ويسكنها قوم من بنى كلب بن وبرة من قضاعة القحطانية (٣٧) يدينون بالنصرانية وكانوا يظلمون من مر بهم من الضافطة (٣٨) ولهم سوق عظيم وهم يريدون أن يدنو من المدينة (٣٩) لتأمين تجارتهم . ورغم أن غزو دومة كان مما يعد مقلقا لقيصر الروم من ناحية العرب لولاء قومها له الا أن النبى ﷺ لم يعبأ بذلك ورأى أن المصلحة تقتضى المسير اليها ففى ربيع أول سنة ٥ هـ ندب النبى ﷺ الناس للغزو (٤٠) واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى (٤١) وخرج فى الف من المسلمين فكان يمشى الليل ويكمن النهار حتى لا يسير بخبره الركبان ويضمن لنفسه مباغتة عدوه . وكان دليله فى مسيره رجل من بنى عذرة ــ وهى من قبائل قضاعة القحطانية الضاربة بالشـــام فيما بين دمشق ودومة الجندل ــ (٤٢) ولذلك كان على علم تام بطرق الناحية ودروبها ورغم أنه لم يعلم ان كان مسلما أو مستأجرا فقد قام بمهمته على خير وجه

(٣٧) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ابن سعيد الأندلسى : نشوة الطرب : جـ ١ ص ١٧٢ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٠٠ ، العمرى : مسالك الابصار : ص ٥٧ .

(٣٨) الضافطة والضفاط والضفاطة : الذى يكرى الابل من موضع الى موضع ، وقيل العير تحمل المتاع ، وقيل الضفاطون التجار يحملون الطعام وغيره والضافط : الحالب من الأصـــل .

أنشد سيبويه للأخضر بن هبيرة :

لما كنت ضــــفاطا ولكن راكبـــا   أناخ قليـــلا فـوق ظهر ســـبيل

ابن منظور : لسان العرب : جـ ٩ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، محمد كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٧١ هامش ١ .

(٣٩) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٢ ص ٥٦٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٥١١ .

(٤٠) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ١٠٥ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٢ ص ٥٦٤ .

(٤١) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ١٠٥ ، ابن حزم : جوامع السيرة النبوية : ص ١٤٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٤ ص ٥١١ .

(٤٢) السمعانى : الأنساب : جـ ٢ ص ٣٨٦ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٤٧ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٠٦ ، القلقشندى : صبح الأعشى : جـ ١ ص ٣١٧ .

فلما قرب من دومة الجندل أخبر النبي ﷺ بسوائم لبني تميم (٤٣) ترعى في الطريق فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب هرب من هرب في كل وجه وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا ونزل النبي ﷺ بساحتهم ليدعوهم الى الاسلام أو يقاتلهم الا أنه لم يجد بها أحدا فأقام أياما وبث السرايا في كل اتجاه وجيء له برجل فسأله عن قومه فأخبره بهروبهم البارحة وعرض عليه الاسلام فأسلم وعاد النبي ﷺ الى المدينة غانما ولم يقاتل (٤٤) . ولأهمية موقع دومة الجندل لم يكن هناك بد من حسم العلاقة مع هذا الحصن الضارب في البرية بين الشام والحجاز ولذلك فانه في العام التالي في شعبان سنة ٦ هـ كلف النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف بالخروج الى دومة الجندل على رأس سرية عسكرية (٤٥) لدعوتهم الى الاسلام أو تحديد موقفهم من حكومة النبي بالمدينة وأداء جزية المعاهدين والموادعة بين الطرفين وأمره ان أطاعوا أن يتزوج ابنة ملكهم (٤٦) ، لتوثيق عرى هذه الطاعة واعطائهم الأمان ،

---

(٤٣) بنو تميم قبيلة عظيمة ذات بطون واسعة من العدنانية تنتسب الى تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، والتميم في اللغة الشديد ومن بطون تميم المشهورة : بنو الحارث وبنو العنبر وبنو الهجيم وبنو أسيد وبنو مازن وبنو مالك وبنو امرىء القيس وبنو سعد ولدى مناة بن تميم ولهم بطون ضخمة وكانت منازلهم في الجاهلية بأرض نجد ممتدة عبر اليمامة الى البصرة الى الغرى من أرض الكوفة وقد تفرقوا في الحواضر ولم يبق منهم باقية في الاسلام وقد ورثت مساكنهم غزية من طيء وخفاجة من بني عقيل بن كعب وكان لهذه القبيلة وقائع كثيرة في الجاهلية مع الفرس ومع بكر بن وائل وعبس وبنو عامر بن صعصعة وبنو حنيفة وغيرهم ، قدم وفدهم على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ٩ هـ في سبعين رجلا فيهم الأقرع بن حابس والزبرقان ابن بدر وعطارد بن حاجب وقيس بن عاصم وعمرو بن الأهتم وهم أصحاب النداء من وراء الحجرات « انظر سورة الحجرات : آية ٤ » .

ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١١٣ ، ١١٤ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٣٧ ، الأصفهاني : الاغاني : جـ ٩ ص ٢٢٠ ، جـ ١١ ص ١٣١ ، الطبري : التاريخ : جـ ٤ ص ٨٦ ، جـ ٥ ص ١٩٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٢ ص ٦٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ابن صاعد : طبقات الأمم : ص ٤٣ ، ٤٤ ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ٤ ص ٤٥٨ ، جـ ٥ ص ٢١٥ ، ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة : ص ٧٦ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٤٤) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ١٠٥ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ١٤٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٥١١ .

(٤٥) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٥٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٦١٢ .

(٤٦) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٦١٢ .

وكان ملك دومة أكيدر بن عبد الملك(٤٧) نصرانيا فى طاعة هرقل ملك الروم وكثيرا ما كان يعترض مسافرى المدينة وتجارتها ، وقد أجاب الى الاسلام كثير من القوم على رأسهم الأصبغ بن عمرو الكلبى وكان نصرانيا من أشراف دومة الجندل (٤٨) تزوج عبد الرحمن بن عوف أمير السرية من ابنته تماضر بنت الأصبغ وهى أم أبى سـلمة بن عبد الرحمن ابن عوف (٤٩) ، ومن لم يسلم منهم فقد أقر بالجزية ·

استمر الحال على ذلك حتى منع أكيدر الجزية عن النبى ﷺ ناقضا عهد عبد الرحمن بن عوف ولذلك فانه لما خرج الى تبوك سنة ٩ هـ أرسل خالد بن الوليد ليأتى به للنظر فى أمره واستجلاء حقيقة موقفه من الاسلام والمسلمين (٥٠) ، فخرج خالد بن الوليد وكمن له على مرمى البصر من حصنه فى ليلة صائفة مقمرة فبصر به على سطح له ومعه امرأته ينظر الى بقر وحشى جاء يحك قرونه فى جدار حصنه فنزل ليصيده وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يدعى حسان ، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسـول الله ﷺ فى الكمين فأسر أكيدر ومن معه الا أخاه حسان الذى قاوم فقتل(٥١) واستلب من أكيدر قباء من ديباج مخوص بالذهب أرسله خالد بن الوليد الى النبى قبل مقدمه عليه (٥٢) ، وقد روى عن أنس ابن مالك أنه رأى قبـاء أكيدر حين قدم به الى رسـول الله ﷺ فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه فقال النبى : أتعجبـون من هذا ! ! فوا الذى نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا (٥٣) ·

وجاء خالد بن الوليد ومعه أكيدر الى النبى ﷺ فحقن له دمه وأمنه وصـالحه على الجزية وكتب له كتابا بذلك ثم خلى سبيله فرجع الى

(٤٧) هو اكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن بن اعيا بن الحارث بن معاوية بن جلاوة ابن أيامة بن شكامة بن شبيب بن السكون من ولد اشرس بن كندة واخو السكاسك بن كندة ، من قبائل عريب بن كهلان القحطانية الضخمة أسره خالد بن الوليد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم لنقضه العهد ، وأخوه بشر بن عبد الملك تعلم الخط بالحيرة ثم أتى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب اخت أبى سفيان فولدت له ابنة هى جدة عمر بن هبيرة لأبيه ·

البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب : ص ٤٢٩ ·

(٤٨) ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٧ ص ٢٨٢ ·

(٤٩) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٦١٢ ·

(٥٠) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ٩٠ ، البلاذرى : انساب الأشراف : جـ ١ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٠٨ ، ١٠٩ ·

(٥١) البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٣٨٣ ·

(٥٢) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ٩٠ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٠٩ ·

(٥٣) البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٣٨٣ ·

قومه (٥٤) · ونص كتاب النبى لأكيدر هو : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر دومة حين أجاب الى الاســلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله فى دومة الجندل وأكنافها :

أن لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامى وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن · ولكم الضامنة من النخل والمعين (٥٥) من المعمور ، لا تعدل سارحتكم (٥٦) ولا تعد فاردتكم (٥٧) ولا يحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤدون الزكاة بحقها عليكم بذلك عهد الله والميثـــاق ولكم به الصـــدق والوفاء شـــهد الله ومن حضر من المســـلمين » (٥٨) ·

٢ ـ قبائل جذام وغســـان :

استمر النبى ﷺ موجها همه الى قبائل عرب الشام ولم يفتر عنهم فى أى وقت من الأوقات لكثرتهم وغناهم ، فضلا عن مكمن الخطر الرابض

---

(٥٤) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٠٩ ·

(٥٥) الضاحى : البارز ، والضحل : الماء القليل · والبور : الأرض التى لم تستخرج · والمعامى : الأرض المجهولة ·

والأغفال : التى لا آثار فيها · والحلقة : الدروع · والحافر : الخيل والبغال والبراذين والحمير والحصن : دومة الجندل ·

والضامنة : النخل الذى معهم فى الحصن · والمعين : الماء الدائم ·

(٥٦) لا تعدل سارحتكم : أى لا يصدقها المصدق ، أى الذى يعدها ويأخذ صدقتها ، والمصدق : عامل الزكاة الذى يستوفيها من أربابها فى مراعيها ومواضعها ·

(٥٧) لا تعد فاردتكم : أى لا تضم الفاردة الى غيرها ثم يصدق الجميع فيجمع بين متفرق الصدقة ·

الزرقانى : شرح الزرقانى « المواهب اللـدنة » : جـ ٣ ص ٤١٤ ، الســهيلى :ـ الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام : جـ ٢ تحقيق عبد الرحمن الوكيل ـ القاهرة ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م : ص ٣١٩ ، محمد كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٧١ هامش ٢ ، ص ٧٢ تابع هامش ١ ·

(٥٨) ابن سعد : الطبقـات : جـ ٢ ص ٥٤ ، ٥٥ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٧٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ١ ص ١١٢ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ١٠٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى : جـ ٦ ص ٣٧٠ ، محمد حميد الله الحيدر أبادى : مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة : ص ١٦٣ ، أحمد زكى صفوت : جمهرة رسائل العرب : ص ٥٢ ·

وكتب النبى صلى الله عليه وسلم كتابا شبيها بهذا تماما مع حارثة بن قطن لقبيلة كلب الضاربة حول دومة الجندل وضواحيها ·

انظر : ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٦٩ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ١ ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، محمد حميد الله الحيدر أبادى : مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى : ص ١٦٨ ·

وراءهم ممثلا فى الروم ، فلم يكن اهتمامه بمكة وقريش ليعدل اهتمامه بالشام وأهله فقد اعتبر صمود مكة مسألة داخلية سرعان ما تنهار بانتشار الاسلام فى القبائل وازدياد قوة المسلمين فى المدينة فضلا عن اسلام الكثير من أهل مكة نفسها وخروجهم منها فلم يكن هناك بد مما لابد منه وهو الدخول فى الجماعة فتم الفتح فى سهولة ويسر سنة ٨ هـ (٥٩) ، وتبعته وفود قبائل الجزيرة الى المدينة فرادى وجماعات معلنة اسلامها (٦٠) ولم يبق الا الخطر الخارجى على الدعوة وأهلها ممثلا فى قبائل عرب الشام — وأغلبهم نصارى — ومن وراءهم من الروم وقد اتبع النبى ﷺ معهم شتى الطرق لدعوتهم الى الاسلام من رسل ومكاتبات وترغيب وترهيب (٦١) فآمنت وصدقت منهم قلة وعاندت وكابرت سائر القبائل من غسان ولخم وجذام وتغلب وطيء وتنوخ وغيرها ، فرسمت بذلك السياسة التى كان على خلفائه أن يتبعوها معهم وهى استخدام القوة والحرب عملا بقوله تعالى : « **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين** » (٦٢) .

وكانت قبيلة جذام من فرع عريب بن كهلان القحطانية (٦٣) — وهى من كبريات القبائل العربية بالشام — قد أوشكت على اعتناق الاسلام فى حياة النبى ﷺ لولا غدر الروم بها ، وبلاد جذام تشغل بقعة واسعة من الشام تمتد من تبوك الى أذرح ومما يلى طبرية من أرض الأردن (٦٤) ، وكان فروة بن عمرو الجذامى (٦٥) شيخ جذام عاملا لقيصر على عمان من أرض البلقان ومن يسكنها ومن يليهم من سائر العرب وموطنه معان(٦٦) وما حولها من أرض الشام ، وقد أسلم وأجاب النبى ﷺ الى دعوته (٦٧)

---

(٥٩) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ٨ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٤٢ — ٦٦ .

(٦٠) تفسير ابن كثير : جـ ٢ ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

(٦١) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٣ ص ٧١٠ .

(٦٢) سورة البقرة : آية ١٩٣ ، الفخر الرازى : التفسير الكبير : جـ ٣ ص ١٤١ .

(٦٣) السمعانى : الأنساب : جـ ٢ ص ٤٩٤ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٧٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٢٥ ، العوتبى : كتاب الأنساب : جـ ٢ ص ١٣ — ٢٠ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٦٤) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٢ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ١٢٩ ، جـ ٢ ص ١٤ ، ١٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، البغدادى : مراصد الاطلاع : جـ ٣ ص ١٢٠٠ .

(٦٥) البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٤٤٩ ، ٤٨٤ .

(٦٦) معان مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء . ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٦٧) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٣٣ .

وبعث اليه رجلا من قومه يدعى مسعود بن سعد حمل اليه كتابا حسنا وهدايا قيمة فيها بغلة يقال لها فضة وحماره يعفور وفرسا يقال له الظرب (٦٨) وأثوابا من كتان وقباء من سندس مخرصا بالذهب ، وقد قبل النبى ﷺ كتابه وهديته وكتب اليه جواب كتابه وأجاز رسـوله مسعودا (٦٩) باثنتى عشرة أوقية ونش (٧٠) .

ولما بلغ الروم اسلام فروة بن عمرو احتالوا فى أخذه كعادتهم فى اللجوء الى المكر والخديعة للقبض على زعماء القبائل المتمردة حتى لا يفروا الى الصحراء ، وأخذ فروة وحبس مدة من الزمن ثم قدم فقتل وصلب على ماء يقال له عفراء بفلسطين (٧١) ارهابا وتخويفا لسائر القبائل التى وصلتها كتب النبى ﷺ ومما قاله فروة قبل أن يقتل :

بلـغ سراة المسـلمين بأننى   سـلم لربى أعظمى ومقـامى (٧٢)

وهكذا مات فروة على اسلامه فلم يهن ولم يضعف ولم يرتد فكان مثلا فذا للاسلام الذى دخل قبائل الشام فى حياة النبى ﷺ ومثلا للتضحية بالنفس فى سبيل الدين فى هذا البلد مما استوجب وقفة من سـائر القبائل الشامية مع نفسها لتفحص الأمر ، غير أن هذا التفحص كان بطيئا ولم يؤت ثماره سريعا لأن حادث فروة الجذامى لم يكن مازال ماثلا فى الأذهان ولذلك فانه لما كتب النبى ﷺ مع شجاع بن وهب الأسدى (٧٣) الى الحارث بن أبى شمر الغسانى (٧٤) أمير قبائل غسان وصاحب دمشق وملك تخوم الشام (٧٥) يدعوه الى الاسلام رفض دعوته ورد كتابه فى صلف وغرور ارضاء لسادته من الروم ، وكان النبى قد كتب اليه :

---

(٦٨) ابن قتيبة : المعارف : ص ١٤٩ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس : ج ٢ ص ١٨٤ .

(٦٩) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٣٣ .

(٧٠) الونش أو النش : مقدار نصف اوقية ، أى عشرون درهما وقيل : هو وزن نواة من ذهب وقيل : هو ربع أوقية والأوقية أربعون درهما ، ونش الشىء : نصفه ، وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يصدق امرأة من نسائه اكثر من ثنتى عشرة أوقية ونش والأوقية أربعون والنش عشرون فيكون الجميع خمسمائة درهم .

انستاس الكرملى : النقود العربية الاسلامية وعلم النميات : ص ٤٥ ، الحاشية وص ١٧٤ ، محمد كرد على : خطط الشام : ج ١ ص ٧٣ هامش ١ .

(٧١) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ١٣٢ .

(٧٢) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٣٣ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ١٣١ ، ١٣٢ ، كرد على : خطط الشام ؛ ج ١ ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٧٣) البلاذرى : أنساب الأشراف : ص ٢٠٠ ، ٣٠٨ .

(٧٤) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٤٣ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ص ١٥٧ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ج ٢ ص ١٤٣ .

(٧٥) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض والانبياء : ص ١٠٣ .

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله الى الحارث ابن أبى شمر • سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق • انى أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك » (٧٦) ، فلما قرأ الحارث الكتاب رمى به وقال مستنكرا : ومن ينزع عنى ملكى ؟!! فقال النبى ﷺ : « باد ملكه » (٧٧) ، وعلى أية حال فقد عزم الحارث بن أبى شمر أن يسير الى النبى فى المدينة لحربه ولكن قيصرا ـ فيما يقال ـ ثناه عن عزمه اكتفاء برفض الدعوة (٧٨) • ومع ذلك فقد صالح النبى ﷺ بنى ثعلبة من غسان (٧٩) وكتب لشيخهم صيفى بن عامر (٨٠) :

« بسم الله الرحمن الرحيم • هذا كتاب محمد رسول الله لصيفى ابن عامر على بنى ثعلبة بن عامر : من أسلم منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأعطى خمس المغنم وسهم النبى والصفى فهو آمن بأمان الله » (٨١) •

وكانت كتب النبى ﷺ ودعاويه الى أهل الشام فى ذى الحجة من آخر سنة ٦ هـ بعد عمرة الحديبية وقيل بعد غزوة مؤته سنة ٨ هـ واتفق الجميع على أنها بعد الحديبية وقبل فتح مكة لقول أبى سفيان لهرقل حين سأله عن النبى ﷺ : هل يغدر ؟ فقال • لا ، ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو صانع فيها ؟ (٨٢) وبنص البخارى : « وذلك فى المدة التى ماد فيها أبو سفيان رسول الله ﷺ » (٨٣) ، وقد روى عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ كتب قبل مؤته الى كسرى وقيصر والى النجاشى والى كل جبار يدعوهم الى الله عز وجل (٨٤) •

---

(٧٦) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٢ ص ٢٩٤ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص ١٤٥ ، الزرقانى : شرح الزرقانى « المواهب اللدنية » : جـ ٣ ص ٤٠٨ ابن كثير : البداية : جـ ٤ ص ٧١٨ ، على بن برهان الدين : السيرة الحلبية : جـ ٢ ص ٣٧٦ ، أحمد زكى صفوت : جمهرة رسائل العرب : ص ٤٤ •

(٧٧) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٤٣ •

(٧٨) ابن كثير : البداية : جـ ٤ ص ٧١٨ •

(٧٩) هم بنو ثعلبة بن عمرو بن جفنة ومنهم كثير من ملوك غسان ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٣٧٢ •

(٨٠) البلاذرى : أنساب الأشراف : ص ١٤١ •

(٨١) ابن سعد : الطبقات : جـ ٢ ص ٥٥ ، القلقشندى : صبح الأعشى : جـ ٦ ص ٣٧١ ، محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى : ص ٤٢ •

(٨٢) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٧١٠ •

(٨٣) ابن كثير : المصدر السابق : جـ ٤ ص ٧١٠ •

(٨٤) صحيح البخارى : باب الايمان : ص ١٩ •

٣ ـ الـــروم :

كان ظهور الاسلام وانتشـاره فى شـبه الجزيرة وتوحد العرب مصدر قلق عظيم بالنسبة للروم لما يمثله من خطر داهم على الشام بيضة ملكهم التى طالما دافعوا عنها ضد الفرس واذا بالخطر مقبلا من جهة لم تكن فى حســابهم يومــا ما فبدءوا فى أخذ الأمور مأخذ الجد ومعرفة حقيقة ما يحدث فى بلاد العرب .

وقد روى عن أبى سفيان بن حرب قوله : كنا قوما تجارا وكانت الحرب قد حصرتنا حتى أنهكت أموالنا ، فلمـــا كانت الهدنة ـ هدنة الحديبية ـ بيننا وبين رسول الله ﷺ وجدنا أمنا فخرجت الى الشام تاجرا مع رهط من قريش فوالله ما علمت بمكة رجل ولا امرأة الا وقد حملنى بضاعة (٨٥) وكان وجه متجرنا من الشام غزة (٨٦) من أرض فلسطين فخرجنا حتى قدمناها وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من فى بلاده من الفرس فأخرجهم منها ورد عليه صليبه الأعظم وقد كانوا استلبوه اياه (٨٧) فلما أن بلغه ذلك وكان منزله بحمص (٨٨) من الشام فخرج منها يمشى متشكرا الى بيت المقدس (٨٩) ليصلى فيه تبسط له البسط ويطرح عليها الرياحين حتى انتهى الى ايلياء (٩٠) فصلى بها فأصبح ذات غداة مهموما يقلب طرفه الى السماء مما يحدث حوله فى جزيرة العرب وبينما هو كذلك وحوله بطارقته يبحثون الأمر اذ أتاهم رسول صاحب بصرى الغسانى برجل من العرب فقال : أيها الملك ، ان هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والابل يحدثك عن حدث كان فى بلاده فتسأله عنه (٩١) . فلما انتهى اليه قال لترجمانه : سله ما هذا الخبر الذى فى بلاده ؟ فسأله ؟ فقال : هو رجل من العرب من قريش خرج يقول : انه نبى وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون وبينهم ملاحم وقد

---

(٨٥) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٢ ص ٦٤٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٧١١ .

(٨٦) غزة : مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر وهى من نواحى فلسـطين غربى عسقلان مات بها هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها قبره . ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٨٧) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٨ ص ٦٤٦ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٦٩ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : جـ ١ ص ٢٥٨ ، نلدكه : أمراء غســان : ص ١٨ ، جواد على : المفصل : جـ ٤ ص ١٢٩ .

(٨٨) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٥ .

(٨٩) ياقوت : المصدر السابق : جـ ٥ ص ١٦٦ ـ ١٧٢ .

(٩٠) نفسه : جـ ١ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٩١) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٢ ص ٦٤٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٧١١ .

خرجت من بلادى وهم على ذلك · فدعا صاحب شرطته وقال له : قلب الشام ظهرا لبطن حتى تأتى برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه · قال أبو سفيان : فوالله ، انى وأصحابى بغزة اذ هجم علينا صاحب الشرطة وسألنا : ممن أنتم ؟ فأخبرناه فساقنا اليه جميعا (٩٢) ، فلما انتهينا الى هرقل وقال : أيكم أمس به رحما ؟ فقلت : أنا · قال : ادنوه منى وأجلسنى بين يديه ثم أمر بأصحابى فأجلسهم خلفى ، وقال : ان كذب فردوا عليه وذلك ليستوثق من كلامه قال أبو سفيان : لقد عرفت انى لو كذبت ما ردوا على ولكنى كنت امرءا سيدا أتكرم وأستحى من الكذب وأدنى ما يكون ذلك أن يردوه عنى بمكة (٩٣) ·

قال هرقل : أخبرنى عن هذا الرجل الذى فيكم فزهدت له شأنه وصغرت له أمره فوا الله ما التفت الى ذلك منى ، وقال لى : اخبرنى عما أسألك من أمره · فقلت : سلنى عما بدا لك ؟ قال : كيف نسبه فيكم ؟ فقلت : من أوسطنا نسبا · قال فأخبرونى هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟ فقلت : لا قال : فأخبرنى هل له ملك فاستلبتموه اياه فجاء بهذا الحديث لتردوه عليه فقلت : لا ، قال : فهو يكذب ؟ قلت : لا · قال : فأخبرونى عن أتباعه من هم ؟ فقلت : الأحداث الضعفاء المساكين فأما أشرافهم وذوو الأنساب منهم فلا ، قال : فأخبرنى عمن صحبه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه ؟ قلت ما صحبه رجل ففارقه قال فأخبرنى عن الحرب بينكم وبينه ؟ قلت : سجال تدال علينا وتدال عليه · قال : هل يغدر ؟ قلت : لا ونحن فى مدة ولا نأمن غدره فيها قال : فوا الله ما التفت اليها منى · قال بماذا يأمركم ؟ قلت يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، ثم أعاد على الحديث فقال : زعمت أنه من أمحضكم (٩٤) نسبا وكذلك يأخذ الله النبى لا يأخذه الا من أوسط قومه ، وسألتك عن اتباعه فزعمت أنهم الأحداث والضعفاء والمساكين وكذلك أتباع الأنبياء فى كل زمان ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فذكرت أن لا فقلت لو كان أحدا قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله وسألتك عمن يتبعه : أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه ؟ فزعمت أنه قل من يصحبه فيفارقه وكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلبا

---

(٩٢) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٢ ص ٦٤٧ ·

(٩٣) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٧١٢ ·

(٩٤) أمحضكم : أخلصكم · وكل شىء أخلصته فقد محضته وعربى محض أى خالص النسب الذكر والأنثى والجمع فيه سواء ·

الفيروز آبادى : القاموس المحيط : « مادة محض » ، الرازى : مختار الصحاح : ص ٦١٦ « مادة محض » ·

فتخرج منه وسألتك عن الحرب بينكم وبينه فقلت : أنها سجال وكذلك تكون حرب الأنبياء ولهم تكون العاقبة ، وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا فلو كان من آبائه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك بم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف(٩٥) ولئن كنت صدقتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم فلو كان باستطاعتي أن أخلص اليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه (٩٦) وأثناء ذلك وصل كتاب النبي حمله دحية (٩٧) الى ملك غسان عظيم بصرى (٩٨) فدفعه الى هرقل وهو بحمص (٩٩) وفيه : « بسم الله الرحمن الرحيم • من محمد ابن عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الأريسيين (١٠٠) « **قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** » (١٠١) ، قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام (١٠٢) •

(٩٥) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٢ ص ٦٤٨ ، ابن كثير : المصدر السابق : جـ ٤ ص ٧١٤ •

(٩٦) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٢ ص ٦٤٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٧١٤ •

(٩٧) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرىء القيس بن الخزرج ابن عامر بن بكر بن عامر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ابن وبرة ، من قبائل قضاعة القحطانية الضاربة بالشام من قبل الاسلام وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أتاه جبريل على صورته ، أسلم قبل بدر ولم يشهدها وشهد اليرموك وكان على كردوس وسكن المزة من قرى دمشق •

ابن حزم : جمهرة انساب العرب : ص ٤٥٨ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء : جـ ٢ ص ٥٥٠ •

(٩٨) ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٢٥٩ •

(٩٩) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٤٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٢ ص ٦٤٩•

(١٠٠) النبهانى : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية : ص ١٦٦ •

(١٠١) سورة آل عمران : آية ٦٤ •

(١٠٢) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٢ ص ٦٤٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٧١٥ •

وروى فى ذلك أيضا أن هرقل عظيم الروم قال لدحية بن خليفة الكلبى حين قدم عليه بكتاب النبى ﷺ « والله انى لأعلم أن صاحبك نبى مرسل وأنه الذى كنا ننتظر ونجده فى كتابنا ولكنى أخاف الروم على نفسى ، ولولا ذلك لاتبعته فاذهب الى « صغاطر » الأسقف (١٠٣) فاذكر له أمر صاحبكم فهو والله فى الروم أعظم منى وأجوز قولا عندهم فانظر ماذا يقول لك » • فجاء دحية فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ الى هرقل وبما يدعو اليه ، فقال صغاطر : « والله لصاحبك نبى مرسل نعرفه بصفته ونجده فى كتابنا باسمه ثم دخل وألقى ثيابا سوداء كانت عليه ولبس ثيابا بيضا وأخذ عصاه وخرج على البطارقة فى الكنيسة فقال : يا معشر الروم انه قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه الى الله وانى أشهد أن لا اله الا الله وأن أحمد عبده ورسوله فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه (١٠٤) فرجع دحية الى هرقل فأخبره الخبر قال : قد قلت لك : انا نخافهم على أنفسنا فصغاطر كان أعظم عندهم وأجوز قولا ، ثم أعطاه وكساه وصرفه (١٠٥) •

وقد تعددت الروايات وكثرت بشأن ما حدث عند الروم عندما وصلتهم دعوة النبى ﷺ فقيل فى ذلك أيضا أن هرقل عندما أتاه كتاب النبى ﷺ يدعوه الى الاسلام كتب بذلك الى عالم كبير من علماء النصارى برومية يستشيره فى الأمر فجاءه رد منه بأن المرسل نبى حقا فجمع هرقل علماء الروم وبطارقتهم فى دسكرة (١٠٦) له بحمص ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم طلع عليهم (١٠٧) فقال يا معشر الروم : هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم فتؤمنوا بهذا النبى • فحاصوا حيصة حمر الوحش واتجهوا الى الأبواب فوجدوها موصدة فعادوا الى هرقل فلما رأى نفرتهم وأيس من ايمانهم رأى أن لا يخسر ملكه وسلطانه وقال لهم : انى ما قلت مقالتى آنفا الا لأختبر بها شدتكم على دينكم فسجدوا له ورضوا عنه (١٠٨) •

---

(١٠٣) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٢ ص ٦٥٠ •

(١٠٤) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٢ ص ٦٥٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٧١٦ •

(١٠٥) ابن كثير : البداية : جـ ٤ ص ٧١٦ •

(١٠٦) الدسكرة : الصومعة وكذلك هى بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهى • الطبرى : جـ ٢ ص ٦٤٩ هامش ٢ •

(١٠٧) الأصفهانى : الأغانى : جـ ٦ ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٢ ص ٦٤٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٧١٧ •

(١٠٨) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى : جـ ٢ ص ٦٢ •

وفي رواية أخرى عن محمد بن اسحاق أن هرقل لما أراد الخروج من أرض الشام الى القسطنطينية بعد أن بلغه ما بلغه من أمر النبى وأتاه كتابه جمع كبراء قومه ورؤساءهم للتشاور معهم فى هذا الشأن وقال لهم : انى عارض عليكم أمورا فانظروا فيما أردت بها . قالوا : وما هى قال : تعلمون والله أن هذا الرجل لنبى مرسل نجده ونعرفه بصفته التى وصفت لنا فهلموا لنتبعه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا (١٠٩) ، فقالوا : نحن نكون تحت أيدى العرب ونحن أعظم الناس ملكا وأكثرهم رجالا وأقصاهم بلدا ؟!! فنعطيه مالا فى كل عام تكسر عنا شوكته ونستريح من حربه بما نعطيه اياه . قالوا : نحن نعطى العرب الذل والصغار بخرج يأخذونه منا ونحن أكثر الناس عددا وأعظمهم ملكا وأمنعهم بلدا لا والله لا نفعل هذا أبدا قال : فهلموا نصالحه على أن أعطيه أرض سورية ويدعنى وأرض الشـام (١١٠) فقالوا نحن نعطيـه أرض سورية وقد عرفت أنهـا قلب الشام ؟! لا نفعل هذا أبدا فلما أبوا عليه كل ما عرض عليهم انطلق حتى دخل قسطنطينية (١١١) .

وأيا كان الأمر وان صحت هذه الروايات أو لم تصح فمن الثابت تاريخيا أن النبى ﷺ أرسل كتابا الى هرقل عظيم الروم حمله اليه دحية ابن خليفـة الكلبى (١١٢) يدعوه وقومه الى الاسـلام عملا بقوله تعالى : « **يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين** » (١١٣) ، ومن الثابت أيضا أن كتاب النبى ﷺ ودعوته الى الاسلام لم تلق قبولا من الروم ومن حلفائهم قبائل عرب الشام فوضعوا أنفسهم على رأس قائمة الجهاد عند المسلمين فى حياة النبى ﷺ وبعد مماته امتثالا لأمره تعالى اذ يقول « **يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم** » (١١٤) ، ويقول : « **يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منـكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** » (١١٥) ، ومن ثم فقد أعلت المدينة بأمر النبى ﷺ راية الجهاد دون استبطاء ضد عرب الشام وروومها على حد سواء .

(١٠٩) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٧١٧ .

(١١٠) كانت أرض سورية : فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب من أرض سورية ، وما كان وراء الدرب عندهم فهو الشام .

الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٥١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٧١٧ .

(١١١) الطبرى : تاريخ : ج ٢ ص ٦٥١ .

(١١٢) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٤٣ .

(١١٣) سورة المائدة : آية ٦٧ ، الفخر الرازى : التفسير الكبير : ج ٦ ص ٨٩ .

(١١٤) سورة التحريم : آية ٩ .

(١١٥) سورة الأنفال : آية ٦٥ .

الفصل الثاني

جهاد النبى صلى الله عليه وسلم ضد عرب الشام

أولا : سرية زيد بن حارثة الى قوم من جذام بمنطقة حسمى فى فلسطين سنة ٦ هـ ٠

فى آخر سنة ٦ هـ أرسل النبى صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة على رأس سرية من الجيش الى منطقة حسمى فيما وراء وادى القرى مما يلى فلسطين من أرض الشام (١) لتأديب قوم من جذام قطعوا الطريق على دحية بن خليفة الكلبى رسول النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل قيصر الروم وحامل كتابه اليه وهو عائد من عنده بعد أن خلع عليه وكساه فأهانوه وجردوه مما كان معه (٢) ، فرأى النبى فى تأديبهم أمرا ضروريا حتى لا يعودوا الى مثلها أو يظنوا بالمسلمين ضعفا يمنعهم من رد اعتبارهم فيزدادوا اجتراء عليهم وحتى يكونوا عبرة لغيرهم من قبائل الشام التى قد تفكر فى ايذاء المسلمين ، وقد امتثل زيد بن حارثة لأمر النبى صلى الله عليه وسلم وقام بمهمته على خير وجه فأغار على منطقة حسمى ومن فيها من جذام الذين فروا أمامه فى كل اتجاه فسلب منهم سلبا عظيما وعاد الى المدينة (٣) ويبدو أن سكان منطقة حسمى من جذام أرسلوا وفدا منهم

---

(١) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ ٠

(٢) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٥٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٦١٢ ، محمد كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٧٣ ٠

(٣) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٥٥ ، كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٧٣ ٠

الى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة للاعتذار عما بدر من بعضهم فى حق الرسول عليه الصلاة والسلام أو أعلنوا اسلامهم لأن النبى صلى الله عليه وسلم رد عليهم اسلابهم التى استلبها منهم زيد بن حارثة فى السرية التى قادها اليهم فى بلدهم (٤) .

شهد العام السابع من الهجرة بعد سرية حسمى هدوءا فى العلاقات بين الشام والحجاز فلم تحدث فيه وقائع بين الطرفين ولم يكن هناك أية سرايا أو بعوث أرسلت الى الشام فى هذا العام لان النبى عليه الصلاة والسلام كان مشغولا فى هذه السنة بفتح حصون خيبر وغزو وادى القرى (٥) وتوجيه بعض السرايا الى القبائل المجاورة كهوازن وفزارة (٦) وغيرهما فضلا عن بعض الأمور الداخلية ولكن رغم كل ذلك فان اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم ببلاد الشام وايمانه بأنها شوكة فى جنب المسلمين لم يفتر فى أى وقت من الأوقات ، روى عن سلمة بن نفيل الحضرمى قال : فتح الله على رسوله فتحا فأتيته ودنوت منه حتى كادت ثيابى تحس ثيابه فقلت : يا رسول الله عطل السلاح وسيبت الخيل وقيل: قد نفيل وضعت الحرب أوزارها فقال رسول الله : كذبوا الآن جاء القتال ، الآن جاء القتال ، لا يزال الله يزيغ قلوب أقوام تقاتلونهم ويرزقكم الله عز وجل منهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك ، وعقر دار الاسلام بالشام (٧) .

ثانيا : سرية كعب بن عمير الغفارى الى ذات أطلاح سنة ٨ هـ :

فى مطلع السنة الثامنة للهجرة استأنف النبى صلى الله عليه وسلم سراياه وبعوثه الى الشام فأرسل سرية صغيرة من خمسة عشر رجلا عليهم كعب بن عمير الغفارى (٨) فى مهمة سلمية الى منطقة ذات أطلاح من ناحية الشام فيما وراء وادى القرى بين تبوك وأذرعات (٩) وكان ينزلها قوم من قضاعة عليهم رجل يدعى سدوس وذلك ليدعوهم الى الاسلام ولكن القوم

---

(٤) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٤٧ ، كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٧٣ .

(٥) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩٥ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٩ ـ ١٧ .

(٦) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ٥٩ ، الطبرى : جـ ٣ ص ٧٠ ، ٨٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٦١٤ ـ ٦٧٩ .

(٧) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد : جـ ٣ ص ١٥٢ ، كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٧٦ .

(٨) البلاذرى : أنساب الأشراف : ص ٣٨٠ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٩ ص ٢١٨ .

(٩) ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٢٩٨ .

كانوا بدوا غلاظا لم يستجيبوا للدعوة وبدلا من ترك الدعاة يعودون من حيث أتوا اجتمعوا عليهم لقتلهم ورشقوهم بالنبل (١٠) فكانت قمة الصلافة والعجرفة البدوية ، وقاتل أصحاب النبى ﷺ أشد قتال حتى قتلوا جميعا لقلة عددهم وكثرة عدوهم وانفلت منهم رجل جريح تحامل على نفسه بالليل حتى وصل المدينة وأطلع النبى على ما كان من أمر أصحابه فهم بالبعث(١١) اليهم الا أن القوم كانوا قد غادروا موضعهم(١٢) الى مكان آخر خشية الانتقام والغزو لفعلهم القبيح ٠

ثالثا : غزوة مؤتة :

فى سنة ٨ هـ وقبل فتح مكة أرسل النبى ﷺ ضمن من أرسل الى الملوك والأمراء الحارث بن عمير الأزدى بكتاب الى ملك بصرى عاصمة اقليم حوران بالشام يدعوه الى الاسلام (١٣) فلما نزل بمؤتة (١٤) عرض له عمرو بن شرحبيل الغسانى فسأله عن وجهته ؟ فأخبره أنها الشام ٠ قال: لعلك من رسل محمد ؟ قال نعم أنا رسول نبى الله ﷺ فأمر به فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه (١٥) ولم يقتل للنبى ﷺ رسولا غيره فكان ذلك شديدا عليه ومثار حديث تناقلته القبائل فيما بينها ٠ وقد يبدو ذلك للبعض سببا لخروج جيش النبى الى مؤتة سنة ٨ هـ للقصاص من غسان(١٦) ولكن الحقيقة انه كان حافزا وليس سببا لأن سرايا النبى ﷺ وبعوثه الى الشام كانت سلسلة متصلة الحلقات ضمن خطة نبوية لحماية شبه الجزيرة وللدفاع عن الاسلام من جهة الشام الذى أصبح النبى ﷺ

---

(١٠) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ٩٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٦٨٥ ٠

(١١) هم بالبعث اليهم : أراد أن يرسل لهم سرية على وجه السرعة ، والبعث جمع من المحاربين بمثابة الطليعة ترسل سريعا حتى يتجهز الجيش فى أثره ٠
محمود شيت خطاب : معجم المصطلحات العسكرية : ص ٤٨ ٠

(١٢) ابن عساكر : المصدر السابق : جـ ١ ص ٩٢ ، ابن كثير : المصدر السابق : جـ ٤ ص ٦٨٦ ٠

(١٣) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ٩٤ ٠

(١٤) قرية من قرى البلقاء فى حدود الشام كانت تطبع بها السيوف تنسب المشرفية منها ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ٠

(١٥) ابن سعد : الطبقات : جـ ٤ ص ٣٤٣ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ٩٤ ، النبهانى : الأنوار المحمدية : ص ١٣٠ ، ابن حجر : الاصابة : جـ ١ ص ٢٨٦ ، المقريزى : امتاع الاسماع : جـ ٢ ص ٣٤٥ ٠

(١٦) الشيخ محمد الخضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية : ص ١٧٣ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الاسلام حتى سقوط الدولة الأموية : ص ١٣٢ ٠

يعتبره « عقر دار الاسلام » كما ورد فى حديث نفيل الحضرمى (١٧) ، يضاف الى ذلك أن النبى ﷺ كان شديد الحرص دائما لمصدر الخطر على المسلمين وكان الشام فى ذلك الوقت من أكبرها ولذلك فانه كثيرا ما كان يبدأ بالهجوم عليها كخير وسيلة للدفاع فلا ينتظر حتى يغزى فى موطنه فيحدث ما لا يستطيع له دفعا ، وكان ايفاد جيش مؤتة حلقة هامة فى سلسلة السرايا والبعوث التى أوفدها النبى الى الشام (١٨) والتى اختتمها خروجا بنفسه على رأس جيش جرار من المسلمين الى تبوك من مشارف الشام (١٩) وقد ظل أمر الشام شاغلا لفكر النبى وعقله بعد تبوك حتى أنه وهو فى مرضه الأخير جهز بعث أسامة بن زيد الى الشام وأمر المسلمين بايفاده وان توفى (٢٠) ، ومما لا شك فيه أن غزوات النبى ﷺ وسراياه وبعوثه الى الشام أكسبت المسلمين خبرة لا يستهان بها فى التعامل مع أهله ومعرفة بدروبه وطرقه (٢١) مما كان له أكبر الأثر فى فتح هذا القطر الهام (٢٢) بعد سنوات قلائل من انتقال النبى ﷺ الى جوار ربه .

خرج بعث مؤتة الى الشام فى جمادى الأولى من سنة ثمان للهجرة وكانوا ثلاثة الآف نفر من المسلمين المجهزين (٢٣) وهو عدد لم يصل اليه أى بعث من قبل للنبى ﷺ ولذلك فانه يمكن أن نقول أنه منذ غزوة مؤتة بدأت بعوث النبى الى الشام تأخذ طابع الجيوش المقاتلة لا طابع جماعة الدعاة المدافعة لكثرة من خرج فيها من المسلمين المسلحين ، وكان زيد بن حارثة على رأس الجيش ينوب عنه جعفر بن أبى طالب ثم عبد الله بن رواحة (٢٤) ، ولما حان وقت خروجهم ودع الناس أمراء النبى ﷺ وسلموا

---

(١٧) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٧١ .

(١٨) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٧١ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص ١٥٨ .

(١٩) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ١٤ ، ١٥ .

(٢٠) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢١) ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٧ ص ٢٤٣ ، الاصطخرى : المسالك والممالك : ص ٤٤ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٦١ ، محمد كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٥٦ .

(٢٢) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٢ ، الأزدى : فتوح الشام : ص ٧٢ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١١٥ ، ١١٦ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : جـ ٢ ص ٢٦١ .

(٢٣) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٣ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ٩٣ .

(٢٤) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٣٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٦٨٦ ، اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى : جـ ٢ ص ٤٩ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ٩٣ ، المقريزى : امتاع الاسماع : جـ ١ ص ٣٤٤ .

عليهم وخرج النبى بنفسه يشيعهم (٢٥) وهى أمور اتخذت شكل تقاليد ظلت متبعة فيما بعد من جانب الخلفاء للاحتفاء بالجيوش الخارجة للقتال .

انطلق الجيش فى تعبئة الحرب وعلى ميسرتهم رجل من الانصار يقال له : عبادة بن مالك (٢٦) وفى الميمنة رجل من بنى عذرة يدعى قطبة ابن قتادة ، وقبيلة بنى عذرة من قبائل قضاعة القحطانية (٢٧) التى كانت تسكن بلاد الشام جنوب بصرى (٢٨) وكانوا على دراية بالحرب والقتال لاحتكاكهم بالروم والغساسنة ومعاصرتهم حروب الفرس والروم والمناذرة وبنى غسان (٢٩) ، وكان أفرادا من هذه القبائل الشامية قد وفدوا على النبى ﷺ بالمدينة وأسلموا وحسن اسلامهم ودخل الدين قلوبهم (٣٠) فكلفهم النبى بما كانوا يحسنوه من أعمال ولذلك فلا عجب أن نجد رجلا عذريا من قبيلة عذرة الشامية يتولى منصبا قياديا فى جيش مؤتة المتجه الى حرب أهل الشام ومن معهم من قبائل العرب المتاخمة لهم .

فى الوقت الذى خرج فيه جيش مؤتة الى الشام كان هرقل موجودا به يتفقد أحواله ويؤدى صلاة الشكر فى بيت المقدس بعد أن طرد منه الفرس واسترد صليبه الأعظم سنة ٦٢٢م وهى سنة الهجرة النبوية (٣١) وكان يمشى فى ركابه جمع عظيم من الروم يقال أنه بلغ مائة ألف – باجماع المصادر – من الجيش والحاشية ورجال الدين والرعية فى

---

(٢٥) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٣٦ .

(٢٦) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٦ ، الطبرى : تاريخ الطبرى ، جـ ٣ ص ٣٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٦٨٩ .

(٢٧) هم بنو عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافى بن قضاعة ، من بطونهم ، بنو عامر وبنو كبير ورفاعة ، يقال انهم دخلوا فى بنى يشكر ، ومن بطون بنى كبير بن عذرة بنو رزاح بن ربيعة ورزاح هذا هو أخو قصى بن كلاب لأمه وهو الذى نصر قصى بن كلاب على بنى بكر بن عبد مناة وهو الذى أخرج بنى نهد وبنى جرم وبنى حوتكة من بلاد قضاعة وهو الذى أخرج أيضا بنى عمه ورفاعة بن عذرة من جملة بلاد بنى عذرة .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٨ – ٤٥٠ ، السمعانى : الأنساب : جـ ٢ ص ٣٨٦ ، الزبيدى : تاج العروس : جـ ٣ ص ٣٩٠ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣١٥ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٤٣ ، ٣٢٦ ، النويرى : نهاية الأرب : جـ ٢ ص ٢٩٧ .

(٢٨) ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(٢٩) حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩١ ، ١٠١ .

(٣٠) ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٤٧ ، ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ٣ ص ٤٩ ، روضة المحبين : ص ٣٦٢ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ١٠٦ ، القلقشندى : صبح الأعشى : جـ ١ ص ٣١٧ .

(٣١) الأزدى : فتوح الشام : ص ٥ .

استعراض للقوة ومثلهم من متنصرة عـرب الشـام يحيونه ويعظمونه ويحتفلون به في موكب ضخم (٣٢) ، ولما وصل المسلمون الى الشام نزلوا منطقة معان (٣٣) شرق البتراء وهناك بلغهم أن هرقل وجموعه الضخمة نزلوا مآب من أرض البلقاء وهي منطقـة شرق البحر الميت وتقع شمال معان (٣٤) وهناك انضم اليه من القبائل عرب الشام لخم وجذام وبلقين وبلى وبهراء وبكر وتنوخ وغيرهـا فيما يقرب من مائة الف ـ باتفاق المؤرخين (٣٥) ـ عليهم رجل من اراشه (٣٦) ـ وهى بطن من بلى (٣٧) ـ يدعى مالك بن رافلة (٣٨) كانوا أصلا فى استقبال هرقل للاحتفال به وللاعراب عن ولائهم واخلاصهم له وذلك لأنه ليس من المعقول ان يحضر هرقل خصيصـا من القسطنطينية فى ركب جرار لملاقـاة جيش صـغير للمسلمين في جنوب الشام كما أنه ليس من المعقول أن تتعبأ قبائل الشام كلها فى وقت واحـد لحرب ثلاثة آلاف مسلم خرجوا اليهم من جزيرة العرب وانما الصدفة وحدها هى التى أوقعت جيش مؤتة فى براثن هذه الجموع الكبيرة لتصادف خروج المسلمين وقت احتفـال الروم وهرقل باسترداد الشام من الفرس (٣٩) ومجاملة العرب المتنصرة لهم ، فلعله لم يكن عند المسلمين خبر بذلك الحشد الكبير من العرب والروم بدليل أنهم لما وصلوا معان من أرض الشام وعلموا حقيقة الأمر مكثوا بها ليلتين

---

(٣٢) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٤ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٢٥٥ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٣٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٢ ص ٦٨٨ ، المقريزى : امتاع الاسماع : ص ٢٤٤ .

(٣٣) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٣٤) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٣١ .

(٣٥) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٤ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٧١ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ١٧٥ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ٩٨ .

(٣٦) اراشة : هو رجل انحدرت منه قبيلة من بلى من قضاعة القحطانية وهو اراشة بن عامر ابن عبيلة بن قسميل بن فران بن بلى ، واراشة أيضا بطن من خثعم من انمار بن اراش من القحطانية ، واراشة : بطن من العدنانية تنتسب الى اراشة بن عنز بن وائل بن قاسط المنتهى نسبه الى ربيعة بن نزار ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٤٢ ، الزبيدى : تاج العروس : جـ ٤ ص ٢٩٠ ، النويرى : نهاية الأرب : جـ ٢ ص ٣٣٠ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ١ ، ص ١٣ .

(٣٧) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٤٢ .

(٣٨) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٤ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٣٧ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ١٧٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ٩٨ ، المقريزى : امتاع الاسماع : جـ ١ ص ٣٤٧ .

(٣٩) الأزدى : فتوح الشام : ص د ، ٦ .

يتدبرون أمرهم (٤٠) من هول ما فوجئوا به ، أو لعل هرقل وصـل من شمال الشام الى جنوبه فجأة لأداء صـلاة الشكر فى بيت المقـدس (٤١) فاجتمعت القبـائل لتحيتـه فى وقت وصـول المسلمين الى معـان (٤٢) فكانت المفاجأة ٠

وأيا كان الأمر فان المسلمين تشاوروا فيما بينهم وهم بمعان وقالوا : نكتب الى رسـول الله ﷺ ونخبره بحجم عدونا فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمره فنمضى له (٤٣) ، ولكن عبـد الله بن رواحة آخر القواد الثلاثة المعينين لقيادة الجيش أخذته حمية الايمان وأريحية الدين الجديد الذى وقر فى قلبه وتناسى ميزان القوة بين الطرفين وأخذ يشجع الناس على القتال فقال لهم والله ان الذى تكرهون للتى خرجتم تطلبون (الشهادة) وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة (٤٤) ، وأخذ الناس برأيه وقالوا : صدق والله ابن رواحة فلم يكونوا بأقل منه ايمـانا لأنهم كانوا جميعـا من أهل بدر وأحد والأحزاب ٠

مضى الجيش شمالا للقـاء عدوه والتقى الجمعان على تخوم البلقاء بقرية من قراها تسمى مشارف (٤٥) فلما دنا العدو انحاز المسلمون الى قـرية يقال لها مؤتة جنـوب الكرك (٤٦) رأوها أنسب وضعا للقتال واتخذوا وضع الهجوم وحدث اللقاء فى مؤتة وقاتل زيد بن حارثة حتى

---

(٤٠) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٤ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٣٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٢ ص ٦٨٨ ٠

(٤١) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ١١٦ ـ ١٧٢ ٠

(٤٢) المصدر السابق : جـ ٥ ص ١٥٣ ، ١٥٤

(٤٣) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٤ ، الطبرى : تارخ الطبرى : جـ ٣ ص ٣٧ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ٢٢١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٦٨٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ٩٨ ، المقريزى : امتاع الأسماع : جـ١ ص ٣٤٨ ٠

(٤٤) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٦٨٨ ٠

(٤٥) تقع قرب حوران من أعمال دمشق اليها تنسب السيوف المشرفية ٠ ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ١٣١ ٠

(٤٦) من قرى البلقاء فى حدود الشام الجنوبية ٠ ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٢٢٠ ٠

شاط (٤٧) فى رماح القوم فأخـــذ الراية جعفر بن أبى طالب وقاتل بها (٤٨) حتى اذا ألحمه القتال ونشب فيه فلم يجد مخلصا ، اقتحم عن فرسه فعقرها كي لا يستفيد منها عدوه فكان أول رجل من المسلمين عقر فى الاسلام فرسه (٤٩) ، وحمل قطبـة بن قتادة العـذرى الذى كان على ميمنة المسلمين على مالك بن رافلة البلوى قائد العدو فقتله (٥٠) وهو يرتجز ويقول :

طعنت ابن رافلة بن الاراش   برمح مضى فيه ثم انحطم (٥١)

ولما قتل جعفر أخذ الراية عبد الله بن رواحة وتقدم بها وهو على فرسه وقاتل حتى قتل فأخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بنى العجلان(٥٢) فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم فقالوا أنت ٠ قال : ما أنا بفاعل (٥٣) فاصطلح الناس على خالد بن الوليد (٥٤) فأخذ الراية وبدلا من أن يلقى بالمسلمين الى التهلكة وزن الأمور بميزانها الصحيح فوجد أنه من الصواب أن يستنقذ هذه العصبة المؤمنة مما بليت به فى مؤتة وهنا أعمل مهارته الحربية فى تخليص المسلمين من مأزقهم دون حدوث الكارثة مثلما أعملها من قبـل حينما كان قائدا لخيل قريش فى أحد وجاء لهم بالنصر (٥٥) فصار يقاتل بالجيش وهو يتأخر به الى الجنوب رويدا رويدا مع حفظ ثبات الناس ونظامهم (٥٦) فلم ينسحب فجأة انسحابا فوضويا

---

(٤٧) شاط الشىء شيطا وشياطة وشطوطا : احترق وخص بعضهم به الزيت والرب ، ومنه قولهم شاط دم فلان أى ذهب والاشاطة الهلاك ، وشاط الرجل اذا سال فهلك ،

ابن منظور : لسان العرب : جـ ٩ ص ٢١١ ، ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٦ هامش ١٧ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٣ ص ٣٩ هامش ٣ ٠

(٤٨) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٦ ، ابن سعد : جـ ٣ ص ١٧٥ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ١٧ ٠

(٤٩) عقر البعير والفرس بالسيف أى ضرب به قوائمه فأعجزه ٠

الرازى : مختار الصحاح : ص ٤٤٥ ، ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٦ هامش الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٣٩ هامش ٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٦٨٩ ٠

(٥٠) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٤١ ٠

(٥١) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٩ ٠

(٥٢) هم بنو العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف ، بطن من الخزرج من الأنصار ٠

ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٧١ ٠

(٥٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى : جـ ٢ ص ٤٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٣ ص ٦٩٠ ، ٦٩١ ٠

(٥٤) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٧ ٠

(٥٥) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٢ ص ٥١٠ ٠

(٥٦) ابن سعد : الطبقات : جـ ٣ ص ١٧٤ ٠

فيركب العدو ظهرهم مما جعل أهل الشام يظنون أن فى الأمر خدعة وأنهم يستدرجون الى الصحراء انتظارا لمدد وخاصة ان خالد بن الوليد كان قد غير نظام الجيش في المساء فجعل الميمنة في وضع الميسرة والميسرة في موضع الميمنة وقلب الساقة والمقدمة (٥٧) فلما جاء الصباح تغيرت الوجوه فظن العدو أنه المدد الذى توهموه فتقاعسوا عن متابعتهم وهو ما عبر عنه ابن هشام والطبرى بقولهما إنه « دافع القوم وخاشى بهم أو حاشى بهم ثم انحازوا وانحيز عنه أو انحاز وتحيز عنه حتى انصرف بالناس » (٥٨) ٠

والرأى أن جيش المسلمين وعدده ثلاثة الآف رجل لم يحارب فى مؤتة جيوش الروم وعرب الشام مجتمعة والتى قدرها المؤرخون بمائتى ألف رجل (٥٩) كانوا غالبا في ركاب هرقل أثناء زيارته للشام لأنه لا يعقل أن يجازف أى قائد مسلم مهما كانت حميته الدينية ويدخل معركة هو متأكد من نتيجتها مقدما من أول جولة وهو الهلاك المحقق له ولجيشه الصغير فلو قدر وحدث ذلك لأحدق بجيش المسلمين وقضى عليه من أول يوم للقتال ولكن الذى حدث هو أن قتلى المسلمين فى مؤتة لم يتجاوز عددهم اثنى عشر رجلا (٦٠) وهى خسارة عادية يمكن أن تحدث فى حرب بين أى قبيلتين ، ولذلك فانه من المرجح أن الذى حدث هو أن هرقل عندما وصل البلقاء وبلغته أنباء وصول جيش المسلمين الصغير الى معان وتحركهم الى الشمال كلف نخبة من قبائل عرب الشام وأكثرهم من بطون قضاعة القحطانية من لخم وجذام وبلقين وبلى وبهراء (٦١) من الذين كانوا فى استقباله بالتوجه لملاقاة المسلمين والتصدى لهم فخرج اليهم جيش كبير هو خليط من متنصرة عرب الشام من قبائل قضاعة السالفة الذكر عليهم

---

(٥٧) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٦٩٤ ٠

(٥٨) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٨ وحاشية ٢٦ الصفحة نفسها ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٤٠ وحاشية ٥ الصفحة نفسها ٠

(٥٩) عند ابن هشام مائتى ألف من الروم وخمسين ألفا من العرب ، السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٨ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٣٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٣ ص ٦٨٨ ٠

(٦٠) ذكرهم كل من ابن هشام وابن كثير بالاسم ٠ انظر : السيرة : جـ ٣ ص ٢١٣ ، البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٧٠٧ ٠

(٦١) هؤلاء هم الذين سماهم الطبرى المستعربة : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٣٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٣ ص ٦٨٨ ٠

مالك بن رافلة البلوى واعتزلت الحرب حدس (٦٢) وهى بطن من جذام الا بنو ثعلبة وهم بطن من حدس كانت أكبر خسائر الشاميين منهم وكان هـذا الجيش ضعفى عـدد المسلمين أو ثلاثة أضعافهم تقريبا مما أغرى المسلمين بلقائهم يدفعهم الايمان فصمدوا أمامهم بعض الوقت ثم تمكنوا من الانفلات منهم بسـلام حين اقتضت الضرورة ذلك (٦٣) والغالب أن هرقل فعل ذلك لأنه يضن بالروم فى حرب العرب لأن العرب أعلم بقتال العرب ثم أن هذه هى الوظيفة الأساسية للقبائل العربية الضاربة بالشام منذ سمح لهم بالاقامة على تخومه وهى الحجز بين الحضر والبادية والدفاع عن الشام ضـد غارات البـدو وأخيرا فانه لم يكن من المعقول أن يقـوم امبراطور بيزنطة وصاحب الولاية على الشام وقبـائلها بقيـادة جيوش الروم بنفسه تساعده جيوش القبـائل الشامية لملاقـاة فئة قليـلة من المسلمين وصلت الشام من شبه الجزيرة العربية أيا كانت مهمتها ٠

رابعا : غزوة عمرو بن العاص الى ذات السلاسل سنة ٨ هـ :

بعد غزوة مؤتة وما حدث فيها بلغ النبى ﷺ أن جمعا من بلى (٦٤) وسائر قبائل قضاعة من أهل الشام قد تجمعوا طمعا فى المسلمين يريدون الدنو من أطراف شبه جزيرة العرب ، فاستنفر ﷺ النـاس للمسير الى

---

(٦٢) بنو حدس هم ولد أريش بن اراش بن جزيلة بن لخم ، بطن ضخم كثير العدد ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٢٣ ، الزبيدى : تاج العروس : جـ ٤ ص ١١٧ ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ٧ ص ٣٤٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٢٧ ، النويرى : نهاية الأرب : جـ ٢ ص ٣٠٦ ، القلقشندي : نهاية الارب : ص ٢١٢ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ١ ص ٢٥١ ٠

(٦٣) انظر رأى الشيخ محمد الخضرى فى هذا الخصوص ، محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية : ص ١٧٣ ٠

(٦٤) بنو بلى من ولد عمرو بن الحاف بن قضاعة ومعظم بطون بلى من ولديه فران وهنى ومنهم بدريون وصحابة ومساكن بلى تقع بين المدينة ووادى القرى من منقطع دار جهينة الى حد دار جذام بالنبك بين حمص ودمشق ولها ميامن البر الى حد تبوك ومن جبال الشراه الى معان وأيلة ، ومن ديار بلى أمج وغران واديان يأخذان من حرة بنى سليم وينتهيان الى البحر ، وقد ذكر ابن خلدون أن مواطن بلى تقع شمال جهينة الى عقبة ايلة على العدوة الشرقية من بحر القلزم ، وفى عام ٩ هـ قدم وفد من بلى على النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فاجازهم وعادوا الى بلادهم ٠

ابن حبيب : مختلف القبائل ومؤتلفها : ص ٤٣ ، ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ٢٠٣ ــ ٢١٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٠٧ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٧٠ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٤٢ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٢٢ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٤٧ ، ابن فضل الله : مسالك الأبصار : ص ٧٦ ، البغدادى : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : جـ ٣ ص ١٢٨٧ . ١٣٥٤ ، المقريزى : البيان والأعراب : ص ٣٦ ، ٣٧ ٠

الشـام (٦٥) لدفـع الخطر قبـل أن يحدق بهم ، ونظرا لكثرة بطون قضـاعة (٦٦) بالشام وقوتها اتبع النبى معهم أسلوبا خاصا لفل شوكتهم فرأى أن يتألف قوما منهم أو على الأقل يحيـدهم فلا ينحازوا الى عدوه يتقوى بهم ، وكان عمرو بن العاص ذا رحم فى قضاعة وذلك أن أم العاص ابن وائل كانت قضاعية من بلى (٦٧) فأرسله النبى فى ثلاثمائة من أهل الشرف من المهاجرين والأنصار تحت راية بيضاء (٦٨) الى جنوب غرب تبوك ثم الى عذرة وبلقين جنوب بصرى بالشام يتألفهم بصلة الرحم (٦٩) ويدعوهم الى نصرته ضد المتحفزين من سائر قضـاعة للاعتداء على بلاد العرب ولكنه لم يجد منهم آذانا صاغية فسار بالجيش يكمن النهار ويسير الليـل ٠

لما توسط عمرو بن العاص بلاد قضاعة بالشام توقف عند ماء لجذام يقال له السلاسل (٧٠) خشية أن يحدق به القوم لكثرتهم وأرسل رافع

---

(٦٥) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٥٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٣٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٣ ص ٧٢٣ ٠

(٦٦) انظر وهب بن منبه : التيجان فى ملوك حمير : ص ٣٠٣ ، ابن حبيب : مختلف القبائل ومؤتلفها : ص ٩ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٣٠ ، المبرد : نسب عدنان وقحطان : ص ١٨ ، الهمدانى : الاكليل : جـ ١ ص ١٣٧ ، ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة ص ٥٩ ، ابن سعيد الأندلسى : نشوة الطرب فى أخبار جاهلية العرب : جـ ١ ص ١٧١ ، العمرى : مسالك الأبصار : ص ٧٤ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٥٨ ٠

(٦٧) العاص بن وائل بن هاشم من ولد هاشم بن سعيد بن سهم من أشراف قريش أمه سلمى البلوية من بلى من قضاعة ، مات بين مكة والمدينة بالأبواء ، وفيه قال ابن الزبعرى الشاعر :

أصاب ابن سلمى خلة من صديقه ... ولولا ابن سلمى لم يكن لك راتق
فـساوى وحيـا اذ أتـاه بخلـة ... وأعرض عنه الأقربـون الأصـادق

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ ٠

(٦٨) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١٠٣ ٠

(٦٩) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٥٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٣٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٣ ص ٧٢٤ ٠

(٧٠) السلاسل ــ بلفظ جمع السلسلة ــ هو اسم ماء بأرض جذام وبذلك سميت غزوة ذات السلاسل ، ويقال ان اسم الماء سلسل ، وبه سميت ذات السلاسل ، قال فيها شاعر يدعى جيران العود :

يشـبهها الرائى المشـبه بيضـة ... غدا فى الندى عنها الظليم الهجنف
بوعساء من ذات السلاسل يلتقى ... عليهـا من العلقى نبـات مؤنف

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٢٣٣ ٠

ابن مكيث الجهنى (٧١) الى النبى ﷺ يطلب العون فأمده بمائتين من المهاجرين الأولين عليهم أبو عبيدة بن الجراح وفيهم أبو بكر فصار الجميع فى ذات السلاسل خمسمائة نفر من المسلمين (٧٢) وقد أوصى النبى ﷺ أبا عبيــدة حين وجهه الى عمرو بن العاص ألا يختلف معــه ، فلما قدم عليه قال له عمرو بن العاص : انما جئت مداد لى وأنا أمير عليك فقال له عبيدة ان رسول الله قال لى : لا تختلفا وأنت ان عصيتنى أطعتك فدونك فصلى عمرو بن العاص بالناس (٧٣) ، ولما اكتمل عدد المسلمين فى ذات السلاسل خمسمائة نفر بعد وصول المدد من المدينة سار عمرو بن العاص بالمسلمين الليل والنهار حتى وطىء بلاد بلى من قضــاعة ودوخها وكلما انتهى الى موضـــع بلغــه أنه كان بهذا الموضـــع جمع فلما سمعوا به تفرقوا (٧٤) حتى انتهى الى أقصى بلاد بلى وعذرة وبلقين (٧٥) ولقى فى آخر ذلك جمعا ليس بالكثير فاقتتلوا ساعة وتراموا بالنبل ساعة ورمى يومئذ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه وحمــل المسلمون عليهم فهزموا واعجزوا هربا فى البــلاد وتفرقوا وطارد عمرو من هنــاك وأقــام أياما لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم فينحرون ويذبحون لطعامهم ولم تكن غنائم تقسم (٧٦) ، ويبدو أن القوم المتحفزين من قضاعة تراجعوا عن زحفهم الى أطراف شبه الجزيرة لما رأوه من خروج عمرو بن العاص اليهم وذابوا فى بقية قبائل قضاعة المنتشرة فى هذه المنطقة ولم يكن من اليسير على عمرو بن العاص أن يهاجم كل من يجده من قضاعة فيتكاثروا عليــه ويحدث ما لا يحمد عقبــاه بعــد أن كان منه ما كان فى مهاجمة أرض بلى وعذرة وبلقين فآثر سلامة المسلمين وعاد بهم الى المدينة (٧٧) ٠

---

(٧١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١٠٤ ٠

(٧٢) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٥٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٣٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٣ ص ٧٢٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١٠٤ ٠

(٧٣) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٥٣ ٠

(٧٤) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٣ ص ٧٢٤ ٠

(٧٥) أصله أبى القين وحذفت الهمزة والياء للتخفيف ووصلت الباء بالكلمة كما قيل بلحارث وبلعنبر ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١٠٣ هامش ٦ ٠

(٧٦) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٣ ص ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١٠٣ ٠

(٧٧) ابن هشام : السيرة : جـ ٢ ص ١٥٣ ٠

خامسا : غزوة تبوك ٩ هـ :

منـذ سريـة زيد بن حارثـة الى حسمى (٧٨) بفلسطين فى آخر سنة ٦ هـ والنبى ﷺ لا يكاد يمر عليه العام الا وقد أغزى الشام حتى اذا كانت سنة ٩ هـ وقد أنزل الله تعالى « **يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليـــوم الآخر ولا يحـرمون ما حـــرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطـوا الجزية عن يد وهـــم صاغرون** » (٧٩) فلما منع المشركون من المسجد الحـرام فى الحج وغيره أضيرت قريش ومكة بقطع المتاجر والأسواق وما كانوا يصيبون فيها من رزق وفير فعوضهم الله عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون كما توضح الآية • ولذلك فقد عزم النبى الامتثال للأمر وغزو الشام وقتال الروم ان اقتضى الأمر لأنهم أقرب النـاس اليه وأولاهم بالدعوة الى الحق لقـربهم الى الاسـلام وأهله وهو ما تشـــير اليه الآية « **يا أيهـــا الذين آمنـوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار** » (٨٠) هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كانت الأخبـار قد وصلت أهل المدينة عن طريق الأنباط (٨١) بأن الروم قد جمعت بالشام جموعا كثيرة وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة واستنفر العرب المتنصرة فأجلبت معه لخـم وجذام وغسان وعاملة وبهراء وكلب وسليح وتنوخ من عرب الشام (٨٢) وزحفوا حتى وصلت مقدماتهم الى البلقاء وعسكروا بها لقربها من البادية وبلاد العرب وبقى هرقل بحمص يرقب الأحداث وضرب الروم

---

(٧٨) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٥٨ •

(٧٩) سورة التوبة : آية ٢٨ ، ٢٩ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : جـ ٢ ص ٣٤٦ ـ ٣٤٨ •

(٨٠) سورة التوبة : آية ١٢٣ •

أمر الله تعالى المؤمنين ان يقاتلوا الكفار أولا فأولا فالأقرب الى حوزة الاسلام ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين فى جزيرة العرب فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر الأحياء فى دين الله أفواجا شرع فى قتال أهل االكتاب فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس الى جزيرة العرب وأولى الناس بالدعوة الى الاسلام لأنهم أهل الكتاب •

ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : جـ ٢ ص ٤٠١ ، ٤٠٢ •

(٨١) كان الانباط من مزارعى الشام يقدمون كثيرا الى المدينة فى الجاهلية يحملون الزيت والدرمك وهو الدقيق • كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٧٤ هامش ١ •

(٨٢) ابن سعد : الطبقات : جـ ٣ ص ٢١٨ ، المقريزى : امتاع الاسماع : ص ٤٤٦ •

البعوث على العرب الضاحية للارهاب والتخويف حتى لا يتكرر ما حدث في مؤتة .

كانت الأخطار على الاسلام من داخل الجزيرة في ذلك الوقت قد أصبحت شبه معدومة لانهيار مقاومة قريش وفتح مكة واسلام القبائل وكانت الخشية أشد ما يكون من خطر يأتي من خارجها وخاصة من جهة الشام القريبة فربما كانت وجهتهم بعد ذلك المدينة لغزو العرب في عقر دارهم ولذلك رأى النبي ﷺ ان لم يبدأ الروم بالقتال بدءوا هم به وهذا ما جعله يعلم الناس في صيف سنة ٩ هـ بالتجهيز لغزو الروم (٨٣) دون تأخير أو ابطاء رغم شدة الحر وعسرة الناس ولم يور عن وجهته بغيرها كما اعتاد لخطورة القصد كما أنه لم يول أحدا وقاد بنفسه (٨٤) وجد في الاعداد لسفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش (٨٥) وحض أهل الغنى على النفقة والحملان ورغبهم في ذلك لوجه الله تعالى (٨٦) ، فحمل رجال من أهل الغنى فاحتسبوا وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة ولم ينفق أحدا أعظم من نفقته وأنفق أبو بكر جميع ماله (٨٧) .

اجتمع للنبي ﷺ ثلاثين ألفـــا من الرجال وعشرة آلاف من الخيل ومثلها من الجمال (٨٨) وكان هذا أكبر جيش غزا الشام في حياة النبي ﷺ وخرج المسلمون في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير واحد وكان ذلك في حر قائظ (٨٩) فأصاب المسلمين في مسيرهم عطش شديد فجعلوا ينحرون ابلهم ويعصرون أكراشها ويشربون ماءها (٩٠) فكان ذلك عسرة في الماء وعسرة في الظهر وعسرة في النفقة ولذلك سمى جيش العسرة قال

---

(٨٣) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٠٢ .

(٨٤) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ٨٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٠١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٦ ، ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر : جـ ٦ ص ١٤٨ ، اليعقوبي : جـ ٣ ص ٥١ .

(٨٥) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي : جـ ٣ ص ٥١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٣ ص ٧ .

(٨٦) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ٨٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٠٢ .

(٨٧) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ٨٤ ، النبهاني : الأنوار المحمدية : ص ١٢٧ .

(٨٨) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ١٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١١٢ ، المقريزى : امتاع الأسماع : جـ ١ ص ٤٥٥ .

(٨٩) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ٨٣ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٠١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ١٣ .

(٩٠) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ١٣ .

تعالى : « **الذين اتبعوه في ساعة العسرة** » (٩١) ، ومع ذلك فقد تخلف عن الجيش نفر بغير عذر من المنافقين والمقصرين عاتبهم الله ولامهم ووبخهم وقرعهم أشد التقريع وفضحهم أشد الفضيحة وأنزل فيهم قرآنا يتلى وبين أمرهم في سورة التوبة (٩٢) ، ورد النبي ﷺ قوما أخلصوا نيتهم لله لانه لم يجد ما يحملهم عليـه « **تـولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا** » (٩٣) وهؤلاء هم البكاءون (٩٤) ، ولما جد الجيش في المسير جعل بعض الرجال يتخلفون فيقال : يا رسول الله تخلف فلان فيقول : دعوه ان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه (٩٥) ومر جيش النبي ﷺ بالحجر وهي أرض ثمود (٩٦) فنهى الناس عن شرب مائه وقال : « **لا تشربوا من مياهها ولا تتوضئوا منه للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الابل ولا تأكلوا منه شيئا** » (٩٧) .

لما وصـــل النبي ﷺ بالجيش الى تبـوك (٩٨) عسـكر بها ولم يجاوزها (٩٩) وهي أول منازل بادية الشام من ناحية شبه الجزيرة وتقع شرق ديار عامله وبهراء وجذام وبلي ، وتقع دومة الجندل حيث ديار كلب ابن وبره الى الشمال الشرقي قريبا منها ويليها من ناحية الشمال ديار

---

(٩١) سورة التوبة : آية : ١١٧ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : جـ ٢ ص ٣٩٦ .

(٩٢) قال تعالى : « **لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلـكون انفسـهم والله يعـلم انهم لكاذبون** » .

سورة التوبة : آية ٤٢ وانظر ما بعدها الآيات حتى ٥٩ ، ٨١ ــ ٨٣ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : جـ ٢ ص ٣٦٠ ــ ٣٦٣ ، ص ٣٧٦ ــ ٣٧٨ .

(٩٣) سورة التوبة : آية ٩٢ .

(٩٤) ذكرهم ابن هشام وابن كثير بالاسم : السيرة : جـ ٤ ص ٨٤ ، البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٩ .

(٩٥) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ١٢ .

(٩٦) تقع في وادى القرى بين المدينة والشام في منطقة جبلية .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، أبو الفداء : المختصر في اخبار البشر : جـ ١ ص ١٤٩ .

(٩٧) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ٨٧ ، الطبري : تاريخ الطبري : جـ ٣ ص ١٠٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ١٥ .

(٩٨) تبوك منطقة تقع بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام ، ويقع جبل حسمى الى الغرب منها وجبل شرورى شرقها وبها حصن فيه عين ونخل وقيل انها كانت بركة لأبناء سعد من بني عذرة من قضاعة القحطانية ويقال ان اصحاب الايكة الذين بعث اليهم شعيب كانوا فيها ولم يكن شعيب منهم وانما كان من مدين ومدين على بحر القلزم على ست مراحل من تبوك .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ١٤ .

(٩٩) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٧١ .

قضاعة وغسان حيث الكثرة والعدد فى قبائل قحطان الضاربة بالشام فلعل النبى ﷺ لم يشأ أن يوغل بالجيش أكثر من ذلك حتى يكون ظهره مؤمنا الى بلاده فلا يحاط به وهو بين كل هذه القبائل الشامية،ومما يذكر أيضا فى ذلك أن النبى ﷺ لما وصل تبوك شاور أصحابه فى التقدم شمالا والمسير الى قلب الشام فقال له عمر بن الخطاب ان كنت أمرت بالسير فسر فقال النبى : « **لو أمرت به ما استشرتكم** » فقال له الصحابة : يا رسول الله أن للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقد دنوت من الروم حيث ترى وقد أفـزعهم دنوك فلو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله اليك فى ذلك أمرا (١٠٠) ، فاكتفى النبى ﷺ بايفاد بعض الرايات الى الجهات المجاورة لتبوك (١٠١) ٠

ويقال أن النبى ﷺ عندما وصل تبوك كتب اليه هرقل ردا على كتابه الذى كان قد أرسل به مع دحية بن خليفة الكلبى،فيذكر ابن كثير مرفوعا عن سعيد بن أبى راشد أن الأخير التقى بالتنوخى رسول هرقل الى النبى وهو فى تبوك حينما جاء له برسالة منه ردأ على كتاب بعث به النبى اليه وهو بحمص (١٠٢) مع دحية بن خليفـة يدعوه الى الاسـلام أو الجزية ويذكر التنوخى انه لما وصل تبوك يحمل رسالة قيصر أقبل على النبى ﷺ فناوله كتاب هرقل فوضعه فى حجره ثم سأله ممن أنت ؟ فقال : أنا أخو تنوخ (١٠٣) قال النبى : هل لك فى الاسلام الحنيفية ملة أبيكم ابراهيم ؟

---

(١٠٠) المقريزى : امتاع الأسماع : جـ ١ ص ٤٦٣ ٠

(١٠١) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٠٨ ، ١٠٩ ٠

(١٠٢) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٣٠٢ ــ ٣٠٥ ٠

(١٠٣) تنوخ من قضاعة القحطانية وهم قبائل اجتمعت وتالفت وسموا بذلك لأنهم اتفقوا على التتنخ او المقام بالشام فاقاموا بحاضر حلب وكان بينهم وبين ملوك الحيرة حروب ووقائع ومنهم فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة وقشم وهم بالجزيرة الفراتية حلفاء لبنى تغلب ومنهم مالك بن زمير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن اسد بن وبره وعليه تنخت تنوخ وعلى عم أبيه مالك بن فهم ٠ فتنوخ على ثلاثة أبطن : بطن اسمه فهم وبطن اسمه نزار ليس نزار لهم بوالد ولا أم ولكنهم من بطون قضاعة كلها من بنى العجلان ابن الثعلب ومن بنى تيم الله بن أسد بن وبره ومن غيرهم وبطن ثالث يقال له الأحلاف وهم من قبائل العرب كلها من كندة ولخم وجذام وعبد القيس وغيرها وجدير بالذكر أن جميع قبائل العرب من أب واحد الا ثلاثة قبائل هى تنوخ والعتق وغسان تتالف كل واحدة منهم من عدة قبائل ٠

الأصفهانى : الأغانى : جـ ١١ ص ١٥٥ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٢ ص ٧١ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : جـ ٤٥٣ ، الجوهرى : الصحاح : جـ ١ ص ٢٠٩ ، الزمخشرى : الفائق : جـ ١ ص ٧٢ ، الزبيدى : تاج العروس : جـ ٤ ص ٤٤١ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٤٨ ، ابن صاعد الأندلسى : طبقات الأمم : ص ٤٥ ، العمرى : مسالك الأبصار : ص ٧٦ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ١٠٦ ، القلقشندى : نهاية الأدب : ص ١٧٨ ٠

قال : انى رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع اليهم فضحك النبى قال : **انك لا تهدى من أحببت** » (١٠٤) . ثم قال : يا أخا تنوخ انى كتبت بكتاب الى كسرى فمزقه والله ممزق ملكه وكتبت الى النجاشى بصحيفة فحرقها والله محرقة ومحرق ملكه وكتبت الى صاحبك بصحيفة فأمسكها فلا يزال الناس يجدون منه بأسا مادام فى العيش خير (١٠٥) .

وجاء الى النبى ﷺ وهو بتبوك يحنة بن رؤبة صاحب أيلة (١٠٦) فصالح النبى وأعطاه الجزية (١٠٧) ، وكتب النبى ليحنة وأهـل أيلة كتابا بذلك : « بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة ، سفنهم وسياراتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وأنه طيب لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يردونه من بر أو بحر » (١٠٨) . كذلك جاء النبى ﷺ وهو بتبوك أهل جرباء (١٠٩) وأذرح (١١٠) من أرض الشراة فصالح أهل أذرح على مائة دينار وكذلك أهل جرباء على مثلها وكتب لهم كتابا : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا

---

(١٠٤) سورة القصص : آية ٥٦ .

(١٠٥) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٢١ .

(١٠٦) أيلة مدينة لليهود على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام وقيل هى آخر الحجاز وأول الشام وسميت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام ولما قدم يحنـة ابن رؤبة على النبى صلى الله عليه وسلم فى تبوك صالحه على الجزية وقرر على كل حالم بأرضه فى السنة دينارا فبلغ ذلك ثلثمائة دينار واشترط عليهم قرى من مر بهم من المسلمين فكان عمر بن عبد العزيز لا يزيد على أهل ايلة عن ثلثمائة دينار شيئا .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٢٩٢ .

(١٠٧) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ٨٩ ، ٩٠ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٧١ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٠٨ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ٢٠٢ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١١٥ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ١٤٩ .

(١٠٨) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ٩٠ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ٢ ص ٥٥ ، الزرقانى : المواهب اللدنية : جـ ٣ ص ٤٠٨ ، على بن برهان الدين : السيرة الحلبية : جـ ٢ ص ٢٦٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١١٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٥ ص ٢٢ ، أحمد زكى صفوت : جمهرة رسائل العرب : ص ٥١ .

(١٠٩) موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال الشراه من ناحية الحجاز .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ١١٨ .

(١١٠) بلد فى أطراف الشام من أعمال الشراه فى نواحى البلقاء .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ١٢٩ .

كتاب من محمد النبى رسول الله لأهل جرباء وأذرح ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم مائة دينار فى كل رجب ومائة أوقية طيبة وأن الله عليهم كفيل بالنصح والاحسان الى المسلمين ومن لجأ اليهم من المسلمين » (١١١) . وصالح النبى ﷺ فى تبوك أيضا أهل مقنا على مقربة من أيله وهـم يهـود (١١٢) . وصـالحهم على ثلثمائة دينـار وعلى ربع عروكهم (١١٣) وغزولهم وربع كراعهم (١١٤) وحلقتهم وعلى ربع ثمارهم وكتب اليهم هذا الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بنى حبيبة وأهل مقنا سلم أنتم فانه أنزل على أنكم راجعون الى قريتكم فاذا جاءكم كتابى هذا فانكم امنون ولكم ذمة الله وذمة رسوله وان رسول الله قد غفـر لكم ذنوبكم وكل دم اتبعتم به لا شريك لكم فى قريتكم الا رسول الله أو رسول رسول الله وأنه لا ظلم عليكم ولا عدوان وأن رسول الله يجيركم مما يجير به نفسه وان لرسول الله بزتكم ورقيقكم والكراع والحلقة الا ما عفا عنه رسول الله او رسول رسول الله وأن عليكم بعد ذلك ربع ما أخرجت نخيلكم وربع ما صادت عروككم وربـع ما اغتزلت نساؤكم وانكم قد ثريتـم بعـد ذلكم ورفعكم رسول الله عن كل جزية وسخرة فان سمعتم وأطعتم فعلى رسول الله أن يكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم ومن أئتمر فى بنى حبيبة وأهل مقنا من المسلمين خيرا فهو خير له ومن أطلعهم بشر فهو شر له وليس عليكم أمير الا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله . كتب على بن أبى طالب فى سنة ٩ هـ » (١١٥) .

وفى تبوك أسر خالد بن الوليد بتكليف من النبى ﷺ أكيدر بن عبد الملك (١١٦) صاحب دومة الجندل وأهلها من بنى السكون بن كندة وأرباضها من بنى كلب بن وبرة من العرب القحطانية (١١٧) ، وأحضر

---

(١١١) ابن سعد : الطبقات : جـ ٢ ص ٥٥ ، ٥٦ .

(١١٢) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ١٧٨ .

(١١٣) العروك : الخشب يصطاد عليه .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ١٧٨ ، كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٧٥ هامش ١ .

(١١٤) الكراع اسم يجمع الخيل .
الرازى : مختار الصحاح : ص ٥٦٧ ، كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٧٥ هامش ٢ .

(١١٥) ابن سعد : الطبقات : جـ ٢ ص ٤١ ، كرد على : خطط الشام : جـ ١ ص ٧٥ ، ٧٦ .

(١١٦) عن أكيدر انظر ما سبق شنه .

(١١٧) ابن حزم : المصدر السابق : ص ٤٢٩ ، ٤٤٥ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٦٥ .

أكيدر دومة الجندل الى النبى ﷺ فصالحه على الجزية ورده الى بلده (١١٨) بعد أن تنازل للمسلمين عن ألفى بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة رمح (١١٩) ٠

وكانت جملة اقامة النبى ﷺ على رأس الجيش فى تبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ثم انصرف قافلا الى المدينة (١٢٠) ولم يصطدم بالروم أو أحلافهم من عرب الشام لان المسلمين بقوا على مشارف بلادهم ولم يوغلوا فى بلاد الشام تأمينا لظهرهم كما أن الروم وحلفاءهم من عرب الشام لم يتقدموا لحربهم لضخامة جيش المسلمين بالنسبة لجيوشهم السابقة وخروج النبى ﷺ بنفسه مع الجيش وما لوحظ من حماستهم الزائدة وخشيه سحبهم الى داخل صحراء العرب بعيدا عن أوطانهم التى يحتمون بها ولكل هذه الأسباب لم تقع الحرب المنتظرة ضد أهل الشام فى غزوة تبوك وبقيت الأمور معلقة بينهما الى ما بعد وفاة النبى حتى خلافة أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب فأذن الله بحسمها وتم الفتح العظيم فى عهدهما ، وأيا كان الأمر فقد كان لغزوة تبوك أثرها فى ارهاب الروم وعرب الشام وتخويفهم من الاجتراء على دار الاسلام فى شبه الجزيرة ومحو ما قد علق بأذهانهم عن المسلمين بعد غزوة مؤتة وتحييد بعض النقاط الشمالية الحصينة مثل أيلة وجرباء وأذرح ومقنا ودومة الجندل بما عقد معها من صلح ، وأخيرا فانها حفظت التوازن بين الطرفين حتى أدى النبى ﷺ رسالته على خير وجه الى أن جاء دور الخلفاء العظام من بعده ٠

سادسا : بعث أسامة بن زيد الى آبل الزيت سنة ١١ هـ :

مضت السنة العاشرة من الهجرة فى انشغال النبى ﷺ ببعض الأحوال الداخلية وتعليم الناس أمور دينهم واستقبل وفود القبائل وقضاء حجه الأخير (١٢١) ولذلك فانه لم تخرج فى هذا العام أية سرايا أو بعوث الى الشام ، الا أن ذلك لا يعنى أن النبى ﷺ أهمل أمر الشام بعد تبوك ففى السنة الحادية عشرة من الهجرة وهى العام الأخير فى حياته ضرب النبى بعثا الى الشام من أهل المدينة ومن حولها فيه عمر بن الخطاب وأبو

---

(١١٨) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ٩٠ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٢٣ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ١٤٩ ٠

(١١٩) ابن سعد : الطبقات : جـ ٣ ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ٢٠٢ ، المقريزى : امتاع الأسماع : جـ ١ ص ٤٦٥ ٠

(١٢٠) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ٩٠ ، الطبرى : جـ ٣ ص ١٠٩ ، المقريزى : امتاع الأسماع : جـ ٢ ص ٤٧٣ ٠

(١٢١) ابن هشام : السير : جـ ٤ ص ١١٢ ، ١٤١ ٠

عبيــدة بن الجراح وســعد بن أبى وقاص وســعيد بن زيد وقتادة بن النعمان (١٢٢) وجعل عليه أسامة بن زيد بن حارثة الكلبى وله ثمانى عشرة سنة وأمره بالمسير الى تخوم البلقاء وأذرعات (١٢٣) ومؤتة حيث قتل أبيه وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحه قبل ذلك بعامين (١٢٤) كما أمره ان يوطىء الخيل الداروم (١٢٥) وان يبلغ يبنى (١٢٦) واشدود من أرض فلســطين ويغــير على منطقــة أبل الزيت بالأردن من مشارف الشام (١٢٧) ، ومما قاله النبى ﷺ لأسامة بن زيد حين ندبه لهذه المهمة : « سر الى موضع قتل أبيك فأوطنهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صــباحا على أهــل يبنى وحرق عليهم وأسرع السير تسبق الأخبار فان أظفرك الله فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيــون والطلائع أمامك » (١٢٨) ويفهم من قول النبى ﷺ لأسامة أنه أمره بهجوم مباغت على أهل الأردن بعد استطلاع جيد وتحديد للهدف لسهولة تحقيق غرضه بأسرع ما يمكن حتى لا تفطن بطون قضاعة وهم سكان هذه المنطقة ــ الى وجوده فيتكاثروا عليه وهو بأرض كلها أعداء للاسلام حتى ذلك وقت ، وكان هذا الأسلوب هو أصلح ما يمكن لقتال أهل الشام فى العهد النبوى لكثرتهم وتعدد قبائلهم ٠

بينما المسلمون يتأهبــون للخروج فى بعث أســامة بن زيد ابتدأ النبى ﷺ وجعه الذى قبضه الله عز وجل فيه فاستبطأ الناس الخروج ينظرون ما يكون من أمر نبيهم ، وكان البعض قد قال فى امرة أسامة ابن زيد على البعث : « أمر غلاما حدثا على جلة المهاجرين والأنصار » (١٢٩) فلما بلغ النبى ذلك خرج على الناس عاصبا رأسه من المرض حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له ثم قال : أيها الناس أنفذوا

---

(١٢٢) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٤٢ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٢٢٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٨٤٥ ٠ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١١٦ ، المقريزى : امتاع الأسماع : جـ ٢ ص ٥٣٧ ٠

(١٢٣) أذرعات بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان يصنع فيه الخمر ٠ ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ١٣٠ ٠

(١٢٤) ابن سعد : الطبقات : جـ ، ص ١٧٤ ، اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى : جـ ٢ ص ٤٩ ٠

(١٢٥) من أعمال فلسطين بجنوب الشام ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٤٣١ ٠

(١٢٦) يبنى بليد قرب الرملة بفلسطين ٠ ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٤٢٨ ٠

(١٢٧) ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٥٠ ٠

(١٢٨) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى : جـ ٢ ص ٩٣ ؛

(١٢٩) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٧٠ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٨٤ ، اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى : جـ ٢ ص ٩٣ ٠

بعث أسامة فلعمرى لئن قلتم فى امارته لقد قلتم فى امارة أبيه من قبله وانه لخليق بالامارة كما كان أبوه خليقا بها » (١٣٠) فلما نزل النبى ﷺ أسرع الناس الى جهازهم وخرج أسامة بالجيش الى منطقة الجرف (١٣١) على بعد فرسخ من المدينة فضرب بها عسكره وتتابعت الناس اليه ، وبينما هم كذلك اذ وصلت الأنباء بثقل المرض على النبى ﷺ فأقاموا ينظرون ما الله قاض فى رسوله (١٣٢) ، وقد روى ابن اسحاق مرفوعا عن أسامة ابن زيد أنه هبط من الجرف الى المدينة ودخل على النبى وقد أصمت لا يتكلم فلما رأى النبى أسامة جعل يرفع يده الى السماء ثم يضعها ، يقول أسامة فعرفت أنه يدعو لى (١٣٣) ، وهكذا ظل النبى ﷺ موليا الشام اهتمامه حتى آخر رمق فى حياته لأهميتها بالنسبة لدار الاسلام وللدولة الاسلامية الناشئة وهى أول منافذه الى العالم الخارجى ٠

لما قبض النبى ﷺ فى ١٢ من ربيع أول سنة ١١هـ ــ ٦٣٢م (١٣٤) عظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة وامتنع قوم من أداء الزكاة الى الصديق ولم يبق للجمعة مقام فى بلد سوى مكة والمدينة (١٣٥) وارتدت العرب اما عامة واما خاصة فى كل قبيلة ولم يثبت الا ثقيفا (١٣٦)

---

(١٣٠) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٧٠ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٨٤ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ٣ ص ٤٢ ، المقريزى : امتاع الأسماع : جـ ٢ ص ٣٧ ٠

(١٣١) الجرف موضع على بعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ٠
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٨٧ ٠

(١٣٢) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٢٢٦ ٠

(١٣٣) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٧١ ٠

(١٣٤) ابن سعد : الطبقات : جـ ٤ ص ٤ ، المقريزى : امتاع الأسماع : جـ ٤ ص ٥٣٧ ٠

(١٣٥) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٦ ، ص ٨٤٦ ٠

(١٣٦) ثقيف هم : بنو قسى منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس عيلان من العرب العدنانية ، وغلب عليهم لقب أبيهم قسى وهو ثقيف بمعنى : الحاذق فعرفوا به ، ومن بطون ثقيف : جشم وعوف ودارس وهم بنو قسى بن منبه ، وكانت مواطنهم بالطائف وهى مدينة فى أرض نجد على مرحلتين من مكة فى شرقها وشمالها كانت قديما للعمالقة ثم نزلها ثمود ، ومن ثم زعم البعض أن ثقيفا من بقايا ثمود وكان الحجاج بن يوسف الثقفى اذا سمع لذلك يقول : كذبوا فان الله تعالى يقول : « وثمود فما أبقى » (سورة النجم اية ٥١) ٠

الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٢ ص ٤ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٦ ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٦٦٥ ، ابن صاعد : طبقات الأمم : ص ٤٣ ، الميدانى : مجمع الأمثال : جـ ٢ ص ٢٦٧ ، البكرى : معجم ما أستعجم : جـ ١ ص ٧٧ ــ ٧٩ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٣٠٩ ، القلقشندى نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب : ص ١٨٦ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ١ ص ١٤٨ ، ١٤٩ ٠

بالطـائف لم يفروا ولم يرتدوا (١٣٧) ، واشرأبت اليهـود والنصارى والمسلمون تائهون لفقد نبيهم وقلتهم وكثرة عدوهم (١٣٨) ومع كل ذلك فقد نادى أبو بكر الصديق من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ « ليتم بعث أسامة ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة الى خرج الى عسكره بالجرف » (١٣٩) ، وكان كثير من الناس فيهم عمر بن الخطاب وأسامة ابن زيد نفسه قد أشاروا على الصديق أن يستبقى الجيش بالمدينة لاحتياجه اليه فيما هو أهم خشية هجوم المرتدين على المدينة ولأن ما جهز بسببه كان في حال الســلامة ولكن الخليفة أبا بكر امتنع من ذلك وأبى أشد الابـاء الا أن ينفـذ جيش أسامة لوجهته التى وجهها اليـه رسول الله بالشام (١٤٠) وقال : « والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ ولو أن الطير تخطفتنا والسباع من حول المدينة ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذن بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ (١٤١) وكان تصميم الخليفة على ذلك ليقينه من أن النبى ﷺ ما كان ليأمر بشىء الا وهو يعلم أنه الصواب ، هذا فضلا عن استعراض القوة أمام القبـائل حتى لا يتحدثوا بأن أمر المدينة الى زوال بعـد وفاة النبى ﷺ .

لما وسط الأنصار فى جيش أسامة عمر بن الخطاب الى أبى بكر ليولى عليهم رجلا أقدم سنا من أسامة وأبلغه ذلك وثب الخليفة اليه وكان جالسا وأخذ بلحيته وقال له : ثكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله وتأمرنى أن أنزعه !! (١٤٢) وبذلك قطع الخليفة قول كل متقول فى أمرة جيش أسامة وصمم تصميما لم يداخله شك على مضاء الجيش الى وجهته التى حددت له رغم كل الظروف التى استجدت على الساحة وقتها ولم يجد المسلمون مفرا من تنفيذ أمر الخليفة ، وسرعان ما تبين بعد نظره فى ذلك فسار الجيش لا يمر بحى من أحياء العرب المتربصين الا أرعبوا منهم وقالوا : ما خرج هؤلاء من قوم الا وبهم قوة ومنعة (١٤٣) ، وخرج أبو بكر بنفسه حتى أتى العسكر بالجرف فأشخصهم وشيعهم وهو ماش

---

(١٣٧) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٨٤٦ .

(١٣٨) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ٢٢٥ .

(١٣٩) الطبرى : المصدر السابق : جـ ٣ ص ٢٢٥ .

(١٤٠) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١١٣ .

(١٤١) الطبرى : تاريخ الطـبرى : جـ ٣ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٨٤٦ .

(١٤٢) الطبرى : المصدر السابق : جـ ٣ ص ٢٢٦ .

(١٤٣) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٨٤٦ .

وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله ، والله لتركبن او لانزلن ٠ فقال : والله لا تنزل ، ووالله لا أركب ٠ وما على أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة فان للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وترفع عنه سبعمائة خطيئة (١٤٤) حتى اذا انتهى استطلق من أسامة عمر بن الخطاب وكان مكتتبا في جيشه ليعنيه فأذن له فكان عمر لا يلقاه بعد ذلك الا قال : السلام عليك أيها الأمير (١٤٥) ، ثم قال : أبو بكر للناس : قفوا أوصيكم بعشر احفظوها عني : لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لماكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فاذا أكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواما قد فحصوا رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف (١٤٦) خفقا ثم أقبل أبو بكر على أسامة بن زيد وقال له : اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ ابدأ ببلاد قضاعة ثم ايت آبل ولا تقصرن في شيء من أمر رسول الله ﷺ ولا تعجلن لما خلفت على عهده (١٤٧) ٠

مضى أسامة مغذا على ذي المروة (١٤٨) والوادي وانتهى الى ما أمره به النبي ﷺ من بث الخيل في قبائل قضاعة والغارة على آبل فسلم وغنم وسار الى يبنى قرب الرملة (١٤٩) فشن عليها الغارة وقتل قاتل أبيه وحرق منازلهم وحرثهم ونخلهم (١٥٠) ، وكان النبي ﷺ قد توفي وعماله على قضاعة وكلب امرؤ القيس بن الأصبغ من بني عبد الله ، وعلى القين

---

(١٤٤) الطبري : تاريخ الطبري : جـ ٣ ص ٢٢٦ ٠

(١٤٥) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٦ ص ٨٤٧ ٠

(١٤٦) الطبري : تاريخ الطبري : جـ ٣ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ٠

(١٤٧) الطبري : تاريخ الطبري : جـ ٣ ص ٢٢٧ ، المقريزي : امتاع الأسماع : جـ ١ ص ٥٣٩ ، ٥٤٠ ٠

(١٤٨) المروة جبل بمكة يعطف على الصفا ، وذو المروة احدى بلاد وادي القرى ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ١١٦ ، ١١٧ ٠

(١٤٩) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٤٢٨ ٠

(١٥٠) النبهاني : الانوار المحمدية : ص ١٣٤ ٠

عمرو بن الحكم وعلى سعد هذيم (١٥١) معاوية بن فلان الوائلى ، فارتد وديعة الكلبى فيمن آزره من كلب وبقى امرؤ القيس على دينه ، وارتد زميل بن قطبة القينى فيمن آزره من بنى القين وبنى عمرو ، وارتد معاوية فيمن آزره من سعد هذيم ، فلما توسط أسامة بلاد قضاعة بث الخيول قبلهم وأمرهم أن ينهضوا من أقام على الاسلام الى من رجع عنه فخرجوا هرابا حتى آزروا الى دومة الجندل (١٥٢) واجتمعوا الى وديعة ورجعت خيول أسامة اليه فمضى بها فأصاب من بنى الضبيب (١٥٣) من جذام وبعض بنى لخم ولم يصب أحد من المسلمين ورجع أسامة غانما وكان فراغه من مهمته فى أربعين يوما سوى مقامه ومنقلبه راجعا (١٥٤) ، وبلغ هرقل وهو بحمص ما صنع أسامة فبعث رابطة (١٥٥) يكونون بالبلقاء (١٥٦) فلم تزل هناك حتى قدمت جيوش الفتح الى الشام فى خلافة أبى بكر وعمر (١٥٧) وبذلك اختتمت غزوات النبى ﷺ وسراياه الى الشام والتى كانت بحق مقدمات الفتح العظيم لبلاد الشام فى عهد أبى بكر بن أبى قحافة أول خليفة للمسلمين بعد النبى ﷺ ٠

---

(١٥١) بنو سعد هذيم قبيلة كبيرة من قضاعة القحطانية ، وهم بنو سعد هذيم بن زيد ابن ليث بن سود بن أسلم بن الحافى بن قضاعة ، وبطون سعد هذيم كثيرة ومتعددة منها عروة بن سعد هذيم وضنة وصعب ابنا سعد هذيم للحارث بطن فى عذرة وسلامان ومعاوية ووائل بطون فى عذرة وآخر من بقى من بنى صعب بن سعد هذيم رجل مات فورثه رجل من بنى ضبة وهذيم عبد حبشى حضنه فعرف به ٠

انظر بطون سعد هذيم بالتفصيل : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٤٧ ـ ٤٤٩ ، القلقشندى نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب : ص ٣٨٧ ٠

وقد وفد من بنى سعد هذيم وفد على النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فنزلوا ناحية منها ثم خرجوا قاصدين المسجد فانتظروا خارجه ولم يدخلوا مع الناس فى صلاتهم حتى لقوا النبى صلى الله عليه وسلم وبايعوه ثم انصرفوا الى رحلهم ٠

الزرقانى : شرح المواهب اللدنية : ج ٤ ص ٥٨ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣١٩ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٤ ص ٣٠٢ ، النويرى : نهاية الأرب : ج ٢ ص ٣٣٤ ، كحالة : معجم قبائل العرب : ج ٢ ص ٥٢٠ ٠

(١٥٢) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٨٧ ٠

(١٥٣) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٧٧ ٠

(١٥٤) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١١٩ ، المقريزى : امتاع الأسماع : ج ١ ص ٥٤٠ ٠

(١٥٥) الرباط ملازمة ثغر العدو ، والمرابطة المجاهدون فى سبيل الله فى الثغور ومن أشهر ثغور المسلمين ثغورهم فى الشام مع الروم وفى الشرق مع الترك وفى الأندلس مع الفرنجة ٠

الرازى : مختار الصحاح : مادة ربط : ص ٢٢٩ ٠

(١٥٦) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٨٩ ٠

(١٥٧) كرد على : خطط الشام : ج ١ ص ٧٦ ٠

الفصل الثالث

وفود القبائل الشامية إلى المدينة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

أولا : جـــذام .

بنو جذام من ولد عريب بن زيد بن كهلان ، وهم بنـــو جذام بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد ، ومن بطون جذام بنو غطفان وأفصى وبنو الضبيب وبنو بعجة وبنو نفاثة وجميع هؤلاء من حشـــم وحـرام ابنى جذام (١) وجذام أخو لخم وعم كندة (٢) وموطنهم فى شبه الجزيرة هو منطقة جبال حسمى (٣) ، وكانت قبيلة جذام من ســـبأ القحطانية أقرب القبائل الشامية الى الاسلام فى حياة النبى ﷺ وقد روى عنه أنه قال : « الايمان يمان ، هكذا وهكذا . بنو جذام يقاتلون الكفار على رءوس الشعب ينصرون الله ورسوله » (٤) ، وقد رحلت جذام الى بلاد الشام قبل الاسلام وانتشرت فى ربوعه وخاصة فى فلسطين فكانت منازلهم

---

(١) السمعانى : الأنساب : جـ ٢ ص ٤٩٤ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٧٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٢٥ ، العوتبى الصحارى : الأنساب : جـ ٢ ص ١٣ ــ ٢٠ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٢) القلقشندى : نهاية الأرب : ص ١٩١ .

(٣) حسمى : أرض ببادية الشام بينها وبين وادى القرى ليلتان ، وأهل تبوك يرون جبل حسمى فى غربهم وهى أرض غليظة الماء والهواء تنزلها جذام .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٤) السمعانى : الانساب : جـ ٢ ، ص ٢٢٤ .

حول تبوك (٥) وأيلة وأذرح (٦) وما بين عمان ومعان وفي مدين وغزة ، ومن جذام فخذ نزل مما يلي طبرية الى اللجون (٧) واليامون بالقرب من حيفـا (٨) ومنهم قـوم استقروا في بيت حبرين وبيت زمارا (٩) أما الأساورة وهم بطن من الحميديين من جذام فقد سكنوا الموضع الذى يحمل اسمهم والمعروف بتل الأساور بالقرب من حيفا ونزل بنو زيد الجذاميون في الوادى الذى يحمل اسمهم بالقرب من رام الله وهم من بنى حرام ونزل بنو مهدى في بعض نواحي البلقاء (١٠) وبنو صخر كانت مساكنهم بالكرك (١١) ومن بطونهم بنو فيض الذين كانوا يقطنـون بيت المقدس (١٢) ، ومن حشم بن جذام بطن يقـال له « بنو جرى » كانوا ينزلون ساحل سيناء الشمالى بالرمل قريب من الفرما (١٣) وكان يغلب على تلك النواحي بنو الثعل من بنى جـرى ومن بنى الثعل قوم بعبسان بالقرب من خان يونس في ديار غزة (١٤) • وهكذا كان انتشار جـذام موزعا على منطقـة جنوب الشام وامتدادها على ساحل البحر الى حـدود مصر •

كانت جذام وبنو كلب في العهد النبوى رأس القبائل القحطانية بالشام ، ومعظم بطون جذام من ولديه حشم وحرام ومن الأخير بنو أفصى وبنو غطفان وفيهما العدد والشرف من جذام (١٥) ، ومن بطون جذام التى نزلت فلسطين قبل الاسلام بنو نفاثة من حـرام وكانوا يقيمون حول العقبة الى ينبع البحر (١٦) وكانت لهم رياسة في معان (١٧) ومنهم

---

(٥) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ١٤ ، ١٥ •

(٦) بلد فى أطراف الشام من أعمال الشراة فى نواحى البلقاء •
ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ١٢٩ •

(٧) اللجون بلد فى الأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلا فيه صخرة مدورة عليها قبة زعموا أنها مسجد ابراهيم عليه السلام وتحت الصخرة عين غزيرة الماء ، وقيل أيضا ان اللجون موضع فى طريق مكة من الشام قرب تيماء •
البغدادى : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : جـ ٣ ص ١٢٠٠ •

(٨) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٩ •

(٩) البكرى : معجم ما استعجم : جـ ١ ص ٢٨٩ •

(١٠) القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٤٢٧ •

(١١) القلقشندى : المصدر السابق : ص ٤٢٧ •

(١٢) نفسه : ص ٣٩٥ •

(١٣) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ •

(١٤) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٩ ، ١٣٠ •

(١٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٣ ص ٤٠٢ •

(١٦) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ •

(١٧) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ١٥٣ ، ١٥٤ •

فروة بن عمرو الذى كان عاملا للروم على معان وما حولها وعلى عمان من أرض البلقاء (١٨) ، وكان أكثر معاش جذام يأتيهم من التجارة المارة بين جزيرة العرب والشام ومصر حيث يقومون بارشاد القوافل فى الطرق ويتقاضون على ذلك أجرا (١٩) ، وبنو جذام الذين حاربوا المسلمين فى مؤتة واليرموك (٢٠) هم الذين عاونوهم بصدق واخلاص فى بقية معارك الفتح بعد اسلامهم بالقدر نفسه من القوة والحماس ، وكان لقبائل جذام دور فى أحداث الشام فقد غزاهم زيد بن حارثة وحاربوا جيش عبد الله ابن رواحة سنة ٨ هـ ، وفى سنة ١٤ هـ مشوا فى ركاب هرقل ضمن قبائل الشام التى سارت فى ركابه الى انطاكية ، وكان لهم صنم يسمى الأقيصر على مشارف الشام يحجون اليه ويحلقون رءوسهم عنده (٢١) .

ويعتبر أهم من سكن فلسطين من جذام آل زنباع من حرام وهم ينتسبون الى زنبـاع بن روح (٢٢) تلك الأسرة التى كانت لها مكانة بارزة فى بلاد الشام فى عهد بنى أمية ، وكان زنباع الجذامى قبل الاسلام يعشر من يمر به من القوافل والتجار للحارث بن أبى شمر الغسانى (٢٣) وكان عمر بن الخطاب قد خرج تاجرا فى الجاهلية مع بعض نفر من قريش فلما وصلوا فلسطين وعلموا بأمر زنباع عمدوا الى ما كان معهم من ذهب فألقموه ناقة لهم حتى اذا مضوا نحروها واستخرجوا ذهبهم فلما مروا على زنباع أمر بتفتيش القوم فلم يجدوا معهم الا شيئا يسيرا فاســتعرض ابلهم حتى مرت الناقة المعهودة فتفحصها ثم أمر بنحرها ولما اعترض القوم أخبرهم أن ببطنها ذهب ولا ناقة غيرها فلما شقوا بطنها سال الذهب فضاعف عليهم العشر (٢٤) .

وكانت قبائل جذام أكثر القبائل العربية اسلاما فى العهد النبوى فاعتنق الكثير منهم الاسلام ووفد بعض أشرافهم على النبى ﷺ بالمدينة ومنهم زنباع بن روح المذكور ، وفد على النبى من الشام معلنا اسلامه سنة ٧ هـ فرحب به النبى وبمن معه قائلا : « مرحبا بقوم شعيب وأصهار

---

(١٨) ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٢٨١ .

(١٩) ابن قتيبة : المعارف : ص ١٠٢ .

(٢٠) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٤ ص ١٣٦ .

(٢١) ابن قتيبة : المعارف : ص ١٠٢ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٤ ص ١٣٦ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٧٧ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٩ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٥٦ ، ابن صاعد : طبقات الأمم : ص ٤٣ ، العمرى : مسالك الأبصار : ص ٨٤ .

(٢٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٢٠ ، ٤٢١ .

(٢٣) ابن الأثير : أسد الغابة : جـ ١ ص ٥٥١ .

(٢٤) ابن الأثير : المصدر السابق : جـ ١ ص ٥٥١ .

موسى » (٢٥) وكان لروح بن زنباع صحبة ورواية (٢٦) ، ويقال انه جب غلاما له وجدع آنفه بسبب آنه رآه مع جارية له (٢٧) فشكاه الغلام الى النبى ﷺ فأعتقه وأوصى به المســلمين وقال له أنت مولى الله ورسوله (٢٨) وأرسل الى زنباع « لا تحملوهم ما لا يطيقون وأطعموهم مما تأكلون وأكسوهم مما تلبسون » (٢٩) ولما قبض النبى ﷺ أجرى عليه أبو بكر النفقة ومن بعــده عمر بن الخطاب (٣٠) ، وفى سنه ٦ هـ ، فى هدنة الحديبية وقبل خروج النبى الى خيبر قدم عليه من الشــام رفاعة بن زيد الجذامى (٣١) من بنى الضبيب « بطن من جـذام » (٣٢) فأسلم وحسن اسلامه وأهدى النبى غلاما فكتب له ﷺ كتــابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم · هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة ابن زيد ، الجذامى انى بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم ، يدعوهم الى الله والى رسوله ، فمن أقبل فمن حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين » (٣٣) · فلما قدم رفاعة على عشـــيرته أجابوا وأسلموا واعتزلوا قومهم وساروا الى حرة الرجلاء (٣٤) فنزلوها (٣٥) ·

فى هذه الأثناء كان دحية بن خليفة الكلبى رسول النبى ﷺ الى قيصر الروم عائدا من عنده وقد أعطاه وكســاه ، ويقال كانت معه تجارة له (٣٦) حتى اذا كان بواد من أرض جذام يقال له شهنار (٣٧) أغار عليه الهنيد بن عوص وابنه عوص بن الهنيد الضليعيان ـ والضليع

(٢٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٣ ص ٣٥٣ ، القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ٢٠٦ ·

(٢٦) انظر ابن الأثير : أسد الغابة : جـ ١ ص ١٤٥ ، ص ٥١٨ ، جـ ٢ ص ٩٩ ·

(٢٧) الجاحظ : كتاب الحيوان : جـ ١ ص ١٥٨ ، الشوكانى : نيل الأوطار : جـ ٧ ص ٥٦ ·

(٢٨) الشوكانى : نيل الأوطار : جـ ٧ ـ ١٥٦ ·

(٢٩) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ٥ ص ٣٨٤ ·

(٣٠) الشوكانى : نيل الأوطار : جـ ٦ ص ١٩٩ · باب العتق ·

(٣١) البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٤٨٤ ·

(٣٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٧٧ ·

(٣٣) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٣٦ ، الطبرى : جـ ٣ ص ١٤٠ ·

(٣٤) حرة الرجلاء أرض خشنة غليظة فى ديار بنى القين بين المدينة والشام ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٤٦ ·

(٣٥) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٣٦ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٤٠ ·

(٣٦) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٣٦ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٤٠ ·

(٣٧) شنار : واد بالشام أغير فيه على دحية بن خليفة الكلبى لما رجع من عند قيصر بواسطة قوم من جذام ·

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٣٦٦ ·

بطن من جذام ـ فأصابا كل ما كان معه فبلغ ذلك نفر من بني الضبيب قوم رفاعة ممن أسلموا فنفروا الى الهنيد وابنه وفيهم من الضبيب النعمان بن أبي جعال حتى لقوهم (٣٨) فاقتتلوا وانتمى يومئذ قرة بن أشقر الضليعي فقال : أنا ابن لبنى مفاخرا بأمه ورمى النعمان ابن أبي جعال بسهم فأصاب ركبته واستمر القتال بينهم حتى ظهر بنو الضبيب في النهاية على الضليعيين واستردوا ما سلبه الهنيد وابنه عوص فردوه على دحية فعاد الى النبي وأخبره خبره واستباحه دم الهنيد وابنه (٣٩) ، فأغزاهم ﷺ أسامة بن زيد فأقبل بالجيش ناحية الأولاج(٤٠) وأغار على الفضافض من قبل الحرة (٤١) وجمع ما وجد من مال وناس وقتل الهنيد وابنه ورجلين من بني الأحنف ورجلا من بني خصيب ، فلما سمعت بذلك بنو الضبيب والجيش بفيفاء مدان (٤٢) ركبوا اليهم فلما برزوا على الجيش أقبل القوم يبتدرونهم فقال رجل منهم يدعى حسان بن ملة انا قوم مسلمون فقال له زيد بن حارثة فاقرأ أم الكتاب فقرأها حسان فقال زيد : نادوا في الجيش أن الله قد حرم علينا ناحية القوم الا من نقض (٤٣) » وكانت أخت لحسان بن ملة في الأسارى وهي امرأة أبي وبر بن عدى بن أمية بن الضبيب فأطلقها زيد لأخيها فقالت أم الفزر الضليعية وكانت في السبايا : تنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم !! فسمعها بعض من بالجيش فأخبر بهما زيد بن حارثة فأمر باسترجاع أخت حسان بن ملة وقال لها : اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه ٠

(٣٨) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٤٦ ٠

(٣٩) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٤٦ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٤١ ٠

(٤٠) الأولاج منطقة بنواحي حسمي من أرض جذام ٠
ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٢٨٢ ٠

(٤١) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٤١ وعند ابن هشام : فأغار بالماقص من قبل الحرة ، وكذلك عند ياقوت نقلا عن ابن اسحاق أنظر : السيرة : جـ ٤ ص ١٤٧ ، معجم البلدان : جـ ١ ص ٢٨٢ ٠

(٤٢) الفيف : المفازة المستوية الواسعة التي لا ماء فيها ومؤنثها فيفاء وجمعها الفيافي ، وقيل الفيفاء : الصحراء الملساء ٠ وفيفاء مدان في بلاد قضاعة بناحية حرة الرجلاء ٠
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٢٨٥ ، جـ ٥ ص ٧٤ ٠

(٤٣) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٤٧ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٤٢ ٠

عاد الجيش من طريق غير الذى جاء منه وانتظر القوم حتى أمسى الليل فركبوا الى رفاعة بن زيد وفيهم من أشراف جذام أبو زيد بن عمرو وأبو شماس بن عمرو وسويد بن زيد وبعجه بن زيد وبرذع بن زيد وثعلبة بن عمرو ومخربة بن عدى وأنيف بن ملة وحسان بن ملة حتى صبحوا رفاعة بن زيد (٤٤) على بئر بمكان يسمى حرة ليلى (٤٥) فقال له حسان بن ملة : انك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام يجررن أسارى قد غرهن كتابك الذى جئت به فدعا رفاعة بن زيد بجمل له وانطلق بصحبة القوم مبكرين من ظهر الحرة حتى وصلوا المدينة ودخلوا المسجد فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم أشار اليهم بيده أن تعالوا من وراء الناس فلما استفتح رفاعة بن زيد الكلام قاطعه رجل من الحضور قائلا : « ان هؤلاء يا نبي الله قوم سحرة » • فقال رفاعة : رحم الله من لم يجزنا فى يومنا هذا الا خيرا (٤٦) ، ثم دفع رفاعة بن زيد الجذامى كتابه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان قد كتبه اليه فقال النبى : اقرأ يا غلام وأعلن ، فلما قرأ كتابهم واستخبرهم أخبروه الخبر فقال النبى : كيف أصنع بالقتلى ؟ قال رفاعة : أنت يا رسول الله أعلم لا نحرم عليك حلالا ولا نحل حراما ، فقال أبو زيد بن عمر : اطلق لنا يارسول الله من كان حيا ومن قتل فقد قتل ، وكان هذا مبتغاهم الذى جاءوا من أجله فأعطاهم النبى ما طلبوا ورد عليهم أسراهم وسباياهم وسائر أسلابهم وعاد وفد جذام الى الشام وقد حققوا مطلبهم (٤٧) •

يعتبر فروة بن عمرو بن النافرة النفاثى الجذامى من أعلام جذام وكان سيدا مطاعا فى قومه بعمان (٤٨) من أرض الشام استخدمه الروم عاملا على قومه من جذام ومن يليهم من سائر العرب بالشام (٤٩) واستمر

---

(٤٤) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٤٧ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٤٢ •

(٤٥) حرة ليلى لبنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان يطؤها الحجاج فى طريقهم الى المدينة وهى تقع وراء وادى القرى من جهة المدينة فيها نخل وعيون وهى معروفة فى بلاد بنى كلاب •

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ •

(٤٦) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٤٨ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٤٣ •

(٤٧) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٤٨ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٤٣ •

(٤٨) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ١٥٣ ، جـ ٤ ص ١٣١ •

(٤٩) ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٣٥٥ •

يؤدى عمله الذى كلف به للروم حتى بلغته دعوة النبى ﷺ بالاسلام فأسلم وحسن اسلامه وكاتب النبي وأوفد اليه رسولا بعد تبوك مع بعض الهدايا القيمة (٥٠) التى تعبر عن ما يكنه له ، ولما علم الروم بأمر فروة لم يمهلوه طويلا خشية انتشار دينه بين قومه وعشيرته وربما لسائر القبائل الشامية فاحتالوا في أخذه حتى أوقعوا به (٥١) وحبس ثم قتل وصلب (٥٢) على مياه عفرى قرب الطفيلة من أعمال الكرك (٥٣) ارهابا وتخويفا لباقى القبائل ٠

ومن أشهر بنى جذام الذين أسلموا وأقاموا بالشام فى ذلك الوقت أنيف بن ملة الجذامى من بنى الضبيب (٥٤) ، سكن الرملة (٥٥) ومات ببيت حبرين (٥٦) وقيل انه كان ممن أسر من جذام لما غزاهم زيد بن حارثة فلما أسلموا أطلقهم النبى ﷺ ، وقد نزل معه أخواه بردع ورفاعة بيت حبرين بعد اسلامهما (٥٧) ٠

---

(٥٠) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٣٣ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ٢٠٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ١١٠ ٠

(٥١) ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٥٣٥ ٠

(٥٢) قال فروة فى محبسه يرثى نفسه قبل أن يقتل :

طرقت سليمى موهنا أصحابى ... والروم بين الباب والقروان

صد الخيال وساءه ما قد رأى ... وهممت أن أغفى وقد أبكانى

لا تكحلن العين بعدى اثمدا ... سلمى ولا تدنن للاتيان

ولقد علمت أبا كبيشة أننى ... وسط الأعزة لا يحص لسانى

فلئن هلكت لتفقدن أخاكم ... ولئن بقيت لتعرفن مكانى

ولقد جمعت أجل ما جمع الفتى ... من جودة وشجاعة وبيان

ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ١١١ ٠

وقال حين قدم ليقتل :

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها ... على ماء عفرى بين احدى الرواحل

على ناقة لم يضرب الفحل أمها ... مشذبة أطرافها بالمناجل

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ١٣١ ، ١٣٢ ٠

(٥٣) ياقوت : المصدر السابق : جـ ٤ ص ١٣٢ ٠

(٥٤) ابن الأثير : أسد الغابة : جـ ٢ ص ٩٩ ٠

(٥٥) مدينة عظيمة بفلسطين كانت رباطا للمسلمين ٠
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٦٩ ، ٧٠ ٠

(٥٦) بليد بين بيت المقدس وغزة ٠
ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ، ص ٥١٩ ٠

(٥٧) ابن الأثير : أسد الغابة : جـ ١ ص ١٤٥ ٠

ثانيـــا : لخم ·

تأتى قبيلة لخم (٥٨) فى المرتبة الثانية بين القبائل الشامية اعتناقا للاسلام بعد جذام فى حياة النبى ﷺ ، والمقصود بالاســلام فى القبائل الشامية فى ذلك الوقت نفر أو طائفة أو بعض أفراد من القبيله أو بطن منها ، لأن معظم قبائل الشام العربية ظلت على نصرانيتها أو وثنيتها فى العهد النبوى ولم تلق الدعوة الى الاسلام آذانا صاغية بين هذه القبائل فى ذلك الوقت وحاربت كلها دون استثناء الى جانب الروم فى اليرموك وأجنادين وغيرها من معارك الفتح الاولى (٥٩) وبذلت تأخــر اســلامها الى ما بعد انتهاء الفتح والدخول فيما دانت به العرب حين أصبح الشام كله تحت سيادة المدينة ، ويرجع ذلك غالبا الى أن معظم هذه القبائل كان يدين بالنصرانية والولاء للروم منذ وقت طويل وكانــوا يسكنون الحضر وقريبا منه ولم يكن يتطرق اليهم فى يوم ما أن يظهر عرب الجزيرة بدينهم الجديد على الروم ويتغلبوا على الشام ويخرجوا منه السادة الذين طالما اصطنعوهم ليكونوا حجازا بين البدو والحضر ولذلك تأخر اســلامهم تماما حتى باتت الحقيقة واضحة أمامهم كرأى العين ·

وبنو لخم من قبائل كهلان القحطانية التى سكنت الشام قبل الاسلام بوقت طــويل وانتشروا فى ربوعــــه فى حــوران والجــولان والخليل وجبالها (٦٠) وصفورية وحول بحيرة لوط وفيما بين تبوك الى زغر (٦١) ودانت لخم بالنصرانية كغيرها من سائر القبائل الشامية وهى من أقدم القبائل العربية وجودا بالشام ونظرا لقدم الوجود اللخمى فى بلاد الشام

---

(٥٨) بنو لخم من قبائل كهلان القحطانية ، ولخم هو مالك بن عدى بن عمرو بن سبأ وبطونهم كثيرة منهم بنو الدار ابن هانىء ، وبنو نصر بن ربيعة ، ومنهم المناذرة ملوك الحيرة العظام ، وبنو راشدة وبنو حدس وبنو ذعر وغيرها ·

السمعانى : أنساب : جـ ١ ص ١٢٥ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٢٢ ـ ٤٢٥ ، ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة : ص ٩٨ ـ ١٠٠ ، العمرى : مسالك الأبصار : ص ٨٤ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٦٧ ، صبح الأعشى : جـ ١ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، المقريزى : البيان والأعراب : ص ٦١ ·

(٥٩) انظر : الأزدى : فتوح الشام : ص ٨٧ وما بعدها ·

(٦٠) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٢ ـ ٤٢٤ ·

(٦١) زغر : قرية بمشارف الشام وسميت باسم بنت لوط عليه السلام فيقال انها نزلت بهذه القرية فسميت باسمها وفيها قال حاتم الطائى :

سقى الله رب الناس سحا وديمة جنــوب السراة من مآب الى زغـــر

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ١٤٢ ، ١٤٣ ·

فقد أثيرت حولها الأقاويل فكان الذى استخرج يوسف بن يعقوب من الجب هى القافلة اللخمية بقيادة مالك بن دغر اللخمى من جزيلة (٦٢) وقيل ان أصحاب الكهف كانوا منهم (٦٣) ، ولخم هو مالك بن عدى أخو جذام وعاملة وعم كندة وقد ولد له جزيلة ونمـارة حيث خرجت بطون كثيرة (٦٤) منهم بنو الدار بن هانىء بن حبيب من نمارة رهط تميم الدارى (٦٥) صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان تميم قبل اسلامه نصرانيا يعيش بالشام بين قبيلته لخم فى جوار الخليل بالقرب من بيت حبرين وبيت عينون (٦٦) بفلسطين ٠

وفد الداريون من لخم على النبى ﷺ مرتين ، مرة قبل الهجرة ومرة بعدها ، وفى المرة الأولى سألوا النبى أن يقطعهم أرضا كانوا يسكنونها بالشام لخصبها وغناها اذا غزا الشام وفتح الله عليه (٦٧) وفى هذا ما يشـير الى أنهم وثقوا فى نبوءة الرسـول ﷺ من أن الله سوف يفتح الشام للمسلمين فأرادوا أن يحتازوا تلك الأرض خشية أن يغلبوا عليها

---

(٦٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٣ ص ٤٠١ ، وبنو جزيلة بطن من لخم وكان لجزيلة من الولد اراش وحجر ويشكر واد وعمرو وخليل وقد دخل فى غسـان ٠ ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٢ ، القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب : ص ١٩٧ ٠

(٦٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٣ ص ٤٤١ ٠

(٦٤) الطبرى : تاريخ الطبرى : حـ ٣ ص ١٠٧ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٢ ص ٨٤ ، ابن خلدون : العبر : حـ ٢ ص ٢٥٦ ، أبو الفـداء : المختصر : جـ ١ ص ١٠٩ ٠

(٦٥) هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة بن دراع بن عدى بن الدار بن هانىء صحابى جليل لقب بأبى رقية وهى ابنته ومات بالشـام سنة ٤٠ هـ ولا عقب له ٠ ابن سعد : الطبقات : جـ ٧ ص ٤٠٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤١ ، جـ ٥ ص ٣١٨ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء : جـ ٢ ص ٤٤٢ ٠

(٦٦) حبرين ويقال حبرى وحبرون قرب بيت المقدس وهى احدى القريتين اللتين اقطعهما النبى صلى الله عليه وسلم تميما الدارى وأهل بيته والأخرى عينون وهما بين وادى القرى والشام قال الكلبى : وليس لرسول الله قطيعة غيرها ، وكان الخليفة سليمان ابن عبد الملك اذا مر بها لا يعرج ويقول : أخاف أن تمسنى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيت عينون : قرية من قرى بيت المقدس وقيل من وراء البثنية من دوى القلزم فى طرف الشام ٠

البكرى : معجم ما استعجم : جـ ٢ ص ٤١٩ ، ٤٢٠ ، البغدادى : مراصد الاطلاع : جـ ١ ص ٣٧٦ ، جـ ٢ ص ٩٧٩ ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب : ص ٤٢٢ ، هامش ٥ الصفحة نفسها ٠

(٦٧) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٣٥ ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب : ص ٤٢٢ ٠

بعد أن عاشوا فيها ردحا طويلا وعلى أية حال فقد دعا النبى ﷺ بقطعة أدم (٦٨) وكتب كتابا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم • هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله للداريين اذا أعطاه الله الأرض ، وهب لهم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم ومن فيهم الى الأبد شهد وكتب شراحيل بن حسنة وشـــهد العباس بن عبد المطلب وخزيمـة ابن قيس » (٦٩) ، وليس للنبى ﷺ قطيعة سوى حبرى وبيت عينون أقطعها تميما وأخاه نعيما (٧٠) •

وفى عام ٩ هـ وهو عام الوفود وفد على النبى ﷺ بالمدينـــة وفد الداريين من بنى الداريين بن حبيب بن نماره من لخم (٧١) وعلى رأسهم تميم بن أوس الدارى ومعه أخـوه نعيـم بن أوس وبرير بن هانىء أخوه لأمه ويزيد بن قيس وعرفه بن مالك (سـماه النبى عبـد الرحمن) وعزة بن مالك وأخوه مروان بن مالك وجبلة بن مالك وفاكه ابن النعمان وأبو هند بن بر وأخوه الطيب بن بر وجددوا عهـدهم للنبى ﷺ (٧٢) وأهدى تميم الى النبى فرسا يقال له « الورد » أعطاه لعمر كان يركبه فى غزواته (٧٣) وسألوا أن يجدد لهم الكتاب الذى كان كتبه لهم سابقا فكتب ما نسخته : « هذا كتاب من محمـــد رســول الله لتميم بن أوس الدارى أن له قـرية حبرون وبيت عينـــون ، قريتهما كليهما وسهلهما وجبلهما وماءهما وحرثهما وأنباطهما وبقرهما ولعقبه من بعده ، لا يحاقه فيها أحد ولا يلجهما عليهم أحد بظلم ، فمن أظلم وأخذ منهم شيئا فان عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين كتبه على بن أبى طالب » (٧٤) ، وكان

---

(٦٨) الادم : الجلد الجاف المجهز للكتابة عليه والادمة باطن الجلد الذى يلى اللحمة والبشرة ظاهرها •
والرازى : مختار الصحاح : مادة أدم •

(٦٩) المقريزى : الضوء السارى لمعرفة خبر تميم الدارى : ص ٣٨ تحقيق محمد عاشور • دار الاعتصام : القاهرة • القلقشندى : صبح الأعشى : جـ ١٣ ص ١١٩ ، سيرة زينى دحلان : جـ ٢ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى : ص ٤٤ •

(٧٠) ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٢٦٧ ، جـ ٧ ص ٤٠٨ ، أبو عبيد : الأموال : ص ٣٤٩ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء : جـ ٢ ص ٤٤٤ •

(٧١) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ١٩٣ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ٧ ص ٤٢٢ ، صحيح البخارى : جـ ٢ ص ١٥١ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٢ •

(٧٢) ابن هشام : السيرة : جـ ٣ ص ١٩٣ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٣٥ •

(٧٣) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٧٤ •

(٧٤) ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ق ٢ ص ٢١ ، ٢٢ ، أبو يوسف : كتاب الخراج : ص ١٣٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى : جـ ١٣ ص ١٢١ ، ١٢٢ ، محمد حميد الله الحيدر آبادى : مجموعة الوثائق السياسية : ص ٤٥ •

أبو رقية تميم الدارى اللخمى قد أقام بالمدينة بعد المرة الثانية الى جوار النبى ﷺ وغزا معه وروى عنه وظل مقيما بهـــا بعد وفاته حتى مقتل عثمان بن عفان فرحل الى الشام ونزل فلسطين حيث قومه وعشيرته من لخم وظل بها حتى مات سنة ٤٠ هـ ـ ٦٦٠ م ودفن ببيت حبرين وقبره بها معروف يزار (٧٥) ، وكان تميم الدارى راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين زار بيت المقدس بعد فتحها وكان مثلا يحتذى (٧٦) ، ولما ولى أبو بكر الصـــديق الخلافة وخرجت الجيـــوش لفتح الشام حفظ عهـد رسول الله ﷺ للداريين من لخم بالشام وكتب لهم ما نصه : « هذا كتاب من أبى بكر أمين رسول الله ﷺ الذى استخلف فى الأرض بعده كتبه للداريين أن لا يفسد عليهم سبدهم ولبدهم من قرية حبرون وعينون فمن كان يسمع ويطيع الله فلا يفسد منهما شيئا وليقيم عمودى الناس عليهما وليمنعهما من المفسدين » (٧٧) ٠ ثم كتب الى أبى عبيـدة بن الجراح أمير العسكر بالشـــام يحضـــه على احترام كتاب النبى للداريين وتنفيذ ما جاء به : « ســلام عليك فانى أحمـد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد فامنع من كان يؤمن بالله واليـــوم الآخـر من الفساد فى قرى الداريين ، وان كان أهلها قد جلوا عنهـا وأراد الداريون أن يزرعوها فليزرعوها واذا رجع اليها أهلها فهى لهم وأحق بهم والسلام عليك»(٧٨) ٠

هذا ولم يصالح النبى صلى الله عليه وسلم من لخم بنى الدار بن هانىء فقط وانما صالح منهم أيضا بنو حدس وهم بطن ضخم من قبيلة لخم القحطانية ينتمون الى حدس بن اراش بن جيلة بن لخم (٧٩) كانوا يسكنون الشام وكتب لهم كتابا فيه : « لمن أسلم من حدس من لخم وأقام الصلاة وأتى الزكاة وأعطى حظ الله وحظ رسول الله وفارق المشركين فانه آمن بذمة محمد ومن رجع عن دينـــه فان ذمة رسوله منه بريئـة

---

(٧٥) الذهبى : سير اعلام النبلاء : جـ ٢ ص ٤٤٢ ـ ٤٤٤ ، دائرة المعـــارف الاسلامية : جـ ١٠ ص ٥٩ ٠

(٧٦) الذهبى : سير أعلام النبلاء : جـ ٢ ص ٤٤٣ ، ٤٤٤ ٠

(٧٧) أبو يوسف : الخراج : ص ١٣٢ ، أبو عبيد : الأموال : ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى : جـ ١٣ ص ١٢١ ، محمد حميد الله الحيدر أبادى : مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة : ص ٤٧ ٠

(٧٨) القسطلانى : شرح القسطلانى : جـ ١ ص ٢٩٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى : جـ ٣ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ ، محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية : ص ٤٨ ٠

(٧٩) ابن حزم : جمهرة انساب العرب : ص ٤٢٣ ، ٤٧٧ ؛ ابن منظور : لسان العرب : جـ ٧ ص ٣٤٧ ، الفيروز أبادى : القاموس المحيط : جـ ٢ ص ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، الزبيدى : تاج العروس : جـ ٤ ص ١١٧ ، النويرى : نهاية الأرب : جـ ٢ ص ٣٠٦ ، القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب : ص ٢٥١ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ٨ ص ٢٥٥ [illegible]

ومن شهد له مسلم باسلامه فانه آمن بذمة محمـــد وانه من المسلمين كتب عبد الله بن زيد » (٨٠) ٠

ثالثـــا : طيء ٠

تعتبر قبيلة طيء من القبائل الشامية الأكثر قربا الى الاسلام فى العهد النبوى بعد جذام ولخم ، وفى الوقت الذى كان فيه الاسلام ينتشر فى هذه القبائل الثلاث فى حياة النبى ﷺ كانت غسان وتغلب وكلب من أشد القبائل الشامية ولاء لنصرانيتها وللروم (٨١) يتبعها فى ذلك بقية القبائل من بلى وبهراء وبلقين وتنوخ وسائر بطون قضاعة القحطانية التى كانت تسكن الشام قبل الاسلام ، وعلى أية حال فان القبائل العربية فى بلاد الشام فى مجموعها لم تدخل الاسلام زمرة واحدة الا بعد تغلب المسلمين على الروم واخضاع الشام لسيطرتهم فدخلوا فيما جاء به بنـو عمومتهم وأسلموا وحسن اسلامهم وظهر منهم العلماء والفقهاء والقادة ٠

وبنو طيء قبيلة كبيرة من كهلان من القحطانية وهم بنو جلهمة بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ (٨٢) ومعظم بطون طيء من أولاده : قطرة والغوث والحارس (٨٣) ومنهم بنو جديلة وهى أمهم، وبنو رومان ، وبنو جدعاء بن رومان ، والثعالب وبنو تيم وبنو علوه وبنو زنمة بن عمرو وبنو لام بن عمـرو بن ظريف وبنـو أشـــنع بن عمرو وبنو مصاد وبنو حجية وبنو قرواش وثعل وسلامان وجرول وبنو بحتر وبنو عنين وبنو عتور وبنو فريد وبنو سلسلة وبنو دغش وبنو هذمة بن عتاب وبنو شمر وبنو سنبس وبنو شمجى وبنو نبهـان بن عمرو وبنو نابل وبنو المشر وبنو الصامت وبنو بولان وبنو صيفي وغيرهم (٨٤) ، ومعظم بنو طيء الذين سكنوا الشام كانوا فى فلسطين دون غيرها ومنهم

---

(٨٠) ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٢١١ ، محمد حميد الله الحيدر أبادى : مجموعة الوثائق السياسية : ص ٤٢ ٠

(٨١) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٧٤ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ص ٦٩ ٠

(٨٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ٣٩٨ ٠

(٨٣) ابن حزم : المصدر السابق : ص ٣٩٨ ــ ٤٠٤ ، القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب : ص ٢٩٧ ٠

(٨٤) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٥ ، السمعانى : الأنساب : جـ ٢ ص ٣٦٤ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٣٩٩ ــ ٤٠٤ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ ٠

بنو ثعل وكانت جماعة منهم في عبسان بالقرب من غزة (٨٥) ، واشتهر من تل عمرو بن عبد المسيح الذى كان من أرمى العرب وهو الذى عناه امروء القيس بقوله :

رب رام من ثعل مخرج كفيه من ستره (٨٦)

ومنهم بنو جرم كانوا في غزة والداروم مما يلى الساحل الى جبل الخليل ، وبنو لام سكنوا فلسطين ونسبت اليهم البلدة التى أقامها هشام بن عبد الملك على ساحل البحر الى الجنوب من حيفا (٨٧) ومنهم أيضا بنو سنبس الذى ينتسب اليهم رافع بن عميرة الطائى دليل المسلمين فى اجتياز البادية بقيادة خالد بن الوليد (٨٨) .

وفي سنة ١٠ هـ قدم على النبى ﷺ وفد طيء فيهم زيد الخيل (٨٩) وهو سيدهم فلما انتهوا اليه كلموه وعرض عليهم النبى الاسلام فأسلموا وحسن اسلامهم ، وكان زيد أحد شعراء الجاهلية خطيبا شجاعا كريما من الفرسان المعدودين وكان جسيما طويلا موصوفا بحسن الجسم وطول القامة (٩٠) ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاءنى الا رأيته دون ما يقال فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ الذى فيه ، وسماه ﷺ « زيد الخير » وقطع له فيئا وأرضا معه وكتب له بذلك (٩١) فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعا الى قومه :

---

(٨٥) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٨٦) القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب : ص ٢٩٨ .

(٨٧) القلقشندى : المصدر السابق : ص ٤٤٨ .

(٨٨) الأزدى : فتوح الشام : ص ٧٤ .

(٨٩) هو زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رضى بن المختلس بن ثوب ابن كنانة بن غوث ، له صحبة محمودة ونية فى الاسلام . أثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم ثناء عاليا وسماه زيد الخير . مات بنجد بعد منصرفه من عند رسول الله قبل ان يبلغ منزله ، وبنوه مكنف وعروة وحنظلة وحريث بنو زيد الخير .

ابن حزم : جمهرة انساب العرب : ص ٤٠٣ ٤٠٤ ، ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة : جـ ١ ص ٥٧٢ .

(٩٠) ابن الأثير : أسد الغابة : جـ ١ ص ٥٧٢ .

(٩١) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٢٤ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٤٥ ، ابن حزم : جوامع السيرة : ص ٢٠٧ ، ابن الأثير : أسد الغابة : جـ ١ ص ٥٧٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٨٠ ، الخضرى بك : محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية : ص ١٩٣ .

فلما انتهى من بلد نجد الى ماء من مياهه يقال له فردة (٩٢) اصـــابته الحمى فمات بها ، ولما مات عمدت امرأته بجهلها وقلة عقلها ودينها الى ما كان معه من الكتب فحرقتها كلها (٩٣) ٠

وفد على النبي ﷺ من عظماء طيء بعد زيد الخيـــل بن مهلهـــل ، عدى بن حاتم الطائى المعروف فى قومه بالكرم والشجاعة وحسن الخلق وكان يضرب به المثل وكانت لوفادته على النبى قصة مؤداها أن عدى بن حاتم الطائى قبل اسلامه كان يقول : ما رجل من العرب أشـــد كراهة لرسول الله ﷺ حين سمع به منى ، فقد كنت امرءا نصرانيا شريفا وملكا فى قومى أسير فيهم بالمرباع (٩٤) فلما سمعت برســـــول الله كرهته وأعددت للأمر عدته وأمرت غلاما لى كان راعيا لابلى أن يحتبس قريبا منى ابلا ذللا ، وقلت له : اذا سمعت بجيش لمحمد قد وطء هـــذه البـــلاد فأعلمنى ٠ فأتانى ذات غداة فقال : ياعدى ما كنت صانعا اذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن فانى قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا : هذه جيوش محمد فقلت له قرب لى ابلى فقربها فاحتملت مالى وولدى ولحقت

---

(٩٢) مياه فردة فى جبل من ديار طيء يقال له فردة الشموس به قبر زيد الخيل أصيب فيه بالحمى بعد منصرفه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكث ثلاثا ثم مات وقال قبل موته :

أمطلع صحبى المشـــارق غـــدوة وأترك فى بيت بفـــردة منجـــد ؟

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٢٤٨ ٠

(٩٣) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٢٤ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٤٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٨٠ ٠

(٩٤) يسير فيهم بالمرباع أى ياخذ ربع الغنيمة الذى ياخذه سيد القوم او شيخ القبيلة وكان هذا عرفا سائدا فى الجاهلية ، فكان لشيخ القبيلة فى كل غنيمة تغنمها المرباع « الربع » و « الصفايا » وهو ما يصطفيه لنفسه من الغنيمة قبل القسمة و « النشيطة » وهو ما أصيب من مال العدو قبل اللقاء وكذلك « الفضول » وهو ما لا يقبل القسمة من مال الغنيمة وقد أجمل ذلك عبد الله بن غنمة الضبى فى رثائه بســطام بن قيس سيد شيبان فقال :

لك المربـــاع منهـــا والصـــفايا وحكمك والنشـــيطة والفضـــول

وهذه كلها حقوق شيخ القبيلة فى الجاهلية ٠

ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٢٥ هامش ١ الطبرى : التاريخ : ٦ ٣ ص ١١٣ هامش ١ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٥ ص ٢١٣ ، ٢١٤ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ١ ص ٣٧٥ وحاشيتها ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٨٢ هامش ٤ ، الألوسى : بلوغ الأرب : جـ ١ ص ٢٩٣ ، أحمد الشريف : مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول : ص ٤١ ، ٤٢ ٠

بأهل دينى من النصارى بالشام (٩٥) فسلكت الجوشية (٩٦) وخلفت أختا لى فى الحاضر ، فلما قدمت الشام أقمت بها وجاءت خيل رسول الله ﷺ فأصابت ابنه حاتم فيمن أصابت فجيء بها الى النبى ﷺ فى سبايا طيء وقد بلغ النبى هربى الى الشام فجعلت ابنة حاتم فى حظيرة بباب المسجد كانت للسبايا تحبسن بها فمر بها النبى ﷺ فقامت اليه وكانت امرأة جزلة فقالت : يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على مما من الله عليك • قال : « ومن وافدك ؟ » قالت : عدى بن حاتم قال : « الفار من الله ورسوله » ثم مضى وتركها حتى اذا كان الغد مر بها فقالت له مثل ذلك (٩٧) فلما كان اليوم الثالث كلمته فى أن يطلق سراحها فأجابها ﷺ قد فعلت فلا تتعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة فيبلغك بلادك فأقامت حتى قدم ركب من بلى (٩٨) وكلمتهم فى حملها الى أخيها بالشام فوافقوا فجاءت النبى ﷺ وقالت : قدم رهط من قومى لى فيهم ثقة وبلاغ فكساها وأعطاها نفقة فخرجت مع قومها حتى قدمت الشام •

قال عدى بن حاتم : فوالله انى لقاعد فى أهلى اذ نظرت الى ظعينة (٩٩) تصوب الى تؤمنا فقلت : ابنة حاتم فاذا هى فلما وقفت على انسحلت (١٠٠) تقول : القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وتركت بنية والدك وعورتك ، ثم نزلت فأقامت عندى فقلت لها : ــ وكانت امرأة عاقلة ــ ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ، قالت : أرى والله أن تلحق به سريعا فان يكن الرجل نبيا فللسابق اليه فضله وان يكن ملكا فلن تذل فى عز اليمن (١٠١) ، قال عدى : نعم الرأى ما قلت وخرج عدى حتى قدم

---

(٩٥) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٣٥ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١١٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ٨١ •

(٩٦) الجوشية موضع بين نجد والشام ، عليها سلك عدى بن حاتم حين قصد الشام هاربا من خيل النبى صلى الله عليه وسلم لما وطئت بلاد طيء •
ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ١٨٥ •

(٩٧) ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٢٥ ، الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١١٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ٨١ •

(٩٨) بلى من قبائل قضاعة القحطانية أولاد حمير بن سبأ وطيء من قبائل كهلان بن سبأ القحطانية فرع عريب بن كهلان • اخبار عبيد بن شرية الجرهمى : ص ٣١٥ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ١٠٥ ، ابن عبد البر : القصد والأمم : ص ٢٨ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٣٢٩ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : ج ١ ص ١٠٠ •

(٩٩) الظعينة : المرأة فى هودجها ، الرازى : مختار الصحاح : ص ٤٠٤ •

(١٠٠) تلوم وتسخط ، الطبرى : التاريخ : ج ٣ ص ١١٤ هامش ١ •

(١٠١) عز اليمن : ملك اليمن والمقصود فلن تذل وانت سيد من سادات اليمن •

على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخل عليه وهو فى مسجده فسلم عليه فقال : من الرجـــل ؟ قال : عدى بن حاتم الطائى فقـــام رسول الله ﷺ وانطلق به الى بيته وبينما هما سائران اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها فقال عدى فى نفسه والله ما هذا بملك ، ثم مضى به النبى حتى اذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفا فقذفهـــا اليه وقال : اجلس على هذه قال : بل اجلس أنت عليها ، قال : بل أنت ، فجلس عدى وجلس النبى ﷺ بالأرض فقال الرجل فى نفسه : والله ما هذا بفعل ملك ، قال النبى : « ايه يا عدى بن حاتم . ألم تك ركوسيا (١٠٢) تسير فى قومك بالمرباع . قال : بلى يارسول الله (١٠٣) قال : فان ذلك لم يكن يحل لك فى دينك قال : أجل والله ، وعـرف أنه نبى مرســل يعلم ما يجهل ، قال ﷺ : لعل ما يمنعك يا عدى من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعله انما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية (١٠٤) على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف ولعله انما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل (١٠٥) قد فتحت عليهم (١٠٦) ، قال عدى : فأسلمت وكان يقول بعـدها : صدق رسول الله ﷺ والله لقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها تحج البيت لاتخاف ، ورأيت المال يفيض من الغنائم فلا يوجد من يأخذه (١٠٧) .

---

(١٠٢) دين بين النصارى والصابئة .

الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١١٤ هامش ٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٨٢ هامش ٣ .

(١٠٣) ابن كثير : البدا يةوالنهاية : جـ ٥ ص ٨٣ .

(١٠٤) القادسية قريبة من الكوفة بينهما خمسة عشر فرسخا .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٢٩١ ــ ٢٩٣ .

(١٠٥) ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٣٠٩ ــ ٣١١ .

(١٠٦) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٢٦ .

(١٠٧) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٢٦ ، الطبرى ، تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١١٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٨٣ .

وكان لوفادة عدى بن حاتم الطائى على النبى ﷺ واسلامه وهو كبير من كبراء قومه شريفا فيهم ، أثر طيب فى نفوس طىء فأسلم منهم خلق كثير اسلاما حقا فلم يرتد ولم يرجف (١٠٨) من أسلم منهم حين ارتد المرتدون وأرجف المرجفون وكانوا خير عون للمسلمين فى معارك الفتح فعملوا لهم عيونا وأدلاء ومرشدين فكان رافع بن عميرة الطائى هو دليل المسلمين فى اجتيازهم البادية بقيادة خالد بن الوليد حين انتقل من العمل فى جبهة العراق الى جبهة الشام بأمر الخليفة فى وقت ضيق وحرج كانوا فى أشد الحاجة اليه حينئذ (١٠٩) ٠

---

(١٠٨) لم يرجف : لم يشك ، والأرجاف واحد أراجيف وقد أرجفوا فى الشىء أى خاضوا فيه ٠

الرازى : مختار الصحاح : مادة رجف ص ٢٣٥ ٠

(١٠٩) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١١٨ ، الأزدى : فتوح الشام : ص ٧٤ ٠

الباب الثالث

الوجود العربي في بلاد الشام بعد الفتح الإسلامي

الفصل الأول : القبائل العربية فى معارك فتح الشام ٠

أولا : القبائل التى خرجت من شبه الجزيرة العربية الى بلاد الشام ٠

ثانيا : قبائل غسان المتنصرة وجبلة بن الأيهم فى معارك الفتح ٠

ثالثا : دور القبائل فى اليرموك وما بعدها ٠

الفصل الثانى : مناطق استيطان القبائل العربية بالشام بعد الفتح الاسلامى وانسابها ٠

الفصل الأول

القبائل العربية في معارك فتح الشام

أولا : القبائل التى خرجت من شبه الجزيرة العربية الى بلاد الشام :

كان ينزل وسط بلاد الشام وجنوبها قبل أن يفتحها المسلمون سنة ١٣ هـ طائفة من القبائل العربية كلهم من القبائل القحطانية اليمنية التى نزحت اليها من بلاد العرب (١) كما ورد من قبل ، ومن أهم هذه القبائل على الاطلاق قضاعة بفرعها : كلب وبهراء وجهينة وبلى وسليح وتغلب (٢) وتنوخ ونهد (٣) ، ثم قبائل غسان من الأزد

---

(١) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٤٦ ، ٤٧ ، المسعودى : التنبيه والأشراف : ص ٣٦ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ٢ ص ١٩٥ ، الاصطخرى : المسالك والممالك : ص ٢١ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٤ ، صبح الأعشى : جـ ٥ ص ٤٧٢ ، احمد أمين : فجر الاسلام : ص ١٣٠ ، ١٣١ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى : جـ ١ ص ٢١ .

(٢) بنو تغلب القضاعيون غير بنى تغلب بن وائل بن قاسط بن جديلة بن أسد المنتهى نسبهم الى ربيعة بن نزار سكان الجزيرة الفراتية النصارى ، فتغلب قضاعة هم بنو حلوان بن عمران الذى أنجب وبرة بن تغلب فولد وبرة أسد والنمر وكلب وهى قبائل ضخمة والبرك والثعلب بطنان منهم ، والدئب دخل بنوه فى بنى عبيد بن عامر بن كلب ، فتغلب على فرعين . تغلب القضاعية المنتهى نسبها فى قحطان وتغلب العدنانية المنتهى نسبها الى ربيعة بن نزار بن عدنان .

ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٢٩٢ ، ٤٥٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، الزبيدى : تاج العروس : جـ ١ ص ٤١٤ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٤٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣١٤ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٤٨ ، ١٧٧ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ١ ص ١٢٠ .

(٣) انظر تفصيل نسب قضاعة وبطونها : ابن حبيب : مختلف القبائل ومؤتلفها : ص ٩ ، ابن سعد : الطبقات جـ ١ ص ٣٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٠ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٥٨ .

القحطانية (٤) من نسل مالك بن كهلان بن سبأ ولها الغلبة والكثرة ، عريب بن كهلان من القحطانية من جذام ولخم وطيء وعاملة وكندة (٥) ، ومن ثم فان سكان وسط الشام وجنوبه حين الفتح من العـــرب كانوا من اليمانية ٠

وكان ينزل شمال الشام في الجزيرة المعروفة بجزيرة أقور (٦) مواقف شتى من القبائل العربية من تغلب واياد والنمر بن قاسط (٧) من ربيعة العدنانية ، وهذه القبائل النصرانية ظلت على دينها بعد الفتح الاسلامي ولعبت دورا بارزا فى أحداث تلك الفترة الهامة ، ولذلك فانه لاياد من ربيعة خبر مطول فى كتب التاريخ والأدب يفصل أمر جلائهم عن تهامة (٨) موطنهم الأول (٩) ملخصه أنه لما كثر عددهم بغوا على اخوتهم من مضر وربيعة فوقعت الحرب بينهم وهزمت اياد ونزحت عن تهامة بالجزيرة العربية وطافوا البلاد حتى انتهوا الى ســـنداد (١٠) وعين أباغ (١١) من أرض العراق ثم استطالوا على الفرات حتى خالطوا أرض الجزيرة فوقعت الحرب بينهم وبين الفــرس (١٢) فخرجوا من أرض العراق وهلك أكثرهم وتشتت جمعهم ولحق فريق منهـــم ببلاد

---

(٤) ابن منظور : لسان العرب : ج ٢ ص ٢٤٣ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٤٣ — ٢٠٦ ، أنساب الأزد ، ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة : ص ١٠١ — ١٠٩ ، العمرى : مسالك الأبصار : ص ٧٧ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ١ ص ١٦ ٠

(٥) انظر : المبرد : الكامل : ج ١ ص ٢٦٦ ، الجوهرى : الصحاح : ج ١ ص ٤٠٤ ، السمعانى : الأنساب : ج ٢ ص ٤٩٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٨٠ ٠

(٦) تقع بين الموصل والفرات ٠

ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢٣٨ ، البكرى : معجم ما استعجم : ج ٦ ص ٦٨ ٠

(٧) النمر بن قاسط : من ولد هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة وبنو النمر بن قاسط : تيم الله وأوس الله وعابد الله ٠ امهم هند بنت تميم بن مرة واخوتهم لأمهم بكر وتغلب ٠

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٢ ، ٣٠٠ ، الزبيدى : تاج العروس : ج ١ ص ٤١٤ ٠ العوتبى : الأنساب ج ١ ص ١٥١ ، ١٥٢ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ١٧٧ ٠

(٨) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٦٣ — ٦٤ ٠

(٩) انظر خبر انتشار ربيعة ومنازلها :

العوتبى : الأنساب : ج ١ ، ص ١٦٠ — ١٦٢

(١٠) سنداد : منازل لاياد نزلتها لما قاربت الريف وهى أسفل سواد الكوفة

ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ٠

(١١) عين أباغ : واد وراء الانبار على طريق الفرات الى الشام :

ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٦١ ٠

(١٢) خبر اياد بن نزار والحرب بينهم وبين الفرس ٠

العوتبى : الأنساب : ج ١ ص ١٦٢ ٠

الروم (١٣) ونزلت طوائف منهم أطراف الشام ودانوا بالطاعة لغسان واستقر أكثر حول الفرات فى أرض الجزيرة (١٤) وقاتل بعضهم المسلمين الى جانب الروم فى حرب اليرموك (١٥) ، ولما غلب المسلمون أعانهم عرب الجزيرة (مسلمين ونصارى) على الروم الا ايادا ركبت رأسها وعاندت فلم تسلم ولم تبق حيث هى ورحلت الى بلاد الروم فأرسل (١٦) الخليفة عمر بن الخطاب الى ملكهم برد من أتاه من اياد (١٧) ، كما أرسل الى اياد نفسها يستميلها ويتألفها للعودة الى بلادها حتى لا يقوى بها عدوه فعاد منهم أربعة آلاف كان منهم كل ايادى فى أرض العرب (١٨) وتفرق الباقون فيما يلى الشام والجزيرة من بلاد الروم (١٩) ٠

لما غلب المسلمون على الجزيرة والمدن الواقعة على الفرات وشمال الشام (٢٠) دعيت تغلب النصرانية الى الاسلام أو الجزية فأبت الاسلام تمسكا بدينها وامتنعت عن الجزية لأنهم عرب لايجب أن يكونوا بمثابة الأعاجم والأعلاج ، وطلبوا أن تضاعف عليهم الصدقة بدلا من الجزية وهددوا بالرحيل الى أرض الروم ان لم يجابوا الى طلبهم (٢١) ، فقبل الخليفة عمر بن الخطاب عرضهم حرصا على هذه القبيلة العربية أن تجلو عن بلاد العرب كما فعلت اياد وظلت تغلب فى مواطنها بالجزيرة الفراتية كما كانت قبل الفتح (٢٢) ٠

من ثم نرى أن العنصر اليمانى كان هو الغالب على قبائل الشام فى هذا الوقت ولذلك فان القبائل اليمانية بالجزيرة العربية كانت أسرع

---

(١٣) الأصفهانى : الأغانى : جـ ٢٠ ص ٢٣ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٢٥ ، البكرى : معجم ما استعجم : جـ ١٠ ص ٦٧ ٠

(١٤) العوتبى : الأنساب : جـ ١ ص ١٦٢ ٠

(١٥) البلاذرى : فتوح البلدان : جـ ١ ص ١٣٥ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٢ ص ٥٨٧ ٠

(١٦) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٤ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص ٣٧٢ ٠ أحداث سنة ١٧ هـ ، العوتبى : الأنساب : جـ ٦ ص ١٦٢

(١٧) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٤ ، ٥٥ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص ٣٧٢

(١٨) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٥ ، ابن الأثير : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٣٧٢

(١٩) الطبرى : التاريخ : جـ ٢ ص ١٥٦ ٠

(٢٠) البلاذرى : فتوح البلدان : جـ ١ ص ٢١٦ ٠

(٢١) أبو يوسف : الخراج : ص ١٤٣ ، أبو عبيد : الأموال : ص ٢٣٢ ، الأصفهانى : الأغانى : جـ ٧ ص ١٨٣ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٨٦ ٠

(٢٢) الطبرى : تاريخ الطبرى : جـ ٣ ص ١٥٧ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص ٣٧٣ ٠

القبائل اجابة لطلب الخليفة أبى بكر فى التجمع للغزو وكانت تؤثر المضى الى الشـام موطن أسـلافها ولذلك فقد غلب العنصر اليمنى على القبائل الشامية بعد الفتح كما كان غالبـا عليها قبل الفتح مما يفسر كثيرا من الأحداث فى تاريخ هذه البلاد لاسيما وأن القبائل المضرية فى جيوش المسلمين والمهاجرة الى الشام بعد الفتح ابتعدت عن مواطن تجمع القبائل اليمنيـة فى الوسـط والجنوب آثرت الاتجـاه شمالا بالقرب من تغلب واياد العدنانية (٢٣) .

لما فرغ الخليفة أبو بكر الصديق من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش الى الشام لفتحها وأرسل الكتب والرسل الى جميع القبائل وأقام ينتظر جوابهم وقدومهـم فكتب الى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفى غنائم الشام فسارع الناس اليه بين محتسب وطائع وأتوا المدينة من كل أوب (٢٤) .
وكان الذى بعثه الى اليمن أنس بن مالك (٢٥) فما مـرت الأيام حتى قـدم أنس يبشره بقـدوم أهـل اليمن بالذرارى والأموال والنسـاء والأطفال (٢٦) ، فما كان الا قليلا حتى أشرفت الكتائب والمواكب قوم فى اثـر قوم وقبيلة (٢٧) ، فكان أول قبيلة ظهرت من قبـائل اليمن حمير (٢٨) وعليها ذو الكلاع الحميرى ملكهم فلما دنا من الصديق أحب أن يعرفه بمكانته وقومه فأشار اليه بالسلاح وجعل ينشد ويقول :

أتتك حمير بالأهلين والولد أهل	السـوابق والعـالون بالرتب
أسـد غطارفة شـوش عمالقـة	يردوا الكماء غدا في الحرب بالقضب
الحرب عادتنا والضرب همتنا	وذو الكلاع دعا فى الأهل والنسب
دمشق لى بدت كل الناس أجمعهم	وساكنيها سأهويهم الى العطب (٢٩)

(٢٣) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٧ .
(٢٤) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١١٥ .
(٢٥) أنس بن مالك : هو ابن النضر بن ضمضم ، من ولد زيد بن حرام بن جندب ابن عامر بن غنم بن عدى بن النجار من الخزرج من العرب القحطانية ، أمه هى أم سليم بنت ملحان ، خدم النبى ﷺ وهو ابن ثمانى سنين وروى عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الله ابن مسعود وهو آخر من مات من أصحاب النبى ﷺ بالبصرة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة .
(٢٦) انظر نص كتاب الخليفة أبو بكر الى أهل اليمن فى هذا الشأن .
الأزدى : فتوح الشام : ص ٨ ، ٩ .
(٢٧) ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ٨٧ .
(٢٨) انظر أنساب حمير وبطونها وقبائلها .
العوتبى : الأنساب : جـ ١ ص ٢٤٣ ــ ٢٤٥ .
(٢٩) الواقدى : فتوح الشام : ص ٧ .

وسارت حمير بكتائبها ومواليها (٣٠) وأقبلت من بعدها كتائب مذحج (٣١) أهل الخيل العتاق والرماح الدقاق وأمامهم سيدهم قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادى ومعه جمع عظيم من قومه فيهم الحجاج بن عبد يغوث فجزاه أبو بكر خيرا لمقدمه فلما وصل الى الخليفة جعل ينشد ويقول :

أتتك كتائب منا سراعا ذوو التيجان أعنى من مرادا
فقدمنا أمامك كى ترانا نبيد القوم بالسيوف النجادى (٣٢)

ثم مضى بكتائبه ومواليه ، ولعظمته ومكانته فى قومه وضخامة بطون مذحج أقبل الخليفة على أبى عبيدة بن الجراح موصيا اياه بالرجل فقال له : « انه قد صحبك رجل عظيم الشرف فارس من فرسان العرب ليس للمسلمين غناء عن رأيه ومشورته وبأسه فى الحرب فأدنه وألطفه وأره أنك غير مستغن عنه ولا مستهين بأمره فانك تستخرج بذلك نصيحته لك وجهده وجهاده على عدوك » (٣٣) . ثم دعا أبو بكر قيس بن هبيرة وقال له : « انى قد بعثتك مع أبى عبيدة الأمير الذى اذا ظلم لم يظلم واذا أسيىء اليه غفر واذا قطع وصل رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين فلا تعصين له أمرا ولا تخالفن له رأيا فانه لن يأمرك الا بخير وقد أمرته أن يسمع منك فلا تأمره الا بتقوى الله قد كنا نسمع أنك شريف ذو بأس سيد مجرب فى زمان الجاهلية الجهلاء اذ ليس فيهم الا الاثم فاجعل بأسك وشدتك ونجدتك فى الاسلام على المشركين وعلى من كفر بالله وعبد معه غيره فقد جعل الله فى ذلك الأجر العظيم والثواب الجزيل والعز للمسلمين (٣٤) . فقال قيس بن هبيرة : « ان بقيت وأبقاك الله فسيبلغك من حيطتى على المسلم وجهدى على الكافر ما تحب ويسرك ويرضيك » . فلما بلغ أبو بكر بعد ذلك أثناء القتال مبارزة قيس بن هبيرة المرادى كبير مذحج بطريقين كبيرين من بطارقة النصارى بالجابية (٣٥)

---

(٣٠) الواقدى : فتوح الشام : ص ٧ .

(٣١) يضم اسم مذحج جميع القبائل والبطون المتفرعة من مالك بن أدد وأهمها النخع ومراد وزبيد وسعد العشيرة وبنو الحارث بن كعب وعنس وصداء وجنب ومالك بن مذحج وأدد وغيرهم .

انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ٤٧٦ ـ ٤٧٧ « بطون مذحج » ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة : ١٢٠ ـ ١٣٠ ، القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب : ص ٣٧٢ .

(٣٢) الأزدى : فتوح الشام : ص ١٦ .

(٣٣) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٦ .

(٣٤) الأزدى : المصدر السابق : ص ٢٧ .

(٣٥) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٩١ ، ٩٢ .

وقتله اياهما : « صدق قيس وبر (٣٦) ووفى » وأتت بعد مذحج قبائل طيء (٣٧) عليها حابس بن سعد الطائى الذى دنا من الخليفـــة وسلم عليه بالطاعة والولاء ، ثم أقبلت الأزد فى جموع كثيرة (٣٨) يتقدمها جندب ابن عمر الدوسى وفيهم أبو هريرة الدوسى(٣٩) صاحب الرسول ﷺ ، وتتابعت قبائل اليمن يتلو بعضها بعضا ومعهم نساؤهم وأموالهم فسر أبو بكر وأنزل القوم حول المدينة كل قبيلة متفرقة عن صاحبتها (٤٠) ، ثم جاءت بعد اليمانية قيس فيهم بنو عبس وعليهم الأمير ميسرة بن مسروق العبسى وأقبلت من بعدهم كنانة يتقدمهم غيثم بن أسلم الكنانى (٤١) • واستمر تجمع القبائل الزاحفة للفتوح على المدينة حتى امتلأت وأرباضها بهم عن آخرها ولم يكن فيهم من قبائل ربيعة وتميم وأسد لأنهم كانوا بالعراق وكانت معظم ديارهم عراقية وقل من شهد منهم الفتوحات فكانت أغلب الجيوش المتجهة الى الشام من أهل اليمن الذين كثروا بها وكانوا سكانها وأهلها فيما بعد (٤٢) •

دعا الخليفة أبو بكر يزيد بن أبى سفيان وعقد له راية وأمره على معظم الناس ودعا بعده رجلا من بنى عامر بن لؤى يقال له ربيعة بن عامر وكان فارسا مشهورا فى الحجاز فعقد له راية وأمره على ألف فارس ، وخرج يزيد وربيعة بن عامر يرجون رضاء الله عز وجل ورضاء الخليفة (٤٣)

---

(٣٦) الأزدى : فتوح الشام : ٢٧ •

(٣٧) طيء قبيلة عظيمة من كهلان القحطانية تنتسب الى طيء بن أدد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان ، ومعظم بطون طيء من ولديه قطرة والغوث وكانت منازل طيء باليمن وخرجوا منه على اثر خروج الأزد بسبب سيل العرم •

انظر : ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٥ ، الأصفهانى : الأغانى : جـ ٨ ص ٢٣٩ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٦ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٢٥٥ ، ٣٢٠ ، العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٥٢ ، البغدادى : مراصد الاطلاع : جـ ٢ ص ٩٩٨ ، جـ ٣ ص ١١٥٥ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، العمرى : مسالك الأبصار : ص ٨٠ ، ٨١ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٩٧ •

(٣٨) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٧ •

(٣٩) اسمه عمير بن عامر من دوس ، ودوس بطن من شنوءة من الأزد القحطانية • القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٣٥ •

(٤٠) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ، ص ٨ •

(٤١) الأزدى : فتوح الشام : ص ١٦ •

(٤٢) الأذدى : المصدر السابق : ص ١٦ •

(٤٣) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ، ص ٨ •

فأخذ القوم فى السير على وادى القرى (٤٤) ليخرجوا الى تبوك (٤٥) ثم على الجابية الى دمشق ، وفى هذه الأثناء وصلت المدينة همدان (٤٦) فى جمع عظيم بلغ ألفى رجـل عليهم حمزة بن مالك الهمدانى ، فلما رأى أبو بكر عددهم وجلدهم فرح بهم وقال : « الحمد لله على صنيعه للمسلمين ما يزال الله يتيح لهم مددا من أنفسهم يشـد به ظهورهم ويقصم به عدوهم » (٤٧) ولحقت همدان بالشام ببطونها ونسائها ومواليها وانضمت الى امرة أبى عبيدة بن الجراح .

لما ندب الخليفة عمرو بن العاص للانضمام الى جيوش الفتح أمره أن يدعو من يمر به من قبائل بلى وعذرة وسائر قضاعة الى الاسلام ومن يرغب منهم يندبه الى الجهاد (٤٨) وقال له : « انى قد استعملتك على من مررت به من بلى وعذرة وسائر قضاعة ومن سقط هناك من العرب فأندبهم الى الجهاد فى سبيل الله ورغبهم فيه فمن تبعك منهم فاحملهم وزودهم وارفق بهم واجعل كل قبيلة على حميتها ومنزلتها » (٤٩) وقد خصـه أبو بكر بهذا التكليف لأن أمه قضاعية من بلى فهم أخواله (٥٠) ، ثم عقد له الخليفـة بالامارة على طليعـة الجيش فى أهل مكة وقبـائل

---

(٤٤) واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٣٤٥ .

(٤٥) ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٤٦) هم بنو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعـة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بطونهم كبيرة وأفخاذهم متسعة ، وكانت ديارهم شرق اليمن . قدم وفدهم على النبى ﷺ سنة ٩ هـ بعد منصرفة من تبوك فكتب لهم كتابا اقطعهم فيه ما سألوه وأمر عليهم مالك بن النمط واستعمله على من أسلم من قومه .

الهمدانى : الاكليل : جـ ١٠ ص ١٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ « بطون همدان وعشائرها » ، الأصفهانى : الاغانى : جـ ١١ ، ص ١٦٧ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٢ ص ٧٩ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ، ص ١٩٢ ، البكرى : معجم ما استعجم : جـ ٢ ص ٦٤٩ ، نشوان الحميرى : منتجات فى أخبار اليمن ص ٢٣ ، ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة : ص ١٣١ ، القلقشـندى : نهاية الأرب : ص ٣٨٩ .

(٤٧) الأزدى : فتوح الشام : ص ١٦ .

(٤٨) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ، ص ١٣٠ .

(٤٩) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٩ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ، ص ١٣٠ .

(٥٠) المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٤٠٨ .

الطائف (٥١) « هوازن وثقيف » (٥٢) وبنى كلاب (٥٣) وطىء وأمره أن ينصرف الى أرض فلسطين ويكاتب أبا عبيدة وينجده اذا أراد ذلك ولا يقطع أمرا الا بمشورته ، وسار عمرو بالناس يتقدمهم أهل مكة من قــريش وغيرهم ثم بنــو كلاب وطىء وهوازن وثقيف وتخلف المهاجرون والأنصار ليسيروا مع أبى عبيدة بن الجراح (٥٤) وذلك فى يوم الخميس المستهل من صفر سنة ١٣ هـ ـ ٦٣٤ م (٥٥) وقد سار هذا الجيش فى تسعة آلاف يريدون أخذ فلسطين ، وبعد مسيرهم بيوم واحد (٥٦) عقد الخليفة العقود والرايات لأبى عبيدة بن الجراح (٥٧) وأمره أن يقصــد بمن معه أرض الجابية (٥٨) ٠

لم يكن هناك شىء فى ذلك الوقت عند الخليفة أهم من قدوم القبائل عليه من أرض العرب فكانوا كلما قدموا عليه سرحهم الأول فالأول ، فقدم

---

(٥١) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٨ ـ ١٢ ٠

(٥٢) هوزان : بطن متسع من قيس عيلان من العدنانية ، وهم بنو هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن عدنان ، ولهم أفخاذ كثيرة يجمعها ثلاثة اجرام كلهم لبكر بن هوازن وهم : بنو سعد بن بكر وبنو معاوية بن بكر وبنو منبه بن بكر ، وثقيف : هم بنو ثقيف بن منبه ، بطن متسع من هوزان اشتهروا باسم ابيهم فقيل لهم « ثقيف » واسمه قسى بن منبه بن بكر بن هوازن وكانت مواطنهم بالطائف ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفى المعروف ٠

الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٠ ص ١٤٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٥ ـ ٢٧٢ ، « نسب هوزان وثقيف وبطونها » ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٠ ، الطبرى : تاريخ الطبرى جـ ٣ ص ١٢٥ ، وابن منظور : لسان العرب : جـ ١٠ ص ٣٦٣ ، البكرى : معجم ماستعجم : ص ٧٧ ـ ٧٩ ٠ ابن دريد : الاشتقاق : ص ١٧٧ ، ابن صاعد : طبقات الأمم : ص ٤٣ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٩١ ٠

(٥٣) انظر نسب قبيلة بنى كلاب وبطونها بالتفصيل ٠
ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٨٢ ـ ٢٨٨ ، القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ٣٦٥ ٠

(٥٤) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٣ ٠

(٥٥) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢٣ ٠

(٥٦) كان الخليفة يسير الجيوش فى اثر بعضها تجنبا لتكالبهم على الكلأ وموارد الماء فى الطريق فيضروا بالقبائل التى يمرون بها ٠

(٥٧) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٦ ٠

(٥٨) الجابية : قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان قرب مرج الصفر شمالى حوران ٠
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٩١ ، ٩٢ ٠

عليه فيمن قدم أبو الاعور السلمي في بني سليم (٥٩) فدخل عليه وقال : « انا قد جئناك من غير قحمة ولا عدم (٦٠) فان شئت اقمنا معك مرابطين وان شئت وجهتنا الى عدوك من المشركين » فقال أبو بكر : « بل تجاهدون الكافرين وتواسون المسلمين » فبعثه الى الشام حتى قدم على أبي عبيدة (٦١) . ثم قدم عليه معن بن يزيد بن الأخنس السلمي في رجال من بني سليم نحو من مائة رجل فقال أبو بكر : « لو كان هؤلاء أكثر مما هم فيه لأمضيناهم الى اخوانهم » فقال له عمر بن الخطاب : « والله لو كانوا عشرة لرأيت لك أن تمد بهم اخوانهم واني لأرى لك أن تمدهم بالرجل الواحد اذا كان ذا جزاء وغناء » فقال حبيب بن مسلمة : عندي نحو من مثل عدتهم رجال من بقايا القبائل ولهم رغبة في الجهاد فاجمعنا وهؤلاء جميعا يا خليفة رسول الله ثم ابعثنا فقال له أبو بكر : « فاخرج بهم جميعا فأنت أمير القوم حتى تقدم على اخوانك » فخرج العسكر معهم ثم جمع أصحابه اليهم وسار حتى قدم على يزيد بن أبي سفيان (٦٢) . ثم اجتمع رجال من بني كعب وأسلم وغفار

---

(٥٩) بنو سليم قبيلة عظيمة من قيس عيلان العدنانية وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بين خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهم اكثر قبائل قيس عددا ، ومعظمهم من ولد بهثة بن سليم ، وكانت منازلهم بعالية نجد بالقرب من خيبر ومن مواطنهم : حرة بني سليم وحرة النار ، ووادي القرى وتيماء وفيهم الأبطال الانجاد والخيل الجياد وكانوا يفخرون انهم كانوا مع النبي ﷺ يوم فتح مكة وانه قدم لواءهم على سائر الالوية ، ويروى أن عمر بن الخطاب كتب الى ولاة الكوفة والبصرة والشام ومصر أن يرسل له كل واحد بأفضل رجل عنده فبعث والى الكوفة بعتبة بن فرقد السلمي وبعث أهل البصرة بمجاشع بن مسعود السلمي وأهل الشام بأبي الاعور السلمي وأهل مصر بمعن بن يزيد بن الاخنس السلمي ، وقد اشتركت بنو سليم في الحروب التي اشتعلت نيرانها بين الزبيرية والمروانية وقتل فيها منهم خلق كثير .

انظر : ابن حزم : الجمهرة : ٢٦١ ـ ٢٦٤ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٣١ ، الأصفهاني : الاغاني : ج ١٣ ص ٦٣ ، الزمخشري : الفائق : ج ٢ ص ٥٧ ، الزبيدي : تاج العروس : ج ٧ ص ١٥٩ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ١٨٧ ، العسكري : جمهرة الأمثال : ص ١٥٤ ، ابن رشيق : العمدة : ج ٢ ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، البكري : معجم ما استعجم : ج ١ ص ١٠٠ ، المقريزي : البيان والاعراب : ص ٦٤ ، القلقشندي : نهاية الأدب : ص ٢٧١ ، كحالة : معجم قبائل العرب : ج ٢ ص ٥٤٣ ـ ٥٤٦ .

(٦٠) القحمة . الجوع ، والعدم ذهاب العير ، والمقصود بالقول انهم لم يأتوا من فقر وعوز لان عندهم ما يكفيهم ويفيض عنهم وانما جاءوا تلبية لنداء الخليفة وحبا في الله ورسوله ﷺ .

الأزدي : فتوح الشام : ص ٤٢ ، الرازي : مختار الصحاح : ص ٥٢٢ « مادة قحم » .

(٦١) الأزدي : فتوح الشام : ص ٤٢ .

(٦٢) الأزدي : المصدر السابق : ص ٤٣ .

ومزينة (٦٣) نحو من مائتى رجل فأتوا أبا بكر فقالوا : « ابعث علينا رجلا وسرحنا الى اخواننا » فبعث عليهم الضحاك بن قيس فسار حتى أتى يزيد بن أبى سفيان فنزل معه (٦٤) ٠

كان هذا فى جانب المسلمين أما فى الجانب الآخر فانه لما اجتمع المسلمون بتيماء (٦٥) استعدادا لفتح الشام وبلغ الروم أمر ذلك العسكر ضربوا البعوث على العرب الضاحية (٦٦) بالشام (٦٧) ليستعينوا بهم فى حرب بنى عمهم ، ولما كان هؤلاء الأخرون يدينون للروم بوجودهم فى الشام فضلا عن ديانة معظمهم بالنصرانية وتأكدهم من أن الروم قوة كبرى لايمكن أن يهزمهم المسلمون فقد نفر اليهم جمع غفير من بهراء وبلى وكلب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان (٦٨) وسائر قبائل اليمن الضاربة بالشام (٦٩) وكان نزولهم بالقرب من زيزاء (٧٠) فكتب أبو بكر الى خالد بن سعيد : أن أقدم ولا تقتحمن حتى لا تؤتى من خلفك فسار فيمن كان خرج معه من تيماء وفيمن لحق به فى طريق الرحل حتى نزلوا فيما بين آبل وزيزاء والقسطل (٧١) فسار اليه بطريق من بطارقة الروم يدعى ماهان فهزمه وقتل معظم جنده ، ولما علم الصديق بما حدث سجد لله (٧٢) شاكرا وكتب الى أهل مكة كتابا يستدعيهم

(٦٣) بنو كعب هم ولد الخزرج بن حارثة من الازد ، وبنو أسلم هو ولد أسلم بن أفصى بن عامر بن قعمة بن الياس بن مضر وبنو غفار من مليل بن مضر بن عبد مناة ابن كنانة من العدنانية ومزينة هم بنو عثمان وأوس ابنى عمرو بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر ٠

انظر ابن حزم : الجمهرة ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٢٤٠ ـ ٢٤٢ ، ١٨٦ ، ٤٨٠ على التوالى ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٤٩ ، ٢٩٨ ، ٣٤٨ ، ٣٧٥ ٠

(٦٤) الأزدى : فتوح الشام : ص ٤٣ ٠

(٦٥) بليد فى أطراف الشام بين الشام ووادى القرى على طريق حاج الشام ودمشق ٠

(٦٦) اى العرب الذين كانوا ينزلون الضواحى ، ومكان ضاح أى بارز ولعله مأخوذ من سكانهم البوادى وهى أماكن مرتفعة عن السهول والأودية ٠

الرازى : مختار الصحاح : ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ « مادة ضحا » ٠

(٦٧) ابن الاثير : الكامل : جـ ٢ ص ٢٧٦ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١٣٢ ٠

(٦٨) خليط من قبائل قضاعة وقبائل مالك بن كهلان وقبائل عريب من كهلان وكلهم من عرب اليمن القحطانية ولم يكن معهم أحد من القبائل العدنانية ٠

(٦٩) ابن الاثير : الكامل : جـ ٢ ص ٢٧٦ ٠

(٧٠) زيزاء من قرى البلقاء وهى كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها سوق لهم وفيها بركة عظيمة ٠

ياقوت : جـ ٣ ص ١٦٣ ، ١٦٤ ٠

(٧١) القسطل فى لغة أهل الشام الموضع الذى تفترق منه المياه ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٣٤٧ ٠

(٧٢) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ، ص ١٣ ٠

للجهاد فخرج عكرمة بن أبى جهل فى بنى مخزوم « بطن من قريش » وخرج معه الحارث بن هشام وتلاحق معهم من أهل مكة خمسمائة رجل جعل عليهم الخليفة سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص وكان غلاما نجيبا عقد له أبو بكر راية ودفعها اليه وأمره على ألفين من العرب (٧٣) ، الا أن عمر بن الخطاب ما زال بالخليفة حتى عزله عن الامارة لخيلاء كانت به (٧٤) وجعله ردءا للمسلمين بتيماء وأمره أن لا يفارقها الا بأمره واسترد منه الراية وسلمها الى أزد الدوسى وسار سعيد بن خالد تحت امرته (٧٥) ٠

لما اكتملت الجيوش بالشام كان الأمراء : أبو عبيدة بن الجراح على ربع ويزيد بن أبى سفيان على ربع وشرحبيل بن حسنة (٧٦) على ربع وعمرو بن العاص على ربع (٧٧) وان اجتمعت الجيوش لقتال فقائدهم أبو عبيدة ومن بعده يزيد بن أبى سفيان ، وكان ثلث الناس فى جيش المسلمين من أزد (٧٨) اليمن الذين ينتمى اليهم قبائل غسان

(٧٣) الواقدى : نفسه : جـ ١ ص ١٣ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٢ ص ٢٧٥ ٠

(٧٤) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١١٦ ٠

(٧٥) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٣ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٢ ص ٢٧٥ ٠

(٧٦) شرحبيل بن حسنة حليف بنى جمح واسمه شرحبيل بن عبد الله بن المطاع الكندى وحسنة أمه كانت مولاة معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ٠

البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١١٥ ، ١١٦ ٠

(٧٧) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١٦٣ ٠

(٧٨) بنو الأزد هم نسل أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان واليه جماع قبائل الأزد كلها بما فيها غسان المهاجرة وبطونها ، وهم أضخم قبائل كهلان القحطانية على الاطلاق وتتفرع منهم قبائل وبطون كثيرة منها الغساسنة وملوك الشام وهم بنو عمرو بن مازن بن الأزد ، ومنهم بارق والعتيق ودوس وغافق وخزاعة والأوس والخزرج المعروفين بالانصار ، ويجمع الاخباريون على أن بلاد اليمن هى موطن الأزد الأصلى ، ولما خرب سد مارب وحدث سيل العرم تمزقت عرب اليمن الى العراق والشام وفيهم الأزد وبقى منهم جمع غفير الى زمن الفتح هم الذين لبوا نداء الخليفة أبى بكر الصديق حين ندبهم للفتح والجهاد ، وقد قيل فى مأثور العرب ٠ مازن غسان أرباب الملوك وحمير أرباب العرب وكندة الملوك ومذحج الطعان وهمدان أحلاس الخيل والأزد أزد البأس ٠

وهب بن منبه : التيجان فى ملوك حمير : ص ٢٧٣ ـ ٢٩٣ « منازل الأزد وترحالهم فى شبه الجزيرة بعد سيل العرم » ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٣ ص ٢١٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٦٧ ، ٣٣٢ ـ ٣٣٦ « نسب الانصار » ٠ ابن منظور : لسان العرب : جـ ٢ ص ٢٤٣ ، اليعقوبى : التاريخ : ص ٢٣٥ ، ابن دريد : الاشتقاق : جـ ٢ ص ٤٣٥ ، ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة : ص ١٠١ ، ١٠٧ ـ ١٠٩ ، العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٤٤ ، ٤٥ ، ١٩٩ ـ ٢٠٦ « خبر مسير الأزد حين أخرجهم سيل العرم وتفرقهم فى البلاد » ، العمرى : مسالك الابصار : ص ٧٧ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٤٨ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ١ ص ١٦ ٠

المهاجرة الى الشام وزعيمة العرب المتنصرة فى جيوش الروم والباقى من حمير (٧٩) (وهم أعظم الناس) وهمدان ومذحج وخولان وخثعم وكنانة وعبس وقضاعة ولخم وجذام وغسان (٨٠) وكندا وحضرموت والسكاسك ليس فيهم أحد من أسد أو تميم أو ربيعة لأن ديارهم كانت عراقية فكان معظم شغلهم فى قتال فارس (٨١) وبصفة عامة فان غالبية جيش الزحف فى فتح الشام كانوا من قبائل اليمن الا قليلا من قيس . وكانت لكل قبيلة رايتها التى تعرف بها وشعارها الذى يجتمعون اليه (٨٢) ، فكان شعار أبى عبيدة يوم اليرموك « أمت أمت » وشعار عبس « يا لعبس » وشعار اليمن من أخلاط الناس « يا أنصار الله » وشعار خالد ومن معه « يا حزب الله » وشعار حمير « الفتح الفتح » وشعار دارم والسكاسك « الصبر الصبر » وشعار مذحج ومراد « يا نصر الله انزل » (٨٣) .

فى سنة ١٤ هـ تقدم أبو عبيدة بن الجراح بجيوش المسلمين الى دمشق (٨٤) وحاصرها ، فلما تضايقت الروم سار بهم هرقل حتى نزل انطاكية (٨٥) وأرسل لملاقاة المسلمين جيشا من الروم وأهل أرمينية بلغ عدده مائة ألف مقاتل (٨٦) بقيادة جريجورى الملقب فى المصادر العربية باسم جرجة أو جرجير (٧٨) وكان معهم من العرب المتنصرة لخم

---

(٧٩) انظر بطون حمير ونسبها :
ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٨ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٢٢ .

(٨٠) يلاحظ أن بعض أسماء القبائل العربية فى جيوش المسلمين هى أسماء القبائل نفسها فى جيوش الروم مثل لخم وجذام وطىء وبعض بطون قضاعة مثل كلب وبهراء وبلى وتفسير ذلك أن القبائل التى فى جيوش المسلمين هى فى غالبيتها القبائل التى بقيت بالجزيرة العربية حتى ظهور الاسلام ، ومثيلتها فى جيوش الروم هى البطون التى هاجرت الى الشام قبل الاسلام ، فلخم فى جيش المسلمين هى لخم شبه الجزيرة المسلمة ولخم فى جيش الروم هى لخم المهاجرة المتنصرة وهكذا فى بقية القبائل التى نجدها فى الطرفين حتى كانت القبيلة الواحدة فى معارك الفتح تحارب بعضها كل حسب الجانب الذى تناصره وقد ظهر ذلك أوضح ما يكون فى أزد المسلمين وأزد الشام والجميع أصلا من قحطان اليمن .

(٨١) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢١٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ، ص ١٦٢ .

(٨٢) البلاذرى : فتوح البلدان ا ص ١١٦ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ، ص ١٦٢ .

(٨٣) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢١١ .

(٨٤) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٤٦٣ ــ ٤٧٠ .

(٨٥) ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص ٢٣٦ ــ ٢٧٠ .

(٨٦) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١٦١ .

(٨٧) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٦٥ .

وجذام وطيء وعاملة ومعظم بطون قضاعة من بلى وبلقين وبهراء وسليح تنوخ فضلا عن المستعربة والمتنصرة من غسان الذين بلغ عددهم فيما يقال أربعين ألفـا (٨٨) عليهم جبلة بن الأيهم الغسانى آخر ملوكهم ونزلوا الغوطة من أرض دمشق بالخليل والعدد والزينة (٨٩) وهم لا يشكون أن النصر لغير الروم بحكم القدرة المادية والتفوق العددى والتنظيم العسكرى وأن العرب لا محالة منهزمون وعائدون الى شبه جزيرتهم فالتحالف مع الروم والقتال الى جانبهم يرفع قدرهم ويعزز وضعهم ومكانتهم بالشـام فاستماتوا فى القتال ضد المسلمين رغم بشائر النصر التى لاحت لهم منذ البداية ، وعلى أية حال فقد كانت جيوش المسلمين التى قدمت لفتح بلاد الشام نواة القبائل العربية التى استوطنت الشام وقتئذ والتى هاجرت اليه بعد ذلك وكان عددها حينئذ دون الثلاثين ألفا (٩٠) ٠

لا يوجد لدينا حتى الآن احصاء تاريخى يرشدنا الى معرفة القبائل العربية التى نزلت بلاد الشام وعددها عند الفتح وبعده وليس ثمة وسيلة لمعرفة ذلك سـوى الاعتماد على أخبار الوقائع التى جرت بين المسلمين من جهة والروم ومتنصرة عرب الشام من جهة أخرى ودور هذه القبائل فيها وقدراتها ، وكذلك أخبار الوقائع التى جرت بين المسلمين وبعضهم كوقعة صفين ووقعة مرج راهط ـ (وسوف نعرض لكل منها فى مكانها) ـ بالاضافة الى ما نجده فى بعض المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية(٩١) فى محـاولة لاستخلاص معرفة تقريبية بالقبـائل التى كانت بالشام فى الفترة موضوع البحث وصلتها بالأحداث التاريخية لهذه الفترة مما يفسر كثيرا من الأحداث والعلاقات ويحـرر هذه المعرفة بالقبائل من القوالب الجامدة والجداول الرقمية التى لا تصلح لدراسة التاريخ ٠

لما احتشدت جيوش المسلمين بالشام لفتحها واجتمعت لها عساكر الروم وعرب الشام بالغوطة رأى الخليفة أبو بكر الصـديق أن يمدهم بخالد بن الوليد (٩٢) ومن معـه ليشـد من أزرهم ويكون قائدا عليهم

---

(٨٨) ابن اعثم الكوفى : الفتوح : جـ ٢ ص ١٠٢ ٠

(٨٩) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١٦١ ٠

(٩٠) الطبرى : التاريخ : جـ ٢ ص ٥٩١ ٠

(٩١) من أهم هذه المصادر كتاب الهمدانى « صفة جزيرة العرب » وفيه يحدد كثير من منازل القبائل العربية بالشام منذ الفتح وكما وجدها فى عصره فى القرن الرابع الهجرى ٠

(٩٢) كتب الخليفة أبو بكر خالد بن الوليد : « ٠٠ أما بعـد فاذا جاءك كتابى هذا فدع العراق واخلف فيه أهله الذين قدمت عليهم وهم فيه وامض متخففا فى أهل القوة من أصحابك الذين قدموا العراق معك من اليمامة وصحبوك من الطريق وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتى الشـام فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين فاذا التقيتم فأنت أمير الجماعة والسلام عليك » ٠ =

لخبرته الحربية وحنكته فى القتال (٩٣) ، وكان فى ذلك الوقت يعمل فى فتـوح العراق الى جانب المثنى بن حارثه الشـيبانى (٩٤) فامتثل لأمر الخليفة وخرج من الحيرة قاصدا الشام فى ربيع الآخر سنة ١٣هـ(٩٥) فى ثمانمائة رجـل معظمهم من لخم وجـــذام ونحـو ثلاثمائة رجـل من المهاجرين والأنصار وجماعة حسنة من طيء ومثلهم من بجيلة (٩٦) وكانوا كلهم شجعانا ما منهم أحد الا من شهد الوقائع مع النبى ﷺ ولم يصحبه الا قوى ذو نية وبصيرة لأنه كان يقحمهم أمورا يعلمون أنه لا يقوى عليها الا كل قوى جلد (٩٧) ، وفى الطريق نزل خـــالد على صندوداء جنوبى الأنبار (٩٨) وبها قوم من كندة واياد والعجم فقاتله أهلها فظفر بهم وخلف بها سعد بن عمرو بن حرام الأنصارى (٩٩) ، ومضى الى عين التمر وهى قلعة بين الأنبار وكربلاء (١٠٠) بها مسلحة مرابطة لأهل فارس تحصنوا منه وقاتلوه فاستنزلهم وضرب أعناقهم وسبى ذراريهـــم وكان من ذلك السبى أبو عمرة أبو عبد الأعلى الشاعر وسيرين والد محمد بن ســيرين وحمدان بن أبان مولى عثمان بن عفان وغيرهم من مشاهر موالى العرب ٠

رد خالد الضعفاء مع عمير بن ســعد الأنصارى ومضى فى ستمائة رجل (١٠١) فأتاه كتاب من عياض بن غنم أحـد قادة المسلمين يستمده على من بازائه من المتنصرة فســار خالد اليه فكان بازائه بهـــراء وكلب وغسان تنوخ والضجاعم (١٠٢) بالقرب من دومة الجندل (١٠٣) وأهلها نصارى من كلب، وكانت دومة على رئيسين هما : أكيدر بن عبد الملك(١٠٤) والجودى بن ربيعة فأما أكيدر فلم ير قتال خالد وأشار بصلحه فلم يقبل قومه ذلك فخرج عنهم فلما علم خالد بمسيره أرسل اليه عاصم بن عمرو

= الازدى : فتوح الشام : ص ٦٨ ٠

(٩٣) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٥ ٠

(٩٤) الازدى : فتوح الشام : ص ٥٦ ٠

(٩٥) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١١٨ ٠

(٩٦) الواقدى : المصدر السابق : جـ ١ ص ١٦ ، الأزدى : المصدر السابق : ص ٧٦ ، ٧٧ ٠

(٩٧) الأزدى : نفسه : ص ٧٧ ٠

(٩٨) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٤٣٥ ٠

(٩٩) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١١٨ ، الازدى فتوح الشام : ص ٦٩ ، ٧٠ ٠

(١٠٠) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ١٧٦ ٠

(١٠١) الأزدى : فتوح الشام : ص ٧٠ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٢ ص ١٧٠ ٠

(١٠٢) ابن الاثير : الكامل : جـ ٢ ص ٢٧٠ ٠

(١٠٣) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٤٨٧ ـ ٤٨٩ ٠

(١٠٤) عن أكيدر : انظر البلاذرى : أنساب الاشراف : جـ ١ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ٠

معارضا له فقتله (١٠٥) وأخذ ما كان معه وسار حتى نزل على أهل دومة فجعلها بينه وبين عياض وكان المتنصرة من بهراء وغسان وتنوخ الذين أمدوا أهــل دومة من الغرب من الكثرة بحيث لم يحملهم الحصن فلما اطمأن خالد أخرج اليه الجودى جمع ممن عنده من العرب لقتاله وأخرج طائفة أخرى الى عياض فقاتلهم عياض وهزمهم (١٠٦) وهزم خالد من جاءه منهم وأخذ الجودى بن ربيعة أســـيرا وارتد الباقون الى الحصن فلما امتلأ بالناس غلقت الأبواب دون أصحابها فبقوا حوله وقتلوا وقتل الجودى والأسرى الا أسرى كلب فان بنى تميم (١٠٧) قالوا لخالد : « قد أمناهم » وكانوا حلفاءهم فتركهم بعد أن كان قد أنكر عليهم اجارتهم بقوله : « تحفظون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الاســـلام ؟! » فقال له عاصم بن عمرو : « لا تحسدهم العافية فيحوذهم الشيطان » (١٠٨) وأخذ حصن دومة الجندل قهرا فقتلت المقاتلة وسبيت الذرية والسرح (١٠٩) وبيعت الاماء فاشترى خالد ابنة الجودى لنفسه وكانت موصـــوفة فى بنات العرب (١١٠) ٠

---

(١٠٥) أمر خالد بن الوليد بقتل اكيدر بن عبد الملك لانه سبق أن نقد عهدين للنبى ﷺ أحدهما قبل تبوك والآخر فى تبوك وذلك حين ارتد عن الاسلام وامتنع عن أداء الجزية وأصبح يمثل خطرا على جيوش المسلمين المتجهة الى الشام للفتوحات ٠

ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ٩٠ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٧٢ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٦٩ ٠

(١٠٦) الطبرى : التاريخ : جـ ٣ ص ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص ٢٧١ « خبر دومة الجندل » ٠

(١٠٧) هم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخـــة بن الياس من العدنانية ، انظر نسب تميم وبطونها ٠

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ١٧٧ ، ١٧٨ ٠

(١٠٨) أى لا ترد عليهم جوارهم فيردهم الشيطان عن دينهم ٠

(١٠٩) ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص ٢٧١ ٠

(١١٠) البــلاذرى : فتوح البــلدان : ص ١١٩ ، الطبرى : التــاريخ : جـ ٣ ، ص ٣٧٩ ، ٣٨٥ ٠

بعد أن فتح خالد بن الوليد دومة الجندل أتى قصم (١١١) وأهلها بنو مشجعة من قضاعة (١١٢) فصالحوا خالدا وكتب لهم أمانا (١١٣) وفي هذه الأثناء بلغ خالدا أن جمعا لبني تغلب بن وائل بالمصيخ (١١٤) والحصيد (١١٥) شرق الرصافة هموا بالخروج لقتاله عليهم ربيعة ابن بجير التغلبي فأقسم خالد ليبيتن تغلب في دارها وباغتهم فأصاب أهل المصيخ من تغلب في مقتل فقتل وسبي (١١٦) ثم اجتمع مع أصحابه بالثني (١١٧) وبيتهم من ثلاثة أوجه ، ولما انهزم الهذيل التغلبي بالمصيخ لحق بعتاب بن فلان وهو بالبشر (١١٨) في عسكر ضخم فبيتهم خالد بغارة شعواء فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها (١١٩) وبعث بالخبر والخمس الى أبي بكر مع النعمان بن عوف وكانت في الأخماس ابنة مؤذن النمري وليلى بنت خالد وريحانة بنت الهذيل بن هبيرة والصهباء بنت ربيعة بن بجير التغلبي اشتراها علي بن أبي طالب واتخذها لنفسه فولدت له عمر ورقية (١٢٠) ·

---

(١١١) قصم موضع بالبادية قرب الشام من نواحي العراق مر به خالد بن الوليد لما سار من العراق الى الشام وصالحه بنو مشجعة بن التيم بن النمر بن وبرة من قضاعة ثم أتى منه الى تدمر ·

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٣٦٥ ·

(١١٢) هم بنو مشجعة بن التيم بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ·

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٥ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٧٦ ·

(١١٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١١٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٨١ ·

جاء في هذا الأمان « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب خالد بن الوليد لبني مشجعة أن لهم ساقية قسم عذبها وسقيها وجلدها – أي عامرها – من شرقها وأن لأهل الغوطة من غربها ·

الأزدي : فتوح الشام : ص ٧٦ ·

(١١٤) يقال له مصيخ بني البرشا وهو بين حوران والقلت ·

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١٤٤ ·

(١١٥) الحصيد : موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة ·

ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ ·

(١١٦) ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ١١١ ، الطبري : التاريخ : ج ٣ ص ٣٨١ ·

(١١٧) ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٨٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ هامش ٢ ·

(١١٨) اسم جبل بأرض الشام ·

ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٤٢٦ ·

(١١٩) ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ١١ ، الطبري : التاريخ : ج ٣ ص ٣٨٣ ·

(١٢٠) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١١٨ ، الأزدي : فتوح الشام : ص ٧٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٧٣ ·

وكان خالد بن الوليد لما ركب الأرض القفرة الموحشة فى بادية السماوة (١٢١) بين العراق والشام المعروفة بالمفازه كان دليله فيها رافع بن عميرة الطائى (١٢٢) فلما قطع منها شوطا أغار على قراقر وهى ماء لجماعة من كلب ثم فوز من قراقر الى سوى (١٢٣) وهى ماء عليه بهراء (١٢٤) من قضاعة فصبحهم خالد وهم مجتمعون يتغنون (١٢٥) ويشربون الخمر فى جفنة اجتمعوا اليها فكبسهم المسلمون وقتل كبيرهم حرقوص بن النعمان البهرائى وأخذت أموالهم ، ثم سار خالد فأتى مرج راهط (١٢٦) فأغار على غسان (١٢٧) فى يوم فصبحهم فقتل منهم

---

(١٢١) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٢٤٥ .

(١٢٢) هو الذى قال فيه الشاعر :

لله در نافع أنه أهتدى — فوز من قرار الى سوى
أرض اذا ما اجتازها الجن بكى — ما اجتازها قبلك من انس يرى

البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١١٨ ، الأزدى : فتوح الشام ص ٧٣ ، هامش ١ .
الطبرى : التاريخ : جـ ٢ ص ٤١٦ .

(١٢٣) قراقر : مواضع ببادية السماوة .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٣١٧ ، ٣١٨ .
فوز أى اجتار المفازة وهى الأرض القاحلة القفر .
الفيروز أبادى : القاموس : مادة فوز .

(١٢٤) هم بنو بهراء بن عمر بن الحافى بن قضاعة ، ومن بطونهم أهود وقاسط وعبده ومراهة ومبشر وعدى أمهم تكمة بنت مر بالنسبة اليهم بهرائى أو بهراوى ومنهم المقداد بن الأسود صاحب النبى ﷺ .
الأصفهانى : الاغانى جـ ١١ ص ٢٦ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٣ ص ١٠٧ ، جـ ٤ ص ٢٢ ، الزبيرى : تاج العروس : جـ ٣ ص ٦٣ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤١ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ١٧٢ ، أحمد لطفى السيد : قبائل العرب : جـ ١ ص ٥١ . كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ١ ص ١١٠ .

(١٢٥) كان مغنى البهرائيين يقول :

الا عللانى قبل جيش أبى بكر — لعل منايانا قريب ولا ندرى
الا عللانى بالزجاج وكررا — على كميت اللون صافية تجرى
الا عللانى من سلافة قهوة — تسلى هموم النفس من جيد الخمر
أظن خيول المسلمين وخالدا — ستطرقكم قبل الصباح من البشر
فهل لكم فى السير قبل قتالهم — وقبل خروج المعصرات من الخدر

البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١١٨ ، الأزدى : فتوح الشام ص ٧٣ ، هامش ١ ، الصفحة نفسها ، الطبرى : التاريخ : جـ ٣ ص ٣٨١ ، ص ٤١٥ ، ٤١٦ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص ٢٨٠ .

(١٢٦) موضع فى الغوطة شرق دمشق بعد مرج عذراء وهو من أشهر المروج فى الشعر الأموى للحرب التى وقعت بين القيسية واليمينية وما صاحبها من أهوال .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٢١ ، ٢٢ ، جـ ٥ ص ١٠١ .

(١٢٧) الطبرى : التاريخ : جـ ٣ ص ٤١٧ .

وسبى (١٢٨) ، وقد ذكر أبو الخزرج الغسانى أن أمه كانت فى ذلك السبى فلما رأت دين المسلمين وهديهم وصلاحهم وأنه لم يلحقها أذى فى أسرها وقع الاسلام فى قلبهم وأسلمت فطلبها أبوه فى السبى وعرفها فأتى المسلمين وقال : يا أهل الاسلام انى أخوكم وأنا رجل مسلم وقد جئتكم مسلما وهذه امرأتى وقد أصبتموها فان رأيتم أن تصلونى وترعوا حقى وتحفظونى وتردوا على أهلى فعلتم • فقال لها المسلمون : ما تقولين فى زوجك وقد جاء يطلبك وهو مسلم • قالت ان كان مسلما رجعت اليه والا فلا حاجة لى فيه فردوها عليه (١٢٩) •

فى وقعة أجنادين أبلى المسلمون بلاء حسنا وبرزت منهم قبائل حمير التى قاتلت بشجاعة منقطعة النظير وقتل فيها من المسلمين مائة وثلاثون رجلا منهم سيف بن عبادة ونوفل بن دارم والأهب بن شداد والباقون من اليمين والمدينة (١٣٠) وفى أعقاب هذه المعركة حضر خالد بن العاص ـ لما علم باستشهاد ابنه سعيد ـ مع سرية من ثلثمائة رجل من فرسان حمير ليغزو معهم وفيهم ذو الكلاع الحميرى يشجع أصحابه ويقول يا أهل حمير أبواب الجنة فتحت والحور العين قد تزخرفت فظفروا بمجموعة من أنباط الشام فى خدمة الروم فقتلوا منهم ثلاثين رجلا وأسروا أربعة (١٣١) •

بعد وقعة أجنادين وانتصـــار المسلمين فيها وصل الخبر الى المدينة وأعلم به الخليفة أبو بكر الناس فما تمت أيام قلائل حتى جاء جمع من اليمن عليهم عمرو بن معــد يكرب الزبيـــدى فى قومه من زبيـــد (١٣٢)

---

(١٢٨) : فتوح الشام : ص ٨٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٨١ •

(١٢٩) الأزدى : فتوح الشام : ص ٨٣ • •

(١٣٠) الواقدى : فتوح الشام : ج ١ ص ١٨ •

(١٣١) الواقدى : المصدر السابق : ج ١ ص ١٨ •

(١٣٢) هم بنو زبيد بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج من قحطان ، وكان له من الولد ربيعة ومازن والحارث ، ومن الحارث عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن زبيد بن صعب فارس العرب المشهور فى زمانه ، واخته ريحانة بنت معد يكرب أم دريد وعبد الله ابنى العمة الجشميين ومنهم قحمية بن جزر بن عبد يغوث بن ربيعة الزبيدى صحابى بدرى ولاه النبى ﷺ الأخماس والغنائم يوم بدر وهو حليف لبنى جمح ، زوج النبى ﷺ ابنته من الفضل بن عباس فولدت له أم كلثوم بنت الفضل تزوجها أبو موسى الأشعرى •

ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٨١ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤١١ ، ٤١٢ ، ابن منظور : لسان العرب : ج ٤ ص ١٧٧ ، ابن دريد : الاشتقـاق : ص ٢٤٧ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٠٨ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، كحالة ، معجم قبائل العرب : ج ٢ ص ٤٦٥ •

يريدون الشام فما لبثوا حتى أقبـــل مالك بن الأشتر النخعى فى أهله من النخع(١٣٣) فنزل عند الامام على وكان مالك يحب عليا وقد شهد معه الوقائع كلها فيما بعد وكان قصده الخروج مع الناس الى الشام واتجه الجميع بقبائلهم شمالا للانضمام الى جيوش الفتح (١٣٤) ٠

ثانيا : قبائل غسان المتنصرة وجبلة بن الأيهم فى معارك الفتح ٠

لما وصل المسلمون الى الشام لفتحه كانت قبيلة غسان من أزد اليمن زعيمـة القبـائل العربية بالشـام وقتئذ ، وكان عليهم جبلة بن الأيهم الغسانى آخر ملوكهم (١٣٥) الذى شهد الوقائع كلها وكان له دور كبير فيها ٠ وكان الحديث الى جبلة وغسان بمثابة الحديث الى قبائل عرب الشام بأجمعها متنصريها ووثنييها ، فلما جاء المسلمون الى الشام أرادوا استقطاب بنى عمومتهم من غسان وسائر المتنصرة وغيرهم لاحداث شرخ فى جبهة الروم يستهلون به معاركهـم ، ومن ثم كان أول اتصـال للمسلمين بغسان فى معارك الفتح ، فلما قدم أبو عبيدة بن الجراح الى الشام فى جيوش المسلمين وحضر اليه عمرو بن العاص فى أصحابه كان جبلة بن الأيهم الغســانى فى ذلك الوقت ينزل بالغوطـة من أرض دمشق (١٣٦) فى أربعين ألفا من العرب المتنصرة بالخيل والعدد والسلاح والزينة فدعا أبو عبيدة هشام بن العاص أخو عمرو وضم اليه جماعة من المسلمين من أهل الدين والحسب وبعث بهم الى جبلة (١٣٧) لدعوته الى الاسلام أو نصرة بنى عمومتـه وأهله من اليمن أو حتى اعتزال الحرب والتخلى عن الروم تحسبا لمن يكون له النصر ٠

سار القوم حتى أتوا الغوطة من أرض دمشـق ووصلوا الى باب جبلة واستأذنوا عليه فأذن لهم فدخلوا عليه فى مجلس له مزخرف فاذا هو على فرش له مرتفعة وعلى يمينه كراسى الذهب والفضة عليها ملوك

---

(١٣٣) النخع بطن من مالك بن أدد من القحطانية ٠
ابن حزم : الجمهرة : ص ٤١٤ ، ٤١٥ ٠

(١٣٤) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٦٨ ٠

(١٣٥) هو جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث الأعرج بن جبلة بن الحارث الأكبر ابن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ابن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء وكنيته جبلة أبو المنذر الغسانى الجفنى وهو آخر ملوك غسان وملك نصارى العرب جميعا بالشام أيام هرقل ٠
ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٧٢ ، العوتبى : الانساب : جـ ٢ ص ٥٥ ، ٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ، ص ٦٨ ٠

(١٣٦) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٢١٩ ٠

(١٣٧) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ١٠٢ ٠

اليمن عليهم الديباج المنسوج وعلى رءوسهم العمائم وقد اعتجروا بها على زى العرب والمجلس مفروش بالديباج الأسود وجبلة يرتدى ثيابا سود ويضع تاجا على رأسه ، فلما رأى المسلمين أومأ اليهم أن اجلسوا فجلسوا بعيدا عنه واذا رسول جبلة قد أقبل اليهم وقال : يقول الملك ما حاجتكم ؟ فقال هشام للرسول : ارجع اليه وقل له ان أردت كلامنا فانزل عن فرشك وكلمنا (١٣٨) فانطلق اليه الرسول وخبره بذلك فتذكر جبلة أصله العربى وعادات العرب ونزل عن فرشه المرتفع الذى كان يجلس عليه وجلس على فرش دونها وأشار الى وفد المسلمين بالتقدم فتقدموا وجلسوا قريبا منه فكلمه هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام ورغبه فيه وقرأ عليه من كتاب الله وخبره بأمر الجنة والنار فأبى جبله ذلك ونفر من الاسلام ، فقال له هشام : وقد أبيت ما دعوناك اليه فانى مسائلك . فقال : سل عما بدالك . فقال هشام : ما هذه الثياب السود التى أراها عليك ؟ قال جبلة انى لبستها نذرا على أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام (١٣٩) . فتبسم هشام وقال : انك والله لن تقدر أن تمنع مجلسك هذا منا ووالله لنأخذنه ولنأخذن ملك الملك الأعظم « يقصد هرقل » وبذلك خبرنا نبينا الصادق « عليه الصلاة والسلام » ، قال جبلة : فربما تدعون أنكم السمراء . قال هشام : وما السمراء ؟ قال جبلة : السمراء قوم نجدهم فى الانجيل يصومون النهار ويقومون الليل يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، يفتحون من المشرق الى المغرب ، قال هشام : نحن والله ، أولئك الموصوفون (١٤٠) . فقال جبلة : الى بعثتم أم الى الملك الأعظم ؟ فقال هشام : بعثنا اليك واليه . قال : فسيروا اذن اليه فان أجابكم الى ما تريدون أجبتكم ولم أتأب عليكم (١٤١) ، وأبى جبلة أن يدخل الاسلام لأنه كان وسائر عرب الشام تابع للروم ولم يكن جبلة ملكا الا على قومه وسائر المتنصرة ولم يكن له مع الروم قول اذا قالوا .

وكما فعل العرب فى محاولة اتخاذ جبلة وقومه من غسان أداة لتحقيق أهدافهم فى هزيمة الروم فعل الروم ذلك أيضا فجعلوا جبلة حلقة الاتصال بينهم وبين المسلمين لردهم عن الشام بأقل ما يمكنهم من الخسائر، فلما فشلت المفاوضات بين جريجورى وأبو عبيدة بن الجراح قبل اليرموك فى رجوع العرب عن الشام (١٤٢) أراد الروم أن يستعملوا الحيلة فى ذلك تجنبا لاراقة الدماء وخشية الصدام بالعرب المتحمسين ما أمكنهم ذلك.

---

(١٣٨) ابن أعثم : المصدر السابق : ج ١ ص ١٠٣ .
(١٣٩) ابن أعثم : نفسه : ج ١ ص ١٠٣ .
(١٤٠) الواقدى : فتوح الشام : ج ١ ص ١٦٩ .
(١٤١) ابن أعثم : نفسه : ج ١ ص ١٠٣ .
(١٤٢) عن هذه المفاوضات انظر : الواقدى : فتوح الشام : ج ١ ص ١٦٥ .

فقال ماهان لجريجورى ابعث اليهم بعض العرب المتنصرة فان العـرب يميل بعضهم الى بعض فدعا ماهان بجبلة بن الأيهم الغسانى وقال له : يا جبلة اخرج الى هؤلاء العرب وخوفهم من كثرتنا وتواتر عددنا والق فى قلوبهم الرعب واحط بهم مكرك (١٤٣) .

خرج جبلة بن الأيهم وسار حتى قرب من عساكر المسلمين ونادى يا معشر العرب ليخرج الى رجل من ولد عمرو بن عامر « يقصد من الأزد » لأخاطبه بما أرسلت به . فلما سمع أبو عبيدة كلام جبلة بن الأيهم قال : بعث اليكم القوم بأبناء جنسكم يريدون الخديعة بصلة الرحم والقرابة فابعثوا اليه رجلا من الأنصار من ولد عمرو بن عامر فأسرع اليه بالخروج عبادة بن الصامت الخزرجى (١٤٤) فقال له جبلة : يا فتى من أى الناس أنت قال عبادة : أنا من ولد عمرو بن عامر قال جبلة : حييت فمن أنت ؟ قال عبادة : صاحب رسول الله « ﷺ » فاسأل عما تريد : قال جبلة : يابن العم انما خرجت اليكم لأنى أعلم أن أكثركم من الرحم والقرابة ـ « مشيرا الى أن معظم جيوش الفتح من اليمن » ـ فخرجت اليكم ناصحا مشيرا ، فهؤلاء القوم الذين نزلوا بازائكم معهم جنود لا قبل لكم بهـا وخلفهم عساكر وحصون وقلاع وأموال ، ولا تقولوا كسرنا وهزمنا عساكر الروم واعلم ان الحـرب دولا وسـجال (١٤٥) وان هزمكم هؤلاء القوم لا يكون لكم ملجأ غير الموت ، وهؤلاء القوم ان هزموا يرجعون الى بلادهم وعسكرهم والخزائن والحصون ، وما قد نلتم من نيل فخذوه وامضوا الى بلادكم سـالمين .

وظل جبلة ملك غسان وكبيرهم يهـدد ويتوعـد ويمنى ويرغب لصرف المسلمين عن الشام وأهله ، ولكن الأخيرين كانوا قد خرجوا لبلوغ هدف ولا محيص عن بلوغه . فقال عبادة بن الصامت لجبلة بن الأيهم زعيم المتنصرة ومندوب الروم للتفاوض مع المسلمين للرحيل عن الشام : أما علمت يا جبلة ما لقيت جموعكم بأجنادين وغيرها وكيف نصرنا الله عليكم وهرب طاغيتكم ونحن على علم بمن بقى من جموعكم وقد تيسر علينا

---

(١٤٣) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٦٨ .

(١٤٤) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن اصرم من ولد فهر بن ثعلبة بن قوقل بن عوف من الخزرج بن حارثة من العرب القحطانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٥٤ ، البلاذرى : انساب الاشراف : جـ ١ ص ٢٣٩ ، ٢٥١ ، ٢٧٩ .

(١٤٥) الواقدى : فتوح الشام : جـ١ ص ١٦٨ .

أمره ولا نخاف ممن يقدم علينا وقد ولغنا (١٤٦) فى الدماء فلم نجد أحلى من دماء الروم (١٤٧) وندعوك يا جبلة الى دين الاسلام وأن تدخل مع قومك فى ديننا وتكون على شرفك فى الدنيا والاخرة ولا تكون تابعا علجا من علوج الروم تفديه بنفسك من المهالك وأنت رجـل من سادات العرب وملوكهم وان ديننا ظهر أوله وآخره يظهر كما ظهر أوله فاتبع سبيل من أناب الى الحق وصدق به . فغضب جبلة من كلام عبادة وقال له : لست مفارقا دينى ، فتهدده عبادة بالابتعاد عن مناصرة الروم لصـلة الرحـم وقال له : فان أبيت الا ماأنت عليه من الكفر فاياك أن تلقانى فى الموعد الأول فان لنا وقعة عظيمة فان أخذتك أشفار (١٤٨) سيوفنا فلا تتخلص من شفارها ودعنا وعساكر الروم فهم أهون علينا فان أبيت الا ما أنت عليه حل بك ما حل بهم (١٤٩) ، قال جبلة تخوفنى من سيوفكم ونحن عرب مثلكم رجل لرجل . قال عبادة قد علمنا أنك انما خرجت الينا مخادعا ولعدونا معينا ولسنا كأنتم فنحن على قلتنا نوحد ربنا ونتبع سنة نبينا وان وراءنا عسكرا يعلو الأقطار ويسد القفار فقال جبلة : لست أعرف وراءكم جيشا غير هذا الجيش ولا من ينصركم فقال له عبادة : كذبت والله يا ابن الأيهم فى قولك وان وراءنا رجالا أنجادا وأبطالا شدادا يرون الموت مغنما والحياة مغرما كل واحد بنفسه يلقى جيشا حافلا (١٥٠) ، أنسيت عليا وسطوته وعمر وشدته وعثمان وبراعته والعباس وطلعته مع ما يجتمع اليهم من فرسان المسلمين من مكة والطائف واليمن . فلما سمع جبلة ذلك من كلام عبادة قال يا ابن العـم انما خرجت لا أريد سوى النصيحة لكم فان أبيتم ذلك فاسأل قومك يجيبونا الصلح فقال عبـادة لا صلح بيننا الا بأداء الجزية أو الاسـلام أو السيف وهو حـكم بيننا وبينكم ووالله لولا أن الغدر يقبح بنا لعلوتك بسيفى هذا (١٥١) .

لما سمع جبلة كلام عبادة لم يجد عنده جوابا الا أن ثنى رأس جواده وأتى ماهان فزعا مرعوبا فقال له : أيها الملك انى خوفت وأرعبت ومنيت فكان ذلك عندهم بالسواء وقالوا : ما بيننا الا الحرب والقتال . فقال له

(١٤٦) ولغنا فى الدماء أى أغرقناها وخضنا فيها ، والأصل من (ولغ) الكلب فى الاناء يلغ ولوغا أى شرب ما فيه بأطراف لسانه واللفظ هنا مستعار والمقصود ذقناها .
الرازى مختار الصحاح : ص ٧٣٥ ، ٧٣٦ « مادة ولغ » .

(١٤٧) الواقدى : فتوح الشام : ج ١ ص ١٦٨ ، ابن اعثم : الفتوح ج ١ ص ١٠٢ .

(١٤٨) أشفار : مفردها « شفر » وهو حد السكين أو السيف .
الفيروز ابادى : القاموس : مادة شفر ، الرازى : مختار الصحاح : ص ٣٤١ مادة شفر .

(١٤٩) الواقدى : المصدر السابق : ج ١ ص ١٦٨ .

(١٥٠) الواقدى : نفسه : ج ١ ص ١٦٩ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢٨١ .

(١٥١) الواقدى : نفسه : ج ١ ص ١٦٩ ، الأصفهانى : الأغانى : ج ٤ ص ٢١ .

ماهان : فما هذا الفزع الذي أراه في وجهك وهم عرب مثلكم وأنتم عرب مثلهم وقد بلغني أنهم ثلاثون ألف فارس وأنتم ستون ألفا ، أما يقاتل الرجلان منكم الواحد منهم ؟! فسر أنت وأبناء عمك من العرب المتنصرة الى قتالهم وانا وراءكم فإن ظفرتم بهم كان الملك مشتركا بيننا وبينكم وتكون أقرب الناس إلينا ويسلم اليكم ما فتحه العرب من بلاد الشام (١٥٢) ٠

وهكذا بعد أن كان الروم يأمرون قبائل عرب الشام بالشيء فيفعلونه جعل ماهان يرغب جبلة في العطاء ويلينه ويحرضه على قتال المسلمين حتى أجابه الى ذلك وأخبر به قومه من غسان وبني عمه من لخم وجذام وغيرهم من العرب المتنصرة وأمرهم بأخذ الأهبة للحرب والقتال. ففعل القوم ذلك وركبوا في سابغ الحديد والزرد وهم ستون ألف فارس ما يخالطهم من غير العرب أحد يقدمهم جبلة بن الأيهم وعليه درع من الذهب الأحمر متقلدا بسيف من عمل التبابعة وعلى رأسه الراية التي عقدها له الملك هرقل فسار حتى أشرف على المسلمين في ستين ألف فارس من العرب المتنصرة (١٥٣) وبينما أبو عبيدة يتحدث مع عبادة بن الصامت بما جرى بينه وبين جبلة اذ طلع عليهم القوم فلما رآهم المسلمون صاح بعضهم على بعض : يا معاشر المسلمين قد أقبلت عليكم العرب المتنصرة لقتالكم فما أنتم فاعلون ؟ قالوا : نقاتلهم ونرجو من الله تعالى الظهور عليهم (١٥٤) ، وهموا بالحملة فصاح عليهم خالد بن الوليد بألا يعجلوا حتى يكيدهم بمكيدة فان الحرب خدعة ودماء المسلمين عزيزة وما زالت المعارك في بدايتها والروم يتربصون ، قال خالد لأبي عبيدة : ان القوم قد استعانوا علينا بالعرب المتنصرة وهم أضعاف عددنا ونحن ان قاتلناهم بجمعنا كله كان وهنا علينا وضعفا لما بعده وأريد أن نبعث لهم رسولا من بني عمهم يكلمهم في شأن ردهم عنا فان فعلوا كان ذلك كسرا لهم وللروم وان أبوا الا الحرب خرج منا نفر يسير يردونهم على أعقابهم بقوة الايمان الذي وقر في قلوبهم ٠ فتعجب أبو عبيدة من كلامه وقال له افعل ما تريد (١٥٥) ٠

---

(١٥٢) الواقدي : نفسه : ج ١ ص ١٦٩ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٦ ص ١٨٧ ٠

(١٥٣) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٤٠ ٠

(١٥٤) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧٠ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ١٠٣ ٠

(١٥٥) الواقدي : نفسه : ج ١ ص ١٧٠ ٠

وعند ذلك دعا خالد بن الوليد بقيس بن ثعلبة الخزرجي (١٥٦) وعبادة بن الصامت الخزرجي وجابر بن عبد الله وأبي أيوب بن خالد بن يزيد فلما حضروا اليه قال لهم : يا أنصار الله ورسوله : هؤلاء العرب المتنصرة يريدون قتالكم وهم غسان ولخم وجذام وهم بنو عمكم في النسب فاخرجوا اليهم وخاطبوهم واجتهدوا في ردهم عن حربكم وقتالكم فان فعلوا ذلك والا أخذهم السيف منا ومنكم وكنا لقتالهم كفؤا ، فخرج الرسل الى العرب المتنصرة فوجدوا جبلة بن الأيهم قد نزل بازاء المسلمين يريد حربهم وقتالهم فلما قربوا من بني غسان نادى جابر بن عبد الله يا معاشر العرب من لخم وجذام وغسان اننا بنو عمكم ونريد الدنو منكم فأذن لهم جبلة فدخلوا عليه (١٥٧) فاذا هو مضرب في الديباج متفرش بالحرير الأصفر جالسا وحوله ملوك جفنة فحيوه بتحية الملوك العرب فرفع جبلة أقدارهم وأدنى مزارهم وقال : يابني العم أنتم من الرحم ومن القرابة واني خرجت اليكم من جهة هذا الجيش الذي يرهقكم فخرج الى رجل منكم أفرط علي في المقال فما الذي جاء بكم ؟ فكان أول من كلمه جابر بن عبد الله (١٥٨) وقال : يا ابن العم : لا تؤاخذنا فيما تكلم به صاحبنا فان ديننا لا يقوم الا بالحق والنصيحة وان النصيحة لك منا واجبة لأنك ذو قرابة ورحم وقد أتينا اليك ندعوك الى دين الاسلام وتكون من أهل ملتنا ويكون لك ما لنا وعليك ما علينا فان ديننا شريف فقال جبلة : ما أحب ذلك ولا غيره لأنني ضنين بديني وأنتم يا معاشر الأوس والخزرج رضيتم لأنفسكم أمرا ونحن رضينا لأنفسنا أمرا (١٥٩) . فقال له الأنصاري ان كنت لاتحب أن تفارق دينك الذي أنت عليه فاعتزل عن قتالنا لتنظر لمن تكون العاقبة والغلبة فان كانت لنا وأردت الدخول في ديننا قبلناك وكنت منا وأخانا وان أقمت على دينك قنعنا منك بالجزية وأقررناك على بلدك وعلى مواطن آبائك وأجدادك ، فقال جبلة : أخشى ان تركت حربكم وقتالكم وكانت الدائرة للقوم لا آمن أن يتقووا على بلدي لأن الروم لا ترضى مني الا أن أكون مقاتلا لكم وقد رأسوني على جميع

---

(١٥٦) من ولد طريف بن الخزرج بن ساعدة .
البلاذري : انساب الاشراف : جـ ١ ص ٣٣١ .

(١٥٧) الواقدي : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٧٠ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٨١ .

(١٥٨) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي مات سنة ثلاث وسبعين وهو ابن أربع وتسعين سنة وصلى عليه ابان بن عثمان والي المدينة في ذلك الوقت .
البلاذري : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٢٤٨ .

(١٥٩) الواقدي : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٧٠ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ١٠٣ .

العرب بالشام وأنا لو دخلت فى دينكم كنت دنيئا لا أتبع (١٦٠) ، فقال الأنصارى : فان أبيت ما عرضناه عليك وظفرنا بك قتلناك فاعتزل عنا وعن سيوفنا فتكون الواقعة بغيرك أحب الينا من الوقعة بك وبمن معك ، وكان الأنصار يريدون بهذا الكلام تخويفه وترغيبه كى ينصرف عنهم وجبلة يأبى ذلك وقال لهم : وحق المسيح والصليب لابد أن أقاتل عن الروم ، ولو كان جميع الأهل والقرابة فقال له قيس بن ثعلبة : يا جبلة أبيت إلا أن يحتوى الشيطان على قلبك فيهوى بك فى النار فتكون من الهالكين وانما آتيناك لندعوك الى دين الاسلام لأن رحمك متصلة برحمنا ، فان أبيت فستعانى منا حربا شديدة يشيب فيه الطفل الصغير ، ثم وثب قيس بن ثعلبة وقال لقومه : انهضوا على بركة الله ومضيا الى أبى عبيدة وخالد بن الوليد وأعلموهما بمقولة جبلة وموقفه وأنه ما يريد الا القتال فقال خالد : أبعده الله تعالى فوعيش عاش فيه رسول الله « ﷺ » لينظرن جبلة منا ما ينظر (١٦١) .

خطب خالد بن الوليد فى القوم ملخصا خطته فى مواجهة متنصرة العرب قال : اعلموا معاشر المسلمين أن القوم فى ستين ألف فارس من المتنصرة وهم حزب الشيطان ونحن ثلاثون ألف فارس من حزب الرحمن ونريد أن نلقى هذا الجمع الكبير فان قاتلنا جبلة بجمعنا كله كان ضعفا لنا ولما نحن مقدمون عليه ولكن ينتدب منا أبطال أنجاد ورجال أشداء مشهود لهم بالبراعة والكفاءة لقتال هؤلاء العرب المتنصرة فان هزموا فلت شوكة الروم ، واختار خالد بن الوليد جمعا من جيشه من أشداء القبائل معظمهم من أزد اليمن والأنصار لأنهم أعلم الناس بقتال قومهم من أزد غسان ومن والاهم من قضاعة (١٦٢) ، ومشى خالد بن الوليد بنفسه بين القوم مناديا عليهم كل باسمه فقال : أين عمرو التميمى ؟ أين شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله ؟ أين خالد بن سعيد بن العاص ؟ أين يزيد بن أبى سفيان ؟ أين صفوان بن أمية الجمحى ؟ أين سهل بن عمرو العامرى ؟ أين ضرار بن الأزور الكندى ؟ أين رافع بن عميرة الطائى ؟ أين زيد الخيل أبيض الركابين ؟ أين حذيفة بن اليمان ؟ أين قيس بن سعد ؟ أين كعب ابن مالك الأنصارى ؟ أين سويد بن عمرو الغنوى ؟ أين أبو أيوب الأنصارى ؟ أين عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ؟ وصار يختار من القوم الواحد تلو الآخر فأخرج منهم بالاضافة الى ما سبق : عبد الله بن عمر

---

(١٦٠) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٧١ .

(١٦١) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٧١ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ١ ص ١٠٢ .

(١٦٢) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٧١ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٢ .

ابن الخطاب ورافع بن سهل ويزيد بن عامر وعبيد بن أوس ومالك بن نصر ونصر بن الحرث وأبو لبابة بن المنذر وعبادة بن عبد الله الأنصاري ورافع بن عجرة وعبيد بن عبد الله ومعقب بن قيس وأسيد الساعدي وكلال بن الحرث المازني (١٦٣) . وصار خالد يختار مقاتليه فردا فردا وكأنه يريد أن يكون جيشا فدائيا حريصا على الموت حرصه على الحياة .

لما انتهى خالد من ذلك خطب في الجمع محمسا ومرشدا قال : « ان كان لكم صبر وأيدكم الله بنصره مع صبركم وهزمتم هؤلاء العرب المتنصرة فاعلموا أنكم لجيش الروم غالبون لأنكم ان هزمتم هؤلاء العرب وقع الرعب في قلوبهم فينقلبوا خاسرين » وقال لهم الأمير أبو عبيدة بن الجراح : « تأهبوا رحمكم الله وخذوا أسلحتكم وعدتكم وليكن قتالكم بالسيف والجحف عليها تدور دوائر الحرب ، واركبوا خيولكم السبق النواجي ولا يركب الرجل منكم الا جواده الذي يصبر به » . ولم ينـاموا ليلتهم وباتوا في بكاء وتضرع وهم يسألون الله تعالى النصر على الأعداء (١٦٤) الى أن أصبح الصباح فصلى بهم الأمير أبو عبيدة صلاة الفجر فلما فرغ من صلاته كان أول من أسرع الى الخروج خالد بن الوليد (١٦٥) وتبعه الناس .

نظرت العرب المتنصرة الى أصحاب النبي ﷺ وقد أقبلوا نحوهم فصاح جبلة بالعرب المتنصرة وحرضهم ليرهب المسلمين ونادى يا آل غسان أسرعوا الى نصرة الصليب وقاتلوا من كفر به . فبادروا بالاجابة وأخذوا أهبة الحرب ورفعوا الصليب واصطفوا للقتال وقد طلعت الشمس على لامة الحرب فلمع شعاعها على الحديد والزرد والبيض فصارت كأنها شعل النار (١٦٦) ووقفوا يبصرون ما يصنع المسلمون الى أن قاربوا صلبان العرب المتنصرة ونادى خالد بن الوليد يا عبدة الصلبان وأعداء الرحمن هلموا الى الحرب والطعان فلما سمع جبلة كلام خالد خرج من بين أصحابه

---

(١٦٣) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧١ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ١٠٣ .

(١٦٤) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧٢ ، البكري : تاريخ الخميس : ج ٢ ص ٦١ .

(١٦٥) كان خالد يرتجز ويقول عندما خرج :

هبوا جميع اخوتي أرواحا	نحو العدو نبتغي الكفاحا
نرجو بذلك الفوز والنجاحا	اذا بذلنا دونه أرواحا
ويرزق الله لنا صلاحا	في نصرنا الغدو والرواحا

الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧٢

(١٦٦) الواقدي : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٧٤ .

وقد اشتمل بلأمة حربه وهو يقول (١٦٧) . من الصائح والمستنهض لنـا فى قتالنا فقال خالد بن الوليد : أنا ابن الوليد فأخرج الى حومة الحرب ، فقال جبلة : نحن قد رتبنا أمورنا لحربكم وقتالكم وأنتم تتربصون عن قتالنا فواحق المسيح لا أجبناكم الى الصلح أبدا فارجعوا الى قومكم وأخبروهم أننا ما نريد الا القتال ، فأظهر خالد التعجب من قوله وقال له يا جبلة أتظن أننا خرجنا رسلا اليك !! فقال جبلة : أجل . فقال له خالد : ليس الأمر كما تظن فوالله ما خرجنا الا لحربكم وقتالكم فان قلت أننا شرذمة فان الله ينصرنا عليكم . فقال جبلة : لقد غررت بنفسك وبقولك اذ خرجت الى قتالنا ونحن سادات غسان ولخم وجذام فقال خالد : لا تظن ذلك فرجل منا بمائة منكم ووراءنا رجال الحرب اليهم أشهى من العطشان الى الماء البارد . قال جبلة : يا أخا بنى مخزوم لقد كنت أفضلك فى عقلك وأروم بك مرام الأبطال حتى سمعت منك هذا الكلام فنحن سادات غسان وأبطال الزمان ها أنا أحمل فلا يبقى منكم أحد . ثم صاح جبلة بقومه يا آل غسان الحملة .

ووقعت الحرب وحمي وطيسها فلما انتصف النهار حمل أبو عبيدة بمن معه واذا العرب المتنصرة منهزمين (١٦٨) وقتل منهم جمع غفير يذكر الواقدى أنه « خمسة آلاف قتيل وكبيران من كبرائهم هما رفاعة بن مطعم الغسانى وشداد بن الأوس واستشهد من المسلمين عشرة رجال منهم : جعفر بن المسيب وقيس بن عامر ورجل يدعى راعلة واثنان من الأنصار هما عامر الأوسى وسلمة الخزرجى وأسر خمسة رجال هم : رافع بن عميرة الطائى وربيعة بن عامر وضرار بن الأزور وعاصم بن عمرو ويزيد بن أبى سفيان وعظم ذلك على المسلمين فقال خالد بن الوليد : معاشر المسلمين لقد بذلت مهجتى أقتل فى سبيل الله تعالى فلم أرزق الشهادة فمن قتل من المسلمين كان أجله قد حضر ومن أسر كان خلاصه على يدى ان شاء الله (١٦٩) ، وباتت عامة الفرسان فى فرح وسرور وبات الروم فى نوح عظيم حين كسرت حامية عسكرهم من العرب المتنصرة ولكن أصحاب النبى ﷺ اغتموا لأسر اخوانهم وكان أكثرهم غما أبو عبيدة بن الجـراح .

---

(١٦٧) قال جبلة يرتجز ردا على خالد بن الوليد :

انا لمن عبدوا الصليب ومن به ... نسطو على من عابنا بفعالنـا
ولقد علونـا بالمسيح وأمـه ... والحرب تعلم أنها ميراثنـا
أنا خرجنـا والصليب أمامنـا ... حتى تبـددكم سيوف رجالنـا

الواقدى : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧٤ .

(١٦٨) الواقدى : المصدر كسابق : ج ١ ص ١٧٥ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(١٦٩) الواقدى : فتوح الشام : ج ١ ص ١٧٦ .

ولما مثل الخمسة الذين أسروا بين يدى ماهان الأرمنى قائد جيوش الروم استحقر شأنهم وقال لجبلة : من هؤلاء ؟ فقال مهولا له الأمر لينال عنده الحظوة : أيها الملك هؤلاء قوم من جيش المسلمين كانوا ستين رجلا قتلت أكثرهم وأسرت هؤلاء وما بقى فى عسكرهم من تخاف غائلته الا رجل واحد هو الذى يثبتهم ويرمى بهم كل المرامى (١٧٠) وهو الذى فتح أرك (١٧١) وتدمر (١٧٢) وحوران وبصرى (١٧٣) ودمشق وهو الذى كسر عساكر أجنادين وقتل جمع من الروم فى مرج الديباج (١٧٤) وهو خالد بن الوليد (١٧٥) وهكذا استمر جبلة بن الأيهم وقومه من غسان خطرا على المسلمين ولم تفلح جميع محاولاتهم لاستمالته اليهم أو تخليه عن دور الحليف المخلص للروم .

فى هذه الآونة أخذ الروم على المسلمين هجومهم المفاجىء على الشام مع أنهم كانوا يحسنون جوار من جاورهم من العرب فى الزمن الماضى كما ادعوا ، فلما توجه خالد بن الوليد مع ميسرة بن مسروق العبسى الى معسكر الروم قبل موقعة اليرموك للتفاوض معهم قال له ماهان : « .. لقد كان لنا منكم يا معشر العرب جيران صدق وكنا نحسن جوارهم ونعظم أقدارهم ونتفضل عليهم ونفى لهم بالعهد فينزلون بلادنا حيث شاءوا آمنين ، وكنا نظن أن جميع العرب ممن لا يجاورنا يشكرون لنا ذلك لما كنا نأتى من الاحسان الى اخوانهم وأنتم من العرب فلم تشكروا فعلتنا باخوانكم واصطناعنا لهم » (١٧٦) . وكان مما رد به خالد عليه .. « ان ما ذكرت من انعامكم على جيرانكم من العرب ، انما كان ذلك أمرا تصلحون به دنياكم ، واحسانكم اليهم انما كان زيادة فى ملككم لأن عامتهم قد دخلوا فى دينكم فهم يقاتلون معكم وهذا جبلة بن الأيهم الغسانى رجل من العرب غير أنه معكم فى جميع بنى عمه المتنصرة فهو أشد علينا منكم » (١٧٧) .

---

(١٧٠) الواقدى : المصدر السابق : جـ ١ ص ١٨٤ .

(١٧١) مدينة صغيرة فى طرف برية حلب قرب تدمر ذات نخل وزيتون وقد ذكر ياقوت انها من فتوح خالد بن الوليد فى اجتيازه من العراق الى الشام .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ١٥٣ .

(١٧٢) ياقوت : المصدر السابق : جـ ص ١٧ ــ ١٩ .

(١٧٣) المصدر نفسه : جـ ٢ ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، جـ ١ ص ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(١٧٤) مرج الديباج : واد عجيب المنظر بين الجبال بينه وبين المصيصة عشر اميال .
ياقوت : المصدر نفسه : جـ ٥ ص ١٨٤ .

(١٧٥) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٨٤ .

(١٧٦) ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ١٩٠ .

(١٧٧) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ١٩١ .

وأيا كان الأمر فقد كتب الأمير أبو عبيدة الى الخليفة عمر بن الخطاب كتابا يعلمه بما كان من أمر جبلة وقومه من غسان وسائر المتنصرة ومما جاء فيه : « ٠٠ ان هرقل قد استنفر علينا كل من يحمل الصليب فسار القوم الينا كالجراد المنتشر وقد نزلنا باليرموك (١٧٨) بالقرب من أرض الرماة والعدو في مائة ألف مقاتل غير التبع وفي مقدمتهم ستون ألفا من العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام فأول ما لقينا جبلة بن الأيهم في ستين ألف فارس فأخرجنا اليه جيشا فهزم الله المشركين على أيديهم ٠٠ فلا تغفل عن المسلمين وأمدنا برجال من الموحدين ونحن نسأل الله تعالى أن ينصرنا وينصر الاسلام وأهله » (١٧٩) وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن قرط الأزدي وأمره أن يتوجه الى يثرب ففعل وجاءه بالرد بعد عشرة أيام والمسلمين لم يلتحموا بعد بالروم في الموقعة الكبرى باليرموك وهم قائمون ينتظرون المدد (١٨٠) ٠

فلما سار عبد الله بن قرط من المدينة يوم الجمعة وكان يوم السبت صلى المسلمون الفجر خلف عمر بن الخطاب وبينما هم يقرءون من القرآن ما تيسر اذ سمعوا ضجة عظيمة وجلبة هائلة ففزعت قلوبهم وخرجوا مبادرين واذا هم بقوم من اليمن من صدوان (١٨١) وأرض سبأ وحضرموت (١٨٢) اجتمعوا للجهاد وهم ستة آلاف يقدمهم جابر بن خول الربعي فترجلت ساداتهم وسلموا على أمير المؤمنين عمر فأمرهم بالنزول ، فلما أقبل الظلام جاء ألف فارس من مكة والطائف ووادي نخلة (١٨٣) وثقيف يتقدمهم سعيد بن عامر وسلموا على الخليفة فأمرهم بالنزول ازاء

---

(١٧٨) اليرموك واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن ثم يمضي الى البحيرة المنتنة ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٤٣٤ ٠

(١٧٩) الواقدي : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٧٧ ٠

(١٨٠) الواقدي : المصدر السابق : جـ ١ ص ١٨٠ ٠

(١٨١) بطن من كهلان من القحطانية وهم بنو صدا بن يزيد بن حرب بن علة وسموا صدوان لأنهم صدوا عن بني يزيد بن حرب وجانبوهم وحالفوا بني الحارث بن كعب ومنهم زياد بن الحارث الصدواني وفد على النبي ﷺ وبعث الى قومه فأسلموا ٠

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤١٣ ، ٤٧٧ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧

(١٨٢) ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٢٦٩ ـ ٢٧١ ٠

(١٨٣) وادي نخلة بالحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٢٧٨ ٠

أهل اليمن فلما كان يوم الأحد جمل عمر ضعيفهم وزودهم وعقد راية حمراء على قناة وسلمها الى سعيد بن عامر وأمرهم بالمسير الى الشام (١٨٤)٠

لما انتهت موقعة اليرموك وهزم الروم ومتنصرة العرب عقد أبو عبيدة لحبيب بن مسلمة الفهري على خيل الطلب فجعل يقتل من أدرك من المهزومين والفارين من الروم والمتنصرة (١٨٥) ، فانحاز جبلة بن الأيهم بقومه من غسان الى الأنصار وقال لهم أنتم اخوتنا وبنو أبينا وأعلن اسلامه فأجاره القوم (١٨٦) لأن غسان هم أولاد عم الأنصار أوسها وخزرجها (١٨٧) ، ولما أسلم جبلة كتب الى الخليفة عمر بن الخطاب من الشام سنة ١١ هـ — ٦٣٢ م يستأذنه فى القدوم عليه فأذن له عمر فركب جبلة من الشام فى خمسمائة فارس من آل جفنة وأشراف قبائل غسان (١٨٨) فلما وصل ذى خشب (١٨٩) نزل فلبس وأصحابه أقبية الديباج وجعلوا على رءوسهم الأكاليل وتقلدوا السيوف المحلاة وحملهم جبلة على أعناق الخيل وقد قلدوها قلائد الذهب (١٩٠) ، ولبس هو تاج الملك مكللا باللؤلؤ والياقوت والزبرجد وفى مفرق منكبه قرط جدته مارية بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة (١٩١) ، وتلقت الأنصار جبلة وموكبه بذى خشب بالنزول والطرايف وساروا يحفونه حتى دخل المدينة التى خرج أهلها نساء ورجالا للنظر الى جبلة وموكبه (١٩٢) الذى لم يشهد الحجاز له مثيلا من قبل حتى قيل انه لم يبق بالمدينة أحد فى ذلك اليوم

---

(١٨٤) خرج ابن عامر وهو يقول :

نسير بجيش من رجال أعزة	على كل عجاج من الخيل يصبر
الى شبل جراح وصحب بنينا	لننصره والله للدين ينصر
على كل كفار لعين معاند	تراه على الصلبان بالله يكفر

الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٨٠ ٠

وكذا تفصيل رحلته من الحجاز الى الشام وكيف ضل الطريق ثم اهتدى ، ص ١٨٠ ، ١٨١ ٠

(١٨٥) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤١ ٠

(١٨٦) البلاذرى : المصدر السابق : ص ١٤٢ ٠

(١٨٧) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ص ٦٨ ٠

(١٨٨) العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ، ص ٦٩ ٠

(١٨٩) ذى خشب : جبل فى وادى العالية باليمامة وهو جمع أخشب وهو الخشن الغليظ من الجبال ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٣٧٢ ٠

(١٩٠) **العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٥٦ ٠**

(١٩١) ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٧٢ ٠

(١٩٢) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣١ ، العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ص ٦٩ ٠

الا وقد خرج يحتفل بجبلة ويفتخرون به على قريش والعرب كلها من ولد معد بن عدنان (١٩٣) ، ودخل جبلة على عمر بن الخطاب فسر بقدومه وأكرم نزله وأمر الأنصـار باكرامه ورحب به الخليفـة وأدنى مجلسـه لأن اسلام جبلة اعتبر نصرا للاسلام ببلاد الشام وتمهيدا لانضمام سائر القبائل العربية بالشام اليه مما يعنى حرمان الروم من حلفائهم القدامى وخلوص الشام للمسلمين وتهديد الروم فى بلادهم ٠

كادت الأمور تسير على أحسن ما يكون لولا ما وقع من جبلة فى مكة فى موسم الحج فلما حضر الحج خرج اليه عمر ومعه جبلة الذى وصل مكة فى الزى الذى أتى به وهيئة المملكة وعظم السلطان وأمر بقبة ذات ديباج أصفر ضربت له خارج الحرم (١٩٤) فلم يكن لأهل الموسم حديثا غيره واستعظمت ذلك العرب وأتت وجوه قريش أجلالا له واعظاما وفخرا به ٠ وبينما جبلة يطوف بالكعبة اذ وطىء رجل من فزارة (١٩٥) طرف ثوب الاحرام لجبلة بغير قصد فانحل ثوبه وانحنى حتى كاد يقع وبان جسده فرفع جبلة يده وكان رجلا ضخما قوى البنية شديد الساعد ولطم أنف الفزارى بعنف فهشمها وسـالت دماؤه غزيرة على صـدره (١٩٦) فأتى الفزارى ومعه خلق كثير من فزارة الى عمر بن الخطاب مستعديا على جبلة فبعث اليه الخليفة فأتى ٠ فقال له ما حملك على أن صنعت بهذا الرجـل ما أرى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تعمد حل ازارى ليبدى سوأتى ولولا حرمة هذا البيت ودين الاسلام ما ترددت عن قتله (١٩٧) قال عمر :

---

(١٩٣) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣١ ٠

(١٩٤) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ، ص ٧٠ ٠

(١٩٥) فزارة بطن من ذبيان من غطفان العدنانية كانت منازلهم بنجد ووادى القرى قبل أن تحل طيىء محلهم فيها ٠

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٥ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ٢٣٧ ، ٣٥٢ ، ابن رشيق : العمدة : جـ ٢ ص ١٦١ ، أحمد لطفى السيد : قبائل العرب فى مصر : جـ ١ ص ٣٤ ، كحالة معجم قبائل العرب : جـ ٣ ص ٩١٨ ـ ٩٢٠ ٠

(١٩٦) الأصفهانى : الاغانى : جـ ٤ ص ٢١ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٢٦٥ ، ابن قتيبة ، المعارف : ص ٢٨١ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧٢ ، ابن عبد ربه : العقـد الفريد : جـ ١ ص ١٨٧ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٨٤ ، ٨٥ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣١ ، ابن خلدون العبر جـ ٢ ص ٢٨١ ، العوتبى : الانسـاب جـ ٢ ص ٥٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ص ٦٩ ، البكرى : تاريخ الخميس : جـ ٢ ص ٦١ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب : جـ ١ عصر ما قبل الاسلام : ص ٢٩٤ : محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٥٧٤ ، ٥٧٥ ٠

(١٩٧) ابن قتيبة : المعـارف : ص ٢٨١ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣٢ ٠

فارض الرجل ان رضى ـ والا أنصفته منك · قال جبلة : أو تفعل ؟ !! انما أنا ملك ابن ملك وهو رجل من السوقة · قال عمر : ان الاسلام جمعك واياه فما تفضله الا بالتقوى · قال جبلة · فان أرضيته ولم يرض ؟ قال يقتص منك بمثل ما فعلت به · فقال : تالله لقد ظننت أن أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية (١٩٨) ، وطلب من الخليفة أن ينظره من ليلته حتى الصباح فلما كانت الغداة بذل جبلة للفزارى عشرة آلاف درهم عوضا عن لطمته اياه فلم يقبلها وأبى الا أن يهشم أنفه (١٩٩) ، فاستعظم ذلك من حضر الموسم من أهل اليمن وتداعت قبائلهم حتى طاف أهل الموسم الفتنة وأقبلت الأنصار أوسا وخزرجا الى عمر بن الخطاب وقالوا : يا أمير المؤمنين نحن نرضى هذا الفزارى عن جبلة فانه رجل من سادات غسان ونحن نفتدى هذه اللطمة فلم يقبل عمر أن يقتص الفزارى الا من جبلة واستمر الكلام وكثر اللغط حتى حل الليل ·

لما رأى جبلة عزم الخليفة انتظر حتى نامت العيون وسكنت الحراك وجمع رواحله والذين جاءوا معه ومضى متوجها نحو قومه بالشام مرتدا عن الاسلام فأصبحت مكة منه ومن بنى عمه خالية (٢٠٠) · وعلى أثر ذلك كتب الخليفة عمر بن الخطاب الى أبى عبيدة بن الجراح بالشام كتابا يعلمه فيه بما كان من أمر جبلة بن الأيهم وعودته الى النصرانية بعد اسلامه ويطلب اليه الحيطة والحذر منه ومن قومه ومن سائر المتنصرة من قبائل عرب الشام (٢٠١) ومما جاء فى هذا الكتاب « ·· أما بعد فلا مرد لقضاء الله وقدره ومن كتب فى اللوح المحفوظ كافرا فلا ايمان له · وذلك أن جبلة بن الأيهم الغسانى كان قدم علينا ببنى عمه وفرحت بذلك اذ شد الله عضد الاسلام والمسلمين بهم ولم أعلم ما كمن فى الغيب ، وانا سرنا الى مكة حرسها الله تعالى وعظمها نطلب الحج فطاف جبلة بالبيت أسبوعا فوطىء رجل من فزارة ازاره فسقط على كتفه فالتفت الى الفزارى وقال : يا ويلك كشفتنى فى حرم الله تعالى · فقال : والله ما تعمدتك فلطم جبلة ابن الأيهم الفزارى لطمة هشم بها أنفه وكسر ثناياه الأربع فأقبل الفزارى الى مستعينا على جبلة فأمرت باحضاره ، وقلت له ما حملك على أن لطمت أخاك فى الاسلام وكسرت ثناياه الأربع وهشمت أنفه فقال جبلة انه وطىء

---

(١٩٨) ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٨١ ·

(١٩٩) ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ١ ص ١٨٧ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣٢ ، العوتبى : الانساب : جـ ٢ ص ٥٧ ، ابن كثير البداية والنهاية : جـ ٨ ص ٦٩ ·

(٢٠٠) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣٣ ، العوتبى : الانساب : جـ ٢ ص ٧٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ، ص ٦٩ ·

(٢٠١) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١١٠ ·

ازارى برجله فحله ، ووالله لولا حرمة البيت لقتلته · فقلت له أقررت على نفسك فاما أن يعفو عنك واما آخذ له منك القصاص فقال : أتقتص مني وأنا ملك وهو من السوقة · قلت قد شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية فقال : أتتركني الى غد أو تقتص مني ؟ فقلت للفزارى : أتتركه الى غد · قال : نعم · فلما كان الليل ركب في بني عمه وتوجه الى الشام وأرجو من الله تعالى أن يظفرك به فانزل على حمص فان صالحك أهلها فصالحهم وان أبوا فقاتلهم وابعث عيونك الى انطاكية وكن على حذر من المتنصرة والسلام عليك ورحمة الله وعلى جميع المسلمين » (٢٠٢) ·

ان كل ما ذكر عن اسلام جبلة وارتداده هو أصح الأقوال في ذلك باجماع معظم المؤرخين غير أن البلاذرى يذكر في ذلك قولا آخر (٢٠٣) مؤداه أن جبلة لما أسلم بعد اليرموك في أيام عمر بن الخطاب تصادف أنه وطء رداء رجل من مزينة (٢٠٤) بدمشق سنة ١١ هـ فلطم عينه المزنى فدفعه أصحاب جبلة الى أبي عبيدة وقالوا : هذا لطم جبلة · فقال أبو عبيدة : فيلطمه جبلة · فقالوا : أو ما يقتل ؟!! قال : لا · قالوا : فما تقطع يده ؟! قال : لا · انما أمر الله بالقود العين بالعين · قال جبلة : أو عينه مثل عيني · أترون وجهي كوجه مزني جاء من ناحية المدينة بئس الدين هذا والله ما أصبنا فيه خيرا · والله لا أقيم ببلد على به سلطان (٢٠٥) ، ثم رحل بأهله حتى دخل أرض الروم وبلغ ذلك عمر فشق عليه ، وفي قول آخر : ان جبلة لم يسلم قط وانما أتى عمر بن الخطاب حين زار الشام وقت الفتوح وهو على نصرانيته فعرض عليه عمر الاسلام وأداء الصدقة فأبى ذلك وقال : أقيم على ديني وأؤدى الصدقة فقال عمر : ان أقمت على دينك فأد الجزية (٢٠٦) فأنف منها ولم يقبل الاسلام أو الجزية ورحل في ثلاثين ألفا من غسان الى بلاد الروم فلما بلغ ذلك عمر ندم على ما كان من أمر جبلة وعاتبه عبادة بن الصامت فقال : لو قبلت منه الصدقة ثم تألفته لأسلم (٢٠٧) ·

---

(٢٠٢) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١١٠ ·

(٢٠٣) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٢ ·

(٢٠٤) بطن من طابخة من العدنانية ·
القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٧٥ ·

(٢٠٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤٢ ، ابن كثير : البداية : جـ ٨ ص ١٦٨ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب : جـ ١ عصر ما قبل الاسلام : ص ٢٩٤ ·

(٢٠٦) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٣ ·

(٢٠٧) البلاذرى : المصدر السابق : ص ١٤٢ ·

وعلى آية حال فان هذه كلهـــا روايات نوردها استكمالا لحديث المؤرخين في هذا الصدد وأن ما كان من شأن اسلام جبلة وزيارته المدينة وما وقع للفزارى هو أصح الأقوال لاجماع المؤرخين عليه ، فلما رحل جبلة من المدينة الى الشام بعد تنصره وارتداده صح ما توقعه منه الخليفة وحذر منه المسلمين اذا استمر في عمالته للروم يكيد للمسلمين ويخذلهم عن الشام ، فقد حدث أن خرج جماعة من عبيد المسلمين ومواليهم لطلب الحطب فيهم عبد لسعيد بن عامر الخزرجي يدعى مهجعا فلما أبطأ خبره على سيده خرج في طلبه فوجده قد سال دمه على وجهه فسأله عن الأخبار فقال : هلكة ودمار يا سيدى انج بنفسك والا أدركك القوم يصنعون بك مثل ما صنعوا بى (٢٠٨) ، فقال له : ما القوم الذين صنعوا بك ما أرى ؟ قال : خرجت أنا وجماعة من الموالى لنحتطب حطبا فتباعدنا كثيرا في البرية واذا نحن بكتيبة من الخيل زهاء عن ألف فارس كلهم عرب في أعناقهم صلبان الذهب والفضة وهم مكللون بالذهب والفضة والرماح ، فلما نظروا الينا أسرعوا نحونا وعزموا على قتلنا فقاتلنا القوم وقاتلونا فقتلوا منا عشرة وأسروا عشرة ، وأما أنا فأثخنت بالجراح حتى سقطت على وجهى فرجعوا عنى وبقيت كما ترى ، قال سعيد بن عامر فأردفته خلفي واذا بالخيل قد طلعت في اثرى كأنها الريح الهبوب فقلت كانت خيل غسان (٢٠٩) ، فأحدقوا بى وهم يقولون : نحن بنو غسان من حزب الصليب والرهبان ، قال سعيد بن عامر : فأجبتهم بأنني من أصحاب محمد المختار فأسرع أحدهم الى وهم أن يعلونى بالسيف فناديته يا ويلك أتقتل رجلا من قومك؟ فقال : من أى الناس أنت ؟ قلت : أنا من الخزرج الكرام فرد السيف وقال : أنت طلبة سيدنا جبلة بن الأيهم وحق المسيح . فقلت : ومن أين يعرفني جبلة حتى يطلبنى ؟ فقال : أنه يطلب رجلا من أهل اليمن من أنصار محمد ، فسرت والجيش معى حتى أشرفنا على جيش عرمرم عنده أعلام وصلبان قد رفعت فلم أزل مع القوم حتى أتوا بى الى مضرب جبلة واذا به جالس على كرسى من ذهب أحمر وعليه ثياب الديباج الرومى وعلى رأسه شبكة من اللؤلؤ وفى عنقه صليب من الياقوت فلما وقفت بين يديه رفع رأسه الى وقال : من أى عرب أنت ؟ قلت : أنا من اليمن . قال : أكرمت، من أيها ؟ فقلت : أنا من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن ثعلبة بن امرىء القيس (٢١٠) فقال جبلة : من أى الملأ أنت نسبا ؟ فقلت أنا من ولد الخزرج بن حارثة (٢١١) من أنصار محمد بن عبد الله

---

(٢٠٨) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١١٩ .
(٢٠٩) الواقدى : فتوح الشام : جـ١ ص ١٢٠ .
(٢١٠) ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٧٢ .
(٢١١) القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٦٠ .

فقال جبلة : وأنا من قومك من بنى غسان أنا جبلة بن الأيهم الذى رجعت عن الاسلام فما رضى صاحبكم عمر بن الخطاب أن يكون مثلى لهذا الدين ناصرا حتى يأخذ منى القود لعبد حقير وأنا ملك من اليمن وسيد غسان (٢١٢) فقلت يا جبلة ان حق الله أوجب من حقك وديننا لا يقوم الا بالحق والنصفة ، وان عمر بن الخطاب لا يخاف أحدا ولا تأخذه فى الله لومة لائم ، فقال لى : بحق ذمة العرب ما كنت تصنع فى المكان الذى أسرت فيه ؟ فقلت : ان الصدق أوفى ما استعمله الرجل أنا من أصحاب الأمير أبى عبيدة بن الجراح وقصدنا حلب (٢١٣) وأنطاكية (٢١٤) ، فقال جبلة : اعلم أن الملك « يقصد هرقل » قد بعثني أنا وهذا البطريق صاحب عمورية (٢١٥) حتى ننصر صاحب قنسرين (٢١٦) فانه قد كادكم بصلحه لكم وأنا منتظر أن يلاقينا بهذا المكان فارجع الى صاحبك وحذره أسيافنا وقل له يرجع من حيث أتى ولا يتعرض لبلاد هرقل وأنه لسوف ينزع من أيديكم ما قد ملكتموه من الشام (٢١٧) .

بعد معركة اليرموك وانتصار المسلمين الكبير فيها على الروم وحلفائهم من القبائل العربية المتنصرة بالشام من غسان ولخم وجذام وبطون قضاعة (٢١٨) وما كان من أمر اسلام جبلة وارتداده الى الشام (٢١٩) ، ظل المسلمون يتنقلون من نصر الى نصر ويتقدمون فى فتوحهم شمالا لأخذ القلاع والحصون وبقية المدن الشامية فتواترت عليهم جموع كثيرة من من القبائل العدنانية من شبه جزيرة العرب (٢٢٠) اشتراكا فى الجهاد ولحاقا بالثواب مع اخوانهم وطمعا فى غنيمة يأخذونها وعيش أرحب من

---

(٢١٢) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٢٠ .

(٢١٣) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٨٢ ـ ٢٩٠ .

(٢١٤) ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ فى ٢٦٦ ـ ٢٧٠ .

(٢١٥) عمورية : بليدة على شاطىء العاصى بين فامية وشيزر بها آثار ولها دخل وافر ولها رحى تغل مالا .

ياقوت : نفسه : جـ ٤ ص ١٥٨ .

(٢١٦) قنسرين قرب حمص .

ياقوت : نفسه : جـ ٤ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٢١٧) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٢٠ .

(٢١٨) الازدى : فتوح الشام : ص ٢٢٧ ـ ٢٤٣ .

(٢١٩) انظر الأصفهانى : الاغانى : جـ ٤ ص ٢١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢٨١ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٨٤ ، ابن اعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣١ .

(٢٢٠) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢١١ ، محمد كردى على : خطط الشام : جـ ١ ص ٦٧ .

عيشتهم وتحقيقا للتوازن بين القبائل اليمنية والمضرية بالشام لأن معظم قبائل الفتح حتى اليرموك كانت من اليمانية (٢٢١) ٠

لما رأت المتنصرة من قبائل عرب الشام انتصارات المسلمين دخلوا في الاســلام وحسن اسـلامهم (٢٢٢) لحاقا لما فاتهم الا جبلة بن الأيهم وقومه من غسان فأبى الا المعاندة والمكابرة رغم علمه بالحق (٢٢٣) ربما لقصــاص عمر منه للفزارى (٢٢٤) أو ربما لم يعجبـــه قصــاصه من المزنى (٢٢٥) ـ (ان صحت الرواية) ـ أو أنه أنف من الصدقة أو رفض الجزية (٢٢٦) أو حتى كان من الذين أسـلموا ولما يدخل الايمان فى قلوبهم (٢٢٧) فارتد مستعجلا ، وربما لتأثير الروم عليه بأنهم فى النهاية المنتصرون وان العرب لمنهزمون وعائدون الى ديارهم ، وكم من مرة دخل الفرس فيها الشام وخرجوا منه على أيدى الروم (٢٢٨) ٠ وعلى أية حال فان جبلة وقومه لما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من حولهم مضى بقومه وأهله وعشيرته وبنى عمه فى ثلاثين ألفا حتى دخل بلاد الروم (٢٢٩) وأقبل قاصدا القسطنطينية (٢٣٠) فدخل على هرقل متنصرا هو وجميع من كان معه ففرح به هرقل فرحا شديدا ورأى أنه فتح فتحا عظيما فقد تكون هذه هى البداية لتحذو بقية القبائل الشامية حذو غسان فيعاود بهم غزو الشام وطرد العرب كما كان يفعل مع الفرس ومن ثم فقد أقطع

(٢٢١) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٨ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١١٥ ، الأزدى : فتوح الشام : ص ٨ ، ٩ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ٨٧ ٠

(٢٢٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١٣٠ ٠

(٢٢٣) من ذلك ما روى من أشعار على لسان جبلة لما اختلى الى نفسه وطال به اغترابه فى أرض الروم قال :

تنصرت بعد الحق من عار لطمـــة	وما كان فيها لو صبرت ما لها ضرر
تكلفت فيهــا لجاجــا ونخـــــوة	وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فيــاليت أمــى لــم تلـــدنى وليتنى	رجعت الى القول الذى قاله عمـر
ويــاليتنــى أرعى المخــاض بعفـــرة	وكنت أسيرا فى ربيعــة أو مضر
أدين بمـــا دانوا بـــه من شريعـــة	وقد يصبر العود الكبير على الدبر

العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٥٧ ، ابن كثير : البداية : جـ ٨ ص ٧٠ ٠

(٢٢٤) ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٣٦٥ ٠

(٢٢٥) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٢ ٠

(٢٢٦) البلاذرى : المصدر السابق : ص ١٤٣ ٠

(٢٢٧) انظر سورة الحجرات : آية ١٤ ٠

(٢٢٨) الطبرى : التاريخ : جـ ١ ص ٧٥٦ ، جواد على : تاريخ العرب : جـ ٣ ص ٨٥ ، فيليب حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ٤٣٦ ٠
Alois Musil : Palmyrena : p. 241.

(٢٢٩) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٢ ٠

(٢٣٠) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ـ ٣٤٧ ، ٣٤٨ ٠

هرقل جبلة وبنى عمه حيث شاءوا من أرض الروم وأنزلهم أرفع المنازل وأجلها (٢٣١) ·

فى سنة ٢١ هـ دعا الخليفة عمر بن الخطاب عميرا بن سعد الأنصارى (٢٣٢) وولاه قيادة جيش من المسلمين الى بلاد الروم فى أول صائفة (٢٣٣) اليها وأمره أن يلقى جبلة ويتلطف اليه ويستعطفه بالقرابة التى بينهما للرجوع الى بلاد الاسلام على أن يؤدى الصدقة ويقيم على دينه (٢٣٤) ، فسار عمير حتى دخل بلاد الروم وقصد جبلة فدخل عليه فوجده على سرير بأربعة أركان من الذهب وأربعة قوائم من الفضة وعلى رأسه تاج من الذهب كثير الزبرجد والياقوت وقد أمر بالذهب الأحمر فسحل (٢٣٥) ورمى فى لحيته فكان فى سابغ النعمة والسرور والحبور الدنيوى فى لباسه وفرشه ومجلسه وطيبه وجواريه حواليه الحسان من الخدم والقيان (٢٣٦) ، قال عمير فلما رآنى حيانى ورحب بى وأدنانى ثم سألنى عن أمر الناس وعن عمر بن الخطاب فجعلت أخبره بما أرجو به عطفه ورجوعه الى دين الاسلام والعودة الى الشام (٢٣٧) ، قال : أبعد ما كان منى من الارتداد ؟! قلت : نعم ان الأشعث بن قيس

---

(٢٣١) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣٣ ، العوتبى : الانساب : جـ ٢ ص ٥٧ ، ابن كثير : البداية : جـ ٨ ص ٧٠ ·

(٢٣٢) هو عمير بن سعد بن شهيد من بنى عمرو بن عوف من الأوس ·
البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٢٨٠ ·

(٢٣٣) الصوائف هى غزوات المسلمين لبلاد الروم فى وقت الصيف والشواتى هى الغزوات التى كانت تتم فى وقت الشتاء على غرار رحلة الشتاء والصيف ، وكان العرب فى عهد بنى أمية قد داوموا على غزو بلاد الروم بصفة منتظمة فى الشتاء والصيف حماية لثغورهم ·
انظر البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٨ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٤ ص ١١٠ ·

(٢٣٤) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٢ ·

(٢٣٥) سحل : صحن وصار ناعما ، والسحالة هى برادة الذهب والفضة ·
الرازى : مختار الصحاح : ص ٢٨٩ ·

(٢٣٦) ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ص ٧٠ ·

(٢٣٧) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣٤ ·

الكندى (٢٣٨) ارتد وقاتل المسلمين فلما رجع الى الحق قبل منه أبو بكر رجــوعه وزوجـه بأختــه أم فروة ، وكذلك ارتد طليحـة بن خويلد الأسدى (٢٣٩) وعاد الى الاسلام (٢٤٠) ، قال جبلة : ألك عهد بحسان ابن ثابت • فقلت : شاعر رسول الله ﷺ قال : نعم كم لك منذ فارقته • قلت : عهدى به قريب وقد دعانى الى دعوة صنعها (٢٤١) وأمر مولاته أن تنشد شعرا من شعره فيك ففعلت (٢٤٢) ثم خرجنا الى الشام وهذا آخر عهدى به • فقال : لله در حسان كثيرا ما كان يزورنا فى سالف الدهر بمنازلنا فى الغوطة • ثم سأل عن حاله فقلت : كف بصره فلم يعد يهتدى برا ولا بحرا فدعا بخمسمائة دينار هرقلية وخمس ديباجات (٢٤٣) وخمسة أثواب من الحرير وقال : أحب أن توصل هذه الى حسان وأراد أن يأمر لى بمثلها فأبيت عليه (٢٤٤) قال عمير : فلما أردت الرحيل قلت

---

(٢٣٨) الأشعث بن قيس اسمه معد يكرب وكنيته أبو محمد الكندى ، وفد على النبى ﷺ من اليمن فى سبعين رجلا من كندة وسمى الأشعث لأنه بدا أشعث الرأس ، له صحبة وروى عن النبى ﷺ أحاديث يسيرة وروى عنه الشعبى وابراهيم النخعى وغيرهما ، شهد اليرموك وأصيب فى عينه ، يوم التعوير ، وشهد التحكيم بين على ومعاوية وسكن الكوفة ومات بها سنة ٤٠ هـ بعد على بقليل وصلى عليه الحسين بن على ، وقد ارتد الأشعث فى خلافة أبى بكر ثم رجع الى الاسلام وشهد القادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند •

ابن سعد : الطبقات : جـ ٦ ص ٢٢ ، ٢٣ ، البلاذرى : انساب الأشراف : جـ ١ ص ١٦٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ٣ ص ٦٧ ـ ٧١ « ترجمة الأشعث بن قيس واسلامه وظروف ارتداده ورجوعه الى الاسلام » •

(٢٣٩) من بنى أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر من العدنانية كانت بلادهم مما يلى الكرخ من أرض نجد فى مجاورة طىء •

البلاذرى : انساب الأشراف : جـ ١ ص ٣٧٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٩٠ ـ ١٩٢ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٤٧ ، ٤٨ •

(٢٤٠) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣٤ ، ابن كثير : البداية : جـ ٨ ص ٧٠ •

(٢٤١) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٢٠ •

(٢٤٢) انشدت الجارية من شعر حسان بن ثابت فى مدح ملوك آل جفنة من غسان قوله فيهم :

لله در عصـــابة نادمتهـــم	يوما بجـلق فى الزمـان الأول
يغشون حتى ما تهـــر كلابهم	لا يسالون عن الســواد المقبـل
بيض الوجوه كريمـــة انسابهم	شم الأنـوف من الطراز الأول
الملحـــقين فقيـرهم بغنيـــهم	المشـفقين على اليتيم والارمـل
أولاد جفنـــة حول قبر أبيهم	قبر ابن مادية الكريم المفضـل

الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٢٠ ، ابن كثير : البداية : جـ ٨ ص ٧٠ •

(٢٤٣) الديباج : ثوب رقيق من الحرير اللامع الملون وهى كلمة فارسية تعنى لباس الروح •

ابن سيده : المخصص : جـ ٤ ص ٧٦ •

(٢٤٤) ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣٦ •

لجبلة : أتحب أن توصينى بشىء أبلغه عنك أمير المؤمنين فقال : وما عسى أن تكون وصيتى الى عمر وقد أراد أن يقتص منى بلطمه لرجل من السوقة فقلت : انما أراد أخذ الحق لأهله فقال : صدقت ولكن اللجاج والشقاق غلب علي فأحلنى هذا المحل وودت لو أنى فى ديار قومى فى أسوأ ما أكون أو مت قبل ذلك (٢٤٥) ٠

انطلق عمير بمن معه بعد لقاء جبلة الى واد فى أرض الروم يعرف « بالحمار » (٢٤٦) فأوقع بأهله وأخرجه حتى قيل « أخرب من جوف حمار » (٢٤٧) ، ولما عاد من الشام ومنها الى المدينة حدث عمر بما كان من أمر جبلة فقال : ويحك يا عمير ورأيته يشرب الخمر بعد الاسلام والحج والقرآن فقال : نعم يا أمير المؤمنين ورأيت الصليب على رأسه ٠ فقال عمر : أبعده الله ، ضل فما اهتدى تعجل فانية بباقية فما ربحت تجارته (٢٤٨) ، قال عمير : لقد بعث معى جبلة الى حسان بن ثابت بكذا وكذا ، فأمر عمر برجل من المجلس لينطلق ويدع حسانا ولا يعلمه بشىء من ذلك فما كان بأسرع أن أقبل حسان يقوده قائده فلما دخل قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، انى لأجد ريح آل جفنة بين يديك فتبسم عمر ومن بالمجلس وقال نعم يا أبا الوليد لقد أتاك الله عز وجل منه بمعونة وبر حسن رغم أنفه (٢٤٩) ٠

ولما كانت سنة ثلاث وخمسين من الهجرة أرسل معاوية بن أبى سفيان عبد الله بن مسعدة الفزارى (٢٥٠) رسولا الى ملك الروم فاجتمع بجبلة بن الأيهم ورأى ما هو فيه من السعادة الدنيوية والأموال والخدم والذهب والخيول (٢٥١) ، فقال له جبلة : لو أعلم أن معاوية يقطعنى أرض البثنية (٢٥٢) فانها كانت منازلنا بالشام وعشرين قرية من غوطة دمشق ويفرض لجماعتنا ويحسن جوائزنا لرجعت الى الشام فأخبر عبد الله ابن مسعدة معاوية بمقولة جبلة فقال : أنا أعطيه ذلك وكتب اليه كتابا

---

(٢٤٥) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣٧ ٠

(٢٤٦) ذكر ياقوت أنه موضع بالجزيرة ٠
ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٣٢٨ ٠

(٢٤٧) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٢ ٠

(٢٤٨) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣٦ ، ابن كثير : البداية : جـ ٨ ، ص ٧١ ٠

(٢٤٩) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٣٧ ٠

(٢٥٠) هو عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر الفزارى ٠
البلاذرى : انساب الأشراف : جـ ١ ص ٣٤٩ ٠

(٢٥١) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ص ٧١ ٠

(٢٥٢) البثنية : بلدة معروفة بالشام من نواحى دمشق مشهورة بالحنطة ٠
ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٣٣٨ ٠

مع البريد يجيبه الى ما طلب فما أدركه البريد الا وقد مات فى هذه السنة (٢٥٣) .

فاذا علمنا أن جيوش الفتح التى دخلت الشام أيام أبى بكر الصديق قدرت بثلاثين ألفا (٢٥٤) ومن تبعهم فى أيام عمر بنحو خمسة عشر ألفا بما مجموعه خمسة وأربعين ألفا تقريبا وأن جبلة دخل بلاد الروم فى قومه من غسان بما يقرب من ثلاثين ألفا وكان معه مثلهم من سائر المتنصرة من لخم وجذام وبطون قضاعة فى اليرموك بما مجموعه ستون ألفا (٢٥٥) أى ما يفوق عدد قبائل الفتح لأدركنا مدى أهمية المحاولات التى بذلها المسلمون لاستمالة جبلة وقومه الى الاسلام لأنهم بالاضافة الى كثرة عددهم فهم أيضا من ذوى رحمهم وبنى عمومتهم وذلك من ساعة دخولهم الشام وكل مرة يعاودون الكرة عليه وهو يأبى عليهم حتى شاءت ارادة الله أن يموت متنصرا بأرض الروم .

ثالثا : دور القبائل فى اليرموك وما بعدها :

تعتبر موقعة اليرموك فى رجب سنة ١٥ هـ ـ ٦٣٦ م (٢٥٦) من أهم المعارك فى تاريخ الاسلام بصفة عامة وفى تاريخ بلاد الشام بصفة خاصة لأنها غيرت الخريطة البشرية لهذه البلاد كما حولتها من النصرانية الى الاسلام ، وكان للقبائل التى اشتركت فى هذه المعركة الحاسمة دور كبير فى تحديد المعالم السكانية لبلاد الشام لفترات طويلة اذ استقرت معظم هذه القبائل فى البلاد المفتوحة بعد النصر فكانت بمثابة طلائع الهجرات العربية الى الأقطار العامرة بعد الاسلام ، وسرعان ما لحق بهذه القبائل كثير من بطونها وعشائرها التى كانت لا تزال بشبه الجزيرة ولم تشترك بعد فى معارك الفتح الأولى ، ويمكن أن نتعرف على هذه القبائل ودورها فى هذه المعركة الحاسمة من خلال أحداثها التى أوردها مؤرخو الفتوحات على اختلاف عصورهم ، وذلك فى محاولة للتعريف بمن هم « المسلمون » الذين ذكرهم كثير من المؤرخين بصفتهم دون أنسابهم وقبائلهم عند الحديث عن معارك الفتح الاسلامى (٢٥٧) ولا سيما فى الشام ، فهذا فضلا عن

---

(٢٥٣) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ص ٧١ .
(٢٥٤) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٢ .
(٢٥٥) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٦٩ .
(٢٥٦) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ١ ص ٢٠٦ .
(٢٥٧) من ابرز هؤلاء تاريخ الطبرى على سبيل المثال .

أنه يؤكد الحدث التاريخي بما لا يدع مجالا لأدنى شك فيه فانه يوضح دور القبائل التى هى جماع كلمة « المسلمين » فى هذه المعارك وتأثير ذلك على وضعها بالشام بعد الفتح ، وذلك لأنه من المعلوم أن مسلمى الفتوحات بصفة عامة هم مجموع قبائل عربية متعددة ٠

كانت القبائل اليمنية فى معركة اليرموك من حمير وزبيد ومذحج وهمدان (٢٥٨) هم نجوم المعركة بلا منازع ويأتى على رأس هذه القبائل جميعا قبائل أزد اليمن (٢٥٩) ببطونها وعشائرها فقد كانوا وحدهم ثلث الناس وعليهم وقع العبء الأكبر فى هذه المعركة فقاتلوا ببسالة وشجاعة منقطعة النظير فكان معظم القتلى منهم (٢٦٠) ، فلما وصل خالد بن الوليد الى الشام استعد لملاقاة الروم بأحسن ما يكون وبدأ بالخيالة أو الفرسان وهم مدرعات الحرب فى ذلك الوقت فقسمهم أربعة أرباع (٢٦١) جعل على أحدهم قيس بن هبيرة المرادى (٢٦٢) من اليمن وقال له : أنت فارس العرب فكن على هذه الخيل ، وجعل على الربع الثانى ميسرة بن مسروق العبسى من قيس وأوصاه بالصبر والجلد ، ودعا عامر ابن الطيفل الدوسى من اليمن وولاه الربع الثالث أما خالد فكان على الربع الأخير وعسكر الزحف ، فلم تطلع الشمس الا وقد فرغ المسلمون من تعبئة صفوفهم للحرب فكان لليمنية قيادة أكثر من نصف الجيش بما يتناسب وحجم قبائلهم المشتركة فيها ٠

أما ماهان الأرمنى قائد جيوش الروم فقد عبأ عسكره وجعل العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام فى مقدمة الصفوف وقدم أمامهم صليبا ضخما من الفضة مطليا بالذهب (٢٦٣) ، وفى أول يوم للحرب لم يزل القتال بين الفريقين من طلوع الشمس حتى غروبها ولم ينفصل الجمعان حتى فرق الليل بينهما وهم ما يعرفون الا بالشعار فخرجت كل

---

(٢٥٨) قبائل حمير من سبأ بن قحطان وزبيد بطن من مذحج ومذحج من عريب بن كهلان وهمدان بن كهلان وهمدان من مالك بن كهلان وكلهم من القبائل القحطانية ٠

المبرد : نسب عدنان وقحطان : ص ١٨ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٣٠ ، ابن حبيب : مختلف القبائل : ص ٩ ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٣٢ ــ ٤٣٨ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٥٨ ٠

(٢٥٩) الأزد من مالك بن كهلان من القحطانية ٠

العمرى : مسالك الأبصار : ص ٧٧ ، كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ١ ص ١٦ ٠

(٢٦٠) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٢٤ ٠

(٢٦١) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٩٢ ٠

(٢٦٢) البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٤٥٦ ٠

(٢٦٣) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٩٢ ٠

قبيلية من العرب يهتفون بشعارهم ويتنادون بأنسابهم فرجعت كل فئة الى مكانها ، وكان القتال فى ذلك اليوم على حذر من الطرفين لاختبار مواطن القوة والضعف لدى كل منهما فقتل من الروم يسيرا ومن المسلمين عشرة رجال اثنان من حضرموت أحدهما يقال له مازن والثانى صارم وثلاثة من عسفان ، وواحد من الأنصار هو عبد الله بن الأخرم وثلاثة من بجيلة (٢٦٤) وواحد من مراد (٢٦٥) وهو سويد أخى قيس بن هبيرة ٠

توقفت الحرب بعد ذلك سبعة أيام (٢٦٦) وكأن اليوم الأول كان جسا للنبض فقط ، وقد أحب ماهان أن يتعرف أحوال المسلمين عن قرب فأرسل رجلا من متنصرة لخم للتجسس عليهم ومعرفة أخبارهم (٢٦٧) فمضى اللخمى حتى دخل معسكر المسلمين وأقام بينهم يوما وليلة يطوف عسكرهم ولا أحد من المسلمين ينكره وهم آمنون ليس لهم همة الا الصلاة والقرآن والتسبيح وأميرهم أبو عبيدة كأضعف ضعيف فيهم ساعة يجلس

---

(٢٦٤) قبائل بجيلة وخثعم من ولد أنمار بن أراش من مالك بن كهلان القحطانية ، فقد ولد أنمار اقيل وهو خثعم وبطونه كثيرة وسمى خثعما بجمل كان له اسمه خثعم ، وولد أنمار أيضا خزيمة : دخل فى الأزد ووداعة وعبقر والغوث وصهيبة وأشهل وطريف وسنية والحارث وجدعة أمهم كلهم بجيلة بنت صعب بن أسعد العشيرة واليهم نسب أولاد كل من ذكر وكانوا كلهم متحالفين على ولد أخيهم خثعم وكانت بلادهم مع اخوتهم خثعم فى سروات اليمن والحجاز الى تبالة ، وقد وقع بين بطون بجيلة قبل الاسلام نزاع وحروب أدت الى تمزقها وتداخلها فى مختلف قبائل العرب ، ولما جاء الاسلام وأراد الخليفة عمر بن الخطاب توجيه جرير بن عبد الله البجلى لقتال العجم بالعراق سنة ١٤ هـ طلب منه جرير أن يسمح له بجمع شتات بجيلة من القبائل التى دخلت فيها فسمح له بذلك فأخذ يوجه كتبا بهذا المعنى الى القبائل التى دخلتها بطون من بجيلة حتى أنجز مهمته ولذلك قال شاعر بجيلة فى جرير :

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبئست القبيلة

وجرير هذا هو الصحابى الذى أوكل اليه النبى ﷺ هدم ذى الخلصة معبود خثعم وبجيلة الذى كان يعرف بالكعبة اليمانية ٠

البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٢٣ ، الأصفهانى : الأغانى : جـ ١١ ص ١٢٨ « القبائل التى دخلت فيها بجيلة » ابن الكلبى : الأصنام : ص ٣٤ « معبود خثعم وبجيلة » الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٧٧ ــ ٧٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٨٧ ــ ٣٩٠ « بطون بجيلة » : ٣٩٠ ــ ٣٩٩ « بطون خثعم » ، البغدادى : مراصد الاطلاع : جـ ١ ص ٢٥١ « تبالة موضع باليمن » ، ابن الأثير : أسد الغابة : جـ ١ ص ٣٣٣ « ترجمة جرير البجلى » ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٠٢ ، ابن عبد البر : الانباه : ص ٩٢ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ١ ص ٦٣ ــ ٦٥ ٠

(٢٦٥) بنو مراد بطن من كهلان من القحطانية وهم بنو مراد بن مالك بن أدد ٠ ابن حزم : الجمهرة ، ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٧٣ ٠

(٢٦٦) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٠٠ ٠

(٢٦٧) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٠٠ ٠

على الأرض وساعة ينام عليها فاذا كان وقت الصلاة قام وأسبغ الوضوء وأذن المؤذنون وصلى بالناس ورجع الجاسوس اللخمى الى قائد الروم فأخبره بما رآه وعاينه من القوم من الطاعة والعبادة (٢٦٨) ، فجعل ماهان يجمع الملوك ويعقد لهم الرايات والصلبان حتى عقد ستين ومائة صليب تحت كل صليب عشرة آلاف وأول صليب عقده لقناطر وهو نظـيره فى الرتبة ، وأمره أن يكون فى الميمنة ، ثم عقد صليبا للديرجان وضم اليه الأرمن والروسية والصقالبة ، ثم عقد لابن أخت الملك صليبا على الافرنج والهرقلية والقياصرة والبرقل والدوقس وعقد لجبلة بن الأيهم عقدا وضم اليه العرب المتنصرة من لخم وغسان وجذام وسائر قضاعة وأمره أن يكون على المقدمة وقال له أنتم عرب وأعداؤنا عرب والحديد لا يقطعه الا الحديد ثم فرق الأعلام فى أجناد عسكره (٢٦٩) ٠

ولما استؤنف القتال فى اليـوم الثامن للحرب حملت الروم حملة عظيمـة على ميمنة المسـلمين وفيهـا الأزد ومذحج وحضرموت وحمير وخولان (٢٧٠) وكندة فثبتوا حتى صدموا أعداءهم وقاتلوهم قتالا شديدا فثبتت الروم كالجبال وزال المسلمون من الميمنة الى ناحية القلب وتراجع طائفة من الناس الى الخلف وثبت صدر عظيم من المسلمين يقاتلون تحت راياتهم (٢٧١) ، وانكشفت يومئذ زبيد وهى فى الميمنة وعليهم الحجاج ابن عبد يغوث من قوة الهجمة فتنادوا واجتمعوا وهم خمسمائة رجـل فشدوا شدة أوقفوا بها تقدم الروم وشغلوهم عن اتباع ما انكشف وهم يعظمونه لما سبق من شجاعته فى الجاهلية فلما نظر الى قومه قد كشفوا صاح فيهم : يا آل زبيد ٠ أتفرون من الأعداء ! أترمون أنفسكم بالعار والذلة والشنار فلما سمعت زبيد كلام سيدها تراجعوا اليه وحملوا على الروم حملة واحـدة وحملت معهم حمير وحضرموت وخولان فأزالوا الروم من مواضعهم (٢٧٣) وانبرت الأزد للقتال ففشا فيهم القتل وأصيبوا بما لم

---

(٢٦٨) الواقدى : المصدر السابق : جـ ١ ص ٢٠٠ ٠

(٢٦٩) الواقدى : المصدر نفسه : جـ ١ ص ٢٠١ ٠

(٢٧٠) بنو خولان بطن من عريب بن كهلان القحطانية وهم بنو خولان بن عمرو ابن مالك بن الحارث بن مرة بن ادد ٠

ابن حزم : الجمهرة : ص ١٤٨ ، ابن عبد البر : الانباه : ص ١١٧ ، والقلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٣١ ٠

(٢٧١) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٢٣ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ٢٠١ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١٦٦ ٠

(٢٧٢) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٠٦ ، الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٢٣ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ٢٠١ ٠

(٢٧٣) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٠٦ ، الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٢٣ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٠١ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١٦٦ ٠

يقتل مثله من سائر القبائل (٢٧٤) لأنهم تلقوا الصدمة الأولى بأنفسهم فاستشهد منهم ما لم يستشهد من غيرهم وقتل يومئذ عمرو بن الطفيل الدوسى وهو يقول :

يا معشر الأزد لا يؤتين المسلمون من قبلكم وأخـــذ يضرب بسيفه وهو يقول :

قد علمت دوس ويشـــكر تعـلم أنى أخـو البيض ليـــوم مظلم

وأعـــزل الشـــكيم شـــد الأبهـــم كنت عزيزا فى الوغاء ضيغم(٢٧٥)

وقاتل حتى قتل ولحق به ابنه جندب بن عامر (٢٧٦) وهما من سادات دوس (٢٧٧) وذلك أنه فى معمعة القتال خرج بطريق من بطارقة الروم وسأل المبارزة فخرج اليه غلام من الأزد فما جال معه جولة حتى قتله البطريق وصال وحمل فردته الأزد فخرج له عامر بن الطفيل الدوسى فقتل البطريق وحمل على العرب المتنصرة فى جيش الروم فقتـل منهم فارسا (٢٧٨) ودعا للمبارزة فخرج اليه جبلة بن الأيهم وقال له : من أى الناس أنت ؟ قال : أنا من دوس قال جبلة : انك من القرابة فابق على نفسك وارجع الى قومك . قال عامر : قد أخبرتك من أنا ومن قبيلتى فأنت من أى العرب ؟ قال : أنا من غسان وأنا سيدها جميعا أنا جبلة بن الأيهم الغسانى وقد نظرتك حين قتلت هذا البطريق الشديد وهو نظير ماهان وجرجير فخرجت لأقتلك وحمل عامر على جبلة بن الأيهم والتقيا بضربتين

(٢٧٤) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٢٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١٦٦ .

(٢٧٥) الأبيض : السيف وجمعه بيض ، والوغى : الجلبة والأصوات والمقصـود الحرب لما فيها من الصوت والجلبة وهو يفخر بنفسه لأن جميع قومه من دوس ويشـكر يعلمون أنه رجل الشدائد ملازما لسلاحه دائما لا يفارقه شجـاعا فى الحـرب أسدا هصورا .

الرازى : مختار الصحاح : ص ٧١ ، ٧٢٩ مادة بيض ، وغى .

(٢٧٦) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٢٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينـة دمشق : جـ ١ ص ١٦٧ .

(٢٧٧) بنو دوس بطن من شنوءة من الأزد القحطانية وهم بنو دوس بن عدنان ابن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن خالد بن نصر وهو شنوءة .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٧٩ ، ٣٨٣ « بطون دوس » ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٣٥ .

(٢٧٨) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٠٩ .

فخرجت ضربة عامر بن الطفيل غير ممكنة وأصابت ضربة جبلة فسقط عامر قتيلا (٢٧٩) ووقف جبلة معجبا بنفسه يطلب المبارزة فخرج له ولد المقتول وهو جندب بن عامر بن الطفيل وكانت معه راية أبيه فأقبل الى أبى عبيدة وقال : أيها الأمير ان أبى قد قتل وأريد أن آخذ بثأره أو أقتل فادفع رايتك لمن شئت من دوس فأخذ أبو عبيدة الراية ودفعها الى رجل من دوس فحملها وخرج جندب يريد قتال جبلة ؟ فسأله ومن أنت ومن المقتول؟ قال : أنا ولده . قال جبلة وما الذى حملكم على قتل أنفسكم ؟! قال جندب: ان قتل النفس فى سبيل الله محمود عنده تنال به الدرجة العالية : فقال جبلة : انى لا أريد أن أقتلك ورد جندب كيف أرجع وأنا المفجوع بأبى والله لا رجعت حتى آخذ بثأر والدى أو ألحق به . وجعلا يتقابلان وقد شخصت نحوهما الأبصار ونظر جبلة الى الغلام وما أبدى من شجاعة فعلم أنه شديد البأس فأخذ منه حذره وعاجله بضربة عجلت بروحه الى الجنة (٢٨٠) وجال جبلة على مصرعه وطلب المبارزة فصاح به قومه أن أرجع الينا فقد قضيت ما عليك فرجع وهو معجب بنفسه حتى وقف تحت صليبه .

وأصيب المسلمون بعامر بن الطفيل وولده جندب من دوس وعندما صاحت دوس بشعارها (الجنة الجنة) خذوا بثأر سيدكم عامر وساعدتها الأزد وكانوا أحلافهم وحملوا على غسان ولخم وجذام يريدون اسـقاط صليبهم فوصل منهم رجل الى حامله فأرداه عن فرسه فوقع الصليب من يده منكوسا وقتل من الأزد ودوس رجال شبههم الواقدى « بأنهم مثل الشامة البيضاء فى جلد البعير الأسود » (٢٨١) ثم كرت غسان تريد أخذ صليبها واقتتلوا عنده قتالا شديدا حتى قتلوا وقتل منهم خلق كثير ، وثبت جندب بن عمرو بن حممة وهو ينادى يا معشر الأزد : انه لا يمنع الراية الا الأبطال ولا ينجو من الاثم والعار الا من قاتل ألا وان المقتول الشهيد والخائب من تولى وقاتل الرجل حتى قتل (٢٨٢) وعندما برز أبو هريرة (٢٨٣) صاحب رسول الله وهو أحد الرءوس فى الأزد يحضهم على القتال لكونهم أغلب الجيش فصاح فيهم بقوله : سارعوا الى الحور العين وجوار ربكم : فاجتمعت الأزد وقاتلوا ثم اضطربوا هم والروم فى قتـال شـديد وجعلت تدور بهم الأرض فى مجال واحـد كما تدور

---

(٢٧٩) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢١٠ .

(٢٨٠) الواقدى : نفسه : جـ ١ ص ٢١٠ .

(٢٨١) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢١١ .

(٢٨٢) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٢٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة الشـام : جـ ١ ص ١٦٧ .

(٢٨٣) اسمه عمير بن عامر بن عبد الله الدوسى .
البلاذرى : انساب الأشراف : جـ ١ ص ١٣٦ .

الرحى (٢٨٤) ، يقول عبد الله بن يزيد بن سراقة وهو ممن شهد اليرموك في وصف ذلك الموقف عن الأزد « فوالله الذى لا اله الا هو ما برحوا ولا زالوا ولا تراجعوا وقد ركبهم من الروم أمثال الجبال فما رأيت موطنا قط أكثر قحفا ساقطا أو كفا طائحة من ذلك الموطن وقد أوحلناهم شرا وأوحلونا ، وكان جل القتال في الميمنة وكنا في آخرها فلقينا من قتالهم ما لم يلقه أحد ولكن الله عصمنا من أن نزول » (٢٨٥) وصدق رسول الله اذ يقول : « الأمانة في الأزد وحضرموت فاستعينوا بهم فانهم لا يخيبون ولا يعلون هم مني وأنا منهم ومن لم يكن له أصل من العرب فليلحق بالأزد فانهم أصل العرب » (٢٨٦) ، وفي ذلك اليوم كانت الهجمة شديدة من الروم على المسلمين اكتملت بأن حملت ميمنتهم على قبائل كنانة وقيس وخثعم وجذام وقضاعة وعاملة وغسان (٢٨٧) وكان موقعهم فيما بين ميسرة المسلمين الى القلب فكشفوا المسلمين وزالت الميسرة عن مصافها وثبت أهل الرايات والحفاظ وركب القوم أكتاف من هزم حتى دخلوا معهم في معسكرهم فاستقبلتهم النساء بعمد الفساطيط يضربون وجوههم ويرمونهم بالحجارة (٢٨٨) .

لم تكن قبــائل قيس بأقل شـجاعة من قبــائل اليمن فقد انبرى أبو الأعور السلمي (٢٨٩) من بني سليم (٢٩٠) مناديا قومه يحثهم على الصمود والقتال وأن يأخذوا نصيبهم من الأجر (٢٩١) ، وتوالت الحرب طاحنة بين الطرفين حتى كان يوم تسلسل فيه الروم الى بعضهم بالسلاسل

---

(٢٨٤) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٥ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ، ص ١٦٧ .

(٢٨٥) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٥ .

(٢٨٦) العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٤٤ .

(٢٨٧) الواقدي : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٠٨ .

(٢٨٨) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٧ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ص ١٦٨ .

(٢٨٩) اسمه : سفيان بن عبد شمس .

البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٣٣١ .

(٢٩٠) عن بني سليم انظر :

الزمخشري : الفائق : ج ١ ص ٥٧ ، ابن رشيق : العمدة : ج ٢ ص ١٦٨ .

ابن دريد : الاشتقاق : ص ١٨٧ ، المقريزي : البيــان والاعراب : ص ٦٤ .

(٢٩١) الأزدي : فتوح الشام : ص ٢٢٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ١ ، ص ١٦٨ .

كي لا يفروا ، وكان أول من افتتح الحرب في ذلك اليوم غلاما من الأزد حدث السن كيسا قال لأبي عبيدة : أيها الأمير انى أردت أن أشفي قلبي وأجاهد عدوى وعدو الاسلام وأبذل نفسي في طاعة الله عز وجل لعلى أرزق الشهادة فهل تأذن لي في ذلك فأذن له أبو عبيدة فألوى الغلام الأزدي رأس جواده وتقدم يريد القتال فخرج اليه رجل من الروم فلما قرب منه حمل عليه الغلام الأزدي وطعنه فخرج السنان من ظهره وأخذ عدته وجواده وسلم ذلك الى رجل من قومه وعاد يطلب المبارزة فخرج اليه ثان وثالث ورابع فقتلهم وأخذ سلبهم وخرج خامس فقتل الأزدي (٢٩٢) ٠ فغضب الأزد لقتل صاحبهم وزحفوا على الروم فاقبلت عليهم الروم كالجراد المنتشر قاصدين الميمنة وفيها قبائل اليمن من الأزد ومذحج وحضرموت (٢٩٣) على اعتبار أنها أقوى الأجنحة في جيش المسلمين (٢٩٤) فاذا تداعت تداعى سائر الجيش ولذلك فقد كان تركيز الروم من بداية القتال عليها ، واستمرت الحرب على قدم وساق واشترك فيها نساء المسلمين المصاحبات لقبائلهن فكن يقاتلن قتال الموت ويضربن وجوه الخيل بالعمد ويلوحن بالأطفال ويسقين الماء ويشددن الجراح (٢٩٥) ، وفي احدى هجمات الروم الشديدة تراجع المسلمون ومعهم نساء لخم وجذام وخولان فخرجت خولة بنت الأزور وأم حكيم بنت الحرث وسلمى بنت لؤي وجعلن يضربنهن في وجوههن ورءوسهن بالعمد فرجعت نساء لخم وجذام وخولان يقاتلن قتال المستميت (٢٩٦) ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تقرن عنانها بعنان زوجها الزبير بن العوام (٢٩٧) فما كان يضرب الا ضربت مثله (٢٩٨) ٠

وفي اليوم الأخير للمعركة صف أبو عبيدة الرايات وعبأ عسكره تعبئة حسنة فخرج من الروم ملك يدعى سرجيس ودعا الى المبارزة وقال لا يخرج الى الا أميركم فخرج له أبو عبيدة فبارزه وقتله وخرج بعده ماهان قائد جيوش الروم يطلب المبارزة فخرج له رجل من دوس فقتل ماهان الدوسي وخرج اليه ثان فقتله (٢٩٩) فسارع المسلمون من مختلف القبائل وكل يقول : اللهم اجعل قتله على يدى فكان أول من برز اليه مالكا

(٢٩٢) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٠٥ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ، ص ٢٠٠ ٠

(٢٩٣) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٠٠ ٠

(٢٩٤) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٠٦ ٠

(٢٩٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٣ ص ٤٠١ ٠

(٢٩٦) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢١٨ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٠٢ ٠

(٢٩٧) البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٩٠ ٠

(٢٩٨) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٠٢ ٠

(٢٩٩) ابن أعثم : المصدر السابق : جـ ١ ص ٢٠٧ ٠

النخعى (٣٠٠) من قبيلة النخع فضربه ماهان بعموده على بيضته فغاصت البيضه فى جبهته فشترت عينه فمن ذلك اليوم سمى « الاشتر » فصبر نفسه وحمل على ماهان وأدم يسيل من جبهته فضربه ضربة عظيمة سال منها دمه فلما شعر بحرارة الضربة وهو أمير القوم ولى منهزما فصاح خالد بن الوليد بالمسلمين يأمرهم بالحملة والروم فى دهشتهم فصاحوا بهم صيحة واحدة (٣٠١) ونادت النساء قبح الله رجلا يفر عن حليلته فى ذلك اليوم (٣٠٢) ، وقاتل شرحبيل بن حسنة (٣٠٣) بمن كان تحت قيادته قتالا شديدا وكان وسطا من الناس فجعل ينادى أين الشارون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله ؟ فاجتمع اليه أناس كثيرون وبقى القلب صامدا لم ينكشف أهله الذين كانوا مع سعيد بن زيد وكان أبو عبيدة من وراء ظهور المسلمين ردءا لهم ٠

لما رأى قيس بن هبيرة المرادى بمن معه من مراد وسائر القبائل اليمنية أن خيل المسلمين مما يلى الميسرة قد شد عليهم الروم اعترضوهم (٣٠٤) وتعقب المسلمون آثارهم يقاتلونهم وهم يتقهقرون حتى كشفوهم وبعث أبو عبيدة الى سعيد بن زيد فى القلب ليحمل عليهم فشد المسلمون عليهم من كل مكان وضرب الله وجوه الروم ومنح المسلمين أكتافهم فقتلوا منهم خلقا كثيرا (٣٠٥) وتبعهم القوم يقتلونهم كل قتلة حتى انتهوا الى مكان مشرف على أهوية تحتهم وكان اليوم ضبابا فأخذوا يتساقطون فيها وهم لا يبصرون فصار لا يعلم آخرهم ما يلقى أولهم حتى سقط فى هذه الأهوية ما يقرب من ثمانين ألف رجل ما أحصوا الا بالقصب (٣٠٦) فسميت تلك الأهوية « الواقوصة » (٣٠٧) حتى اليوم لأنهم وقصوا فيها وما فطنوا لتساقطهم حتى انكشف الضباب

---

(٣٠٠) اسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة بن ربيعة ٠
ابن حزم : الجمهرة : ص ٤١٥ ٠

(٣٠١) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ٠

(٣٠٢) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٢٩ ٠

(٣٠٣) البلاذرى : انساب الاشراف : جـ ١ ص ٢١٤ ٠

(٣٠٤) الأزدى : فتوح الشام ٠ ص ٢٢٩ ٠

(٣٠٥) المصدر السابق : ص ٢٣٠ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٣ ص ٤٠٣ ٠

(٣٠٦) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٣٠ ٠

(٣٠٧) الواقوصة : واد منخفض بالشام فى أرض حوران : قال القعقاع بن عمرو الشاعر :

ألم ترنا على اليرموك فزنا كما فزنا بأيام العراق

فضضنا جمعهم لما استحالوا على الواقوصة البتر الرقاق

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ٠

فأخذوا فى وجه آخر وقتل المسلمون منهم فى المعركة بعد ما أدبروا نحوا من خمسين ألفا وتبعهم خالد بن الوليد بالخيل يقتلهم فى كل واد وكل شعب وكل جبل ومن كل النواحى فلم يزل يقتلهم حتى انتهى الى دمشق فاستقبله أهلها بأنهم ما زالوا على عهدهم فخرج متتبعا بقية الفارين قتلا وتنكيلا (٣٠٨) ، وتبع رجل من الأزد يدعى النعمان بن جلهمة الأزدى فى جماعة من قومه جمعا من الروم فيهم ماهان قائد جيوش الروم هاربا فلما أراد أخذه أسيرا مانع عن نفسه فقتله الأزدى (٣٠٩) فكان من قتل من الروم فى المعركة ومن سقط فى الأهوية زهاء مائة ألف قتيل (٣١٠) وتمزق الباقى فى الجبال والأودية بما فيهم متنصرة العرب وعلى رأسها غسان بقيادة جبلة بن الأيهم وقتل من المسلمين أربعة آلاف ونيف من مختلف القبـائل كلهم من قبائل اليمن بصفة عامة ومن الأزد على وجه الخصـــوص الا قليلا من قريش وقيس جمعهم أبو عبيدة وترحم عليهم ودفنهم (٣١١) ٠

يتضــح لنا من هـذا العرض ان معركة اليرموك (أول نصر عظيم للمسلمين خارج ديارهم) كانت يمنية الطابع قلبا وقالبا لكثرة من اشترك فيها من قبائل اليمن على رأسها الأزد يعاونها قلة من قيس من عبس وكنانة وغطفان وهوازن بقيادة حكيمة من أبى عبيدة عامر بن الجراح وخالد بن الوليد بمساعدة الأعلام من اليمن من أمثال قيس بن هبيرة المرادى من مراد ، وعامر بن الطفيل الدوسى من دوس ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدى من زبيد ، ورافع بن عميرة الطائى من طىء ، ومالكا النخعى من النخع وغيرهم ، فكان نصرهم الساحق فى اليرموك ــ وأول فتح كبير للمسلمين ــ وساما وضعته تلك القبائل على صدر بطونها وعشــائرها مما أتاح لها السيادة فى تلك البلاد فترة طويلة من الزمن فكانت موضع حسد القبائل القيسية التى هاجرت الى الشام بعد الفتح ولم تحظ بذلك الشرف العظيم الذى سطرته قبائل اليمن بدماء أبنائها ، هذا ولم يتوقف دور القبائل اليمنية فى الفتوحات على بلاد الشام فقط بل كانت بدايتهم بها بداية حسنة انطلقوا بعدها مشاركين وأحيانا متفوقين على قبائل قيس فى سائر البلاد التى قدموا اليها فى المشرق والمغرب (٣١٢) ٠

---

(٣٠٨) الازدى : فتوح الشام ص ٢٣١ ٠

(٣٠٩) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٢٨٠

(٣١٠) المصدر السابق : جـ ١ ص ٢٠٨ ٠

(٣١١) المصدر نفسه : جـ ١ ص ٢٠٨ ٠

(٣١٢) انظر عبد الله خورشد البرى : القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة : ص ١٢١-٢١٣ ، مصطفى أبو ضيف أحمد : القبائل العربية فى الأندلس حتى سقوط الخلافة الاموية : ص ٢٩ ــ ٣٨ ٠

لم يكن فتح المدن الكبرى والحصون القوية بالشام بأقل أهمية من هزيمة الروم باليرموك ومعهم حلفاؤهم من القبائل العربية المتنصرة بالشام بقيادة غسان واتحاد لخم وجذام وقضاعة وتنوخ ، اذ كان على المسلمين تتبع فلول الروم ومتنصرة العرب للقضاء على خطرهم وتطهير الشام منهم ، فكانت وجهتهم بعد اليرموك الى حمص (٣١٣) وبها اجتمعت فلول كثيرة من الروم الهاربة من الهزيمة ودارت عندها معركة عظيمة انتهت بهزيمة الروم وفتح حمص بعد مقتل زعيمهم هربيس واستشهد من المسلمين مائتان وخمسة وثلاثون فارسا كلهم من حمير وهمدان الا ثلاثين رجلا من أهل مكة من أخلاط الناس (٣١٤) وصارت خيل المسلمين تخرج فى طلب الروم للقضاء عليهم وطمعا فى غنائمهم ، وتسابق زعماء القبائل فى طلب العقد لهم بالزعامة على قبائلهم ، ومن ذلك ما حدث من مالك بن الحارث النخعى المعروف بالأشتر الذى جاء الى أبى عبيدة بن الجراح وطلب منه أن يعقد له على قومه من النخع (٣١٥) وكان قد أتاهم وعليهم رجل منهم فخاصمهم الى أبى عبيدة فدعا أبو عبيدة النخع وقال لهم . أى هذين أرضى فيكم أن يرأس عليكم فقالوا كلاهما شريف وفينا رضى وعندنا ثقة فأقبل على الأشتر وقال له : أين كنت حين عقدت لهذا الراية ؟ قال : كنت فى المدينة عند أمير المؤمنين ثم أقبلت اليكم • قال أبو عبيدة : فقدمت على هذا وهو رأس أصحابك ؟ قال : نعم • قال : فانه لا ينبغى أن تخاصم ابن عمك وقد رضيت به جماعة قومك قبل قدومك عليهم قال الأشتر : فانه رضى شريف وأهل لذلك وأنا أيضا أهل للرياسة فليعفى من رياسة قومى فأليهم كما وليهم هذا ، فقال أبو عبيدة : أخروا ذلك اليوم حتى تكون وقعة مع الروم فاذا استشهدتما فما عند الله خير لكما وان هلك أحدكما وبقى الآخر كان الباقى منكما الرأس على قومه وان بقيتما أعفيناك من رياسة القوم • قال الأشتر : قد رضيت ، فلما كانت احدى الوقائع فى مطاردة الروم استشهد رأس النخع الأول وجاء النخعى فعقد له أبو عبيدة على النخع (٣١٦) وكان من جلداء الرجال وأشدائهم قتل يوم اليرموك ثلاثة من الروم مبارزة وأحد عشر من بطارقتهم فى القتال (٣١٧) •

---

(٣١٣) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٥ •

(٣١٤) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٦٠ •

(٣١٥) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٣٢ •

(٣١٦) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٣٣ •

(٣١٧) المصدر نفسه : ص ٢٣٣ •

وكثيرا ما كانت تحدث بعض الاحتكاكات البسيطة بين القبائل بدافع النعرة القبلية القديمة ولا سيما بين قبائل قحطان وعدنان ومن ذلك ما حدث بين النخع وعبس (٣١٨) حينما عقد لهما على خيل الطلب . فقد عقد أبو عبيدة للأشتر النخعى على ثلاثمائة فارس من قومه بعد اليرموك لتتبع آثار القوم وقال له : لا تتباعد فى الطلب وكن منى قريبا فخرج الأشتر وكان يغير منه على مسيرة اليوم واليومين ، ثم دعا أبا عبيدة ميسرة ابن مسروق العبسى فسرحه فى ألفى فارس للطلب فمر على قنسرين وتجاوزها متتبعا آثار القوم حتى قطع الدروب وبلغ الأشتر ذلك فمضى خلفه حتى لحقه (٣١٩) واذا بميسرة مواقف لجمع من فلول الروم تقدر بأكثر من خمسة آلاف وميسرة فى ألفى فارس من قومه عبس فأحجم عنهم اشفاقا على من معه من الهلكة وبينما هو كذلك اذ طلع عليه الأشتر فى ثلاثمائة فارس من النخع فلما رآهم ميسرة كبروا وكبر الأشتر وأصحابه وحملوا على الروم كل من جانبه فهزموهم وتبعتهم خيل المسلمين يقتلونهم (٣٢٠) فلما أمسوا نادى منادى عبس للصلاة فتقدم ميسرة بن مسروق العبسى فصلى بأصحابه وتقدم الأشتر فصلى بقومه ، فلما انصرف الأشتر جاءه قنان بن دارم العبسى فقال : يا صاحب هذه الخيل ما منعك أن تجيء فتصلى مع الأمير ميسرة بن مسروق فقال الأشتر ومن ميسرة بن

---

(٣١٨) بنو عبس قبيلة من غطفان بن قيس عيلان من مضر العدنانية ، وهم بنو عبس ابن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، والعبس الأسد وبه سمى الرجل واليهم ينسب عنترة بن شداد العبسى المعروف بالشجاعة ، كانت منازلهم بنجد وقامت بينهم وبين جيرانهم فى الجاهلية حروب كثيرة مع فزارة وكلب وطىء من أشهرها حرب داحس والغبراء المعروفة بين عبس وفزارة اذ يقال انها دامت بينهم أربعين عاما .

الاصفهانى : الاغانى : جـ ٨ ص ٢٤١ ـ ٢٤٥ ، جـ ١٠ ص ٥ ـ ٧ ، جـ ١١ ص ٩٢ ، ٩٣ ، السمعانى : الأنساب : جـ ٢ ص ٣٨١ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ : ص ٣٠٦ ، الفيروز ابادى : القاموس المحيط : جـ ٢ ص ٢١٤ ، ابن رشيق : العمدة : جـ ٢ ص ١٦١ ، ١٦٢ ، النويرى : نهاية الأرب : جـ ٢ ص ٣٤١ ، القلقشندى : نهاية الارب : ص ٣١٣ ، ٣١٤ ، كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ٢ ص ٧٣٨ ـ ٧٣٩ .

(٣١٩) الازدى : فتوح الشام : ص ٢٣٧ .

(٣٢٠) الازدى : فتوح الشام : ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

مسروق ؟ قال : ميسرة بن مسروق العبسى • فقال الأشتر : وما عبس ؟ ومن بنو عبس ؟ فقال الرجل : سبحان الله ! وما تدرى من عبس ؟ قال الأشتر : لا والله ما أدرى • فقال له العبسى : فمن أنت ؟ قال : أنا مالك بن الحارث • قال : فممن أنت ؟ قال : من النخع • قال العبسى : فوالله ما سمعت بالنخع قط قبل الساعة (٣٢١) فغضبت ناس من أصحاب الأشتر ، فقال الأشتر لأصحابه : مم تغضبون انما أنا والله ما كذبت وما أظن هذا الرجل الا صادقا ، ثم قال : منعنى يا عبد الله من الصلاة معكم أنى وليت هذه الخيل ولم يؤمر على انسان ولم أومر بطاعة أحد وأنا إذا صليت الغداة انصرفت ان شاء الله تعالى فلما أصبحوا وصلى الغداة ارتحل بأصحابه من النخع (٣٢٢) ومضى ميسرة حتى بلغ مرج القبائل وهى ناحية انطاكية والمصيصة (٣٢٣) ثم انصرف راجعا، فكانت كل قبيلة تعتز بنفسها وتعتبر أنه ليس لأحد غيرها من القبائل سلطان عليها والجميع سواسية أمام الأمير •

اتجه المسلمون بعد مصالحة أهل حمص وقنسرين الى حلب (٣٢٤) وهى أكثر مدن الشام تحصينا وكان عليها أخوان أحدهما يدعى يوقنا والآخر يوحنا (٣٢٥) فلما بلغتهم أنباء مسير العرب اليهم كمن يوقنا كمينا ثم سار يوحنا اليهم بجيوشه وفاجأهم وهم على نهر يسقون خيلهم ويتوضئون فهجم عليهم فلما اشتبك الجمعان خرج الكمين من خلفهم فهزم

---

(٣٢١) الازدى : فتوح الشام : ص ٢٤٠ •

(٣٢٢) الازدى : المصدر السابق : ص ٢٤١ •

(٣٢٣) المصيصة مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس •

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٦٢ ، ١٦٣ •

(٣٢٤) ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٨٣ _ ٢٩٠ •

(٣٢٥) الواقدى : فتوح الشام ج ١ ص ٢٢٥ •

المسلمون وكانت خسارة كندة (٣٢٦) يومئذ عظيمة فقد أبلت بلاء حسنا وقاتلت قتالا شديدا ومع هذا فقد قتل منهم مائة رجل فى مقام واحد من هول المفاجئة ومن بقية القبائل سبعون رجلا منهم عباد بن عاصم النخعى من سادة النخع وسهيل بن مفلج وهو ممن شهد تبوك مع النبى ﷺ (٣٢٧) ، ولكن رغم ذلك فقد طارد أبو عبيدة الروم وتقدم الى حلب لفتحها وحاصرها المسلمون من كل جانب وكانت أسوارها حصينة متينة فامتنعت زمنا وكان لأهلها من الروم جواسيس من متنصرة العرب بالشام يأتونهم بالليل

(٣٢٦) قبيلة كندة من أكبر قبائل عريب بن كهلان القحطانية الضخمة ، وقد عرفت هذه القبيلة « بكندة الملوك » لأنها أخضعت لسلطانها فى الجاهلية بعض قبائل بنى عدنان مثل أسد وكنانة وقيس عيلان وبنى تميم والرباب وتغلب وبكر بن وائل وغيرهم ، وكندة هو ثور بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب ، وسمى كندة لأنه كند أباه أى كفر نعمته ، ومن بطون كندة الكبيرة : بنو معاوية بن كندة وبنو أشرس بن كندة ، ومن معاوية بن كندة بنو الأرقم بن النعمان وكانوا عثمانيين رحلوا عن الكوفة الى معاوية وقالوا : لا نقيم ببلد يسب فيه عثمان فأنزلهم معاوية الرهاء ومنهم بنو معاوية بن الحارث المنتهى نسبه الى ثور بن مرتع وكان ملكا ومنهم حجر بن الحارث والد امرىء القيس الشاعر وكان ملكا على بنى كنانة وبنى أسد ابنى خزيمة فقتله بنو أسد وأخوته شرحبيل بن الحارث ملك بنى تميم والرباب قتله أخوه سلمة يوم الكلاب وسلمة بن الحارث ملك بكر وتغلب ابنى وائل ومعد يكرب ملك قيس عيلان وقيس بن الحارث كان سيارا فأى قوم نزل بهم فهو ملكهم ، أما بطون بنو أشرس بن كندة فتتكون من ولديه السكاسك والسكون وهما من القبائل التى كان لها دور فعال فى أحداث العصر الأموى فمن السكون معاوية بن حديج له صحبة وهو قاتل محمد بن أبى بكر فى أحداث الفتنة بين على ومعاوية ومنهم حصين بن نمير السكونى الذى صار صاحب جيش يزيد ابن معاوية بن مسلم بن عقبة فى حصار مكة الشهير ووقعة الحرة بظاهر المدينة ولما بايع حصين مروان بن الحكم سنة ٦٥ هـ اشترط عليه أن ينزل البلقاء من كان بالشام من كندة وأن يجعلها لهم مأكلة فأعطاه ذلك ومنهم أكيدر بن عبد الملك السكونى صاحب دومة الجندل الذى أسره خالد بن الوليد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، أما ولد السكاسك بن أشرس بن كندة فكانوا ثمانية عشر ولدا ولهم ثروة عظيمة بالشام منهم حوى بن ماتع من بنى عامر بن السكاسك وهو قاتل عمار بن ياسر فى صفين ومن ولده نوح بن عمرو وكانوا فى بيت لهيا قرب دمشق وزياد بن هجعم ولى الشرطة لعبد الملك بن مروان ويزيد بن أبى كبشة السكسكى وغيرهم .

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١١٩ ، ١٢٠ ، ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٢٩ ، الأصفهانى : الأغانى : جـ ٩ ص ٨٥ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٣ ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، جـ ٥ ص ١٧ « أحداث سنة ٣٧ وما بعدها » . الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٨٨ ، نشوان الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن : ص ٩٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٥ـ٤٢٨ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٣٨١ ، ابن الأثير : أسد الغابة : جـ ١ ص ١٣٧ ترجمة رقم ٤٩٧٣ « معاوية بن حديج » ، ابن عبد البر : الانباه على القبائل الرواة : ص ١١١ ، ١١٢ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢١٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٧ ص ٣٣٦ ، العمرى : مسالك الأبصار : ص ٨٣ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٦٦ ،

(٣٢٧) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٤٨ .

والنهار يخبرونهم بأحوال المسلمين(٣٢٨) فجاءوهم يوما وهم فى الحصار وأخبروهم أن العلافة من المسلمين قد خرجوا الى وادى بطنان (٣٢٩) وصالحوا أهله وعلوفة العرب وميرتهم منه وأن هناك جمالا وبغالا ومعهم بعض المسلمين يقصدون القرى لطلب الميرة وهم قليلون فلما سمع يوحنا صاحب حلب ذلك من جواسيسه خرج فى ألف من أصحابه عند الفجر وباغت المسلمين فثبتوا له واقتتلوا قتالا شديدا فقتل من المسلمين ثلاثون رجلا كلهم من قبيلة طيء (٣٣٠) وانهزم الباقون وأخذ الروم ما كان معهم من الابل والبغال والميرة وعادوا الى قلعتهم ٠

لما فطن المسلمون الى أنهم مراقبون من عدوهم ركب خالد بن الوليد وأمر الناس أن يدوروا فى عسكرهم وأن يقبضوا على كل من ينكروه ، وبينما هو فى طوافه اذ بصر برجل من العرب المتنصرة وبين يديه عباءة يقبلها فجعل خالد يرقبه فجفل منه الرجل واستراب فيه خالد (٣٣١) وأقبل عليه قائلا : من أى الناس أنت يا أخا العرب ؟ فقال : أنا رجل من اليمن ٠ قال : من أيها ؟ وأراد أن ينتمى الى غير قبيلته فجرى الحق على لسانه وقال : أنا من غسان ٠ فقبض عليه خالد وقدمه لأبى عبيدة متهما اياه بأنه عين للروم على المسلمين فأمر أبو عبيدة باختباره بالقرآن والصلاة فلم يدر ما يفعل أو يقول وأقر بأنه عين للروم وأن معه اثنين آخرين دخلا القلعة ليخبرا يوحنا بخبر المسلمين وأنه تخلف لينظر ما يكون من أمرهم فخيره أبو عبيدة بين الاسلام أو القتل فأسلم الجاسوس الغسانى ونطق بالشهادتين (٣٣٢) ٠

استمر المسلمون محاصرين لقلعة حلب أربعة أشهر وهى ممتنعة عليهم فأرسل أبو عبيدة الى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب المشورة مع عبد الله بن قرط الأزدى وجعدة بن هبيرة (٣٣٣) وفى هذه الأثناء خرج هلال بن بدر الطائى فى جمع كبير من بطون طيء وعشائرها يريد الشام

---

(٣٢٨) الواقدى : المصدر السابق : جـ ١ ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ٠

(٣٢٩) واد بين منبج وحلب فيه انهار جارية وقرى متصلة قصبتها بزاعة ٠
ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ ٠

(٣٣٠) الواقدى : فتوح الشام : جـ١ ، ص ٢٥٧ ٠

(٣٣١) الواقدى : المصدر السابق : جـ ١ ص ٢٥٩ ٠

(٣٣٢) الواقدى : نفسه : نفسه : جـ ١ ص ٢٥٩ ٠

(٣٣٣) اسمه جعدة بن هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. امه فاختة بنت أبى طالب بن عبد المطلب وكنيتها أم هانيء ٠
المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٣٤٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٧ ، ١٤١ ٠

للجهاد بعد أن جاءهم كتاب من الخليفة عمر بن الخطاب بذلك للانضمام الى جيوش المسلمين المحاصرة لحلب (٣٣٤) فأضافوا دماء جديدة اليهم كانوا أحوج ما يكونون اليها فى ذلك الوقت ، فكان هذا أحسن رد من الخليفة على كتاب أبى عبيدة له ، اذ جاءه المدد الذى كان ينتظره بعد أن فقد الكثير من قبائل كندة وطىء فى قتال حلب التى صمدت أمامهم طويلا كما أنه كان لابد من استمرار تواتر القبائل على الشام فى سيل لا ينفطع ليشدوا من أزر اخوانهم فى تطهير البلاد من جيوب المقاومة وفلول الهاربين والمتآمرين من المتنصرة وغيرهم وحتى يحققوا الكثرة اللازمة لسكنى المدن والقرى التى هجرها أهلها وما كان ذلك كله ليتحقق لولا انتقال كثير من القبائل من شبه الجزيرة العربية الى الشام فى ذلك الوقت فما كان أسهل على الروم ومتنصرة العرب وأهل الشام مدنها وقراها من احتواء جيش من ثلاثين أو أربعين ألفا لو لم تأته الامدادات من موطنه بشكل متصل ٠

فما كاد يصل عبد الله بن قرط الأزدى وجعدة بن هبيرة بكتاب أبى عبيدة بن الجراح الى الخليفــة عمر بن الخطاب فى المدينة يطلب العون والمدد حتى جاءه جمع من قبائل كندة وحضرموت وهمدان ومدان وسبأ ومأرب وسنبس ونبهان (٣٣٥) ومن أقاصى اليمن يسألونه أن ينفدهم الى الشام (٣٣٦) وكان منهم ناس يمشــون على أقدامهم لا ركاب لهم فدعا عمر بابنه عبد الله وأمره أن يمضى الى مال الصدقات ليأتى القوم بسبعين راحلة يتعاقبون عليها ويحملون زادهم وميرتهم على ظهورها فاسرع عبد الله ابن عمر وأتى بسبعين بعيرا سلمها اليهم وقال لهم : جدوا رحمكم الله الى اخوانكم المسلمين وأسرعوا الى حرب عدوكم (٣٣٧) ، فلما أشرف القوم على اخوانهم بالشام أخذوا زينتهم وجردوا سيوفهم ونشروا راياتهم وكبروا لله وصلوا على نبيهم فأجابهم أهل العسكر بالتكبير والتهليــل من كل جانب (٣٣٨) ، واستقبلهم أبو عبيدة وسلم عليهم ونزل كل قوم عند بنى عمهم وعشيرتهم ، وكانت كندة من أكبر القبائل الموجودة فى حصار حلب

---

(٣٣٤) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٦١ ٠

(٣٣٥) سنبس بطن من طىء سموا باسم أبيهم سنبس بن معــاوية بن جرول بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن طىء من القحطانية ونبهان ولد عمرو بن الغوث بن طىء أيضا كانت مساكنهم بنجد ٠

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٠١ ـ ٤٠٣ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٧٣ ، كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ٢ ص ٥٥٧ ٠

(٣٣٦) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٦٣ ٠

(٣٣٧) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٦١ ٠

(٣٣٨) نفسه : جـ ١ ص ٢٦٣ ٠

بعد أن أتاهم المدد من اخوتهم وأهليهم فثبتت وقاتلت وحملت عبء الدفاع عن المسلمين ضــد هجمــات أهل حلب المتكررة وقد شهد لهم خالد بن الوليد بذلك عند الأمير أبو عبيدة بن الجراح حين قال له : (أصلح الله الأمير لقد رأيت كندة وقد أبلت بلاء حسنا وتقدم رجالها وثبت أبطالها وما زالت تضرب حتى أزالت عنا حامية الكفر » • فقد له أبو عبيدة : « صدقت والله يا أبا سليمان لقد أسعدت الناس كندة بثباتها » (٣٣٩) •

كان من موالى بنى طريف ــ وهم من ملوك كندة الذين حضروا الى الشــام ــ مولى لهم يقال له دامس أبو الهــول وكان أســود كثير السواد بصاصا كأنه النخلة السحوق فارسا شجاعا قويا شاع ذكره فى بلاد كندة وأودية حضرموت وجبال مهرة وأرض الشحر (٣٤٠) وقد أخاف البادية ونهب الحاضرة • وقد تمكن هذا الرجل مع سبعة رجال أشداء من تسلق سور قلعة حلب فى ليلة حالكة من مكان هادىء نام حراســه من الخمر ووصل الى بابها ففتحه للمسلمين ووقعت الصيحة فى القلعة ودار القتال ضاريا بداخلها (٣٤١) حتى ألقى الروم سلاحهم ونادوا بالغوث والأمان فأحضر أبو عبيــدة رجالهم ونساءهم وعــرض عليهم الاسلام فأسلم كثير منهم ومن ساداتهم (٣٤٢) •

لما فتحت قلعة حلب كانت وجهة المسلمين بعدها الى قلعة عزاز (٣٤٣) فاختار أبو عبيدة مائة رجل من أشداء القبــائل من طىء وفهر وخزاعــة وسنبس ونمير والحضارمة وحمير وباهلة وتميم ومراد وذلك بواقع عشرة رجال من كل قبيلة فكانوا خليطا من قبائل قيس واليمن وجعل على كل قبيلة نقيبا (٣٤٤) منهم فكان نقيب طىء ، خزعل بن عاصم ونقيب فهر فهر بن مزاحم وعلى خزاعة سالم بن عدى وعلى سنبس مسروق بن سنان وعلى نمير أسد بن جارم وعلى الحضارمة ماجد بن عميرة وعلى حمير ملكهم ذو الكلاع الحميرى وعلى باهلة سيف بن قادح وعلى تميم سعد بن حسن

---

(٣٣٩) الواقدى : المصدر السابق : جـ ١ ص ٢٦٣ •

(٣٤٠) مهرة مخلاف باليمن والشحر صقع على ساحل بحر الهند بين عدن وعمان •
ياقوت : جـ ٥ ص ٢٣٤ ، جـ ٣ ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ •

(٣٤١) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ، ص ٢٧١ •

(٣٤٢) نفسه : جـ ١ ص ٢٧١ •

(٣٤٣) عزاز بليدة تقع شمالى حلب بها قلعة ولها رستاق وهى طيبة الهواء عذبة الماء ليس بها شىء من الهوام •
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ١١٨ •

(٣٤٤) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٨٣ •

وعلى مراد مالك بن فياض وجعل على القوم مالكا بن الأشتر النخعى وقد نجح الجميع فى فتح عزاز وصالحوا أهلها (٣٤٥) وأرسل أبو عبيدة الى الخليفة عمر بن الخطاب يعلمه بذلك وأخرج الخمس من الغنائم فسلمه الى رباح بن غانم اليشكرى وضم اليه مائتى فارس من المسلمين فيهم قتادة وسلمة بن الأكوع وعبد الله بن بشار فأخذوا الخمس وساروا الى المدينة (٣٤٦) ، وهكذا ظل المسلمون يتنقلون فى فتوحاتهم للشام من مدينة الى مدينة ومن قلعة الى قلعة حتى وصلوا الى أقصى شمال البلاد (٣٤٧) وقد استغرق ذلك ثلاث سنوات كاملة ولم يستعص عليهم الا قيسارية فى فلسطين فان معاوية فتحها سنة ١٩ هـ بعد أن حوصرت سبع سنوات (٣٤٨) وظلت القبائل ترد الشام من شبه الجزيرة للجهاد (٣٤٩) وطمعا فى الغنائم وخصوبة العيش فلما تم للمسلمين فتح الشام (٣٥٠) رحل عنه معظم أهله وخاصة من الروم وأسلم معظم المتنصرة وانتشرت القبائل فى ربوعه فتغير شكله ومعالمه وهو ما سوف يتضح فى الفصل التالى من هذا الباب (٣٥١) .

---

(٣٤٥) نفسه : ج ١ ص ٢٨٣ .

(٣٤٦) الواقدى : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٨٣ .

(٣٤٧) الازدى : فتوح الشام : ص ٢٣٧ .

(٣٤٨) قيسارية بلد على ساحل الشام تعد من اعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة ايام وكانت قديما من اعيان امهات المدن واسعة الرقعة طيبة البقة كثيرة الخير والأهل . ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٤٢١ ، ٤٢٢ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٦٨ ، ١٧٤ .

(٣٤٩) الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، الازدى : فتوح الشام : ص ٢٣٩ ، كرد على : خطط الشام : ج ١ ، ص ١٩ .

(٣٥٠) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١١٨ .

(٣٥١) الطبرى : التاريخ : ج ٣ ص ٦٠١ .

الفصل الثانى

مناطق استيطان القبائل العربية بالشام بعد الفتح الإسلامى وأنسابها

كانت حرب اليرموك وفتوح الشام يمانية الطابع لكثرة من اشترك فيها من قبائل اليمن من مسلمين ومتنصرة (١) ، فاذا أضفنا لذلك سكنى القبائل اليمانية لهذه البلاد من قبل الاسلام (٢) أدركنا أنها كانت يمانية المعالم دون منازع قبل الاسلام وزمن الفتح ، غير أن السيادة لقبائل اليمن بالشام لم تدم بعد الفتح لكثرة من هاجر اليها من قبائل قيس (٣) التى نازعتها السيادة والسيطرة وان كانت لم تساوها فى الكثرة العددية

---

(١) من المسلمين : الأزد وحمير وكندة ومذحج وهمدان وطىء وخثعم وخولان والحضارمة · ومن المتنصرة الذين كانوا مع الروم : غسان ولخم وكلب وبهراء وبلى وسليح وتنوخ ونهد « تحالف من الأزد وقضاعة وعريب بن كهلان » ·

البلاذرى . فتوح البلدان : ص ١١٥ ، الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٦ ، الأزدى : فتوح الشام : ص ١٦ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ٨٧ ·

(٢) انظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٤٦ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ٢ ص ١٩٥ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٦ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٧٠ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ٧٠ ، ابن كثير : البداية : جـ ٢ ص ٥٧٠ ، زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٨١ ، جواد على : المفصل : جـ ٣ ص ١١ ، ديسو : العرب فى سوريا قبل الاسلام : ص ٢ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب : ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم : ص ٤٩٧ ·

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢١١ ·

لأنه اذا حسبنا القبائل اليمنية المتنصرة من لخم وغسان وقضاعة وبلقين وبلى وبهراء وغيرها التى دخلت الاسلام — (باستثناء القلة من غسان التى أبت الاسلام ورحلت الى بلاد الروم بزعامة جبلة بن الأيهم) — فضلا عن قبائل الفتح التى كان معظمها من قحطان بالاضافة الى قبائل اليمن المهاجرة بعد الفتح الى جوار اخوتها وأبناء عمومتها (٤) فضلا عن أنه مهجرهم المفضل من قبل الاسلام لأدركنا أن التفوق العددى لقبائل اليمن على قبائل قيس بالشام دام لفترة طويلة خلال القرنين الأول والثانى الهجرى لأن كثيرا من القبائل القيسية آثرت المضى الى مصر وافريقيا والأندلس (٥) عليها تجد من لا ينازعها ، وكان لذلك تأثيره على السيادة والزعامة للقبائل العربية فى بلاد الشام فى ذلك الوقت وكذلك على الأحداث ومجريات الأمور فيها ·

وقد كان للدور البارز الذى لعبته القبائل العربية بصفة عامة فى الفتوح أن صارت تشعر بأهميتها وتطالب بحقها الكامل فى الفىء والعطاء وتنفس على قريش استئثارها بالحكم والمال ومراتب الشرف (٦) · وكان ذلك مقدمة الأسباب التى أدت الى مقتل الخليفة عثمان بن عفان (٧) وقيام كثير من الثورات القبلية والتمرد على سلطان الدولة فى العصر الأموى ، يضاف الى هذا أن حركة الفتوح وما أعقبها من قيام الأمصار واتساع رقعة الدولة ودوام التحركات القبيلة كانت كلها عوامل أدت الى تغيير شامل فى مواطن عدد كبير من القبائل العربية كما حدث فى هجرة قبيلة أزد عمان اليمانية الى نواحى البصرة وقبيلة كلاب القيسية الى شمال الشام (٨) ، فقد نجم عن هذا التحرك القبلى الجديد احتكاك مباشر بمصالح القبائل بعضها ببعض مما أذكى روح التعصب القبلى لديها على نحو لم يكن مألوفا من قبل ، هذا فضلا عن الخلل الذى حدث فى التوزيع السكانى للعرب نتيجة للهجرات القبلية التى نزحت من شبه الجزيرة العربية ومن مركز الدولة فى الحجاز لمواصلة الفتوحات والاقامة فى الأمصار الجديدة فانتقل مركز الثقل فى الدولة من القلب

(٤) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ·

(٥) المقريزى : البيان والاعراب : ص ٢٨ ·

(٦) ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ١٢٦ ·

(٧) انظر الطبرى : جـ ٤ ص ٣٦٥ ــ ٣٩٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ، ص ٢٢٨ ·

(٨) الأصفهانى : الاغانى : جـ ١٢ ص ٣٥ ، الطبرى : التاريخ : جـ ١١ ص ١٥ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٤ ص ٢٥٤ ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ٢ ص ٢٢٢ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ١٢ ، كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ٣ ص ٩٨٩ ·

الى الأطراف (٩) وغدت هذه الأطراف ابتداء من أواخر عهد الخليفة عمر ابن الخطاب تضغط على حكومة المدينة وفقا لرغباتها في كثير من الأحيان، كما حدث بالنسبة لسكان الكوفة (١٠) الذين دأبوا على مطالبة الخلفاء بتغيير ولاتهم ، وبتطور الأوضاع انتقلت عاصمة الدولة نفسها الى الأطراف كما حدث في عهد علي ومنها الى دمشق في عهد الدولة الأموية بعد أن تحول مركز الثقل من جديد الى بلاد الشام ٠

ثم ان حركة الفتوح بصفة عامة فتحت الطريق على مصراعيه أمام القبائل للاحتكاك بحضارة الشعوب المغلوبة ومدنيتهم فتدفقت عليهم خيرات وفيرة هيأت لهم حياة رغدة تاقت معها نفوسهم الى البقاء في أمصارهم والاكتفاء بما فتح الله عليهم من البلاد فأخذوا يفضلون القعود على الفتح والجهاد (١١) وترجع بوادر هذه الظاهرة الى غزوة تبوك في عهد النبي ﷺ (١٢) وتجلت بوضوح في عزوف قبائل البصرة والكوفة عن الاشتراك الفعلي في الحروب الداخلية والخارجية على حد سواء وهو ما عانى منه علي بن أبي طالب ومصعب بن الزبير والحجاج ابن يوسف الثقفي (١٣) في حروبهم حيث اضطر الأخير الى الاعتماد على القبائل الشامية في تحقيق أهدافه لأن هذه القبائل ظلت محتفظة بروحها القتالية الى حد كبير معظم فترات القرن الأول الهجري وذلك مرده الى أن القبائل التي نزلت الشام لم تقم داخل المدن الرئيسية دفعة واحدة وانما ظلت تقيم خارجها بعض الوقت قبل أن تسكنها (١٤) فضلا عن انشغالها المتواصل في الحرب ضد الروم في الثغور فيما عرف بالصوائف والشواتي (١٥) مما أكسبها خبرة واسعة في القتال (١٦) ، ولكل ذلك فقد تميزت هذه القبائل عن مثيلاتها من القبائل الأخرى في مختلف الأقاليم ولا سيما في العطاء والغنائم ٠

ان معرفتنا بمناطق استيطان القبائل العربية التي سكنت الشام بعد الفتح الاسلامي ممزوجا بأنسابها وبطونها يفيد الى حد كبير في معرفتنا

---

(٩) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٥٣ ٠

(١٠) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٤٩٠ ـ ٤٩٤ ٠

(١١) عبد العزيز الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي : ص ٢٣ ٠

(١٢) انظر ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٧٥ ـ ١٨٥ ، ايضا سورة التوبة : ايات ٣٨ ، ٤٢ ـ ٤٦ ، ٨١ ـ ٨٣ ٠

(١٣) انظر الطبري : التاريخ : ج ٥ ص ٦٤ ـ ٦٦ ، ج ٦ ص ١٥١ ـ ١٦٢ ، ص ٣٤٢ ٠

(١٤) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٢١١ ٠

(١٥) الطبري : التاريخ : ج ٦ ص ٤٢٩ ـ ٤٣٣ ٠

(١٦) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٠٩ ٠

بالأحداث التاريخية التي وقعت في هذه الفترة المليئة بالصراعات القبلية المتعصبة لأنسابها والمتصارعة على مواطن الخصب وفي حروب قبائل عرب الشام بصفة عامة حيث لعبت الأنساب القبلية دورا هاما فيها ، فالأنساب تشكل الى حد كبير الهيكل العظمى للتاريخ الاسلامى وفهم هذا التاريخ لا يتأتى الا بمعرفة أنساب العـرب لارتباطها الوثيق برجالاته وصانعى أحـداثه (١٧) ٠

كان ينزل جنوب الشام قبل الاسلام في الصحراء الواقعة بينه وبين شبه جزيرة العرب وحول دمشق طائفة من القبائل اليمنية التى نزحت اليه منذ زمن بعيد ومن هذه القبائل غسان ولخم وجذام وطىء وعاملة وبطون شتى من قضاعة منها كلب وبهراء وتنوخ وسليح وبلى ، وبعد أن تم فتح الشام دخلت معظم هذه القبائل فى الاسلام وأعانوا المسلمين على الروم وبقيت معظم مواطنهم التى كانوا فيها قبل الفتح هى نفسها بعده لم يشاركهم فيها أحد من قبائل الغزو ، وكان مركز غسان بالشام هو منطقة اليرموك وفي بصرى وحوران (١٨) حيث يقيم معظمهم بالاضافة الى جماعات منهم سكنت البلقاء (١٩) وحمص (٢٠) ، والبيت والعدد فى بنى جفنـــة بن عمرو مزيقيـــاء وبنى كعب بن عمرو مزيقيـــاء من الأزد اليمنية (٢١) ٠

وبنو لخم من قبائل كهلان القحطانية ، ولخم هو مالك بن عدى ابن عمرو بن سبأ (٢٢) وبطونهم كثيرة منهم بنو الدار بن هانىء رهط تميم الدارى (٢٣) ، وبنو نصر بن ربيعة ومنهم المناذرة ملوك الحـيرة

---

(١٧) شاكر مصطفى : مصادر التاريخ الاسلامى : ص ٣١

(١٨) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٤٣٤ ، جـ ١ ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ، جـ ٢ ص ٣١٧ ، ٣١٨ ٠

(١٩) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادى القرى قصبتها عمـان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة ٠
البغدادى : مراصد الاطلاع : جـ ١ ص ٢١٩ ٠

(٢٠) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٧٩ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٤٨ ٠

(٢١) ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٧٢ ٠

(٢٢) ابن سعد : الطبقات : جـ ٧ ص ٤٠٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٢ ـ ٤٢٥ ، السمعانى : الأنساب : جـ ١ ص ١٢٥ ، ابن عبد البر : الأنباه : ص ٩٨ ـ ١٠٠ ، العمرى : مسالك الأبصار : ص ٨٤ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٦٧ ٠

(٢٣) ابن سعد : الطبقات : جـ ٧ ص ٤٠٨ ، ابن عبد الدر القرطبى : الاستيعاب فى الأصحاب : جـ ٢ ص ٥٨ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء : جـ ٢ ، ص ٤٤٢ ٠

العظام وبنو راشدة وبنو حدس وبنو ذعر (٢٤) وغيرهم • وديار لخم بالشام متفرقة أكثرها بين الرملة ومصر فى الجفار وفى الجولان وما يليها من البلاد : نوى والبثنية وشقص (٢٥) من أرض حوران يخالطهم فى هذه المواضع جهينة وذبيان وبعض القين (٢٦) •

وبنو جذام هم ولد عدى بن الحارث بن مرة بن أدد من قبائل عريب ابن كهلان ، ومن بطون جذام بنو غطفان وبنو أفصى وبنو الضبيب وبنو بعجة وبنو نفاثة وجميع هؤلاء من حشم وحرام ابنى جذام (٢٧) ، وجذام أخو لخم وعم كندة (٢٨) وكانت جذام فى شبه الجزيرة تسكن منطقة جبال حسمى (٢٩) ولما انتقلوا الى الشام سكنوا المنطقة الممتدة من مدين الى تبوك وأذرح (٣٠) ، ومنها فخذ مما يلى طبرية من أرض الأردن الى اللجون (٣١) واليامون ناحية عكا ومن حشم بن جذام بطن يقال لهم بنو جرى ينزلون بالرمل قريب من الفرما ، ويغلب على العريش بنو الثعل من بنى جرى ، ومنهم أيضا بعبسان وهى قرية بداروم غزة (٣٢) •

أما طىء فهى قبيلة عظيمة من كهلان القحطانية تنسب الى طىء ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان (٣٣) ، وبطون طىء وأفخاذها كثيرة من ولديه : قطرة والغوث ، فمن قطرة : جديلة وهم بنو

---

(٢٤) السمعانى : الانساب : جـ ١ ص ١٢٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٢ ، العمرى : مسالك الأبصار ص ٨٤ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٦٧ •

(٢٥) نوى والبثنية من نواحى دمشق وشقص قرية من سراة بجيلة •
ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٣٣٨ ، جـ ٣ ص ٣٥٥ •

(٢٦) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧١ ، ٢٧٣ •

(٢٧) السمعانى : الأنساب : جـ ٢ ص ٤٩٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٢٥ ، العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ١٣ ـ ٢٠ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ١٩١ ، ١٩٢ •

(٢٨) القلقشندى : نهاية الأرب : ص ١٩١ •

(٢٩) حسمى أرض غليظة ببادية الشام بينها وبين وادى القرى ليلتان •
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ •

(٣٠) مدين على بحر القلزم محاذية لتبوك وأذرح بلد فى أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحى البلقاء •
ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ١٢٩ •

(٣١) بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلا •
البغدادى : مراصد الاطلاع : جـ ٣ ص ١٢٠٠ •

(٣٢) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٢ •

(٣٣) الأصفهانى : الاغانى : جـ ٨ ص ٢٣٩ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٦ ، ابو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٠٨ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٩٧ •

خارجة بن سعد بن قطرة ومنهم الثعالب : ثعلبة بن رومان وابن أخيه ثعلبة بن ذهل وثعلبة بن جدعاء وغيرهم ، ومن بطون الغوث بن طيء : بنو ثعل بن عمرو وبنو جرم وبنو نبهان وبنو هنى،ومن ثعل بحتر ومعن، ومن نبهان سعد ونابل (٣٤) ، وكانت منازل طيء باليمن وخرجوا منه على أثر خـــروج الأزد بسبب ســـيل العرم (٣٥) فنزلوا سميراء (٣٦) وفيد (٣٧) بجــوار بنى أسد بنجد الحجاز ثم غلبوهم على جبلى أجا وسلمى اللذين عرفا لذلك بجبلى طيء ، ومنهما أخذت طيء تمتد وتتوسع وخاصة قبل الاسلام بوقت قصير ومع بداية عصر الفتوحات ، استولت من بلاد بنى أسد على أرض غفر فيما وراء الكرخ من أرض الجزيرة (٣٨) واستولت على منازل تميم فيما بين البصرة والكوفة واليمامة ، وورثوا غطفان فيما يلى وادى القرى شمالا ، ولما رحلوا الى الشام نزلوا جنوبى فلسطين حتى ملكوا الجبل والسهل والوادى حجازا وشاما وعراقا (٣٩) ، ومن منازل طيء وبلدانهم : القريات وهى : دومة وسكاكة والقارة (٤٠) والجريب (٤١) ومحضر وتيماء ، ومن جبالهم : أدبى وهو جبل أسود فى أعلى ديـــار طيء وناحية دار فزارة (٤٢) ودبـــاب والأعيرف (٤٣) والخاضب (٤٤) والثرى وهو بنجد والرعان ، ومن مياههم : غضـــور

(٣٤) ابن حزم : الجمهرة . ص ٤٧٦ ، العمرى : مسالك الأبصار : ص ٨٠ ، ٨١ ،

(٣٥) القلقشندى : الأنساب : ج ٢ ص ٥٢ .

(٣٦) ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٢٥٥ .

(٣٧) فيد بليدة فى منتصف طريق مكة من الكوفة يودع فيها الحاج ازوادهم وما يثقل من أمتعتهم عند أهلها فاذا رجعوا أخذو أزوادهم ووهبوا لمن أودعوهما شيئا من ذلك وهى ثلاثة : ثلث للمصريين وثلث لآل أبى سلاعة من همدان وثلث لبنى نبهان من طيء ، وبين فيد والقرى ست ليال وليس من دون فيد طريق الى الشام .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٣٨) ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٤٤٧ ـ ٤٤٩ ، البغدادى : مراصد : ج ٢ ص ٨٨٨ ، ج ٣ ص ١١٥٥ .

(٣٩) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٤ .

(٤٠) سكاكة احدى القريات التى منها دومة الجندل والقارة قرية كبيرة على قارعة الطريق وهى المنزل الأول من حمص للقاصد الى دمشق وأهلها كلهم نصارى وبها عيون جارية يزرعون عليها .

ياقوت : معجم البلدان ج : ٣ ص ٢٢٩ ، ج ٤ ص ٢٩٥ .

(٤١) البغدادى : مراصد الاطلاع : ج ١ ص ٤٤ .

(٤٢) البغدادى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٩٠٤ .

(٤٣) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢٢٣ ، ج ٢ ص ٤٣٦ .

(٤٤) البغدادى : مراصد الاطلاع : ج ١ ص ٦٨ .

وأراطى وبزاخة وأبرق النعار (٤٥) وقران وهويسل وقنة (٤٦) ، وكان لقبيلة طيء شأن عظيم في الجاهلية حتى أن بعض مؤرخي السريان والروم أطلقوا اسمها على العرب جميعا (٤٧) ، وبقيت بطونها في الاســـلام منتشرة في بوادى الجزيرة المطلة على الشــــام والعراق صاحبة مجد وسيادة (٤٨) .

وعاملة من القبائل العربية الكبيرة التى سكنت الشام من قبل الاسلام واشتركت مع الروم فى حرب المسلمين قبل أن يسلموا جميعا (٤٩) . وبنو عاملة هم ولد الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد ابن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ وهو أخو لخم وجذام (٥٠) ، وتتفرع عاملة من ولدى الحارث الزهد ومعاوية ونسبا الى أمهما عاملة بنت مالك القضــــاعية ، وكانت عاملة حلفاء لكلب وتنوخ وجرم طيء (٥١) ، وعاملة بطن متسع كانت تسكن اليمن وخرجت منه مع من خرج من بنى قحطان بعد سيل العرم وسكنت بلاد الشام فى منطقة جبال عاملة التى عرفت باسمهم حتى الآن وهى مشرفة على طبرية الى نحو البحر (٥٢) .

تعتبر قبائل قضــاعة من أهم القبائل العربية التى ســكنت بلاد الشام منذ زمن طويل قبل الاسلام (٥٣) ودانت به بعد الفتح ولعبت دورا كبيرا فى تاريخه وأحداثه لكثرة قبائلها وبطونها وانتشارها فى ربوع الشام ، واذا كانت قبائل غسان ولخم وجذام وطىء وعاملة تنتمى الى

---

(٤٥) ابرق النعار ماء لطيء وغسان قرب طريق الحاج .
البغدادى : مراصد الاطلاع : جـ ١ ص ١٤ .

(٤٦) من مياه طيء كان بها منزل حاتم الطائى وقبره .
البغدادى : مراصد : جـ ١ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٤٧) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام : جـ ٤ ص ٣٦٤ .

(٤٨) وصفى زكريا : عشائر الشام : جـ ١ ص ٧٢ .

(٤٩) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ١٧٠ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ١٠٣ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٢ ص ٢٧٦ .

(٥٠) ابن حزم : الجمهرة ، ص ٤١٩ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٠٣ .

(٥١) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢ .

(٥٢) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٢ .

(٥٣) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٧٦ ــ ٨٧ ، ١١٢ ، ابن رشيق : العمدة : ص ٤١٥ .

كهلان بن سبأ (٥٤) فان قبائل قضاعة من كلب وبهراء وبلي وسليح وتنوخ وتهد تنتمي الى حمير بن سبأ (٥٥) الذين منهم التبابعة والأدواء (٥٦) والاثنان أصلهما قحطان اليمن ، وكان لقبائل حمير وكهلان بصفة خاصة منذ القدم علاقات كبرى وصلات وثيقة ببلاد الشام تفوق ما كان لقبائل عدنان من صلات بهذه البلاد بكثير : اذ كانت بلاد الشام ملجأهم ومستودعهم منذ أيام بعيدة قبل الاسلام دون سواهم من العرب (٥٧) ، فاستقرت قبائل كثيرة منهم فيها وانتشروا في مختلف بقاعها وحتى في عصر الفتوحات كانت قبائلهم هي الغالبة في الجيوش التي خرجت للفتح (٥٨) ومن ثم فلابد من القول بأن أعدادهم قد ازدادت هناك ازديادا كبيرا بالتوالد وتتابع الهجرة حتى صاروا عنصرا رئيسيا من عناصر السكان في هذه البلاد وصارت القحطانية بما لا شك فيه هي غالبية أهل الشام من العرب ٠

ومن بني حمير بن سبأ التبابعة ومنهم قضاعة وهو قضاعة بن مالك ابن حمير بن سبأ وقيل قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك ابن حمير (٥٩) ، وكان قضاعة مالكا لبلاد الشحر (٦٠) وقبره بها (٦١) ، وقد تنوزع في نسب قضاعة ، أمن معد كان أم من قحطان ؟ فقضاعة تأبى

---

(٥٤) المبرد : نسب عدنان وقحطان : ص ١٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٨٤ ، ابن عبد ربه : جـ٣ ص ٣٦٩ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٠٠ ، العمري : مسالك الابصار : ص ٧٤ ٠

(٥٥) ابن حبيب : مختلف القبائل ومؤتلفها : ص ٩ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٣٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٠ ٠

(٥٦) التبابعة هم قوم تبع الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، « سورة الدخان آ ٣٧ » وكان ظهورهم حوالى سنة ١١٥ ق٠م حيث ظهر في ذلك الوقت لقب جديد لملوك سبأ هو « سبأ وذو ريدان » والأذواء جمع ذو بمعنى صاحب ٠

المسعودي : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٧٦ ـ ٨٧ « باب ذكر اليمن وملوكها » ، ابن رشيق العمدة : ص ٤١٥ « باب في معرفة ملوك العرب » ، الرازي : مختار الصحاح : ص ٢٢٤ ، مادة « ذو » ، خليل يحيى نامق ، نقوش عربية جنوبية : مجموعة ٢ ٠ مجلة كلية الآداب : جـ ٢ مجلد ١٦ ٠ ص ٢٢ ، ٢٣ ، جواد علي : تاريخ العرب : جـ ٢ ص ٢١٤ ٠

(٥٧) المسعودي : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٧٦ ٠

(٥٨) انظر الأزدي : فتوح الشام : ص ١٦ ـ ٢٦ ٠

(٥٩) ابن حبيب : مختلف القبائل : ص ٩ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٣٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٠ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٠٠ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٥٨ ٠

(٦٠) الشحر : ساحل اليمن وهو ممتد بينها وبين عمان أو هو بين عدن وعمان ٠ البكري : معجم ما استعجم : جـ ٣ ص ٧٨٣ ، البغدادي : مراصد الاطلاع : جـ ٢ ص ٧٨٥ ٠

(٦١) وهب بن منبه : التيجان في ملوك حمير : ص ٣٠٢ ٠

ان تكون من معد وتؤكد أنهـا من قحطـان (٦٢) وفى ذلك يقول عمرو القضـــاعى :

نحن بنو الشــيخ الحجان الأزهر قضــاعة بن مالك بن حمير (٦٣)

وقد ثار بين النسابين من عدنان وقحطان منذ بداية العصر الأموى نزاع عنيف حول نسب قبيلة قضاعة شارك فيه الخلفاء والولاة والشعراء ورؤساء القبائل (٦٤) ولعبت التيارات العصبية والسياسية دورا بارزا فيه ، ويظهر أن ضخامة قبائل قضاعة (٦٥) واتصالها بأحداث العصر الأموى كان محور هذا النزاع والدافع اليه ، وكان ضم قضاعة الى أحد الجانبين المتنازعين من قحطان وعدنان يؤدى الى ترجيح كفته فى الميزان القبلى والسياسى (٦٦) ٠

وقد انتهى النزاع حول أصل قضاعة الى انتمائها لليمن (٦٧) ، وكما لعبت قضاعة دورا هاما فى تاريخ بلاد الشام وشمال شبه جزيرة العرب فى الاسلام كانت كذلك أيضا قبل الاسلام بحكم سكناها فى موقع وسط بين الاثنين « فبلادهم متصلة بالشام وببلاد اليونان والأمم التى بادت ممالكها بغلبة الروم عليها وببلاد بنى عدنان (٦٨) » وكانوا قبل ذلك يسكنون اليمن فى الشحر ونجران (٦٩) ثم انتقلوا الى الحجاز ومنه الى

(٦٢) انظر : المبرد : نسب عدنان وقحطان : ص ٢٣ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٦ وعن الاختلاف فى نسب قضاعة : ابن سعد : الطبقات : جـ ١ ص ٣٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٠ ، الهمدانى : الاكليل : جـ ١ ص ١٣٧ ، ابن عبد البر : الأنباه : ص ٥٩ ، ابن سعيد الأندلسى : نشرة الطرب : جـ ١ ص ٧١ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٠٠ ، العمرى : مسالك الابصار : ص ٧٤ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ٠

(٦٣) القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٥٨ ٠

(٦٤) المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٥ ، العمرى : مســالك الابصــار : ص ٧٤ ٠

(٦٥) راجع ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤١ ــ ٤٦٢ ٠

(٦٦) احسان النص : العصبية القبلية واثرها فى الشعر الأموى : ص ٤٥ ٠

(٦٧) المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٥ ، ابن الكلبى : الأصنام : ص ٤٨ ، الأصفهانى : جـ ٢ ص ٣٥ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٨٦ ، ابن عبد ربه : العقد : جـ ٢ ص ٧١ ٠ ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٠ ، ابن صاعد : طبقات الامم : ص ٤٣ ، البكرى : معجم ما استعجم : جـ ١ ص ١٧ ، جـ ١٩ ص ٥٠ ، ابن منظور : لســان العرب : جـ ١٠ ص ١٤٩ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٤٧ ــ ٢٤٩ ٠

(٦٨) ابن حزم : الجمهرة : ص ٨ ٠

(٦٩) نجران فى عدة مواضع منها نجران فى مخاليف اليمن ٠
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٢٦٦ ــ ٢٧١ ٠

الشام فكان لهم ملك ما بين الشام والحجاز الى العراق ومن أيلة وجبال الكرك الى مشارف الشام واستعملهم الروم على بادية العرب (٧٠) ، وقد حاربهم عمرو بن العاص فى عهد النبى ﷺ سنة ٧ هـ فى غزوة ذات السلاسل (٧١) فى أرض بنى عذرة من قضاعة (٧٢) ، وكانت النصرانية منتشرة فى كثير من قبائلهم فى ذلك الوقت (٧٣) ، ويذكر ابن حزم أنه وبعض نسابى عصره (٣٨٤ ــ ٤٥٦ هـ) « وجدوا فى كتب بطليموس وفى كتب العجم القديمة ذكر القضاعيين ونبذة من أخبارهم وحروبهم » (٧٤) مما يدل على حيوية هذه القبائل وعظم دورها الذى لعبته فى ذلك الوقت .

وتعتبر قبيلة كلب من أضخم قبائل قضاعة القحطانية بالشام صاهرهم عثمان بن عفان (٧٥) ومن بعده معاوية فكانوا أخوال ابنه يزيد ومن أشد أنصار الأمويين ، وهم بنو كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة (٧٦) ، وكان بنو كلب فى الجاهلية ينزلون دومة الجندل وتبوك (٧٧) وأطراف الشام (٧٨) وخاصة منطقة السماوة ولا يخالط بطونها فى السماوة أحد ، ومنهم بالغوطة ووادى

(٧٠) ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧٠ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٦ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ٤ .

(٧١) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٥٣ .

(٧٢) بنو عذرة بطن عظيم من قضاعة من القحطانية وهم : بنو عذرة بن سعد هذيم ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافى بن قضاعة وهم المعروفون بشدة العشق لما يقال من أن بنسائهم صباحة وفى رجالهم عفة .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، السمعانى : الانساب : جـ ٢ ص ٣٨٦ . القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٢٦ . وعن أصلهم ومواطنهم انظر ما سبق فى ذلك .

(٧٣) البكرى : معجم ما استعجم : جـ ١ ص ١٩ « منازل قضاعة وهجرتهم » ، كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ٣ ص ٩٥٧ ، ٩٥٨ .

(٧٤) ابن حزم : الجمهرة : ص ٨ .

(٧٥) كانت زوجته نصرانية تدعى نائلة بنت الفرافصة الكلبى .

البلاذرى : انساب الأشراف : جـ ٥ ص ١٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٧ ص ٢٨٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٨١ .

(٧٦) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ابن سعيد الأندلسى : نشوة الطرب : جـ ١ ص ١٧٢ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٠٠ ، ١٠١ ، العمرى : مسالك الابصار : ص ٧٥ .

(٧٧) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٤٨٧ ــ ٤٨٩ ، البغدادى : مراصد الاطلاع : جـ ١ ص ٢٥٣ .

(٧٨) ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٥٢١ .

القرى (٧٩) . وفى الفتوح ومع تحركات القبائل نزلت طوائف منهم منطقة الغور وجنوبى عكا والساحل فى أوائل العصر الأموى ، وكانت تدمر (٨٠) عاصمة كلب ومقر قيادتهم (٨١) ، ومن قضاعة أيضا بنو بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضـــاعة (٨٢) وهى من كبريات قبائل قضاعة ، وكانت منازل بهراء تقع شمال منازل بلى وتمتد من الينبع الى عقبة أيلة على بحر القلزم (٨٣) .

ومن قضاعة تنوخ وهم قبائل اجتمعت وتألفت وسموا بذلك لأنهم اتفقوا على التتنخ أو المقام بالشام (٨٤) فأقاموا بحاضر حلب ، وفى منطقة المعرة (٨٥) كان جمعهم الأكبر ومنهم بنو فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة وقشم وهم بالجزيرة الفراتية حلفاء لبنى تغلب (٨٦) ومنهم مالك بن زمير ابن عمرو بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة وعليه تنخت تنوخ وعلى عم أبيه مالك بن فهم (٨٧) .

أما بنو سليح فهم قبيلة عمرو بن حلوان بن عمران بن الحـاف ابن قضاعة المعروفين بالضجاعمة نسبة الى حماطة بن ضجعم بن سعد

---

(٧٩) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٢ .

(٨٠) تدمر مدينة قديمة فى برية الشام .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ١٧ ـ ١٩ .

(٨١) القلقشندى : صبح الاعشى : جـ ١ ص ١٦٦ ، فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٤٣ .

(٨٢) الاصفهانى : الاغانى : جـ ١١ ص ٢٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤١ ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ٥ ص ١٥٢ ، الزبيـدى : تاج العروس ، جـ ٢ ص ٦٣ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ١٧٢ ، أحمد لطفى السيد : قبائل العرب : جـ ١ ص ٥١ ، كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ١ ص ١١٠

(٨٣) القلقشندى : صبح الاعشى : جـ ١ ص ٣١٧ ، نهاية الأرب : ص ١٧٢ .

(٨٤) عن اسم تنوخ انظر : الاصفهانى : الاغانى : جـ ١١ ص ١٥٥ ، الجوهرى : الصحاح : جـ ١ ص ٢٠٩ ، الزمخشرى : الفائق : جـ ١ ص ٧٣ ، الزبيدى : تاج العروس : جـ ٤ ص ٤٤١ .

(٨٥) مدينة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة .

(٨٦) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٣ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٤٨ ، العمرى : مسالك الابصار : ص ٧٦ .

(٨٧) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٢ .

ابن سليح بن حلوان(٨٨)وكانوا ملوكا بالشام فى أرض الغوطة قبل مجىء غسان الذين قضوا عليهم وأخذوا مكانتهم (٨٩) ٠

وأخيرا من قبائل قضاعة التى سكنت الشام من قبل الاسلام بنو بلى وهم ولد عمرو بن الحاف بن قضاعة ، ومعظم بطون بلى من ولديه فران وهنى ومنهم بدريون وصحابة (٩٠) ومساكن بلى تقع بين المدينة ووادى القرى من منقطع دار جهينة الى حد دار جذام بالنبك (٩١) على شاطىء البحر ولها ميامن البر الى حد تبوك (٩٢) ومن جبال الشراة الى معان (٩٣) وأيلة ، ومن ديار بلى أمج وغران وهما واديان يأخذان من حرة بنى سليم وينتهيان فى البحر (٩٤) وقد ذكر ابن خلدون « ان مواطن بلى تقع شمالى جهينة الى عقبة أيلة على العدوة الشرقية من بحر القلزم » (٩٥) ٠ وقد حدث زمن الخليفة عمر بن الخطاب أن نادى رجل من بلى بالشام بدعوى الجاهلية قائلا : « يا آل قضاعة » فأمر الخليفة عاملة بالشام أن يسير ثلث قضاعة من الشام فساروا الى مصر (٩٦) ، ومن قبائل قضاعة المشهورة أيضا بالشام : النمر بن وبرة وأسد بن وبرة وجهينة وسهد

---

(٨٨) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٠ ، الزبيدى : تاج العروس : جـ ٢ ص ١٦٥ ٠ ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٤٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣١٤ ، العمرى : مسالك الأبصار : ص ٧٦ ٠

(٨٩) وهب بن منبه : التيجان فى ملوك حمير : ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤٢ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ ، ٩٩ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ١ ص ١٦٧ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ٨ ٠

(٩٠) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٢ ، العمرى : مسالك الأبصار : ص ٧٦ ، القلقشندى : نهاية الارب : ص ١٧٠ ، ١٧١ ٠

(٩١) النبك : قرية مليحة بذات النخائر بين حمص ودمشق فيها عين عجيبة تجرى باردة فى الصيف طيبة عذبة ٠

البغدادى : مراصد الاطلاع : جـ ٣ ، ص ١٣٥٤ ٠

(٩٢) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٧٠ ٠

(٩٣) معان : مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء ٠
البغدادى : مراصد الاطلاع . جـ ٣ ص ١٢٨٧ ٠

(٩٤) ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٢٥٠ ٠

(٩٥) ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٤٧ ٠

(٩٦) المقريزى : البيان والاعراب : ص ٣٦ ، ٣٧ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ١٧١ ٠

هذيم وبنو عذرة ونهد ومهرة بن حيدان وجرم بن ربان وغيرهم ممن سكن الشام وباديته وشمال شبه جزيرة العرب (٩٧) .

بالاضافة الى زمرة القبائل اليمنية التى كانت معظمها يسكن جنوب الشام وشرقة ووسطه من قبل الاسلام كانت هناك قبيلة عربية كبيرة اختارت شمال الشام سكنا لها فى ذلك الوقت ألا وهى قبيلة تغلب ، بيد أنها لم تكن من قحطان وانما هم من العرب العدنانية (٩٨) ولذلك آثرت الابتعاد وسكنى الشمال ، وتغلب تنتمى فى نسبها الى ربيعة بن نزار الذى أنجب أسد وضبيعة (٩٩) وكان البيت والعدد والشرف فى أسد بن ربيعة (١٠٠) ومن قبائلها المشهورة وائل بن قاسط وهو من ولد جديلة بنت أسد ومن وائل تنحدر عبس وبكر وتغلب أضخم قبائل ربيعة أصحاب الشهرة والأحداث الضخمة فى عهد عمر والعصر الأموى (١٠١) وهم سكان الجزيرة الفراتية التى عرفت باسمهم « ديار ربيعة » (١٠٢) وهى تقع غربى نهر دجلة ومنها انتشروا على الضفة اليمنى لنهر الفرات عند منبج والرصافة ودمشق وقنسرين وعين التمر وفيما بين نهر الخابور والفرات ودجلة (١٠٣) ، وكان معظم بنى تغلب من البدو والأعراب (١٠٤) وليس فيهم الا القليل من أهل الحضر(١٠٥) وأغلبهم نصارى وهم أهل حرب وقتال (١٠٦) ، رفضوا اعتناق الاسلام بعد فتح الشام والعراق وقاوموا المسلمين وحاربوا ضدهم الى جانب الروم ، ولما تم فتح البلاد رغم أنفهم أبوا أن يدفعوا الجزية للخليفة عمر بن الخطاب وعزموا على الرحيل الى الى أرض الروم فى آسيا الصغرى وهموا أن يتفرقوا فى

---

(٩٧) انظر بطون قضاعة : ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤١ ـ ٤٦٠ ، ابن حبيب : مختلف القبائل : ص ١١ ، ابن سعيد الأندلسى : نشوة الطرب : جـ ١ ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٩٨) العوتبى : الأنساب : جـ ١ ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٩٩) ابن حزم : الجمهرة ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ .

(١٠٠) ابن حزم : الجمهرة : ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٤٨ .

(١٠١) انظر الاصفهانى : الاغانى : جـ ١١ ص ٦١ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٤ ص ٤٢١ ، ابن حبيب المحبر : ص ٤٩٢ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣٩ .

(١٠٢)ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٤٩٤ .

(١٠٣) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٠ .

(١٠٤) المسعودى : مروج الذهب : جـ ١ ص ٣١٤ ، أبو عبيد : الأموال : ص ٣٢ .

(١٠٥) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١١ ، ص ٦٢ .

(١٠٦) الأصفهانى : الاغانى : جـ ٧ ص ١٨٣ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٨٦ ، أبو عبيد : الأموال : ص ٢٣٢ ، أبو يوسف : الخراج : ص ١٤٣ ، الآلوسى : بلوغ الأرب : جـ ٢ ص ١٤١ .

البلاد (١٠٧) بحكم أنهم عرب يأنفون من دفع الجزية وقالوا للخليفة : نحن عرب فخذ منا كما يأخذ بعضكم من بعض باسم الصدقة ، فاستشار في أمرهم فأشار عليه النعمان بن زرعة التغلبي أنهم « عرب يأنفون من الجزية وليست لهم أموال وانما هم أصحاب حروش ومواش ولهم نكاية في العدو فلا تعن عدوك بهم » (١٠٨) فأخذ الخليفة بمشورته ضنا بهذه القبيلة العربية أن تجلو عن ديار العرب وأعفاهم من دفع الجزية وفرض عليهم صدقة مضاعفة لما يؤخذ من صدقات المسلمين وفرض على تجارتهم نصف العشر كسائر أهل الذمة (١٠٩) وأن يقدموا المؤن لجيوش المسلمين التي تمر بأرضهم (١١٠) واشترط عليهم ألا ينصروا أولادهم وشدد عليهم في هذا الشرط (١١١) ولكنهم خالفوه فأمر الخليفة عمر بن الخطاب زياد بن جرير الأسدي عامل الخراج ألا يتهاون في معاملتهم (١١٢) وكان يقول : « لئن تفرغت لبني تغلب ليكونن لي فيهم رأي لأقتلن مقاتلتهم ولأسبين ذريتهم فقد نقضوا العهد وبرئت منهم الذمة حين نصروا أولادهم » (١١٣) وكان الامام الزهري يقول : « لا نعلم في مواشي أهل الكتاب صدقة الا الجزية التي تؤخذ منهم ، غير أن نصارى بني تغلب أو نصارى العرب الذين عامة أموالهم المواشي فان عليهم ضعف ما على المسلمين » (١١٤) ٠

وأيا كان الأمر فقد استقر الخليفة عمر بن الخطاب في حكمه على بني تغلب الى أمرين : أحدهما حقنه دماءهم لما أعطوه من أموالهم وهم عرب في وقت لا يجب عليهم فيه الا الاسلام أو القتل ، فكان قبوله ذلك لسببين أحدهما انتحالهم النصرانية والآخر بحديث سمعه من النبي ﷺ فتأوله فيهم ٠ قال عمر : « لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان الله سيمنع الدين بنصارى من ربيعة على شاطىء الفرات ما تركت عربيا يسلم

(١٠٧) ابو عبيد : الأموال : ص ٣٢ ، ٤٨١ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٤ ٠

(١٠٨) ابو عبيد : الأموال : ص ٢٣٢ ، ابو يوسف : الخراج : ص ٦٨ ، الماوردي : الأحكام السلطانية : ص ١٤٤ ٠

(١٠٩) الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٦ ، الماوردي : الاحكام السلطانية : ص ١٤٤ ، الألوسي : بلوغ الأرب : ج ٢ ص ٢٤٢ ٠

(١١٠) ابو يوسف : الخراج : ص ٦٨ ٠

(١١١) البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٨٦ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٤ ص ٧٥ ، محمد مصطفى هدارة : دراسات في الشعر العربي : ج ١ ص ٨٧ ٠

(١١٢) ابو يوسف : الخراج : ص ١٥ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٨٢ ، ترتون : أهل الذمة : ص ٩٤ ٠

(١١٣) ابو عبيد : الأموال : ص ٤٨٢ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٨٦ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٥ ، الالوسي : بلوغ الارب : ج ٢ ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ٠

(١١٤) ابو عبيد : الاموال : ص ٤٨٢ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٦ ٠

أو يقتل » . ولذلك رضى بأموالهم دون دمائهم ، وهذا أحد حكميه على بنى تغلب ، أما الآخر فانه حين درأ عنهم القتل وقبل منهم الأموال لم يجعلها جزية كســائر ما على أهل الذمة وانما جعلها صدقة مضاعفة (١١٥) استجازها وترك الجزية لما رأى من نفارهم وأنفتهم منها فلم يأمن شقاقهم ولحاقهم بالروم فيكونوا لهم عونا على أهل الاسلام (١١٦) فلا ضرر من اسقاط الاسـم مع استبقاء المدلول فأخـذت منهم الجزية باسـم صدقة مضاعفة فكان فى ذلك رتق ما خشى فتقه من ناحية بنى تغلب مع استبقاء حقوق المسلمين فى رقابهم (١١٧) ، وقد ورد فى الحديث ان الله سبحانه وتعالى ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه فالذى كان يؤخـذ من بنى تغلب وان كان يسمى صدقة فانما كان موضع الجزية ، ولكل هذه الأسباب فان حكم عمر بن الخطاب فى عرب بنى تغلب النصارى لم يجانبه الصواب مع مخالفته لحكم النبى ﷺ الذى خص عرب أهل الكتاب بالجزية صريحة دون من لا كتــاب له منهم ولم يرض من ســائرهم الا بالاســلام أو القتل (١١٨) .

ظلت بطون تغلب من ربيعة العدنانية مستأثرة بمنطقة شمال الشام والجزيرة الفراتية ــ مع قلة من كنانة المضرية ــ حتى جاء الفتح الاسلامى وتدفقت قبائل مضر (١١٩) على الشام سواء التى شاركت فى الفتوح أو التى هاجرت بعدها (١٢٠) ، واتجهت كلها بعيدا عن مواطن اليمنية الى الشمال ومعظمها من قبائل قيس من مضر العدنانية من غطفان وهوازن

---

(١١٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٥ « ذكر فتح الجزيرة » ، الماوردى : الأحكام السلطانية : ص ١٤٤ ، الألوسى : بلوغ الأرب : جـ ٢ ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(١١٦) أبو يوسف : الخراج : ص ٦٨ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٥ .

(١١٧) أبو عبيد : الأموال : ص ٤٨٣ .

(١١٨) أبو عبيد : المصدر نفسه : ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٥ ، ٥٦ .

(١١٩) بنو مضر : أبناء مضر بن معد بن عدنان الذى يقال انه هو قيس عيلان وكان لمضر من الكثرة والغلبة بالحجاز دون سائر بنى عدنان وكانت لهم الرياسة والريادة بمكة والحرم ، أما بنو قيس فهم قبيلة متفرقة من مضر العدنانية تنسب الى قيس عيلان الذى كان له من الولد الكثير منهم : خصفة وسعد وعمرو وكان فى قيس هذا من الكثرة بمكان حتى تفرعت منه قبائل انتشروا فى سائر انحاء بلاد العرب فى تهامة ونجد والحجاز ثم فى العراق والجزيرة وتفرقوا بعد الاسلام فى سائر الأمصار .

ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٣ ، ٩١ ــ ٩٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٤ ، ٣٤٥ ، ٤٦٨ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٥٢ ــ ٤٠٣ ، قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان : ص ١٢٨ .

(١٢٠) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٧ .

وثقيف وسليم وباهلة وقشير وكلاب وجشم وقيس (١٢١) فانتشروا فى الجزيرة الفراتية مجاورين لتغلب وتملكوا حلب ونواحيها وكان تركزهم أشد ما يكون فى حوران وبصرى وفى قرقيسياء (١٢٢) والرقة وحران والرحبة ، وقد أطلق على منطقة سكناهم « ديار مضر » (١٢٣) وغلب عليهم اسم القيسية (١٢٤) .

كانت القبائل الوافدة الى بلاد الشام سواء من القيسية أو اليمنية لا تسير على نسق واحد فى اتخاذ مواطن استيطانها فكانوا تارة يقصدون الحواضر والبوادى وأحيانا ينزلون المنازل التى جلا عنها أهلها فى مختلف المدن ويخالطون من بقى من أهل البلاد الأصليين ، وتارة أخرى ينزلون فى منازل خاصـــة بهم بعيدا عن المدن والقرى فكان استيطانهم بين هذا وذاك (١٢٥) ، فحين نزل المسلمون مدينة حمص مثلا كان فيهم السمط ابن الأسود الكندى فى جماعة من قومه من كندة ، وكان السمط صاحب جد واجتهاد فى اليرموك وســـائر المعارك التى اشترك فيها ، وقد قام بتقسيم حمص خططا بين القبائل التى نزلتها (١٢٦) فأنزل الأشعث ابن ميناس فى السكون (١٢٧) وأنزل المقداد فى بلى وأسكن سائر بطون كندة وأنزلها غيرهم ورتب أوضاعهم فيها (١٢٨) ، وكانت كل القبائل العربية التى نزلت حمص من اليمن مع قلة من قيس ولذلك ضرب المثل

---

(١٢١) عن هذه القبائل وانسابها فى قيس ومواطنها الأصلية فى شبه جزيرة العرب انظر :

الواقدى . فتوح الشام : جـ ١ ص ٣ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٣ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٤ ، ٤٨٣ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٨٨ ـ ٤٤٢ .

(١٢٢) قرقيسياء بلد على نهر الخابور قرب رحبـة مالك بن طوق وعنـدها مصب الخابور فى الفرات فهى مثلث بين الخابور والفرات .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٢٥ ، ١٢٧ .

(١٢٣) ابن حزم : الجـمهرة : ص ٤٦٨ ، القلقشـندى : نهاية الارب : ص ٤٠٧ ، هدارة : دراسات : ص ٨٩ .

(١٢٤) ابن سعد : الطبقات : جـ ٥ ص ٢٩ .

(١٢٥) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢١١ .

(١٢٦) البلاذرى : المصدر السابق : ١٤٣ .

(١٢٧) بنو السكون بن أشرس بن ثور بطن من كندة من القحطانية وكان لهم ملك بدومة الجندل فى حياة النبى ﷺ واشتركوا فى سنة ٦٥ هـ مع مروان بن الحكم فى موقعة مرج راهط .

الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٨٥ ، ٨٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٩ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٣ ص ٢٧٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٢ ص ٨٠ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٤ ص ٢٥٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٢١ .

(١٢٨) ابن الاثيم : الكامل : جـ ٢ ص ٣٤٢ .

بذلة القيسى بها (١٢٩) ، وكان شرحبيل بن السمط (١٣٠) بالكوفة منافسا للأشعث بن قيس الكندى (١٣١) فى الرياسة على كندة العراق فوفد السمط على الخليفة عمر بن الخطاب وقال له يا أمير المؤمنين انك لا تفرق بين الأب وابنه فى السبى وقد فرقت بينى وبين ولدى ، فحوله الى الشام أو حولنى الى الكوفة فقال : بل أحوله الى الشام فنزل حمص مع أبيه فسعدت به كندة الشام (١٣٢) ولما ولى معاوية بن أبى سفيان الشام والجزيرة لعثمان بن عفان أمره أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى فأنزل بنى تميم (١٣٣) الرابية وأنزل أخلاطا من قبائل قيس وأسد المضرية بالمازحين والمديبر بالجزيرة الفراتية (١٣٤) ورتب ربيعة من تغلب واياد والنمر بن قاسط فى ديارها بالخابور على هذا النحو (١٣٥) .

كانت أعداد القبائل العربية التى نزلت الشام ابان الفتح تتزايد تزايدا سريعا بالتوالد ودوام الهجرة ، وقد قدر عدد مهاجرة العرب الذين نزلوا الشام عند فتحها بما يزيد على مائة ألف وبلغ عدد المسجلين بديوان العطاء فى دمشق وحدها فى الصدر الأول خمسة وأربعين ألفا (١٣٦) ولا تمثل هذه الأرقام القبائل الوافدة الى الشام وحدها وانما تمثل أيضا من انضم اليهم من العرب الذين كانوا ينزلون هذه البلاد قبل الفتح ثم انضموا الى جيوش المسلمين وعلى أية حال فقد أمكن تحديد مواطن القبائل العربية بالشام بصورة مجملة فى عهد الراشدين والأمويين على وجه التقريب استنادا الى ما انتهى الينا من المصادر التاريخية والجغرافية (١٣٧) ، ففى فلسطين كانت قبائل لخم وجذام وعاملة وبطون من كلب ، وفى الأردن كانت غسان ومذحج وقضاعة

(١٢٩) انظر الميدانى : مجمع الأمثال : ج ١ ص ٢٩٤ .

(١٣٠) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٦ .

(١٣١) البلاذرى : أنساب الأشراف : ص ١٦٤ ، ٤٥٦ .

(١٣٢) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٣ .

(١٣٣) عن بنى تميم : ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

(١٣٤) ياقوت . معجم البلدان : ج ٥ ص ٤٠ .

(١٣٥) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢١١ .

(١٣٦) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢٢١ ، كرد على : خطط الشام : ج ١ ، ص ٦٧ .

(١٣٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٣٢ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٢٨ ــ ٢٢٩ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٩ ــ ١٣٤ ، الطبرى : التاريخ ج ٤ ص ٤٤٢ ــ ٥٧٦ ، الواقدى : فتوح الشام : ج ١ ص ٢٦٦ ، ج ٢ ص ٥٣ ، الازدى : فتوح الشام : ص ٢١٧ ، ياقوت : مخجم البلدان : ج ٥ ، البكرى : معجم ما استعجم ٤ حـ ٢ البغدادى : مراصد الاطلاع : ج ٣ .

وهمدان وكلب وعك (١٣٨) ، وكانت حوران والجولان منازل خليط من لخم وجهينة وذبيان ، وأغلب القبائل التى نزلت دمشق من اليمانية من قضاعة وغسان وحمير (١٣٩) وغيرهم الى جانب قلة من قريش وسائر قيس ، وأهل حمص كلهم يمانية من كندة وطيء وحمير وكلب وهمدان والسكون وبلي وبها بعضا من قيس واياد (١٤٠) ، وأكثر من نزل حماة (١٤١) وما حولها الى حد البحر من القبائل اليمنية وكلهم من تنوخ وبهراء (١٤٢) وكان يغلب على المناطق الشمالية قبائل اليمن من سليح وزبيدة وهمدان وكندة وطيء ولا يوجد أثر للقبائل المضرية فى هذه البقاع الشمالية الا طوائف من اياد وقيس بقنسرين (١٤٣) وما حولها (١٤٤) .

وقد شغلت قبيلة كلب القضاعية بادية السماوة كلها لا يخالطهم فيها سواهم (١٤٥) وهى تمتد من أطراف بلاد العرب الشمالية حتى الفرات بين الكوفة والشام وتشمل بادية الشام التى تقع تدمر فى قلبها (١٤٦) ، أما الجزيرة التى يشقها نهر الفرات منحدرة من بلاد الروم فقد نزلتها قبائل مضر وربيعة ، واختصت القبائل المضرية بمنطقة شرقى الفرات وكلها من قيس (١٤٧) ، أما منازل ربيعة فكانت تقع شرقى منازل

---

(١٣٨) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٩ ، ٢٩٤ ، ابن هشام : السيرة : جـ ٢ ص ٢٥٧ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٢٤٠ ، جـ ٢ ص ٢٢١ ، المقريزى : البيان والاعراب : ص ٦١ ، القلقشندى : نهية الأرب : ص ٣٦٧ .

(١٣٩) ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٤١ ، الهمدانى صفة جزيرة العرب : ص ١٢٢ ، المسعودى : التنبيه والاشراف : ص ١٥٨ ، العوتبى : الانساب : جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .

(١٤٠) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٣ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص ٣٤٢ ، الميدانى : مجمع الأمثال : جـ ١ ص ٢٩٤ .

(١٤١) حماة مدينة عظيمة تقع على نهر العاصى بشمال الشام ذكرها امرؤ القيس فى شعره .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(١٤٢) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١١ ص ٢٦ ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ٥ ص ١٥٢ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٤ ، القلقشندى : صبح الأعشى : جـ ٦ ص ٣١٧ ، نهاية الأرب : ص ١٧٢ .

(١٤٣) قنسرين قرب حمص ..
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٤٠٣ .

(١٤٤) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٦ .

(١٤٥) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٥ .

(١٤٦) وسميت السماوة لأنها أرض مستوية لا حجر بها .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٢٤٥ .

(١٤٧) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٥ .

مضر وأولها رأس العين (١٤٨) وهي لبني النمر بن قاسط ، بالنسبة لتغلب فقد استقرت منذ العصر الجاهلي على الخابور من فروع الفرات (١٤٩) واستوطنت ما بين الخابور والفرات ودجلة والى يمينها نزلت أختها بكر بن وائل واستقرت قبيلة النمر بن قاسط في رأس العين (١٥٠) وكانت قبيلة قيس تمثل العنصر المضري في بلاد الشام كما كانت كلب التي ورثت الغساسنة تمثل العنصر اليمني فيها وقد لعبت كلتاهما دورا كبيرا في الأحداث القبلية التي شهدتها الشام والجزيرة في العصر الأموي ، ويقال ان العرب الذين كانوا بالشام في نهاية القرن الأول الهجري بلغوا نحو ربع مليون شخص كان معظمهم من الجند والموظفين والبدو ولا سيما من القبائل العربية التي كانت تسكن تلك البقاع قبل الاسلام (١٥١) ٠

يتضح من العرض الذي قدم أن العنصر الغالب على قبائل الشام في العصر الأموي هو العنصر اليمني الى جانب زمرة من قيس وقريش وسائر مضر ، وفي الجزيرة الفراتية كانت القبائل العدنانية من مضر وربيعة هي الغالبة ولم يكن للقبائل اليمنية أثر في ربوعها وقد اتبع في توزيع القبائل العربية في بلاد الشام وهو نظام يختلف عن نظام الأخماس والأسباع (١٥٢) الذي اتبع في العراق وهو نظام الأجناد (١٥٣) ، فقد وزعت الجيوش العربية أجنادا تعسكر قرب مدن الشام الرئيسية ، وكل جند كان ينسب الى المكان الذي هو فيه لا الى القبائل التي يتألف منها فيقال جند حمص وجند الأردن وجند فلسطين ونحو ذلك (١٥٤) ، وقد ذكر أن العرب أخذوا هذا النظام عن توزيع الأقسام الادارية الذي كان متبعا في عهد الروم (١٥٥) ٠

---

(١٤٨) مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة الفراتية بين حران ونصيبين ودنيسر بها عيون صافية تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ١٣ ، ١٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٢٥ ٠

(١٤٩) ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ٠

(١٥٠) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، « ديار ربيعة » ٠

(١٥١) سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ٠

(١٥٢) نظام الأخماس والأسباع هو نظام اتبع في تقسيم مدن العراق بعد فتحها بحسب عدد القبائل التي نزلت كل مدينة كما حدث في الكوفة ، وأصله من الشيء المخمس اي الذي له خمسة أركان وسبع الشيء تسبيعا أي جعله سبعة ٠

البلاذري : فتوح البلدان : ص ١٤٣ ، الرازي : مختار الصحاح : ص ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ٠

(١٥٣) الطبري : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٧ ٠

(١٥٤) انظر خريطة « أجناد الشام في العصر الأموي » « الملاحق » رقم ١٥ ٠

(١٥٥) فيليب حتى : تاريخ العرب : جـ ١ ص ٢٠٨ ٠

تعتبر القبائل اليمنية فى بلاد الشام فى القرن الأول الهجرى بصفة عامة وقبائل قضاعة وكلب بصفة خاصة هى حجر الزاوية فى تاريخ تلك الفترة وذلك للدور الكبير الذى لعبته هذه القبائل فى سياسة البلاد وشئونها حيث انتشروا فى نواح كثيرة من ربوعهـا فى الحضر والبوادى (١٥٦) كما أن معظم هذه القبائل لم يكن مهاجرا كما كانت القبائل الأخرى التى هاجرت الى سائر الامصار بعد الفتح وانما كانوا بالشام منذ زمن طويل واقعين تحت التأثير اليونانى الرومانى وكانوا قبل الاسلام مباشرة تابعين لدولة الغساسنة (١٥٧) فتعودوا حياة الحضر وألفوا سياسة الطاعة والنظام بتأثير الحياة والحضارة البيزنطية (١٥٨) فضلا عن اتقانهم لفن الحروب الذى أكسبهم اياها صداماتهم المستمرة مع الروم (١٥٩) ففاقوا سائر القبائل العربية الأخرى فى هذا المجال وكانوا خير عون لخلفاء بني أمية في حكم الشام (١٦٠) ودائما ما كانوا يفخـرون على قبـائل مضر بأنهم ليسـوا مثلهم مهاجرين الى الشـام حديثا (١٦١) ، ولما كان لهذه القبائل أسرة قديمة من الأمراء دانوا لها بالطاعة زمنا طويلا فقد آل ما تعودوه من الطاعة الى معاوية وخلفائه باعتباره الوارث الشرعي لأسرتهم السابقة فلم يكونوا بحاجة الى أن يلقنوا حقوق الدولة عليهم وكانوا يعترفون بشرعية الرياسة القائمة ولم يمتحنوها بالرجوع الى مقـاييس القرآن والى المبـادىء التى يجب أن تكون عليها الحكومة فكانوا (١٦٢) يطيعون أمرهـم أينما وجهوهم ، وقد أثبتوا من

---

(١٥٦) انظر الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٣ ـ ٢٧٥ « مساكن العرب فيما جاوز المدينة » .

(١٥٧) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٧ ، حمزة الأصفهانى : تاميخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ ، ٩٩ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ١ ص ١٦٧ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ٨ .

(١٥٨) أحمد أمين : فجر الاسلام : ص ١٦ ، ١٧ ، فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٥٤ ، احسان صدقى العمد : الحجاج : ص ٥١ .

(١٥٩) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٥ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٦٩ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٦٥ ، حتى : تاريخ سورية : جـ ١ ص ٤٤٨ ، جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام : جـ ٣ ص ١٢٠ ، جبون اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها . ص ٢٧١ ، موسكاتى : الحضارات السامية : القديمة : ص ٢٠٤ .

(١٦٠) ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ٢٠٨ ، بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية : ص ١٣٠ .

(١٦١) انظر ديوان الحماسة : ص ٦٥٩ .

(١٦٢) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية ، ص ١٢٧ .

الناحية الحربية تفوقا على سائر القبائل الأخرى (١٦٣) لمجاورتهم الروم وتدريبهم شبه المنتظم ، وقد كان معاوية وخلفاؤه من الحكمة بحيث حافظوا على حماستهم وحميتهم وان كانوا هم أنفسهم من حيث النسب أقرب الى قيس منهم لغيرهم (١٦٤) فكان معاوية يقيم في دمشق فى المنطقة التى كانت تسكنها كلب (١٦٥) غير بعيد من مقر ملوكهم السابقين وتزوج امرأة من أشراف كلب (١٦٦) وجعل ابنها يزيد وارثا للخلافة وكان التصاهر بحسب تفكير العرب بمثابة التحالف السياسى (١٦٧) فكانت كلب كلها تشعر أنهم أصهار الخليفة وأخوال ولى عهده (١٦٨) ٠

لم يكن من الممكن أن ترضى القبائل العربية بالشام منذ القدم والتى أدمجت فى الدولة بعد الفتح أن تكون فى مرتبة ثانية بعد القبائل التى دخلتها مع الفاتحين وذلك لأن دخول قبائل الشام اليمنية فى الاسلام جاء مبكرا وكان لهم فيه نصيب من الاختيار ولم يكن اسلامهم مجرد انضمام لراية العروبة المنتصرة فحسب ، وكان لهذا الشعور تأثيره على علاقات القبائل ببعضها وعلى سياسة الدولة تجاه القبائل وهو ما سوف يتضح في الأبواب التالية ، وعلى أية حال فقد ظلت القبائل العربية التى سكنت بلاد الشام سواء قبل الفتح أو بعده متمسكة بتقاليدها ردحا من الزمن قبل أن يظهر عليها التأثر بالبيئة الجديدة التى سكنوها مختلطين بالسكان الأصليين (١٦٩) وقد ظهر هذا التأثر أوضح ما يكون تدريجيا فى سلوكهم وحياتهم الاجتماعية ومظاهر معيشتهم فانتقلوا من غضاضة البداوة الى رونق الحضارة (١٧٠) ٠

---

(١٦٣) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٦٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٧ ، ص ٧٧٩ ٠

(١٦٤) المصعب الزبيرى : نسب قريش ٠ ص ١٢٢ ــ ١٢٨ « بنو أمية » ٠

(١٦٥) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٥ ٠

(١٦٦) هى ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنانة بن عدى بن زهير بن حارثة ابن جناب الكلبى وأمها أسيرة بنت ثعلبة وجدتها صعبة بنت معقل وأم جدتها قتيلة بنت قنانة ٠

ابن حبيب : المحبر : ص ٢١ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٤٩٩ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٧ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ٢٦١ ، سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١١ ، ضيف : العصر الاسلامى : ص ٢٣٠ ، هدارة : دراسات فى الشعر ص ٨٩ ، فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٢٧ ٠

(١٦٧) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٢٧ ٠

(١٦٨) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٠٤ ٠

(١٦٩) ابن خلدون : العبر : جـ ١ ص ١١٨ ٠

(١٧٠) ابن خلدون : المصدر نفسه : جـ ١ ص ٢٠٣ ٠

الباب الرابع

الحرب بين قبائل الشام وعرب العراق وقيام الدولة الأموية

الفصل الأول : موقف قبائل الشام من الفتنة بين الخليفة على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ·

أولا : أسباب الفتنة ووقائعها ·

ثانيا : زيارة جرير بن عبد الله البجلى الى الشام ·

ثالثا : مبايعة كندة لمعاوية بن أبى سفيان ·

الفصل الثانى : قبائل الشام والعراق فى حرب صفين :

أولا : المسير الى صفين ·

ثانيا : عزل الأشعث بن قيس عن رياسة كندة والعراق ·

ثالثا : موقف أهل الرقة من على بن أبى طالب ·

رابعا : القتال على الماء ·

خامسا : تعبئة القبائل للحرب ·

سادسا : وقائع حرب صفين « رؤية قبلية » ·

١ ــ مذحج · ٢ ــ خثعم · ٣ ــ بجيلة · ٤ ــ غطفان ·

الفصل الأول

موقف قبائل الشام من الفتنة
بين الخليفة على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان

أولا : أسباب الفتنة ووقائعها :

ترجع أحداث الفتنة بين الخليفة على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان والى الشام فى شكلها العام الى حادث مصرع الخليفة عثمان بن عفان وما صاحبه من ظروف وملابسات وامتناع معاوية عن بيعة على بالخلافة والدخول بالشام وأهله فى الجماعة حتى يقتص على بن أبى طالب من قتلة عثمان ، غير أن ذلك لم يكن هو السبب الحقيقى فى تأزم الموقف بين الطرفين وتطور الأحداث حتى الحرب الطاحنة فى صفين ، فقد كانت هناك رغبة مسبقة فى نفس معاوية ألا يبايع عليا بسبب العداء والتنافس التقليدى بين بنى أمية وبنى هاشم منذ الجاهلية وحتى الاسلام (١) والذى لم يكن هذا الا احدى حلقاته ، فضلا عن طموح معاوية الذى لم يكن

---

(١) انظر : ابن هشام : السيرة : جـ ١ ص ١٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ، جـ ٢ ص ١١٩ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ٤ ص ٤٣ ، ٤٤ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٥ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٢ ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ٤٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٢ ص ٢٢٩ ، المقريزى : النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم : ص ٨ .

Ency : d'Islam, (art Umaiyades), 14, p. 1052.

بلا حدود ودهائه وحنكته اللتين عرف بهما (٢) بالاضافة الى ولايته على الشام بغناه وطاعة أهله ، واذ توفر له كل هذا فقد رأى فى نفسه ندا لعلى وأهلا للخلافة ومما يؤكد ذلك تطور الأحداث بين الطرفين وصمود معاوية حتى مقتل على وقيام دولة بنى أمية بالشام ٠

لما زحف المتمردون على الخليفة عثمان بن عفان فى المدينة وحاصروه فى بيته لم يكن لأحد من أهل الشام ضلع فى ذلك من قريب أو بعيد (٣) وكان كل الثائرين على الخليفة من المدينة والكوفة (٤) ومصر (٥) كما شهد هو نفسه بذلك فى الكتاب الذى أرسله بنسخة واحدة (٦) الى كل من عبد الله بن عامر بن كريز (٧) والى البصرة (٨) ومعاوية بن أبى سفيان

---

(٢) انظر أقوال المؤرخين فى ذلك : ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٥ ، ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة : جـ ٥ ص ٢١٠ ، ٢١٢ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : جـ ١ ص ١٨٨ ، ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية : ص ١٤٥ ٠
Lammens : Edudes sur le regne du Culife Ofaiyade Mo'awia 1er, p. 66, 813.

(٣) يقول ابن الأثير : « أما الشام فلم يظهر منها ممتعض » الكامل : جـ ٣ ص ٥٧ ٠

(٤) الكوفة : هى المصر المشهور بارض بابل من سواد العراق وسميت كوفة لاستدارتها اخذا من قول العرب : رأيت كوفانا « للرميلة المستديرة » وقيل فى تسميتها أسباب أخرى ، وقد مصرت الكوفة فى أيام عمر بن الخطاب سنة ١٧ هـ ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٤٩٠ ـ ٤٩٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ١٠١ ٠

(٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٣٤٠ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ٤١٥ ٠

(٦) جاء فى هذا الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فان أهل البغى والسفه والجهل والعدوان من أهل الكوفة وأهل مصر وأهل المدينة قد أحاطوا بدارى ولم يرضهم شىء دون قتلى أو خلعى سربالا سربلنيه ربى فأعنى برجال ذوى نجدة ورأى فلعل ربى يدفع بهم عنى بغى هؤلاء الظالمين والسلام » ٠

ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ١ ص ٤١٥ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ٨٥ ٠

(٧) عبد الله بن عامر بن كريز : من ولد ربيعة بن حبيب بن عبد شمس من قريش وأمه من بنى سليم ، استعمله عثمان على البصرة وعزل أبا موسى الأشعرى فقال أبو موسى : « قد أتاكم فتى من قريش كريم الأمهات والعمات والخالات » وهو الذى دعا طلحة والزبير الى البصرة وكان كثير المناقب وافتتح خراسان وقتل يزدجرد فى ولايته وهو الذى عمل السقاية وتزوج هند بنت معاوية ٠

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ١٤٧ ـ ١٤٩ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٨٢ ٠

(٨) البصرة بالعراق ويقال : بصرة للأرض الغليظة التى بها حجارة تقلع حوافر الدواب ٠

انظر ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٤٣٠ ـ ٤٤١ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٦٤ ـ ٦٧ ٠

أمير الشام يطلب منهم العون فى دفع غائلة البغي ولكن المحاصرين لدار الخليفة كانوا أسرع من وصول المدد اليه فاقتحموا عليه داره وقتلوه (٩) ٠

حمل نعى الخليفة عثمان بن عفان من المدينة الى معاوية بالشام رجل يدعى الحجاج بن خزيمة بن الصمة من نبهان (١٠) وشهد عنده بأنه ممن اشترك فى مقتل عثمان من مشاهير الناس : قيس بن مكشوح المرادى وحكيم بن جبلة ومحمد بن أبى بكر والأشتر النخعى وعمار بن ياسر وعمرو بن الحمق الخزاعى وسودان بن حمران وكنانة بن بشر وجماعة أخرى لا يقف على أسمائهم (١١) وشارع فى أهل الشام شعر قيل فى ذلك (١٢) وأنشد معاوية نفسه القصيدة التي يتنبأ فيها بهول ما ينتظره من الصراع المرير والتى مطلعها :

أتانى أمر فيه للنفس غمة ... وفيه بكاء للعيون طويل (١٣)

ولما طلب معاوية النصح من الرجل الذى حمل اليه نعى عثمان أشار عليه أن عليا قد بايعه أهل الحجاز واليمن ومصر والكوفة الا البصرة وقال له : « وانك لتقوى على على ان أردت مخالفته لأن الذين معك من أهل الشام لا يقولون اذا قلت ولا يسألون اذا سألت ، والذين مع على يقولون اذا قال ويسألون اذا أمر فقليل من معك خير من كثير معه » (١٤) ٠

(٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٧٧ ، ٧٨ ، الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٣٨٤ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح ج ١ ، ص ٤٤٣ ٠

(١٠) بنو نبهان : بطن من طيء وهم ولد عمرو بن الغوث بن طيء من القحطانية ٠ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٨٢ ٠

(١١) الدينورى : الأخبار الطوال : ص ١٥٥ ٠

(١٢) قال شاعر أهل الشام ينعى الخليفة عثمان بن عفان ويتوعد قتلته :

حكيم وعمار الشجا ومحمد ... وأشتر والمكشوح جروا الدواهيا
وكان فيها للزبير عجاجة ... وصاحبه الادني أشاب النواصيا
وأما عليا فاستغاث ببيته ... فلا آمر فيها ولم يك ناهيا
فقولا لأصحاب النبى محمد ... وخصا الرجال الاقربين الادانيا
أيقتل عثمان بن عفان بينكم ... على غير شئ الا التماديا
فلا نوم حتى تستبيح حريمكم ... ونخضب من ال الشنان العواليا

ويقال ان عليا لما بلغه هذا الشعر قال : ما أخطأ صاحبه شيئا والله ولى عثمان ٠

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٧٧ ، ٧٨ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٤٤٤ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٢٣٦ ٠

(١٣) انظر بقية القصيدة : نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٧٩ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٤٤٥ هامش ٢ :

(١٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٧٨ ابن عثم : الفتوح : ج ١ ص ٤٤٥ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ١٥٥ ٠

وهذا فعلا ما خذل به على أمام معاوية فى آخر حرب صفين حين رفض معظم قادة جيشه من قبائل العراق أن يسمعوا له ويأتمروا بأمره فى رفض خدعة رفع المصاحف والاستمرار فى القتال (١٥) ، وحين خالفوه فى اختيار الحكم الذى ارتضاه ليتحدث عنه وفرضوا عليه أبو موسى الأشعرى (١٦)فكان ما حدث حين خدعه عمرو بن العاص وجعله يخلع ، صاحبه (١٧) ، وهذا عكس ما كانت عليه القبائل الشامية من السمع والطاعة لأميرهم وهو ما تعلموه من الروم والغساسنة وما اكتسبوه من حروبهم السابقة مع المناذرة والفرس وغيرهم (١٨) ·

فى هذه الظروف المليئة بالاضطراب وبعد أن شاع بالمدينة القصيدة التى يبكى فيها معاوية على عثمان ويتعهد بالقصاص من قتلته ومن خلفه أهل الشام أشير على الخليفة على بن أبى طالب أن يتخذ ما من شأنه تهدئة النفوس وتسكين الأوضاع حتى يمكن لنفسه ويجتمع عليه الناس فى شتى الأمصار شاماً وعراقا وحجازا ـ وهى الأقطار التى كانت تمثل مراكز الثقل فى ذلك الوقت ـ ثم يفعل ما يراه مناسبا من مركز القوة ، الا أنه رفض ذلك وارتأى أن يكون حاسما من أول عهده دون مواربة ، فلما بايعه الناس بالخلافة بعد مقتل عثمان والنفوس ثائرة (١٩) أتاه المغيرة ابن شعبة (٢٠) وقال له : يا أمير المؤمنين ان لك عندى نصيحة فاقبلها قال على : وما تلك يا مغيرة ؟ قال : انى لا أخاف عليك أحدا يخالفك ويشعث عليك الا معاوية بن أبى سفيان لأنه ابن عم عثمان والشام فى يده وأهلها طوع أمره فابعث اليه بعهده والزمه طاعتك وابعث الى عبد الله ابن عامر بن كريز بعهده على البصرة فانه يسكن عنك الأعداء ويهدىء عليك البلاد (٢١) · قال على : ويحك يا مغيرة !! والله ما يمنعنى من ذلك

---

(١٥) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ·

(١٦) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٧ ·

(١٧) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : جـ ١ ص ١١٣ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢٠١ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٦٦ ـ ١٦٨ ·

(١٨) أحمد الشريف : دور الحجاز فى الحياة السياسية العامة : ص ٣١٠ ، محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٤٤ ·

(١٩) البلاذرى : انساب الأشراف : جـ ٥ ص ٧ ، ابن خلدون : العبر : ص ١٦٩ ·

(٢٠) المغيرة بن شعبة هو أحد الأعلام من ثقيف وثقيف مع هوازن هو أهل الطائف من العرب العدنانية :

البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٤٤١ ، ٤٩٠ ـ ٤٩٣ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٦ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ١٨٦ ·

(٢١) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٤٤٥ ·

الا قول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: « **وما كنت متخذ المضلين عضدا** » (٢٢) ولا يراني الله وأنا أستعمل معاوية على شيء من أعمال المسلمين أبدا ، ولكني أدعوه الى ما نحن فيه فان هو أجاب الى ذلك أصاب رشده والا حاكمته الى الله عز وجل (٢٣) . فسكت المغيرة وانصرف الى منزله وهو يردد أبياتا يتحسر فيها على رفض الخليفة لقوله وما ينتظره من عناد معاوية ومن خلفه من قبائل الشام قال المغيرة :

منحت عليا في ابن حرب نصيحة فردها فما مني له الدهر ثانية (٢٤)

استعد علي بن أبي طالب للرحيل الى العراق واتخاذ الكوفة دارا له بدلا من المدينة لأنها مركز القبائل التي بايعته بالخلافة (٢٥) ولقربها من الشام (٢٦) وحينها برز اليه أبو أيوب الأنصاري (٢٧) ورجاه أن يظل بالمدينة وقال له : **اني لأشير عليك أن تقيم بهذه البلدة فانها الدرع الحصينة ومهاجر رسول الله ﷺ وبها قبره ومنبره فان استقامت لك العرب كنت بها كمن كان قبلك وان تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم من الناس (٢٨)** . فقال له علي : صدقت أبا أيوب ولكن الرجال والأموال بالعراق وأهل الشام لهم وثبة وأحب أن أكون قريبا منهم ولن يصيبنا الا ما كتب الله لنا (٢٩) .

وهكذا أبى علي الا أن يرحل الى الكوفة وأن يعد للأمر عدته ولم يرض بغير أن يمتثل له معاوية بغض النظر عن القصاص من قتلة عثمان.

---

(٢٢) سورة الكهف : آية ٥١ .

(٢٣) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٤٤٦ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ص ٥٠ ، المسعودي : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٣٥٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٣ ص ١٩٧ .

(٢٤) انظر بقية الابيات : ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٤٤٦ هامش ٢ ، المسعودي : مروج الذهب : جـ ٢ ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٢٥) انظر عبد العزيز الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الاسلام : ص ٥٧ ـ ٦١ .

(٢٦) الطبري : التاريخ جـ ٤ ص ٤٩٣ ـ ٤٩٥ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١١٨ .

(٢٧) البلاذري : أنساب الاشراف : جـ ١ ص ٢٤٢ ، ٢٦٦ .

(٢٨) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٤٤٧ .

(٢٩) ابن أعثم : المصدر السابق : جـ ١ ص ٤٤٧ .

لأنه كان يرى أن ذلك ستار اتخذه معاوية لمناوأته وطمعا في الخلافة (٣٠) من ناحية ، ومن ناحية أخرى لكثرة المشتركين في قتل عثمان وعصبيتهم في قبائلهم التي هي أصلا من أنصار علي فكيف يؤلب علي نفسه معظم قبائل جيشه في هذا الوقت بالذات وهو ما زال حديث عهد بالخلافة ولم تستتب له الأمور بعد فطالبه معاوية عاجلا بما كان يمكن أن يتحقق آجلا (٣١) فصعب على الخليفة تلبية مطلبه فكان عثمان كمن تفرق دمه في القبائل فلما قدم أبو مسلم الخولاني (٣٢) الزاهد الشامي المعروف الى معاوية في جمع من قراء أهل الشام قبل مسير علي الى صفين (٣٣) قالوا له يا معاوية علام تقاتل عليا وليس لك مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته؟! فقال لهم : ما أقاتل عليا وأنا أدعي أن لي في الاسلام مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته ولكن خبروني أنتم : ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما ؟! ، قالوا : بلى٠قال : فليدع الينا قتلته فنقتلهم به ولا قتال بيننا وبينه (٣٤) ٠ قالوا : فاكتب اليه كتابا بذلك يأتيه به بعضنا ٠ فكتب الى علي هذا الكتاب (٣٥) مع أبي مسلم الخولاني فقدم به على علي بالكوفة قال له : انك قد قمت بأمر وتوليته وان عثمان قتل مسلما محرما مظلوما فادفع الينا قتلته وأنت أميرنا وان خالفك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة وألسنتنا لك شاهدة وكنت ذا عذر وحجة ، فطلب منه علي أن يحضر من غده ليأخذ جواب كتابه فلما رجع من الغد وجد الناس قد بلغهم الذي

---

(٣٠) يؤكد ذلك ما ورد على لسان معاوية بن أبي سفيان في خطبة ألقاها في قبائل الشام قبيل حرب صفين قال : « يا هؤلاء أخبروني بماذا صار علي بن أبي طالب أولى بهذا الأمر مني ؟ !! والله اني لكاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أختي تحته واني لعامل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وأمي هند بنت عتبة بن ربيعة وأبي أبو سفيان بن حرب وان كان قد بايعه أهل الحجاز وأهل العراق فقد بايعني أهل الشام وان هؤلاء في الأمر سواء ومن غلب على شيء فهو له » ٠

ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٥٠ ، ٥٥١ ٠

(٣١) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام : ص ١٠٨ ٠

(٣٢) ينتمي أبو مسلم واسمه عبد الله بن أيوب الى بني خولان بن عمرو بن مالك ابن الحارث بن مرة بن أدد المنتهي نسبه الى عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ من العرب القحطانية ٠ ومن أعلامهم : أبو ادريس الخولاني والسمح بن مالك الخولاني ، ولما وقعت خولان بمصر والشام خملت أنسابهم وافترقوا ٠

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤١٨ ، القلقشندي : نهاية الأرب ص ٢٣١ ٠

(٣٣) صفين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس ولا يفصلها عن الفرات غير غيضة ماء وطريق مفروش بالحجارة ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٤١٤ ، ٤١٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٢٣ ٠

(٣٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٨٥ ٠

(٣٥) انظر نص الكتاب بالملاحق (رقم ١٩) ٠

جاء فيه فملئوا المسجد الكبير بالكوفة عن آخره وأخذوا ينادون من كل ناحية : كلنا قتل عثمان (٣٦) وأكثروا من النداء بذلك فأسقط فى يد أبى مسلم وقال لعلى : قد رأيت قوما مالك معهم أمر ، فقال على : والله ما أردت أن أدفعهم اليك طرفة عين ولقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينه وظهره وبطنه ما رأيته ينبغى لى أن أدفعهم اليك ولا الى غيرك (٣٧) · ورجع أبو مسلم الخولانى الى معاوية بكتاب على فى ذلك (٣٨) ·

أبى معاوية الا أن يكون وليا فى دم عثمان وأبى على أن يسلم قتلته لأنه يعرف قصد معاوية ، ولأن فى ذلك خروجا للقبائل عليه وربما أدركه منهم ما أدرك عثمان (٣٩) فكانت اجابته للقصاص لعثمان فى ذلك الوقت المضطرب بمثابة اجهازه على نفسه وهو ما جعله يؤثر حرب معاوية ومن معه من قبائل الشام على كثرة عددها وحسن قتالها على أن يخرج اليهم قتـلة عثمان لأنه كان يعى جيـدا أن الخلافـة هى مطلب معـاوية وليس القصاص لعثمان ، وأنه حتى لو أجابه الى مطلبه مع ما فى ذلك من خطر عليه وهو لم يوطد لنفسه بعد فمن يدرى أنه لن يعقد له عقدة أخرى وهو واسع الحيلة ولا تعدمه الوسيلة يناصره قوم طوع أمره · ومن ثم فلم يكن أمام الخليفة بد مما لابد منه وهو استخدام القوة فى اخضاع الخليفة ومن معه من قبائل الشام · ومع ذلك نشك فى أن الخليفة على بن أبى طالب كان يدرك وهو خارج لحرب معاوية وأهل الشام مدى الأهوال التى سوف تلحق بالمسلمين ومدى الدماء التى سوف تراق فيها فلو قدر له أن يتنبأ بذلك لأحجم كثيرا عن الانزلاق الى هذه الحرب المشئومة التى أهلكت خيرة رجال القبائل من العراق والشام على مدى تسعين وقعة حربية فى مائة وعشرة من الأيام (٤٠) فلربما ظن الخليفة وقتها أنه بعض من الدواء الذى أصبح لا محيص عنه للشفاء وانما هى وقعة أو بعض وقعات يستقيم

---

(٣٦) الدينورى : الأخبار الطوال : ص ١٦٥ ·

(٣٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٨٦ ·

(٣٨) انظر نص كتاب على ردا على كتاب معاوية مع أبى مسلم الخولانى : نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٨٨ ـ ٩١ ·

(٣٩) يؤكد ذلك ما حدث من أهل العراق فى نهاية حرب صفين ، قال مسعر بن فدكى التميمى وزيد بن حصين الطائى من سنبس فى عصابة معهما من القراء الذى صاروا بعد ذلك خوارج : « يا على انك تعلم أننا انما قتلنا عثمان بن عفان حين غلبنـا وأبى علينا أن يعمل بما فى كتاب الله أو يجيب اليه فأجب القوم الى ما دعوك اليه والا والله دفعناك اليهم برغمك أو قتلناك كما قتلنا عثمان » ·

الطبرى . التاريخ : ج ٥ ص ٤٩ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٨٣ ·

(٤٠) ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤١٤ « صفين » ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٥ ·

بعدها أمر المسلمين كما حدث فى موقعة الجمل (٤١) فعلى الرغم من أن قتلاها لم تكن قليلة الا أنها لم تدم طويلا وحسمت سريعا لصالح الخليفة علي بن أبي طالب استقام له بعدها أمر العراقين البصرة والكوفة ، وأغلب الظن أنه لم يدرك أن حرب أهل العراق لأهل العراق شيء مختلف عن حرب أهل العراق لأهل الشـام وذلك لاختلاف الطبائع بين القبـائل العراقية والشامية ، وربما لم يكن هناك توقع لضخامة الحشود القبلية التي خرجت لنصرة معاوية من أهل الشام (٤٢) على اعتبار أنها مجرد ولاية خاضعة لمركز الخـلافة فى الكوفة فقد فوجىء أهل العراق بتسعين وقيـل مائة وعشرين ألف مقاتل (٤٣) من القبائل الشامية خرجوا اليهم فى صفين مع معاوية بن أبى سفيان وهو ما يقرب من مقاتلى القبائل العراقية التى خرجت مع على بن أبى طالب فتساوت قوة الخليفة مع والى الشام ولم يعد هناك تفوق عددى لطرف على الآخر مما صعب معه حسم الأمر سريعا لواحد منهما ، فطالت الحرب وكثرت الوقائع واستأسـدت القبـائل فى وجه بعضها على نحو كادت تفنى فيه جميعا وهو ما سوف يتضح من خلال الرؤية القبلية التى سوف نعرض فيها لحرب صفين مع التركيز على دور القبـائل فيها لدى أهل الشـام والعراق من باب التخصص فى محاولة لابراز القائمين بها الى دائرة الضوء الى جوار الوقائع نفسها وذلك لمعرفة الطبـائع الحربية للقبائل العربية فى ذلك الوقت حينما حاربت بعضها بعضـا فى الاسلام بعـد أن رأيناها حاربت بعضها فى الجاهلية وحاربت الفرس والروم فى الفتوحات وهو جانب هام فى حياة القبائـل لا يمكن اغفاله ، كما أن هذه الحرب الضروس التى كانت القبائـل أداتها أنهت حقبة فى تاريخ المسلمين وجاءت بغيرها حيث انتهى عهد على بن أبى طالب ومعه عصر الخلفاء الراشدين وجاء عهد الدولة الأموية فانتقل مركز الخلافة من العراق الى الشام فصارت له الزعامة والسيطرة وتغيرت موازين القوى لصالح القبائل الشامية على حساب القبائل العراقية فبينما تبوأت الأولى مراكز القيادة والزعامة وتميزت فى الفيء والعطاء والغنائم حظيت الأخيرة بولاة بنى أمية العتاة من أمثال بسر بن أبى أرطاه وزياد بن أبيه وعبيد الله ابن زياد والحجاج بن يوسف الثقفى الذين علموهم حسن الطاعة والامتثال للجماعـة .

---

(٤١) انظر الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٥٠٨ ـ ٥٣٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٢٥ ـ ١٣ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر : ج ١ ص ١٧٣ ـ ١٧٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٠١ ـ ٣٢٢ .

(٤٢) انظر ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤١٤ .

(٤٣) ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤١٤ « صفين » .

ثانيا ـ زيارة جرير بن عبد الله البجلي الى الشام :

في ثاني اتصال بين الخليفة على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان في الأزمة التي وقعت بينهما كان رسول الخليفة الى الأخير من قبيلة بجيلة اليمنية وهو جرير بن عبد الله البجلي (٤٤) صاحب رسول الله ﷺ الذى قال فيه « انك من خير ذى يمن » (٤٥) فقد أرسله على بن أبي طالب الى معاوية بن أبي سفيان (٤٦) وقال له : ايت معاوية بكتابي فان دخل فيما دخل فيه المسلمون والا فانبذ اليه (٤٧) وأعلمه أني لا أرضى به أميرا وان العامة لا ترضى به خليفة (٤٨) » فانطلق جرير حتى أتى الشام ونزل بمعاوية ودعاه الى بيعة الخليفة وسلمه كتابه (٤٩) ، فلما قرأ الكتاب قام جرير بن عبد الله البجلي وخطب في معاوية وأهل الشام خطبة بليغة عظم فيها حق الامام ودعا أهل الشام الى البيعة له والطاعة والدخول فيما دخل فيه المسلمون والجماعة (٥٠) ، ولكن معاوية رفض ما جاء به جرير وخطب في القبائل خطبة نقض فيها ما جاء بخطبته ورفض ما دعاه اليه الا أن يقتل قتلة عثمان الذى قتل مخرما قانتا مظلوما ثم تلا قوله تعالى : « **ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا** » (٥١) ثم توجه الى أهل الشام بالقول : وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم من قتل عثمان » . فصاح أهل الشام بأجمعهم أمام البجلي كما صاح أهل العراق بأجمعهم أمام الخولاني من قبل ـ بأنه لابد من الطلب بدم عثمان وعاهدوه على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى

---

(٤٤) عن قبيلة بجيلة وجرير بن عبد الله البجلي انظر ما سبق في ذلك .

(٤٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٨ ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ٢ ص ٣٤٩ .

(٤٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٨ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٦١ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٣٠ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٤١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٣ ص ٣٣١ .

(٤٧) « انبذ اليه » أطرح اليه العهد ظاهرا بينا ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : « **واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء** » .

سورة الانفال : آية ٥٨ ، الفخر الرازى : التفسير الكبير : جـ ٧ ص ٥٢٠ .

(٤٨) نصر بن يزاحم : وقعة صفين : ص ٢٨ .

(٤٩) انظر نص كتاب الخليفة على بن أبي طالب الذى حمله جرير بن عبد الله البجلي الى معاوية بن أبي سفيان بالشام . ملحق رقم ١٨ .

(٥٠) نص خطبة البجلي أمام معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام : نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٠ ، ٣١ .

(٥١) سورة الاسراء : آية ٣٣ ، الفخر الرازى : التفسير الكبير : جـ ١ ص ٧٨ ، ٧٩ .

يدركوا ثأره أو يفنى الله أرواحهم (٥٢) واتهم معاوية عليا فى قتل عثمان ما دام يأوى قتلته فى جيشه وان ذمته لا تبرأ من هذا الاثم الا بقتلهم أو تسليمهم لأهل الشام (٥٣) ٠

ولكى يعد معاوية نفسه لمواجهة على ومن معه من قبائل العراق بدأ بمصر تأمينا لظهره فأرسل مالكا بن هبيرة الكندى فى طلب محمد بن أبى حذيفة وهو من أنصار على بها فأدركه وقتله (٥٤) ثم بعث الى قيصر الروم بالهدايا فوادعه (٥٥) وبدأ فى تعبئة من حوله من قبائل الشام نفسيا وماديا لأنه اعتبرهم أداته الوحيدة فى بلوغه غايته ومأربه ، كل هذا يحدث ومعاوية مستبقيا البجلى رسول على من عنده بحجة أنه ما زال يفكر فى الأمر الذى جاء فيه ويستشير الناس من حوله (٥٦) ٠

ثالثا ـ مبايعة كندة لمعاوية بن أبى سفيان :

فى هذا الوقت كانت قبائل كندة (٥٧) الشام من أكبر القبائل اليمنية بها عددا وعدة ولها كلمتها بين القبائل وكان شرحبيل بن السمط

---

(٥٢) لما سمع معاوية تأييد أهل الشام له اتجه الى البجلى وقال :

ان الشام أعطيت طاعة يمنية … تواصفها أشياخها فى المجالس
فان يجمعوا أصدم عليا بجبهة … تفت عليه كل رطب ويابس
وانى لأرجو ما نال نائل … وما أنا من ملك العراق بآيس

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٣ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٤١ ، ١٤٢ ٠

(٥٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٣ ٠

(٥٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٢ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : جـ ١ ص ٧٤ ، المقريزى : الخطط : جـ ٢ ص ٣٣٦ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١١٠ ، ١١١ ٠

(٥٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٣٠ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ١٦٠ ، أومان : الامبراطورية البيزنطية : ص ١٤١ ٠

(٥٦) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٦١ ، ٥٦٢ ، أبو الفدا : المختصر : جـ ١ ص ١٧٥ ٠

(٥٧) عن أصل كندة ونسبها : انظر ما سبق ص ١٦١ ، ويقال كندة الشام وكندة العراق وحمير الشام وحمير العراق وطىء الشام وطىء العراق وهكذا فى بقية القبائل لأنها كانت منقسمة على نفسها بين على ومعاوية فمن سكن منها العراق كان مع على ومن سكن الشام كان مع معاوية وقد حاربت هذه القبائل ضد بعضها البعض فى صفين حتى كان الرجل يقتل خاله وعمه والأخ يقتل أخاه كل ينصر صاحبه كما يتضح من الرؤية القبلية لوقائع حرب صفين فى هذا الباب ٠

الكندى (٥٨) هو شيخهم والرأس الكبير المطاع فيهم (٥٩) ، وقد رأى معاوية أنه ان أطاعته كندة الشام لم يستطع أحد من بقية القبائل اليمنية بها أن يخالف عليه وأدرك شرحبيل بن السمط اذا تأكد لديه أن عليا يعتبر شريكا في قتل عثمان فقد حقق غايته في الوصول الى قلب كندة وبالتالى سائر القبائل الشامية ومعظمها من اليمن ، ولذلك فقد أرسل اليه وهو بحمص مركز كندة ليحضر اليه بدمشق وفي الوقت نفسه جمع معاوية اليه ثقاته من مضر ورءوس الشام من قحطان(٦٠) من أمثال يزيد بن أسد وبسر بن أبى أرطأة الفهرى (٦١) والضحاك بن قيس الفهرى وأبا الأعور السلمى وذو الكلاع الحميرى ملك حمير الشام وسيدها (٦٢) والحصين ابن نمير السكونى وحوشب ذا الظليم (٦٣) ومخارق بن الحارث الزبيدى وحمزة بن مالك وحابس بن سعد الطائى سيد طىء الشام وكانوا ثقات معاوية وخاصته وبنى عم شرحبيل بن السمط وأهل الرضا عنده (٦٤) ، وأمرهم أن يفشـوا فى الناس أن عليا قتل عثمان لتكون كلمة القبائل جامعة على ذلك لا يداخلها شك أو تناقض ثم أعلمهم بأنه أرسل الى شرحبيل ابن السمط يستقدمه وأنه ملق اليه بما يظنه فى على وأهل العراق فان

---

(٥٨) هو شرحبيل بن السمط بن الأسود بن جبلة بن عدى بن ربيعة بن معاوية بن ثور ابن مرتع بن معاوية بن كندة · وله صحبة ، ولى حمص لمعاوية ومن ولده : السمط بن ثابت ابن شرحبيل قتله مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ·

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٦ ·

(٥٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤ ، ابن أعثم : الفتوح جـ ١ ص ٥٢٠ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٤٢ ·

(٦٠) نصر بن مزاحم : وقعة صـفين : ص ٤٤ ، ابن أعثـم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٢٠ ·

(٦١) هو بسر بن أرطأة بن أبى عمير بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار ابن نزار من بنى معيص بن عامر بن لؤى من العرب العدنانية ، وهو من قواد معـاوية المخلصين وأحد أكابر أصحابه وكان له دور كبير فى قيام دولة بنى أميـة بالشـام لما بذله من جهد فى صفين وفى اخضاع أهل الجزيرة العربية لمعاوية بن سفيان ·

ابن حزم : الجمهرة : ص ١٧٠ ، الهمذانى : الاكليل : جـ ١٠ ص ٦٦ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ابن أعثم : جـ ٢ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٣ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٩٢ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة : جـ ١ ص ١٣٢ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى : جـ ١ ص ٩٦ ، ٩٧ ·

(٦٢) البلاذرى : أنساب الاشراف : جـ ١ ص ١٣ ، ٢٥ ·

(٦٣) حوشب ذا الظليم : من سادات حمير الذين كانوا مع معاوية وقتل بصفين وهو من ولد عمرو بن شرحبيل بن عبيد بن عمرو بن حوشب بن الأظلوم من بنى حمير بن سبأ ومن ولده كان قاضى قرطبة يحيى بن معمر بن عمران بن حوشب وله عقب بأشبيليـة بالأندلس ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٣١ ، ٤٣٢ ·

(٦٤) نصر بن مزاحم : وقعـة صفين : ص ٤٤ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٣٠ ·

طلب شهادتهم بذلك شـــهدوا بهـــا فأجابه القوم جميعـــا بالايجاب والقبـــول (٦٥) ٠

لما قدم شرحبيل الى معاوية تلقاه الناس وأعظموه ، فقال معاوية : « يا شرحبيل ان جرير بن عبد الله البجلي يدعونا الى بيعة علي ، وعلي خير الناس لولا أنه قتل عثمان بن عفان ، وقد حبست نفسي عليك وانما أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رضـــوا وأكره ما كرهوا » (٦٦) ٠ فقال شرحبيل : أخرج فانظر ٠ فلما خرج لقيه النفر الموطئون له وغيرهم وكلهم يخبره أن عليا شريك في قتل عثمان ما دام يأوى قتلته ، فلما عاد شرحبيل الى معاوية أخبره أن الناس أبوا الا أن عليا قتل عثمان ثم قال : ووالله لئن بايعت له لنخرجنك من الشـــام (٦٧) ولا تصـــدر مقولة كهذه للأمير الا من رجل يعرف قدر نفسه وقوة قومه وعشيرته وحينذاك تأكد معاوية أنه نفذ الى قلب كندة وحقق غايته ٠ فقال معاوية : ما كنت لأخالف عليكم وما أنا الا رجل من أهل الشام ٠ قال شرحبيل : اذن نرد هذا الرجل الى صاحبه « يقصد البجلي رسول علي » وعندما عرف معاوية أن شرحبيل نفذت بصيرته في حرب أهل العراق وأن الشام كله مع شرحبيل » (٦٨) ٠

لما خرج شرحبيل بن السمط كبير كندة من عند معاوية بن أبي سفيان أتى حصين بن نمير السكوني (٦٩) ، وطلب منه أن يبعث الى جرير البجلي ليحضر عنده فلما حضر قال له : يا جرير أتيتنا بأمر ملفف لتلقينا في لهوات الأسد وأردت أن تخلط الشام بالعراق وأطريت عليـا وهو قاتل عثمان والله سائلك عما قلت يوم القيامة (٧٠) ٠ فرد عليه جرير بقوله :

---

(٦٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٦ ٠

(٦٦) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٣٣ ٠

(٦٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٧ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٣٣ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ص ٨٢ ، أبو حنيفة الدينوري : الأخبـار الطـوال : ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٤١ ، ١٤٢ ٠

(٦٨) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٣٣ ٠

(٦٩) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٩ والسكون والسكاسك هو ولد أشرس بن كندة ومن بطون السـكون : بنو عدي وبنو سعد ابني أشرس بن شبيب بن السكون أمهما تجيب بنت ثوبان بن سـليم بن رهاء من مذحج ، نسبوا اليها ومنها معاوية بن حديج الذى كان بمصر رئيسا لشيعة عثمان بها في ولاية محمد بن أبي بكر ٠

الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ٨٥ ، ٨٨ ، الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٢ ص ٨٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٩ ، الجوهري : الصحاح : جـ ٢ ص ٣٨٣ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٤ ص ٢٥٧ ٠

(٧٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٧ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٣٤ ٠

يا شرحبيل أما قولك اني جئت بأمـــر ملفف فكيف يكون ملفقا وقد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار وقوتل على رده طلحة والزبير (٧١) ، وأما قولك أني ألقيتك فى لهوات الأســد ففى لهواتها ألقيت نفسك ، وأما خلط العراق بالشام فخلطهما على حق خير من فرقتهما على باطل ، وأما قولك ان عليــا قتل عثمـــان فوالله ما فى يدك من ذلك الا القــذف بالغيب من مكان بعيد ولكنك ملت الى الدنيا كما مال اليها غيرك وستعلم عن قريب أن العاقبة للمتقين (٧٢) ، ثم افترق الرجلان وبعــدها بأيام بعث جرير الى شرحبيل بأبيات من الشعر يبرىء فيها صاحبه ويحذره مغبة ما هو مقدم عليه (٧٣) · ويعتبر الشعر فى ذلك الوقت هو وسيلة القبائل فى حروبهــا الكلامية وكان شعرهم فى هــذا لا يقل ضراوة عن ضرب السيوف وطعن الرماح سريع النفاذ الى قلوب الناس واثارة حميتهم تتناقله الألســنة سريعا فيسرى فيهم سريان النار فى الهشيم وكان لكل مقــام عندهم مقال من الأوزان والقوافي حاضرا لديهم بما عرف عنهم من الفصاحة والبيان حتى أن الله سبحانه وتعالى جعل معجزة نبيه اليهم الكلام ممثلا فى القرآن الكريم ·

لما قرأ شرحبيل أبيات جرير أعاد فكره وقال والله لا أعجل فى هذا الأمر بشىء وفى نفسى منه حاجة وعلم معاوية بثاقب بصره وعيون أخباره بما صار اليه حال الرجل فأمر الرجال يدخلون ويخرجون عليه وكلهم يعظم عنده قتل عثمان ويرمون به عليا (٧٤) وما زالوا به حتى أنسوه شعر البجلى وحدثوه بأن عثمان لم يأته الأجل فى بيته كما ادعى الرجل وانما بطشت به يد القتلة ما بين طعن وضرب فكان فى قتله عسرة وفى دفنه عسرة فلم يغسل ولم يكفن ودفن بدمائه ليلا فى مقابر اليهود بعد ثلاثة أيام من مقتله ما بين المغرب والعتمة (٧٥) وشهد عند شرحبيل كثير من الناس بأنهم رأوا ذلك وهذا قميص عثمان الذى قتل فيه مسربلا بدمائه

---

(٧١) يقصد « موقعة الجمل » · انظر ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٢٥ ـ ١٣٤ ·

(٧٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٣٤ ·

(٧٣) كتب جرير الى شرحبيل « والابيات موجهة الى كندة الشــام فى شخصه » قال :

شرحبيل يا ابن السمط لا تتبع الهوى	فما لك فى الدنيا من الدين من بدل
فأورد ولا تفرط بشىء نخافه عليك	ولا تعجل فلا خــير فى العجــل
وما لعــلى فى ابن عفــان سقــطة	بامر ولا جــلب عليــه ولا قتــل
وما كان الا لازمــا قعــر بيتـــه	الى ان اتى عثمان فى بيتــه الاجل

بقية الأبيــات : نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٣٢ ·

(٧٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٤١٢ ـ ٤١٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٢٣٤ ـ ٢٤١ ·

وأصابع زوجه نائلة التى قطعت وهى تتقى ضربات السيوف بيدها عنه فأعادوا عليه رأيه وشحذوا عزمه فصار الى ما لا رجعة عنه وحينها كتب اليه معاوية وهو بحمص كتابا جاء فيه : « انه كان من اجابتك الحق وما وقع فيه أجرك على الله وقبله منك صلحاء الناس ما علمت ، وان هذا الأمر الذى عرفته لا يتم الا برضا العامة فسر فى مدائن الشام وناد فيهم أن عليا قتل عثمان وأنه يجب على المسلمين أن يطالبوا بدمه » (٧٦) فسار شرحبيل وبدأ بحمص فخطب فى الناس قائلا : « ان عليا قتل عثمان بن عفان وقد غضب له قوم فقتلهم – مشيرا الى أهل البصرة (٧٧) – وهزم الجميع وغلب على الأرض فلم يبق الا الشام وهو واضع سيفه على عاتقه ثم خائض به غمار الموت حتى يأتيكم أو يحدث الله أمرا ولا نجد أقوى على قتاله من معاوية فجدوا وانهضوا » (٧٨) « **ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** » (٧٩) ·

استطاع معاوية أن يجعل كندة تهيىء له سائر القبائل الشامية لحرب أهل العراق بزرع القصاص لعثمان فى نفوسهم مبدأ يقاتلون عليه ويبذلون أرواحهم فداء له وبغير هذا فانه لا يمكن أن يقاتل الناس دون مبدأ يؤمنون به وان فعلوا فانهم لا محالة خاسرون ، ولذلك فان شرحبيل ابن السمط الكندى شيخ كندة وكبيرها جعل يستنهض مدائن الشام كلها بوقا لمعاوية حتى استفرغها عن آخرها فكان لا يأتى قوما الا قبلوا ما أتاهم به حتى اجتمع له خلق كثير من شتى القبائل فأقبل بهم الى معاوية وبايعوه على أن يقاتلوا بين يديه ويموتوا تحت ركابه (٨٠)· فصارت القبائل الشامية كلها على قلب رجل واحد له (٨١) فهو أميرهم لخليفتين من قبل – عمر وعثمان – وابن عم الخليفة المقتول ووليه فى دمه حتى وان أدرك البعض أنه يطلب الأمر لنفسه منازعا فيه عليا (٨٢) لأن

(٧٦) نصر بن مزاحم ، وقعة صفين : ص ٥٠ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٣٦ ·

(٧٧) انظر ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٢٥ ·

(٧٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٠ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٣٦ ·

(٧٩) سورة النحل : آية ١٢٨ ·

(٨٠) ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٤١ ، ١٤٢ ·

(٨١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥١ ·

(٨٢) ادركت ذلك حمير الشام وفهمه ملكهم ذو الكلاع الحميرى فقد برز اليه ذات مرة وهو يخطب فى القوم يحضهم على طاعته فبايعه قائلا : « يا معاوية ان امير المؤمنين عثمان بن عفان استعملك فلم توف له واستنصرك فلم تنصره وانما أردت أن تصرف وجوه الناس اليك وقد بلغت الذى أردت ومع ذلك فوالله لو خذلتك العرب قاطبة لكفيتك خذلانها بقومى وعشيرتى » ·

ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٤٩ ·

القبائل الشامية كما أشير من قبل كانت ذات طبائع تختلف كثيرا عن سائر القبائل العربية الأخرى من حيث النظام والسمع والطاعة لزعيمهم وهو ما تعودوه لملوكهم من جوار الروم وحكم الأسرة الغسانية قبل الاسلام (٨٣)، ولذلك فانه لا عجب أن رأينا معظم القبائل المقاتلة في جيش الشام هي من القبائل اليمنية بصفة عامة والتي كانت تسكنه من قبل الاسلام بصفة خاصة وهي التي ظلت رهن اشارة معاوية حتى آخر يوم في القتال في حين خالفت القبائل العراقية على أميرها وشغبت عليه وخذلته وتخبطت معه في قولها وفعلها في آخر حرب صفين وفي أمر التحكيم وأمر الخوارج حتى كانت نهايته هو نفسه على أيديهم (٨٤) ولما حاولوا الخروج على سلطان الدولة ممن بايع عليها(٨٥)٠ولما بايع أهل الشام لمعاوية على السمع والطاعة واطمأن وولاة بني أمية الا كل بطش وشدة مما تمتلىء به صفحات الكتب التاريخية وان بولغ فيها أحيانا ٠

لم يتوقف دور كندة في تأييد معاوية عند تعبئة أهل الشام وقبائل اليمن لنصرته بل بايعوه بالخلافة على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ حتي يكونوا ندا لعلي بن أبي طالب في موقفـــه ، وكان الذى بدأ بذلك منهم مالك ابن هبيرة الكندى وهو ســيد من سادات كندة أتي معاوية وقال له : « يا أمير المؤمنين انا حي فعال ولسنا بحي مقال وانا نأتي بعظيم فعالنا على قليل مقالنا فابسط يدك أبايعك على ما أحببنا وكرهنا » فكان أول العرب ممن بايع عليها (٨٥)٠ولما بايع أهل الشام لمعاوية على السمع والطاعة واطمأن اليهم صرف جرير بن عبد الله البجلي رسول على بن أبى طالب برســالة

---

(٨٣) وهب بن منبه : التيجان : ص ٢٩٤ ، حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ ؛ المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٦ ، ابو الفدام : المختصر : جـ ١ ص ٧٢ ، جتي : تاريخ سورية : جـ ١ ص ٤٤٦ ، جورجي زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٨١ ، ٨٢ ، جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الاســلام جـ ٣ ص ١١ ، نولدكه : امراء غسان : ص ٨ ، ٩ ٠

(٨٤) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٩٦ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٨٠ ، ١٨٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤٢٢ ٠

(٨٥) نصر بن مزاحم : وقعــة صفين : ص ٨٠ ، ٨١ ٠

ليس فيها الا القصاص لعثمان أو الحرب (٨٦) وذيل هذه الرسالة بشيء من الشعر يؤكد ذلك (٨٧) ٠

كانت همدان (٨٨) العراق في نصرة على بن أبى طالب ككندة الشام فى نصرة معاوية بن أبى سفيان ــ وكلاهما من اليمن ــ وقد أحب نفر من همدان أن يخذل كندة عن معاوية فلعل ذلك يفت فى عضده ويفل شوكته ويكفى الله المؤمنين شر القتال فجاء سعيد بن قيس الهمدانى شيخ همدان العراق الى على بن أبى طالب وقال له : يا أمير المؤمنين ان شرحبيل ابن السمط رجل عمى القلب وقد سار فى مدائن الشام فاستنفرهم الى حزبنا فأذن لى أن أكتب اليه كتابا فلعلى أرجعه عما هو فيه ٠ قال على : اكتب ما أحببت ٠ فكتب سعيد بن قيس الهمدانى الى شرحبيل بن السمط الكندى : « أما بعد يا شرحبيل فان أهلك من أرض اليمن غير أنك هاجرت الى الكوفة وانتقلت الى الشام فكنت بها الى ما شاء الله حتى اذا قتل عثمان وبايع الناس عليا عبأ لك معاوية رجالا لا يعرفون الحلال ولا ينكرون الحرام فاختدعوك وشهدوا عندك ان عليا قتل عثمان ولو نظرت بعقلك لعلمت أن ذلك باطل وزور ولو كان على ما شهدوا عندك أن عليا قتل عثمان لما بايعه المهاجرون والأنصار وهم واضعون أسيافهم على عواتقهم يقاتلون معه من خالفه من أهل البصرة وغيرهم من الناس فلا تكن رأس الخطيئة ومفتاح البلية فانى ما زلت لك ناصحا وعليك مشفقا والسلام » (٨٩) ٠ فلما انتهى الكتاب الى شرحبيل أتى به معاوية

---

(٨٦) انظر نص الرسالة : نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٦ حاشية ٢ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : جـ ١ ص ٨٧ ، المبرد : الكامل : ص ١٨٤ ٠

(٨٧) كتب اليه معاوية من شعر كعب بن جعيل :

أرى الشام تكره ملك العراق ... وأهل العراق لهم كارهونا
وكل لصاحبه مبغض ... يرى كل ما كان من ذاك دينا
وقلنا نرى أن تدينوا لنا ... فقالوا لنا لا نرى أن ندينا
ومن دون ذلك خرط القتاد ... وضرب وطعن يقر العيونا

انظر بقية الأبيات : نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٦ ، ٥٧ ، المبرد : الكامل : ص ١٨٤ ٠

(٨٨) عن همدان : انظر مما سبق ص ١١٧ ٠

(٨٩) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٣٨ ، ٥٣٩ ٠ وكتب اليه شعرا بهذا المعنى نورد منه : =

فاقرأه اياه فقال له : « لا عليك هو سيد في همدان وأنت سيد في كندة فاجبه على كتابه » فكتب اليه شرحبيل : « أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه أني هاجرت الى الكوفة وانتقلت الى الشام ولعمري ما العراق لي بدار ولا الشام على بعار وانما أنا رجل من اليمن وأما قولي بأن عليا قتل عثمان فاني أخذت ذلك من الثقات من أهل الرضا ولا يقال للشاهد من أين قلت وأما المهاجرون والأنصار فلهم ما في أيديهم من بيعة علي ولنا ما في أيدينا من بيعة معاوية والسلام » (٩٠) . ثم اقبل شرحبيل الى ابن عم له من كندة وقال له أجب سعيد بن قيس على شعره بما أمكنك فكتب شعرا يبرأ فيه ساحة شرحبيل مما نسب اليه ويلقي باللائمة على غيره (٩١) ، وقام معاوية في الناس خطيبا يرجو طاعتهم وصبرهم لما هو مقدم عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس قد علمتم أن خليفتكم عثمان بن عفان قتل مظلوما وقد جعل الله لمن قتل مظلوما وليا وناصرا وجعل لوليه سلطانا وأنا وليه استعملني ولم يعزلني وأنتم أهل الحق والناس سواكم أهل فتنة وباطل من بين باسط يديه في دم عثمان أو معين عليه وقد علمتم أني لا أضبط الشام الا بالطاعة ولا أقوى على حرب أهل العراق الا بالصبر (٩٢) «استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين» (٩٣) فلما انتهى معاوية من كلامه قام اليه أبو الأعور السلمي (٩٤) مسلما له بالطاعة عن أهل الشام من غاب منهم ومن حضر (٩٥) وقال : « انك لتحملنا على أمر لو تركته لحملناك عليه ونحن على بيعة الخليفة عثمان بن عفان وأنت وليه وابن عمه وعلى عدوه وخاذله فنحن معك عليه » (٩٦) .

= أيا شرح يابن السمط أصبحت راغبا ... عن الحق عاتقا في رجوعك للعقب
أتترك طليقا ناصبا بمهاجر ... الذي له في الناس خطب من الخطب
صحاب رسول الله في كل موطن ... أولئك أولى بالهدى من بني كعب
انظر بقية الابيات : ابن اعثم ، الفتوح ، ج ١ ص ٥٣٩ .
(٩٠) ابن اعثم : الفتوح ، ج ١ ص ٥٣٩ .
(٩١) كاتب الكندي .

أيها العاتب الفتى شرحبيل ... ان يقال الانسان مجرى التجرم
لا تعبه انه حجر الشام ... وسمى العمى ويكل الظلوم

انظر بقية الابيات : ابن اعثم ، الفتوح ، ج ١ ص ٥٣٩ هامش ٢ .
(٩٢) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٤٨ ، ٥٤٩ .
(٩٣) سورة البقرة آية : ١٥٣ .
(٩٤) ابو الاعور السلمي من اعلام بني سليم من العرب العدنانية واسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن قائف بن الاوقص بن مرة بن هلال ، وكان من اكابر قواد معاوية : ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٤ .
(٩٥) الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٥٦٢ .
(٩٦) ابن اعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٤٩ .

الفصل الثانى

قبائل الشام والعراق فى حرب صفين

أولا ـ المسير الى صفين :

استمرت المكاتبات بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان مدة طويلة يدعو فيها على معاوية الى التسليم له بالطاعة ويحذره مغبة الخروج عن الجماعة والانزلاق بالمسلمين الى مهاوى الفتنة والتهلكة ومعاوية يطالبه بتبرئة ساحته من دم عثمان واخراج قتلته من جيشه ثم صار كل واحد منهما يذكر فضله ويضع من شأن الآخر مع تهديد ووعيد » (١) ، فلما طال الأمر على ذلك قال عمرو بن العاص لمعاوية محذرا اياه عاقبة ذلك : « ويحك يا معاوية ! الى كم تكاتب عليا ؟! ، والله لو اجتمع عليه كل كاتب بأرض الشام ما قدروا على اجابته فحسبك من مكاتبته واعزم على محاربته أو مسالمته » (٢) · ولكن معاوية كره أن يكون بادئا بقتال وآثر أن ينتظر ما يكون من أهل العراق حتى لا يبدو فى نظر أنصاره من القبائل الشامية باغيا ·

لما يئس على من طاعة معاوية والبيعة له بالخلافة ولم يجد أمامه الا القتال لاخضاعه هو وأهل الشام لجمع كلمة المسلمين أمر القبائل العراقية

(١) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٥٣ ـ ٥٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ٤ ص ٣٣٦ ·

(٢) ابن اعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٥٦ ·

بالتجمع بأسلحتها وعدتها استعدادا للحرب وأن يخرجوا الى معسكرهم بالنخيلة (٣) تمهيدا للزحف على أهل الشــام فخرجت القبائل العراقية اليه عن بكرة أبيها من مضر ويمن فتجمع له ما يقرب من تسعين ألفـــا أكثرهم من همدان ومذحج وربيعة (٤) معهم بطون من كندة وطيء والنخع وعبد القيس وبني تميم والأنصار من الأوس والخزرج وخزاعة وبجيلة ومن أخلاط العرب وخاصـــة من قيس وكان معهم ثمانون بدريا ومائتان وخمسون ممن بايع تحت الشجرة وثمانمائة من الأنصار ، وكانت الأنصار درعه وهمدان سيفه وعبد القيس رمحه وسنانه أخلاط العرب (٥) ٠

لما بلغ معاوية بن أبي سفيان خروج علي الى النخيلة ومعسكره بها ألبس منبر المسجد الجامع بدمشـــق قميص عثمان الذى قتل فيه وهو مخضب بالدم وعلق فيه أصابع زوجه نائلة (٦) فاجتمع له حول المنبر سبعون ألف شيخ من شتى القبائل يبكون لا تجف دموعهم على عثمان (٧)

---

(٣) النخيلة : موضع قرب الكوفة على طريق الشام وهو الذى خرج اليه على بن أبى طالب لما بلغه قتل عامله بالانبار وخطب خطبته المشهورة التى ذم فيها أهل الكوفة وقال : اللهم انى مللتهم وملونى فارحنى منهم فقتل بعدها بأيام ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٢١٨ ، ٢٧٩ ٠

(٤) بنو ربيعـة بن نزار : شعب عظيم فيه قبائل وبطون وأفخاذ وينتسب الى ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان وقد أجمع أهل العلم والنسب على أن اللباب والصريح من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان لاخلاف فى ذلك ، ومن أكبر بطون ربيعـة : بنو ضبيعـة وبنو عنزة بن أسـد بن ربيعـة وبنو عبد القيس وبنو النمر بن قاسط وبنو غفيلة بن قاسط وبنو تغلب بن وائل بن قاسط وبنو بكر ابن وائل وبنو عنز بن وائل وغيرهم ، وكانت ديارهم بنجد وتهامة وما يليهما وكانوا يغزون المغازى ويصيبون الغنائم ويتناولون أطراف الشام وناحية اليمن ، ثم وقعت الحرب فيما بينهم واقتتلوا قتالا شديدا افترقوا بعده فى مختلف البقاع مثل هجر والبحرين وظواهر بلاد نجد والحجاز والكور الواقعـة بين الجزيرة والعراق ٠

الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٣٣ ، ١٧١ ، الاصفهانى : الاغانى : جـ ٩ ص ٨٢ ، جـ ١٠ ص ٨٦ خـ ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٢ ص ٥٦ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٣ ص ٢٥٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ٩ ص ٤٦٩ ، الزبيدى : تاج العروس : جـ ٢ ص ٣٧٨ ، جـ ٥ ص ٣٤٢ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٣٠٠ ، ابن عبد البر : الانباه : ص ٩٦ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ١٨٩ ، ابن صاعد : طبقات الامم : ص ٤٣ : القلقشندى : نهاية الارب : ص ٢٤٢ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ٢ ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ ٠

(٥) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٨٧ ، جـ ٢ ص ٦ ، أبو الفدا : المختصر : جـ ١ ص ١٧٥ ٠

(٦) ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٤١ ٠

(٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٢٧ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ص ٨٢ ، أبو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال : ص ١٥٩ ، ١٦٠ ٠

فقام فيهم معاوية خطيبا قال : « يا أهل الشام قد كنتم تكذبونى فى على فقد استبان لكم أمره والله ما قتل خليفتكم غيره وهو أمر بقتله وألب عليه الناس وآوى قتلته وهم جنده وأنصاره وأعوانه وقد خرج بهم قاصدا بلادكم ودياركم لابادتكم ، يا أهل الشام الله الله فى عثمان فأنا ولى عثمان وأحق من طلب بدمه وقد جعل الله لولى المظلوم سلطانا فانصروا خليفتكم المظلوم فقد صنع به القوم ما تعلمون قتلوه ظلما وبغيا وقد أمر الله بقتال الفئة الباغية حتى تفىء الى أمر الله » (٨) ٠ فلما فرغ معاوية من كلامه اجتمعت له القبائل الشامية من كل صوب وحدب وأعطوه الطاعة وجددوا له البيعة وانقادوا له وبرز اليه كل من نبهان بن الحكم وحوشب ذو الظليم وأبو الأعور السلمى فأيدوه وعضدوه ووعدوه بالصبر والقتال وأنشدوه :

ان بالشـــام يا معـــاوى قومـــا ... يبـــذلون النفـــوس والأمـــوالا
كيزيد وشرحبيـــل بن ســـمط ... ثم شيخ ذى الكلاع ينعى الرجالا(٩)

لما اجتمعت القبـائل لمعـــاوية بن أبى سفيان أراد أن يجعل معظم مراكز القيادة فى جيشه لرجال من مضر (١٠) وخاصة من قريش بعد أن رأى معظم الناس معه من أهل اليمن وكأنه أراد أن يوازن بين الطرفين ويخلط مضر باليمن والجميع أهل الشام ، فعقد لبسر بن أبى أرطاة الفهرى وعبيد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ومحمد وعتبة ابنا أبى سفيان وهو يقصد بذلك اكرامهم ورفع أقدارهم (١١) وكان ذلك فى الوقعـــات الأولى من صفين غير أن الأمـــر لم يصف لمعاوية بما فعله اذ سرعان ما غم ذلك رجالا من اليمن وأرادوا أن لا يتأمر عليهم أحد الا منهم ولو كان من قريش فلم تكن لتذهب عنهم العصبية الجاهلية فى يوم وليلة وهم ما زالوا حديثى عهد بها فقام رجل من كندة يقال له عبد الله بن الحارث السكونى وطلب الى معاوية أن يسمع منه ما يجيش فى صدور أهل اليمن فى هذا الخصوص فقال له معاوية هات ما عندك فقال مخاطبا اياه :

معـــاوى أحييت فينـــا الاحن ... وأحدثت بالشـــام ما لم يـــكن
عقـــدت لبسر وأصـــحابه ... وما النـــاس حـــولك الا اليمن
فـــلا تخـــلطن بنـــا غـــيرنا ... كما شيب بالمـــاء محض اللبن

(٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٢٨ ٠
(٩) ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٨٧ ٠
(١٠) عن مضر انظر ما سبق فى ذلك ٠
(١١) نصر بن مزاحم : وقعـة صفين : ص ٤٢٤ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ١ ص ٥٥٦ ٠

ستعلم ان جاش بحر العراق وأبدى نواجزه فى الفتن
بأنا شعارك دون الدثار وأنا الرماح وأنا الجنن (١٢)

فلما فرغ الرجل من كلامه نظر معاوية الى وجوه أهل اليمن وقال : أعن رضاكم قال هذا ؟ فنظروا الى بعضهم وقالوا : لا مرحبا بما قال والأمر اليك اصنع ما شئت وكأنهم قالوا ذلك استحياء أن يدخلوا الروع فى قلب صاحبهم وما زال الأمر فى بدايته وهم الذين عرفوا بالطاعة والنظام ، فقال معاوية : انما خلطت بكم ثقاتى وثقاتكم وما كان لى فهو لكم وما كان لكم فهو لى (١٣) فرضى القوم وسكتوا على مضض لأن ما عبر عنه الرجل كان هو مبتغاهم الذى سرعان ما سعوا اليه مرة أخرى أثناء القتال وطلبوا الى معاوية أن يعزل عنهم قادة قريش ومضر واتهموهم بالجبن والتخاذل وعدم القتال معهم والاكتفاء بالنظر من بعيد وهددوا بالانسحاب من الحرب اذا لم يول عليهم معاوية قادة منهم فامتثل لطلبهم وعقد لكبرائهم (١٤) فاستقام له أمرهم ٠

سار معاوية بخيله ورجاله حتى نزل صفين فى ثلاثة وثمانين ألفا وذلك لأيام خلت من المحرم سنة ٣٦ هـ — ٦٥٧ م فسبق الى سهولة الأرض وسعة المرعى ومصدر المياه من الفرات واجتمعت اليه العساكر من أطراف البلاد فصار فى عشرين ومائة ألف (١٥) وزحف اليه على قاصدا جمعه وعادت ذكرى العداء القديم بين عرب الشام وعرب العراق وان لم يكن بين حلفاء الفرس وحلفاء الروم وانما بين أشياع على وأنصار معاوية

---

(١٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٢٥ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ، ص ٨٦ ٠

(١٣) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٤٢٥ ، ابن أعثم : المصدر نفسه : جـ ٢ ، ص ٨٧ ٠

(١٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤١ ابن أعثم الكوفى : الفتوح : جـ ٢ ص ١٣٠ ٠

(١٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٦٩ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ص ١٠٢ ، الدينورى : الاخبار الطوال : ص ١٧٠ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٢٧٥ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٤٤ ٠

وكلهم من المسلمين · واستمرت حرب الشعر (١٦) والكلام والخطب على أشدها بين على ومعاوية طوال فترة الزحف والاستعداد قبل اللقاء الكبير فى صفين (١٧) ·

فى معركة صفين ضربت قريش وجوه القبائل العربية بعضها ببعض مضرها ويمنها ضربا مبرحا كادت أن تتقصف معه أيادى الاسلام فى بلاد الشام على وجه الخصوص لقربه من الروم وبه ثغور المسلمين لولا عناية الله ورعايته ، فما كان على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان الا مجرد أفراد والأفراد لا محالة زائلون وتبقى الشعوب والأمم فما كان عليهما لو استجاب أحدهما للآخر لصالح الجماعة دون قتال أو صبرا لبعضهما دون اراقة الدماء الغالية فما أصاب الاسلام فى صفين يكاد يعدل مصابهم فى فتح الشام كلها لأن القتلى فى الطرفين من المسلمين (١٨) ، فلم يرتض على من معاوية بغير البيعة والطاعة ولم ير معاوية فى نفسه أقل شأنا من على فى البيعة لنفسه بالخلافة وأبى كل منهما الا أن يقض مضجع الآخر

---

(١٦) لما تحرك معاوية قاصدا صفين بعث الى على برسالة وكتب له فى نهايتها :

لا تحسبنى يا على غافلا لأوردن الكوفة القبائلا
والمشرفى والقنا الذوابلا من عامنا هذا وعاما قابلا

فلما ورد هذا الشعر على أهل العراق علم على وأصحابه أن معاوية فصل من دمشق فرد على برسالة ذيلها بما يلى :

أصبحت منى يا ابن هند جاهلا لأرمين منكم الكواهلا
تسعين ألفا رامحا ونابلا يزدجرون الارض والسواهلا
بالحق والحق يزيح الباطلا هذا لك العام وزرنى قابلا

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٥٨ ·

(١٧) انظر : الطبرى : التاريخ ج ٤ ص ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٣٨٥ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٤٤١ ، ١٤٥ ·

(١٨) انظر : ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤١٤ · ويذكر أبو الفداء أن عدد القتلى كان « خمسة وأربعين ألفا من أهل الشام وخمسة وعشرين ألفا من أهل العراق منهم ستة وعشرين رجلا من أهل بدر · »

أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر : ج ١ ص ١٧٥ ·

بما تحت يده من القبائل التى تنصره (١٩) فقتل من الطرفين خلق كثير من شتى القبائل فكان ذلك وهنا على الاسلام والمسلمين ، وما كان ذلك ليحدث لو قبل الناس فى أوله ما قبلوا به فى آخره ، ولولا عناية الله التى تداركت البقية الباقية من القبائل المتحاربة لكان قد حدث ما لا يحمد عقباه وما لا يعلمه الا الله ولكن الله ماض أمره ووقع ما كان مقدرا ولابد أن نتعرف على دور القبائل فى هذه الحرب الطاحنة التى كانت آثارها بالغة فى تاريخ المسلمين .

ثانيا ــ عزل الأشعث بن قيس عن رياسة كندة والعراق :

كانت رياسة كندة وربيعة فى جيش على بن أبى طالب للأشعث ابن قيس الكندى (٢٠) وكان الأشعث ندا لشرحبيل بن السمط الكندى فى جيش معــاوية ، وعندما هم على بالمسير الى صفين عزله عن رياسته وجعلها لحسان بن مخدوج الذهلى من ربيعة (٢١) فتكلم رؤساء من اليمن فى ذلك منهم الأشتر النخعى وعدى بن حاتم الطائى وهانئ بن عروة وزحر بن قيس لأن ربيعة من مضر (٢٢) ولا يجب لمضر أن ترأس قبيلة من اليمن وخاصة كندة الملوك وسادة القبائل فى الجاهلية ، وجاءوا على ابن أبى طالب وقالوا : يا أمير المؤمنين ان رياسة الأشعث لا تصلح الا لمثله وما حسان بن مخدوج مثل الأشعث ، فغضبت ربيعة وفيهم حريث بن جابر الذى قال : يا هؤلاء رجل برجل وليس فى صاحبنا عجز فى شرفه وموضعه ونجدته وبأسه ولسنا ندفع فضل صاحبكم وشرفه ، فلم يرض بقوله رجال اليمن فأتاهم سعيد بن القيس الهمدانى وزجرهم على ما صاروا اليه ودعاهم الى طاعة الامام وقال لهم : ما رأيت قوما أبعد رأيا منكم أرأيتم ان عصيتم على على هل لكم الى عدوه من وسيلة ؟! وهل لكم فى معاوية عوض

---

(١٩) يؤيد ذلك أن بعضا من رجالات العرب قد فطن الى هذا منذ وقت مبكر وحذر القبائل من التمادى فى غياهب الفتنة ، فهذا على بن الغدير بن مضرس الغنوى من بنى غنى القيسية سكن الجزيرة الفراتية يحذر قومه من الهلاك ومن تلاعب قريش بهم فيقول :

فمن مبلغ قيس بن عيلان كلها	بما حاز منها أرض نجد وشامها
فلا تهلكنكم فتنــــة كل أهلهــا	كحيران فى طخياء داج ظلامها
وخلواقريشا تقتتل ان ملكهــا	لهـا وعليهـا برهـا وآثامهـا
فان وسعت أحلامها وسعت لها	وان عجزت لم تدم الا كلامهـا
وان قريشا مهلك من أطاعهـا	تنافس دنيـا قد أحم انصرمها

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢٠) عن الأشعث بن قيس : انظر ما سبق فى ذلك .

(٢١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٣٧ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٢٢) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ .

منه ؟! أو هل لكم بالشام من بدله بالعراق (٢٣) ؟! القول ما قال والرأى ما صنع (٢٤) · وتكلم حريث بن جابر فقال لرجال اليمن : يا هؤلاء لا تجزعوا فان كان الأشعث ملكا فى الجاهلية وسيدا فى الاســلام فان صاحبنا أهل لهذه الرياسة وقام حسان الى الأشعث وقال له لك راية كندة ولى راية ربيعة فقال : معاذ الله لا يكون هذا أبدا وما كان لك فهو لى وما كان لى فهولك (٢٥) ·

بلغ معاوية بن أبى سفيان ما حدث للأشعث فأراد أن يستغل الموقف لصالحه والحرب يستباح فيها كل الأساليب فدعا مالك بن هبيرة الكندى وهو سيد من سادات كندة الشام وقال : أحب أن تقذفوا الى الأشعث شيئا يغضبه من على فدعوا بشاعرهم فقال أبياتا يعيره فيها بما صار اليه من رياسة ربيعة وهو سيد فى كندة وملك من ملوك قحطان (٢٦) وأرسل بها مالك بن هبيرة الكندى (٢٧) الى الأشعث بن قيس الكندى وهو من قومه وكان له صديق فصارا الآن الى ما لا يحسدان عليه (٢٨) ، فلما انتهى هذا الشعر الى أهل اليمن امتلئوا حنقا لما صارت اليه كندة العراق من رياســة مضر ممثلة فى ربيعــة وكادت الفرقة أن تقع بينهم فبرز اليهم

---

(٢٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٣٨ ·

(٢٤) فى هذا الموقف قال النجاشى شاعر على بن أبى طالب يوفق بين الطرفين ·

رضينا بما يرضى على لنـا به	وان كان فيما يأتى جدع المناخر
رضىبابن مخدوجفقلنا الرضا به	رضاك وحسان الرضا للعشائر
وللأشعث الكندى فىالناسفضله	توارثــه من كابـر بعـد كابر

انظر بقية الأبيات : نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٣٧ ، ١٣٨ ·

(٢٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٣٩ ·

(٢٦) البلاذرى : أنســاب الأشراف : جـ ١ ص ١٦٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ابن عســاكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ٣ ص ٦٧ ـ ٧١ ·

(٢٧) اسمه مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم بن الحارث بن المخصف من ولد عقبــة ابن السكون وكان شريفــا بالشام زمن معاوية · ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ ·

(٢٨) من هذه الأبيات نذكر قول شاعر الشام :

من كان فى القوم مثلوجا بقومه	فالله يعـلم انى غير مثـلوج
زالت عن الأشعث الكندى رياسته	واستجمع الأمر حسان بن مخدوج
يا للرجـال لعـــار ليس يغسـله	ماء الفرات وكرب غير مفـروج
ان ترض كندة حسـانا بصاحبها	ترض الدناءة وما قحطان بالهوج

نصر بن مزاحم : وقعــة صفين : ص ١٣٩ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٦٥ ، ٦٦ ·

شريح هانيء (٢٩) من أصـــحاب علي وقال : يا أهل اليمن ما يريد صاحبكم الا أن يفرق بينكم وبين ربيعة ، ومشى حسان بن مخدوج الى الأشعث بن قيس برايته حتى غرسها في داره · فقال الأشعث : ان هذه الراية عظمت على علي وهو والله أخف على من زف النعام (٣٠) ومعاذ الله أن يغيرني ذلك عليكم ، فعرض عليه علي بن أبي طالب أن يعيد له راية كندة وربيعة فأبي وقال : يا أمير المؤمنين ان يكن أولها شرفا فانه ليس آخرها بعار (٣١) فقـــال علي : أنا أشركك فيهــــا وولاه ميمنـــة أهل العراق (٣٢) ·

ومع أن هذه الأزمة مرت على علي بن أبي طالب بسلام الا أنها كانت نذير سوء ينبيء أن شيئا من الفرقة سوف يحل بهذه القبائل في جيش علي ان عاجلا أو آجلا لكثرة مراجعتهم لامامهم فيما يأمر به وهو ما تطور بعد ذلك ـ لما طال أمر الحرب الى خلاف ثم شغب عليه بعد أن خرجوا معه مبايعين له على السمع والطاعة يأتمرون بأمره ويقاتلون تحت ركابه ·

ثالثا ـ موقف أهل الرقة من علي بن أبي طالب :

كان أهل الرقة (٣٣) كلهم العثمانية الذين فروا من الكوفة برأيهم وأهوائهم الى معاوية فلما وصلها علي بن أبي طالب بجيشه في طريقه الى

---

(٢٩) هو شريح بن هانيء بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضباب من بني الحارث بن كعب من ولد مالك بن أدد من العرب القحطانية · له رواية وكان من المقربين الى علي ·

ابن حزم : الجمهرة ص ٤١٧ ·

(٣٠) زف النعام : ريشه الصغير ·

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٤٠ هامش ١ ·

(٣١) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ١٤٠ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ، ص ٦٥ ·

(٣٢) ومع ذلك فقد ظل الأشعث بن قيس الكندي في نفســه حانقـا عليه رغم أنه قاتل معه بقومه من كندة طوال حرب صفين فلما طلب أهل الشام التحكيم ولاحت له الفرصة ليظهر معارضته وحنقه انقلب ضد علي وكان من أشد المعـارضين له في استمرار القتال بعد أن لاحت لأهل العراق بشائر النصر بقيادة الأشتر النخعي ومعه مذحج وهمدان ·

انظر الطبري : جـ ٥ ص ٤٩ ، ٥٠ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : جـ ١ ص ١١٢ ، ١٢٣ ، المسعودي : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال : ص ١٨٩ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٦٠ ، ١٦١ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٥٧ ·

(٣٣) الرقة : هي كل أرض الى جنب واد ينبسط عليها الماء وجمعها رقاق والرقاق : الأرض اللينة التراب ومدينة الرقة مدينة مشهورة في بلاد الجزيرة تقع في جانب الفرات الشرقي ينسب اليها جماعة من أهل العـلم ·

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٥٩ ، ٦٠ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٢٥ ، ١١٤ ، ١٣٢ ·

صفين أغلق أهلها الأبواب فى وجهه وتحصنوا فيها منه (٣٤) وكان أميرهم سماك بن مخرمة الأسدى فى طاعة معاوية وكان قد فارق عليا فى نحو مائة رجل من بنى أسد بن خزيمة (٣٥) ثم أخذ يكاتب قومه حتى لحق به منهم سبعمائة رجل اختاروا معاوية وحزبه لأنهم رأوا أن خليفتهم قتل مظلوما (٣٦) ٠

لما أراد على أن يعبر الفرات بجيشـــه الى الشـــام طلب من أهـــل الرقة أن يجسروا له جسرا يعبر عليه فأبوا ذلك وكانوا قد ضموا عندهم السفن فنهض على من عندهم ليعبر على جسر منبج (٣٧) وخلف عليهم الأشتر النخعى وهو من أبرز رجال على المخلصين وأشجعهم فناداهم وقال : يا أهل هذا الحصن انى أقسم بالله لئن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عنـــد مدينتكم حتى يعبر منها لأجردن فيكم السيف ولأقتلن مقاتلتكم ولأخربن أرضكم ولآخذن أموالكم (٣٨) ٠ فلقى بعضهم بعضـــا وقالوا :

(٣٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٤٦ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٤٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٢٣٢ ،

(٣٥) أسد بن خزيمة : قبيلة عظيمة من العدنانية تنتسب الى أسد بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار ومن أشهر بطونهم بنو كاهل وبنو غنم وبنو ثعلبة وبنو عمرو وصعب وبطون أخرى يطول ذكرها وكانت منازلهم فيما يلى الكرخ من أرض نجد فى مجاورة طىء ويقال ان بلاد طىء كانت لبنى أسد فلما خرجت طىء من اليمن غلبوهم على جبلى أجا وسلمى ولما جاء الاسلام تفرقت بنو أسد فى الأقطار ولم يبق لهم حى فنزلوا العراق وسكنوا الكوفة منذ سنة ١٩ هـ وملكوا الحلة وجهاتها حتى ســنة ٥٨٨ هـ وتعـد قبيلة أسد بن خزيمة من القبائل الحربية التى سجل لها التاريخ كثيرا من الحروب فى الجاهلية والاسلام فقد حاربوا فى الجاهلية طىء وعامر بن صعصعة وعبس وغسان وجاء وفدهم النبى صلى الله عليه وسلم سنة ٩ هـ من عشرة رهط ثم ارتدوا بعـد ذلك عن الاسلام وعادوا اليه بعد حروب الردة وقاتلوا مع سعد بن أبى وقاص سنة ١٤ هـ فى القادســية وفى سنة ٦١ هـ قاتلوا مع عبيد الله بن زياد والى البصرة والكوفة ضد الحسين بن على وكانوا فى جاهليتهم يعبدون عطارد ٠

الأصفهانى : الأغانى : جـ ٤ ص ١٣٦ ، جـ ١٨ ص ١٩٣ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ١١٨ ، ١١٩ ابن حزم : الجمهرة : ص ١٩٠ـ١٩٢ ، ابن منظور : لســان العرب : جـ ٤ ص ٣٨ ، الزبيدى : تاج العروس جـ ٢ ص ٤٩٣ ، جـ ٣ ص ٢١٥ ، ابن صاعد : طبقات الأمم : ص ٤٣ ، ابن عساكر : التاريخ : جـ ١ ص ١١٩ ، البكرى : معجم ما استعجم : جـ ١ ص ٩٠ ، البغدادى : مراصد الاطلاع : جـ ١ ص ١١٨ ، ١١٩ ، الاصطخرى : مسالك الممالك : ص ٢٢ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٤٧ ، ٤٨ ٠

(٣٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٤٦ ٠

(٣٧) منبج : بلد قديم بالشام عليه سور محكم مبنى بالحجارة ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ وشربهم من قنى تسيح على الأرض وفى دورهم آبار أكثر شربهم منها لأنها عذبة صحيحة ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧ ٠

(٣٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٥١ ٠

ان الأشتر يفي بما يقول وانما خلفه علي عندنا ليأتينا منه الشر فبعثوا اليه : انا ناصبون لكم جسرا فأقبلوا . وأرسل الأشتر الى علي فجاء ونصبوا له الجسر وعبروا جميعا (٣٩) .

رابعا ـ القتال على الماء :

كان لمعاوية بن أبي سفيان السبق في الوصول الى مكان المعركة في صفين على نهر الفرات وكانت هناك شريعة على النهر بالموضع صالحة لجلب الماء من النهر ولم يكن هناك غيرها فسارع معاوية باحتلالها ورصد لها من يحرسها من أشداء القبائل بقيادة أبي الأعور السلمي الذي صف عليها الخيل والرجالة والرماة وأصحاب الرماح والدرق ليمنعوا منها عليا ومن معه اذا ما وصل اليهم ولما حل جيش علي بصفين ووجد الحال كذلك اقتتل الطرفان على الماء قتالا ضاريا سقط فيه جمع من القتلى من الطرفين وانتهى الأمر بأن تم اقتسام الشريعة بين كل منهما (٤٠) .

لم ييأس معاوية بن أبي سفيان من زحزحة القوم عن مكانهم الذي احتلوه بالقوة وأعمل الحيلة في ذلك فكتب على سهم : « من عبد الله الناصح ، اني أخبركم أن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم فخذوا حذركم » ثم رمى بالسهم في معسكر علي فوقع في يدي رجل من أهل الكوفة فقرأه ثم أقرأه صاحبه فلما شاع أمره في الناس قالوا : هذا أخ ناصح كتب اليكم يخبركم بما أراد معاوية فلم يزل السهم يقرأ ويرتفع حتى رفع الى علي بن أبي طالب (٤١) وكان معاوية قد بعث مائتي رجل من الفعلة الى عاقول من النهر بأيديهم المرور والزبل (٤٢) يحفرون فيها بحيال عسكر علي بن أبي طالب فقال علي : انما يريد معاوية أن يزيلكم عن مكانكم فالهوا عن ذلك ودعوه ، فقالوا له : بل نرتحل انهم يحفرون الساعة فقال علي : يا أهل العراق لا تكونوا ضعفى . ويحكم :

---

(٣٩) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ١٥٢ .

(٤٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٦٠ ـ ١٦٦ ، الطبري : التاريخ : ج ٤ ص ٥٦٩ ـ ٥٧٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٣٤ .

(٤١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٩٠ ، ١٩١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٣٩ .

(٤٢) عاقول النهر : ما أعوج منه والمرور : جمع مر وهو المسحاة والزبل : جمع زبيل وهو الجراب والقفة .

نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ١٩١ حاشية ٢ ، ٣ .

لا تغلبونى على رأيى فقالوا : والله لنرتحلن فان شئت فارتحل وان شئت فأقم ـ وهنا نلاحظ خلاف أهل العراق لعلى بن أبى طالب منذ البداية ـ فارتحلوا وصعدوا بعسكرهم مليا وارتحل على فى آخر الناس وهو يقول متحسرا لعدم طاعة الناس له :

ولو أنى أطعت عصمت قومى ... الى ركن اليمامة أو شبام
ولكنى اذا أبرمت أمرا ... منيت بخلف آراء الطغام (٤٣)

جاء معاوية بجنده حتى نزل معسكر على الذى كان فيه بعد أن نجحت حيلته وزحزح القوم عن مكانهم وأبعدهم عن الماء مستغلا اختلاف أهوائهم وسرعة شغبهم وحينما دعا على بالأشتر النخعى وقال له : ألم تغلبنى على رأيى أنت والأشعث فدونكما . فقال الأشعث بن قيس الكندى : أنا أكفيك يا أمير المؤمنين ، سأداوى ما أفسدت اليوم من ذلك وجمع بنى كندة عن بكرة أبيهم وقال : يا معشر كندة لا تفضحونى اليوم ولا تخزونى انما أقارع بكم أهل الشام فخرجوا معه رجلا يمشون وقد كسروا جفون سيوفهم حتى لقوا معاوية وسط بنى سليم (٤٤) واقفا على الماء وقد جاءه أدانى عسكره فاقتتلوا قتالا شديدا على الماء وأقبل الأشتر فى خيل من أهل العراق فحمل على معاوية حملة قوية والأشعث يحارب من ناحيته فانحاز معاوية فى بنى سليم وردوا وجوه ابله قدر ثلاثة فراسخ عن الماء (٤٥) وجاء الأشعث يهدر ويقول : أرضيتك يا أمير المؤمنين . فلما غلب على على الماء وطرد عنه أهل الشام بعث الى معاوية : « انا لا نكافئك بصنعك ، وهلم الى الماء فنحن وأنتم فيه سواء » . وأخذ كل واحد منهما بالشريعة مما يليه وقال على : « ان الخطب أعظم من منع الماء » (٤٦) .

أعاد على بن أبى طالب الرسل الى معاوية فى دعوته الى الطاعة والبيعة وانقاذ المسلمين مما هم فيه (٤٧) ، فبعث معاوية اليه شرحبيل

---

(٤٣) شبام : بلد منيع لحمير باليمن والابيات عن : نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٩١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٢٩ .

(٤٤) عن بنى سليم انظر ما سبق فى ذلك .

(٤٥) الطبرى . التاريخ : جـ ٤ ص ٥٦٩ ، ابن الأثير : الكامل : ٣٦ ، ص ١٤٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٣٤ .

(٤٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٩٣ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ص ١٦٩ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٣٧٧ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٣ ، ص ١٤٥ .

(٤٧) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٧٣ ـ ٥٧٥ .

ابن السمط وحبيب بن مسلمة ومعن بن يزيد بن الأخنس السلمى يطلبون منه أن يدفع اليهم قتلة عثمان أو يعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولونه من أجمع عليه رأيهم (٤٨) ، فلما جاءت الرسل عليا دعاهم الى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ واماتة الباطل واحياء معالم الدين ، فقال له شرحبيل ومعن بن يزيد : أتشهد أن عثمان قتل مظلوما ؟ فقال لهما : انى لا أقول ذلك . قالا : فمن لم يشهد أن عثمان قتل مظلوما فنحن منه براء ثم قاما وانصرفا ، قال على : « **انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولو مدبرين** » (٤٩) ثم أقبل على أصحابه وقال : « لا يكون هؤلاء أولى بالجد فى ضلالتهم منكم فى حقكم وطاعة امامكم » (٥٠) .

خامسا : تعبئة القبائل للحرب :

مكث النـاس بغير قتـال حتى دنـا انسـلاخ المحرم وجـاء صفر سنة ٣٧ هـ ــ ٦٥٧ م فأعلن على بن أبى طالب الحرب على معاوية ومن معه من أهل الشام (٥١) وأرسل مرثد بن الحارث الجشمى فنادى عند غروب الشمس : يا أهل الشام ألا ان أمير المؤمنين يقول لكم انى قد استدمتكم واستأنيت بكم لتراجعوا الحق وتنيبوا اليه واحتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم اليه فلم تتناهوا عن الطغيان ولم تجيبوا الى الحق وانى قد نبذت اليـكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين . فلما انتهى من كلامه فزع النـاس الى أمرائهم ورؤسائهم وخـرج معاوية وعمرو بن العاص يكتبان الكتائب ويعبـئان العساكر وبات على ليلته كلها يعبىء النـاس ويكتب الكتائب ويحـرض على القتـال (٥٢) واستعمل على الخيـل : عمار بن

---

(٤٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٠١ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٣٨ .

(٤٩) سورة النمل : اية ٨٠ .

(٥٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٠٢ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٨ ، ٩ . ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

(٥١) ابن حبيب : المحبر : ص ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ١٧٠ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٢٨ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٣٧٠ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٦٢ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ٢١٦ ، أبو الفداء : المختصر ، جـ ١ ص ١٨٤ ، محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية : ص ٢٨١ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٥٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٠٢ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢١ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ص ٨٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٠ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٣٧٧ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ١٧٠ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ، ص ١٤٩ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ٢٢١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٣٩ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى : جـ ١ ص ٣٧٥ .

ياسر (٥٣) ، وعلى الرجالة : عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى (٥٤) ، ودفع اللواء الى هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الزهرى ، وجعل على الميمنة ، الأشعث بن قيس ، وعلى الميسرة : الحارث بن مرة العبدى ، وجعل القلب : مضر (٥٥) الكوفة والبصرة ، وجعل الميمنـة : اليمن ، وجعل الميسرة : ربيعة ، وعقد ألوية القبائل فأعطاها قوما منهم بأعيانهم جعلهم رؤساؤهم

---

(٥٣) عمار بن ياسر : هو ابن عامر بن كنانة بن قيس من بنى مالك بن أدد من مذحج من ولد كهلان بن سبأ من العرب القحطانية ، وكان قدم ياسر بن عامر وأخواه الحارث ومالك من اليمن الى مكة يطلبون أخا لهم فرجع الحارث ومالك الى اليمن وأقام ياسر بمكة وحالف أبا حذيفة بن المغيرة من بنى مخزوم فزوجه أبو حذيفـة أمة له يقال لها سمية بنت خياط فولدت له عمارا فاعتقه أبو حذيفة الى أن مات وجاء الاسلام فأسلم ياسر وسمية وعمار وكانوا من المستضعفين الذين عذبوا بمكة ليرجعوا عن دينهم ، وقد شـهد عمـار بن ياسر بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع النبى صلى الله عليه وسلم وقتل مع على بصفين ٠

ابن سعد : الطبقات : جـ ٣ ص ٢٤٦ ـ ٢٦٤ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ١٥٦ ـ ١٥٩ ، ابن حزم الجمهرة : ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ ٠

(٥٤) عبد الله بن بديل ينتسب الى خزاعة وخزاعة قبيلة من الأزد من العرب القحطانية وبطونهم كثيرة منهم بنو المصطلق وبنو كعب وبنو عوف وكانت لخزاعة ولاية البيت فى الجاهلية قبل قريش وهى فى بنى كعب بن عمرو بن لحى ، ولما رغبت قيس عيلان فى انتزاعها منهم ساروا اليهم فى مكة عليهم عامر بن الظرب العدوانى ومعهم جمع من قبائل العرب فحاربتهم خزاعة وهزمت قيس وكان بين كنانة وخزاعة حلف على التناصر فلما اقتتلت خزاعة وبنى أسد استنصروا حلفاءهم من كنانة فتذاكر الكنانيون قرابتهم لبنى أسد وخذلوا خزاعة ، وفى سنة ٨ هـ قبل فتح مكة عدا بنو بكر بن عبد مناة على خزاعة وأعانتهم قريش فدخلت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر فى عهد قريش وهو ما اعتبره النبى صلى الله عليه وسلم عدوانا على حلفائه أوجب الفتح ، وكان الخزاعيون على علم بأخبار العرب وأهل الكتاب ويأتون البلاد للتجارة فيعرفون أحوال الناس وكانوا يعظمون مناة وهو صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة وقد حاربت خزاعة بسائر بطونها سنة ٣٧ هـ ـ ٦٥٧م مع على بن أبى طالب ضد معاوية بن أبى سفيان فى صفين وكان عليهم عمرو بن الحمق الخزاعى ولزموا طاعته حتى آخر يوم فى حياته ولم يشغبوا عليه مثل طىء وكندة وتميم وغيرها ٠

الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٠ ، ٢١١ ، الأصفهانى : الأغانى : جـ ٣ ص ٩٣ ، جـ ١٣ ص ٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٢ ص ٧٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٨٠ ، ابن منظور : لسان العرب جـ ٩ ص ٤٢٢ ، الزبيدى : تاج العروس : جـ ٨ ص ٤٩ ، الجوهرى : الصحاح : جـ ٢ ص ٥٥١ ، البكرى : معجم ما استعجم : جـ ١ ص ٢٩٦ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٧٦ ، ابن عبد البر : الانبـاه : ص ٩٢ ، ابن صاعد : طبقات الأمم : ص ٤٤ ، اليعقوبى : التاريخ : ص ١٠٣ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٠٧ القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٢٨ « نسب خزاعة والاختلاف الذى قيل فيه » ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ١ ص ٣٣٨ ـ ٣٤٠ ، فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب : ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ٠

(٥٥) عبد بنى مضر : انظر ما سبق عنها ٠

وأمراؤهم ، وجعل على قريش وأسد وكنانة : عبد الله بن عباس ، وعلى كندة : حجر بن عدى ، وعلى بكر البصرة : حضين بن المنذر ، وعلى تميم البصرة : الأحنف بن قيس ، وعلى خزاعة : عمرو بن الحمق ، وعلى بكر(٥٦) الكوفة : نعيم بن هبيرة ، وعلى سعد ورباب(٥٧) البصرة : جارية بن قدامة السعدى ، وعلى بجيلة رفاعة بن شداد ، وعلى ذهل (٥٨) الكوفة : يزيد ابن رديم الشيبانى ، وعلى عمرو وحنظلة البصرة : أعين بن ضبيعة ، وعلى قضاعة وطىء : عدى بن حاتم ، وعلى لهازم الكوفة : عبد الله بن حجل العجلى ، وعلى تميم الكوفة : عمير بن عطارد ، وعلى الأزد واليمن : جندب ابن زهير ، وعلى ذهل البصرة : خالد بن المعمر السدوسى ، وعلى عمرو وحنظلة الكوفة : شبث بن ربعى ، وعلى همدان : سعيد بن قيس ، وعلى لهازم البصرة : حريث بن جابر الحنفى وعلى سعد ورباب الكوفة : الطفيل أبا حريمة ، وعلى مذحج : الاشتر بن الحارث النخعى ، وعلى عبد القيس الكوفة : صعصعة بن صوحان العبدى ، وعلى قيس (٥٩) الكوفة : عبد الله ابن الطفيل البكائى ، وعلى عبد القيس البصرة : عمرو بن حنظلة وعلى قريش البصرة الحارث بن نوفل الهاشمى ، وعلى قيس البصرة : قبيصة ابن شداد الهلالى ، وعلى اللفيف من القواصى : القاسم بن حنظلة الجهنى (٦٠) .

استعمل معاوية بن أبى سفيان على الخيل : عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى الرجالة : مسلم بن عقبة المرى ، وعلى الميمنة : عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى الميسرة : حبيب بن مسلمة الفهرى ، وأعطى

---

(٥٦) بنو بكر بن عبد مناة : بطن من كنانة بن خزيمة بن مدركة من العرب العدنانية .

الأصفهانى : الأغانى : جـ ٤ ص ١٩ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٦٥ ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ٥ ص ١٤٧ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٣٢٠ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ١٧٠ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ١ ص ٩٢ .

(٥٧) الرباب : بطن من قبائل طابخة بن الياس من مضر من العدنانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٨٠ .

(٥٨) بنو ذهل : بطن من بكر بن وائل وهم بنو ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة .
القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٣٨ .

(٥٩) قبائل قيس عيلان بن مضر ضخمة وكثيرة وتتكون من : باهلة وبنو سليم بن منصور وبنو ثقيف وعامر بن ربيعة وبنو كلاب بن ربيعة وبنو قشير بن كعب بن ربيعة وبنو عقيل وهى قبائل كبيرة ذات بطون واسعة .

انظر ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٦٢ .

(٦٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ، ص ١١ ، ١٢ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٢ ، ٢٣ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٥٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

اللواء : عبد الرحمن خالد بن الوليد ، وجعـل على أهل دمشــق ـ وهم القلب ـ الضحاك بن قيس الفهرى وعلى أهل حمص ـ وهم الميمنــة ـ ذى الكلاع الحميرى (٦١) ، وهل أهل قنسرين ـ وهم فى الميمنة أيضا ـ زفر بن الحارث الكلابى وعلى أهل الأردن ـ وهم الميسرة ـ سفيان بن عمرو (أبو الأعور السلمى) ، وعلى أهل فلسطين ـ وهم فى الميسرة أيضا ـ مسلمة بن مخلد ، وعلى رجاله أهل حمص : حوشب ذا ظليم ، وعلى رجاله قيس : طـريف بن حـابس الألهانى (٦٢) ، وعلى رجـالة أهل الأردن : عبد الرحمن بن قيس القينى (٦٣) ، وعلى رجالة أهل فلسطين : الحارث ابن خالد الأزدى ، وعلى رجالة قيس دمشق : همام بن قبيصة ، وعلى قيس وإياد حمص : بلال بن أبى هبيرة الأزدى ، وحاتم بن المعتمر الباهلى ، وعلى رجالة الميمنة : حابس بن سعد الطائى وعلى قضاعة دمشق : حسان بن بحدل الكلبى ، وعلى قضاعة الأردن : حبيش بن دلجة القينى ، وعلى كنانة فلسطين : شريـكا الكنانى ، وعلى مذحـج الأردن ، المخارق بن الحارث الزبيـدى ، وعلى لخـم وجذام فلسطين : ناتـل بن قيس الجذامى ، وعلى همدان الأردن : حمزة بن مالك الهمدانى (٦٤) ، وعلى خثعم اليمن : حمل

(٦١) ذا الكلاع كان ملك حمير الشام وقائدهم فى جيش معاوية ، وحمير قبيلة عظيمة من العرب القحطانية تنتسب الى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكانت فيهم اليهودية قبل الاسلام وبعضهم عبد الشمس وكان لهم بيت بصنعـاء يقـال له « رئام » يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح ومن أيامهم : يوم البيداء وهو من اقدم أيام العرب وكان بين حمير وكلب ولهم فيه أشعار كثيرة وقدم رسولهم على النبى صلى الله عليه وسلم سنة ٩ هـ ٠

ابن هشـــام : السـيرة : جـ ٢ ص ٢٤٦ ، ابن الكلبى : الأصنام : ص ١١ ، المسعودى : التنبيه والاشراف : ص ٨٣ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٣٢ـ٤٣٨ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٠٦ ، ابن صاعد : طبقات الامم : ص ٤٣ ، أبو الفداء : المختصر جـ ١ ص ١٠٥ ، حاجى خليفة : كشف الظنون : ص ١٥٧ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، جـ ١ ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ٠
Encyclopedie de L'Islam tome 2 p. 329. (art Hemiar).

(٦٢) نسبة الى ألهان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة من ولد الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان وهم اخوة همدان بن مالك من العرب القحطانية ومنهم أيضا حوشب بن التباعى بن مسان قتل بصفين مع معاوية ٠

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٩٢ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٥٠ ٠

(٦٣) عبد الرحمن بنقيس : من بنى القين وبنو القين بطن من قضاعة القحطانية أبوهم النعمان بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافى بن قضاعة ، ومن بطون بنى القين جشم وزعرعة وأنس وثعلبة ٠

ابن هشام : السيرة : جـ ١ ص ٢٥٧ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٢ ص ٧١ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٤ ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ٥ ص ٢٠٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢١٧ ، القلقشندى نهاية الأرب : ص ٧٥ ، ٧٦ ٠

(٦٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ابن أعثم الكوفى : جـ ٢ ص ٢١ ـ ٢٣ : الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٢ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٥٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٢٤٠ ٠

ابن عبد الله الخثعمي ، وعلى غسان الأردن : يزيد بن الحارث وعلى جميع القواصي : القعقاع بن أبرهة الكلاعي (٦٥) ٠

بعـد أن تم تعيين القادة وحملة الألوية والرايات من القبـائل فى الجيشين عبئت كل قبيلة فى جيش معاوية لتكفيه نظيرتها فى جيش على والعكس لأن القبائل كانت أعلم بقتال بعضها من غيرها فقاتلت كندة الشام كندة العراق وأزد الشام أزد العراق وحمير الشام حمير العراق وهـكذا بقيـة القبـائل ، فكان الرجل يلتقي فى الحرب بالسيف مع أبيه وأخيه وخاله وعمه وربما قتل أحدهما الآخر (٦٦) واذا لم يكن للقبيلة نظير فى جيش الآخر كان ينتخب لها قوما كفؤا لها فى القوة والشجاعة وتخصص لقتالها وتكفيها صاحبها ٠ فلما قام أهل الشـام وأهل العراق وتوافقوا وأخـذوا مصافهم للقتال نظر معاوية وقال : من هؤلاء فى ميسرة أهل العراق ؟ فقالوا : ربيعة فلم يجد معاوية فى جيشه أحدا من ربيعة فجاء بحمير وجعلهم ازاء ربيعـة على قرعـة أقرعها بين حمير وعك (٦٧) فقال ذو الكلاع الحميرى ملك حمير ينعي سهام القرعة التى لم تأت له بقوم كفؤ له ــ على حد تقديره : « تبا لك من سهم لم تبغ الضراب » (٦٨) وكأنه أنف أن تكون حمير سادة اليمن بازاء ربيعة نصارى مضر ، فلما بلغ ذلك الخنـدف الحنفى من ربيعـة حلف بالله لئن رأى ذا الكلاع فى الحرب ليقتلنه أو يموت دونه ، وجاءت حمير حتى وقفت بازاء ربيعة (٦٩) وجعل

---

(٦٥) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٤ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥١ ٠

(٦٦) انظر : ابن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢١٥ ٠

(٦٧) بنو عك قبيلة مختلف فى نسبها فقيل انهم بنو عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد من كهلان من القحطانية وقيل ان عك هو ابن الديث بن عدنان بن ادد اخو معد بن عدنان ، وليس هناك قول قاطع فى نسبها ، وكانت مواطنهم فى نواحى زبيد ، من اراضيهم الأعلاب وتقع بين مكة والساحل وقد ارتدوا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بالاعلاب فبعث اليهم ابو بكر الصـديق بن ابى هالة مواقعهم بها وقتـلهم شر قتلة وخرجـوا فى الفتوحات مع القبائل التى غزت الشام واستوطنوا بها وقاتلوا مع معـاوية بن ابى سفيان ضد على فى صفين ٠

ابن الكلبى : الأصنام : ص ٧ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٥٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ابن خلدون : العبر : ج ٢ ص ٢٩٩ ، البكرى : معجم ما استعجم : ج ١ ص ٥٣ ، القلقشندى نهاية الارب ، ص ٣٣٢ ،
Encyclopedie de L'Islam Tome 1, p. 244.

(٦٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : صفين ٢٢٧ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٣ ، ٢٤ ٠

(٦٩) الدينورى : الاخبار الطوال : ص ١٧١ ٠

معاوية قبائل السكون والسكاسك من كندة (٧٠) الشام بازاء كندة العراق التى كان عليها الأشعث بن قيس ، وجعل الأزد وبجيلة فى جيش الشام بازاء همدان درة القبائل فى أهل العراق وجعل عكا بازاء مذحج(٧١) عند على وجعل بازاء تميم من أهل العراق هوزان وغطفان وسليما (٧٢) ٠

وكما فعل معاوية كذلك فعل علي،فلما اجتمعت القبائل للزحف فى أول يوم للقتال ودنا القوم من بعضهم أخذ على يشير الى أهل الشام ويقول: من هذه القبيلة ؟ ومن هذه القبيلة ؟ فيسمون له حتى اذا عرفهم وعرف مراكزهم قال للأزد : اكفونى الأزد وقال لخثعم اكفونى خثعما وأمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام الا قبيلة كانت معه ليس منهم بالشام أحد مثل بجيلة ٠ لم يكن بالشام منهم الا عدد يسير فصرفهم الى لخم (٧٣) وهذه ظاهرة تدعو للعجب غير أنها فى واقع الأمر كانت من التدابير التى لجأ اليها القوم للحيلولة دون تأثر المقاتلين بنوازع العصبية والرحم فالقبيلة تكره أن ترى اخوتها يقتلون بأيدى قوم آخرين وتؤثر أن تتولى هى قتالهم شأن الأب يريد أن يتولى بنفسه تأديب ولده اذا خرجوا عن طاعته ولا يحب أن يرى غيره يتولى هذا الأمر (٧٤)٠وكانت عك مع معاوية قبيلة متفانية فى قتالها فلما هموا بالقتال قيدوا أرجلهم بالعمائم ليقاتلوا على قلب رجل واحد ثم طرحوا حجرا بين أيديهم وقالوا : « لانفر حتى يفر هذا الحكر » (٧٥) ٠ كناية عن ثباتهم حتى النصر أو الموت ٠ ولما تراءى الجمعان صاح عمرو بن العاص مذكرا أهل الشام

---

(٧٠) السكون والسكاسك بطنان من كندة وهما ولدى أشرس بن ثور المسمى كندة المنتهى نسبه الى كهلان بن سبأ من العرب القحطانية ٠

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٢٥٧ ٠

(٧١) لما خصص معاوية عكا لقتال مذحج قال راجز عك يشيد بقومه ويتوعد مذحج :

ويل لام مذحج من عك　　وأمهم قائمة تبك

نصككم بالسيف أى صك　　فلا رجال كرجال عك

نصر بن مزاحم : وقعة بصفين ص ٢٢٧ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٦١ ، الطبرى : التاريخ جـ ٥ ص ٢٤ ٠

(٧٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٤ ٠

(٧٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص ٢٢٩ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ، ص ١٤ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٥١ ٠

(٧٤) احسان النص : العصبية القبلية : ص ١٩٧ ٠

(٧٥) يقصدون « الحجر » لأن عك كانت تقلب الجيم كافا ٠ نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٢٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٤١ ٠

بما يقاتلون عليه وانه الحق (٧٦) ورد عليه أهل العراق صياحا بما ينقض مقاله لهم (٧٧) ولم يعد سوى ضرب الرقاب .

سادسا ـ وقائع حرب صفين « رؤية قبلية » :

١ ـ مذحج :

في أول يوم من صفر سنة ٣٧ هـ ٦٥٧ م وقعت الحرب طاحنة بين الطرفين في صفين وحدث فيها ما تشيب له الولدان وكان الأشتر النخعي (٧٨) من قبيلة النخع من مذحج هو رجل الساعة في جيش على بن أبي طالب (٧٩) كما كان ذو الكلاع الحميري في جيش معاوية فقد كان بارزا في كل المواقف والمواطن قائدا ومقاتلا وخطيبا

---

(٧٦) قال عمرو بن العاص :

يأيها الجند الصليب الايمان	قوموا قياما واستعينوا الرحمن
انى أتانى خبر فاشجان	ان عليا قتل ابن عفان

فردوا علينا شيخنا كما كان

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٢٨ .

(٧٧) قال أهل العراق :

أبت سيوف مذحج وهمدان	أن ترد نعثلا كما كان
خلقا جديدا مثل خلق الرحمن	ذا شأن قد مضى وذا شأن

نعثل : رجل من أهل مصر كان طويل اللحية وكانت لحيته تشبه لحية عثمان في طولها فكان عثمان اذا نيل منه أو عيب عليه شبه بهذا الرجل المصرى .

ابن منظور لسان العرب : جـ ٥ ص ١٤٢ مادة « نعثل » .

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٢٨ حاشية ٥ .

وصاح عمرو ثانية :

ردوا علينا شيخنا ثم بجل والا تكونوا جزرا من الأسل

بجل بمعنى وحسب ، والجزر ، قطع اللحم تأكله السباع ، والأسل : الرماح .

ورد عليه رجل من أهل العراق :

نحن بنو ضبة أرباب الجمل	الموت أحلى عندنا من العسل
كيف نرد نعثلا وقد قحل	نحن ضربنا رأسه حتى انجفل
لما حكى حكم الطواغيت الأول	وجار في الحكم وجار في العمل

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١ ، ٢ ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ٥ ص ٨ ، جـ ١٤ ص ٧٠ .

(٧٨) الاشتر النخعي اسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة بن ربيعة من ولد مالك بن النخع من بني عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ من العرب القحطانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤١٥ .

(٧٩) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٢٠ .

مقوها وهو ركن على الأشد في كل أزماته من أول المعارك الى آخرها (٨٠)، فلما بدأت الحرب وهزمت ميمنة أهل العراق أقبـــل علي يركض نحو الميسرة يستثيب الناس ويستوقفهم ويأمرهم بالرجوع حتى مر بالأشتر فقال له : ايت هؤلاء القوم فقل لهم : « أين فراركم من الموت الذى لن تعجزوه الى الحيـاة التى لا تبق لكم » ؟ (٨١) فمضى الأشتر واستقبل الناس منهزمين فنادى فيهم : أخلصوا الى مذحجا ٠ فاجتمعت اليه مذحج « قوم الأشتر » — وهي من أقوى القبائل في جيش علي بعـد همدان — فقال لهم : والله ما أرضيتم اليوم ربكم ولا نصحتم له في عدوه فكيف ذلك وأنتم أبناء الحرب وأصحاب الغارات وفتيان الصباح (٨٢) وفرسان الطراد وحتوف الأقران ومذحج الطعـان (٨٣) وأنتم أحـد أهل مصركم الشجعان الأقوياء وأعد (٨٤) حي فيهم وما تفعلوا في هذا اليوم فانه مأثور لما بعده فاتقوا مأثور الحديث في غد واصدقوا عدوكم اللقاء فان الله مع الصابرين ، والذى نفس مالك بيده ما من هؤلاء — وأشار بيده الى أهل الشام — رجل على مثل جناح بعوضة من دين الله ، والله ما أحسنتم اليوم القراع اجلوا سواد وجهى يرجع في وجهى دمي وعليكم بهذا السواد(٨٥). وعندها قالت مذحج : خذ بنا حيث أحببت فقصد بهم ميمنة أهل الشام وأخذ يزحف اليهم ويردهم ومعه شباب من همدان كانوا ثمانمائة مقاتل صبروا حتى آخر الناس في ميمنة علي حتى قتل منهم مائة وثمانون رجلا وأحـد عشر رئيسا كلما قتـل منهم رجـل أخـذ الراية الآخر وكان أولهم كريب بن شريح ثم يريم بن شريح ثم شمر بن شريح ومرثد بن شريح قتل هؤلاء الأخوة الأربعة جميعا من مذحج فأخذ الراية سـفيان بن زيد ثم عبد بن زيد ثم كرب بن زيد فقتل هؤلاء الاخوة الثلاثة جميعا فأخذ الراية

---

(٨٠) ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٥٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٢٤١ ٠

(٨١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥٠ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٢٠ ، ابن أعثم : الفتوح جـ ٢ ص ١٧٢ ، ابن كثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٥٢ ٠

(٨٢) فتيان الصباح : فتيان الغارة وكانوا يسمون يوم الغارة يوم الصباح ٠ نصر بن مزاحم : وقعـة صفين : ص ٢٥١ ٠

(٨٣) كانت العرب تقول في مأثورها : « مازن غسان أرباب الملوك وحمير أرباب العرب وكندة كندة الملك ومذحج مذحج الطعـان وهمدان أحلاس الخيل والازد أزد البأس » ٠

ابن قتيبة : المعـارف : ص ٤٩ ، ابن رشيق : العمدة ص ٣٩٧ ، الآلوسى : بلوغ الأرب : جـ ٢ ص ١٩٠ ٠

(٨٤) أعد : اكثر عددا ٠ نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥١ حاشية ٥ ٠

(٨٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥٢ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٢٠ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٥٢ ٠

عمير بن بشر والحارث بن بشر فقتلا فأخذ الراية وهب بن كريب أبو القلوص وأراد أن يستقبل الحرب فقال له رجل من قومه : انصرف يرحمك الله بهذه الراية ترحها (٨٦) الله من راية فقد قتل أشراف قومك حولها فلا تقتل نفسك ولا من بقي ممن معك (٨٧) فانصرفوا وهم يقولون ليت لنا عديدا من العرب يحالفوننا ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نقتل أو نظهر ، فمروا بالأشتر وهم يقولون ذلك فقال لهم : انى أحالفكم وأعاقدكم على ألا نرجع أبدا حتى نظهر أو نهلك فوقفوا معه على هذه النية والعزيمة وزحف الأشتر نحو الميمنة وثاب اليه ناس كانوا قد تراجعوا فأخذ لا يصمد لكتيبة الا كشفها ولا لجمع الا حازه ورده (٨٨) ٠

٢ ـ خثعم :

كثيرا ما كانت القبائل فى جيش الشام تتصل بأختها فى جيش العراق والعكس أثناء الحرب ، وكانت أكثر هذه الصلات ابتغاء وقف اراقة الدماء وحفظ صلات النسب والأرحام ، ومن ذلك ما حدث بين خثعم الشام وخثعم العراق فى حرب صفين فقد أرسل عبد الله بن حنش الخثعمى رأس خثعم الشام الى أبى بن كعب رأس خثعم العراق رسالة يقول فيها : « أن لو شئت لتوافقنا فان ظهر صاحبك كنا معكم وان ظهر صاحبنا كنتم معنا ولا يقتل بعضنا بعضا » (٨٩) ولكن كان لتأثير على بن أبى طالب بفصاحته وبيانه على أصحابه فضلا عن قرابته من النبى ﷺ وسابقته وهجرته وقع شديد فى اقناعهم بسلامة موقفه والحرب الى جانبه ولو كان لذوى الأهل والقرابة فلا نسب ولا أرحام بينهم فى ذلك ، فرفض أبى بن كعب فى خثعم العراق ما عرض عليه عبد الله بن حنش فى خثعم الشام وأبى الا أن يقاتل لنصرة صاحبه، فلما التقت فى القتال خثعم وخثعم وزحف الناس الى بعضهم كانت خثعم الشام أكثر تعقلا وأكثرهم حفظا للرحم من أختها فقال رأس خثعم الشام لقومه : يا معشر خثعم قد عرضنا على قومنا من أهل العراق الموادعة صلة لأرحامهم وحفظا لحقهم فأبوا الا قتالنا وبدءوا بالقطيعة فكفوا أيديكم عنهم حفظا لحقهم علينا ما كفوا عنكم

---

(٨٦) دعاء عليها بالترح وهو الحزن والهم ٠
نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص ٢٥٣ حاشية ١ ٠

(٨٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٢١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥٣ ٠

(٨٨) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٢١ ، إبن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ١٥٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٣٤٥ ٠

(٨٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥٧ ٠

فان قاتلوكم فقاتلوهم(٩٠)،ولكن دائما للشر ناس خلقوا له فسرعان ما بدره رجل ممن معه قائلا:هاهم قد ردوا عليك وأقبلوا يقاتلونك ثم خرج اليهم معجلا بالحرب يطلب المبارزة ــ التي كثيرا ما كانت تسبق الالتحام ــ فغضب رأس خثعم الشام لفعل صاحبه وقال اللهم قيض له وهب بن مسعود وهو رجل من خثعم من أهل الكوفة كانوا يعرفونه في الجاهلية لم يبارزه رجل قط الا قتله وكأن الله استجاب لدعاء الرجل أو أن الصدفة أخرجت اليه وهب بن مسعود فحمل على الشامي فقتله(٩١) ثم التحموا فاقتتلوا أشد قتال وأخذ أبى بن كعب يقول لأصحابه : يا معشر خثعم خدموا (٩٢) فلما حمي الوطيس وبركت خثعم لخثعم أخذ صاحب الشام يقول : يا أبا كعب الكل قومك فأنصف فلم يعبأ بقوله لأنه كان متشددا في نصرة علي ولو قتل في سبيل ذلك أهله وجميع قرابته فحمل اليه شمر بن عبد الله الخثعمي من أهل الشام فطعنه طعنة قضى عليه ثم انصرف يبكي وهو يقول : رحمك الله يا أبا كعب لقد قتلتك في طاعة قوم أنت أمس بي رحما منهم وأحب الى نفسا منهم ولكن والله لا أدري ما أقول ولا أرى الشيطان الا قد فتننا ولا أرى قريشا الا وقد لعبت بنا (٩٣) ، ووثب كعب الى راية أبيه فأخذها ففقئت عينه وصرع فأخذها شريح بن مالك فقاتل القوم تحتها حتى صرع منهم حول رايتهم ثمانين رجلا وأصيب من خثعم الشام مثلهم (٩٤) ٠

٣ ــ بجيلة :

كانت بجيلة في جيش علي بن أبي طالب فدائيو أهل العراق وكانت رايتهم في صفين لبني أحمس (٩٥) وهي مع أبي شداد البجلي المسمى قيس بن مكشوح بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن

---

(٩٠) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٢٥٧ ٠

(٩١) نصر بن مزاحم : المصدر نفسه ٠ ص ٢٥٧ ٠

(٩٢) خدموا : اضربوا موضع الخدمة وهو الخلخال يعني اضربوهم في سوقهم تعجيزا لهم ، وكانت الناس اذا رأت ذلك قاتلوا جثيا على الركب اتقاء للضرب في السيقان فيتشاجروا بالرماح ويتطاعنوا بالسيوف حتى اذا بليت تضاربوا بالحجارة وكان هذا في قتال القبائل يعني الفناء غالبا للطرفين ما لم يكفوا عن بعضهم وهو ما حدث في قتال ليلة الهرير في حرب صفين ٠

ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : جـ ١ ص ٤٨٩ ٠

(٩٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ٠

(٩٤) نصر بن مزاحم : المصدر السابق ص ٢٥٨ ٠

(٩٥) بنو أحمس : بطن من بجيلة وهم بنو أحمس بن الغوث بن أنمار من العرب القحطانية ومن أحمس بنو دهن بن معاوية بن أسلم بن أحمس ٠

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٤ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٤٥ ٠

أحمس بن الغوث بن أنمار . فقالت له بجيلة : خذ رايتنا قال : غيري خير لكم مني : قالوا : ما نريد غيرك . قال : فوالله لئن أعطيتمونيها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب (٩٦) فقالوا : اصنع ما شئت فزحف بالراية حتى انتهى الى صاحب الترس المذهب وهو يعلم أن معه خيل عظيمة لحماية معاوية فوقعت بينهم حرب شديدة وحمل أبو شداد بسيفه على صاحب الترس يريد قتله فتعرض له رومي في خدمة معاوية فضرب قدم أبي شداد فقطعها وضربه أبو شداد فقتلته وأشرعت اليه الأسنة فقتل فأخذ راية بجيلة عبد الله بن قلع الأحمسي فقاتل بها حتى قتل فأخذ الراية من بعده أخوه عبد الرحمن بن قلع فقاتل حتى قتل فأخذها عفيف بن اياس الأحمسي . فلم تزل بيده حتى تحاجز الفريقان (٩٧) .

٤ ـ غطفان :

كانت راية غطفان (٩٨) العراق في صفين مع عياش بن شريك بن حارثة بن جندب فخرج رجل من آل ذي الكلاع من حمير الشام يسأل المبارزة فخرج له قائد بن بكير العبسي فبارزه فشد عليه الكلاعي فأوهطه (٩٩) فخرج اليه عياش بن شريك وقال لقومه أنا مبارز هذا الرجل فان أصبت فرأسكم الأسود بن حبيب فان قتل فرأسكم هرم بن شتير ثم مشى نحو

---

(٩٦) يقصد معاوية بن أبي سفيان لأنه يقيم على رأسه رجل معه ترس مذهب يستره من الشمس .

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥٨ .

(٩٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٥٩ ، الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ٢٥ ، ٢٦ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٥٤ .

(٩٨) بنو غطفان بن سعد : بطن كبير متسع كثير الشعوب والأفخاذ من قيس عيلان من العدنانية وهم بنو غطفان بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهم على ثلاثة أفخاذ كبيرة هي : أشجع بن ريث بن غطفان وعبس بن بغيض بن غطفان وذبيان ابن بغيض بن ريث ، وكانت منازلهم بنجد مما يلي وادي القرى وجبل طيء ثم افترقوا في الفتوحات الاسلامية وكان منهم ألوف ضد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الاحزاب وارتدوا بعد وفاته فبعث اليهم أبو بكر الصديق خالد بن الوليد فمزقهم شر ممزق حتى عادوا الى الاسلام وخرجوا في جيش الفتح الى العراق والشام وحاربوا في صفين ضد معاوية بن أبي سفيان .

الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٩ ، الأصفهاني : الأغاني : جـ ١٠ ص ١٥ ، ١٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٠ ـ ٢٥٩ ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ٤ ص ١٩٥ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ١٦٤ ، البكري : معجم ما استعجم : جـ ١ ص ٩٠ .

(٩٩) أوهطه : صرعه صرعة لا يقوم منها .

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٠ حاشية ٢ .

الكلاعى فلحقه هرم بن شتير وأخذ بظهره يثنيه عن عزمه وقال : ليمسك رحم (١٠٠) لا تبرز لهذا الطوال ، قال : هبلتك الهبول (١٠١) وهل هو الا الموت !! قال : وهل يفر الا منه !! قل وهل منه بد ؟! قال : والله لا أقتلنه أو ليلحقنى بقائد بن بكير وبرز اليه ومعه حجفة « درع » من جلود الابل وعليه سابغ الحديد لا يرى منه الا نحره فضربه الكلاعى فقطع حجفته وضربه عياش فقطع نخاعه وقتله وخرج ابن الكلاعى ثائرا بأبيه فقتله بكير بن وائل (١٠٢) ٠

٥ ــ نهد :

كانت راية بنى نهد (١٠٣) فى جيش الشام مع مسروق بن الهيثم ابن سلمة فقتل فأخذ الراية صخر بن شمس فارتث (١٠٤) فأخذها على ابن عمير وقاتل حتى أرتث فأخذها عبد الله بن كعب فقتل ، ولما رجع سلمة بن خديم وكان يحرض الناس وجد عبد الله بن كعب قد قتل فأخذ رايته فارتث وصرع فأخذها عبد الله بن عمرو الجهنى فقتل فأخذها عبد الله بن النزال فقتل فأخذها ابن أخيه عبد الرحمن بن زهير فقتل

---

(١٠٠) يتوسل اليه بحق الرحم ٠
نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٢٦٠ حاشية ٥ ٠
(١٠١) هبلتك الهبول : ثكلتك الثكول ، والهبول : النساء اللائى لا يبق لهن ولد ٠
نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٠ حاشية ٦ ٠
(١٠٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٠ ٠
(١٠٣) بنو نهد بن زيد : قبيلة كبيرة من قضاعة من القحطانية وهم : بنو نهد بن زيد بن ليث بن سعد بن أسلم بن الحافى بن قضاعة ومن ومن بطون نهد : مالك وصباح وجزيمة وزيد ومعاوية وكعب وأبو سود ، وكلهم بطون سكنوا اليمن قرب نجران وعرفوا بـ « نهد اليمن » وهم الذين كتب اليهم النبى صلى الله عليه وسلم ، أما نهد الشام فهم عامر وعمرو وحنظلة « حاكم العرب » والطول ومرة وخزيمة وابان ، وكانوا قد هاجروا الى الشام منذ وقت طويل قبل الاسلام ، ودخلت بطون منهم فى قبائل أخرى مثل عامر بن نهد دخلوا فى بنى عليم من كلب وعمرو بن نهد دخلوا فى بنى عدى بن جناب من كلب وعمرو بن نهد دخلوا فى بنى عدى بن جناب من كلب وابان بن نهد دخل فى بنى تغلب ، والشرف فى بنى نهد فى بنى ذوى بن مالك بن نهد ، وجذيمة وشبابة وعابدة دخلوا كلهم فى تنوخ وقاتلوا مع معاوية بن ابى سفيان فى صفين ٠
الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٩ ص ١٠٤ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١١٦ ، ابن حزم : الجمهرة ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، الزبيدى : تاج العروس : جـ ٢ ص ٥١٩ ، الجوهرى : الصحاح : جـ ١ ص ٢٦٤ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٢٠ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ٣ ص ١١٩٧ ٠
(١٠٤) ارتث : ضرب فأثخن وحمل به رمق ثم مات من بعد ٠
نصر بن مزاحم وقعة صفين ، ص ١٦١ حاشية ١ ٠

فأخذها مولاه مخارق فقتل حتى صارت الى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فرجع بالناس (١٠٥) ، فكانت الراية هي دليل القبيلة الذى يجتمعون اليه في حال نصرهم وهزيمتهم وعند تحاجزهم وكان صاحبها دائما مستهدف لتشتيت قومه لو ضاعت رايتهم ولذلك فقد كان أكثر قتلى القبائل حول راياتها ٠

٦ ــ الأزد :

لم يكن أشد وطأة على القبيلة في حرب صفين من أن تقاتل أختها في الجهة الأخرى ، ومع ذلك فلم يكن هناك مناص من أن تنصر كل قبيلة صاحبها وتؤدى ما خرجت له ولو قطعت في سبيل ذلك أنسابها وأهلكت أرحامها لأنهم كانوا يعتبرون أن تخليهم عن واجبهم في ذلك الوقت عار عليهم ومثار حديث تتناقله القبائل فاستمروا في قتالهم والنفوس يملؤها الحسرة والألم ، فلما ندب أزد العراق لقتال أزد (١٠٦) الشام برز مخنف ابن سليم الأزدى من العراق وخطب في الناس ونفسه مفعمة بالحزن قال : « ان من الخطب الجليل والبلاء العظيم انا صرفنا الى قومنا وصرفوا الينا فوالله ما هي الا أيدينا نقطعها بأيدينا وما هي الا أجنحتنا نحذفها بأسيافنا فان نحن لم نفعل لم نناصح صاحبنا ولم نواس جماعتنا وان نحن فعلنا فعزنا أبحنا ونارنا أخمدنا » (١٠٧) ٠ فلما سمع ذلك جندب بن زهير (١٠٨) قال : « والله لو كنا أباءهم ولدناهم أو كنا أبناءهم ولدونا ثم خرجوا من جماعتنا وطعنوا على امامنا وآزروا الظالمين والحاكمين بغير الحق على أهل ملتنا وذمتنا ما افترقنا بعد أن اجتمعنا حتى يرجعوا عما هم عليه ويدخلوا فيما ندعوهم اليه أو تكثر القتلى بيننا وبينهم » (١٠٩) فلما انتهى قال محنف يدعو عليه أعز بك الله في التيه (١١٠) : أما والله

---

(١٠٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦١ ٠

(١٠٦) عن قبائل الأزد وأنسابها انظر ما سبق في ذلك ٠

(١٠٧) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٢٦ ، ٢٧ ٠

(١٠٨) اسمه جندب بن زهير بن الحارث بن كثير من بنى كعب بن مالك بن نصر بن الأزد كان على الرجالة يوم صفين مع على وبها قتل ٠
ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٧٨ ٠

(١٠٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٢٧ ٠

(١١٠) الأعزاب : الأبعاد ، والتيه : الضلال ٠ ومعناها « أبعدك الله في الضلال » ٠
نصر ن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٢ حاشية ٢ ٠

ما علمتك صغيرا ولا كبيرا الا مشئوما ، والله ما ميلنا الرأى بين أمرين قط أيهما نأتى وأيهما ندع فى الجاهلية ولا بعد ما أسلمنا الا اخترت أعسرهما وأنكدهما ، اللهم ان نعاف أحب الينا من أن نبتلى فاعط كل رجل منا ماسألك » (١١١) • وتقدم جندب بن زهير فبارز رأس أزد الشام فقتله الشامى وقتـل من رهط عبد الله بن ناجد من الأزد عجـلا وسعدا ابنى عبد الله وقتل مع مخنف من رهطة عبد الله بن ناجد وخالد بن ناجد وعمرو وعامر ابنا عويف وعبد الله بن حجاج وجنـدب بن زهير وأبو زينب بن عوف ، وخرج عبد الله بن أبى الحصين الأزدى فى القراء الذين كانوا مع عمار بن ياسر فقتل معه وقد كان مخنف قال له : نحن أحوج أليك من عمار فابى قوله فقتل معه (١١٢) • وقال رجل من أشياخ النمر من الأزد (١١٣) يدعى عتبة بن جويرية لاخوته وهو يتقدم للقتال : « يا اخوتى انى قد بعت هذا الدار بالدار التى أمامها وهذا وجهى اليه لا يبرح الله وجوهكم ولا يقطـع أرحامكم » وتقدم فقتـل وتبعه اخوته عبد الله وعوف ومالك فقالوا : « قبح الله العيش بعدك اللهم انا نحتسب أنفسنا عندك وتقدموا جميعا فقاتلوا حتى قتلوا » (١١٤) •

٧ ــ تميم :

لما عادت تميم فى جيش العراق منهزمة مع النـاس فى ذلك اليوم ناداهم مالك بن حرى النهشلى « ضـاع الضراب اليوم والذى أنا وسـائر القوم له عبد يابنى تميم » فقالوا : « الا ترى الناس قد انهزموا ؟! فقال لهم : أفرار أم اعتذار ؟ » ثم نادى بالأحساب وجعل يكررها (١١٥) فقالت له بنو تميم : أتنادى بنداء الجاهلية ؟! ان ذا لا يحل قال : فالفرار ويلكم أقبح ، ان لم تقاتلوا على الدين واليقين فقاتلوا على الأحساب والأنساب • وكانت القبائل اذا ما وقعت فى قتال ضد بعضها أيا كانت الأنساب فانها عادة ما تستميت فى قتالها خشية الهزيمة التى كانت تعنى العار والسبة التى تلحق بها فتصبح مثار حديث تتناقله القبائل فى أخبارها وشعرها

(١١١) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٢٧ •

(١١٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٤ الطبرى : جـ ٥ ص ٢٧ •

(١١٣) هم بنو النمر بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحـارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن الأزد بن حبيب : مختلف القبائل ومؤتلفها : ص ١٩ •

(١١٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٤ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٢٨ •

(١١٥) ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٣٠ •

وهجو أفرادها وقد يؤرخون بها ولذلك فقد أقبل مالك بن حرى يقاتل قتال المستميت عن نفسه وقومه حتى قتل (١١٦) وهو يرتجز ويقول :

ان تميما أخلفت عنك ابن مر وقد أراهم وهم الحى الصبر

فان يخيموا أو يفروا لا نفر (١١٧)

٨ ـ كنـــدة :

كانت القبـــائل تقاتل بعبيدها ومواليها كما كانت تقاتل بسادتها وأشرافها فالجميع سواسية فى القتال لا فرق بين عبد وحر ، وكان على العبد أن ينصر قبيلته فى كل المواطن التى تشهدها ويموت فى سبيلها ، ففى بداية أحد أيام الحرب فى صفين خرج فارس من فرسان الشام مقنعا فى الحديد يطلب المبارزة فخرج اليه عبد الرحمن بن يحيى الكندى حتى وقف قبالته وسأله : من أنت أيها الرجل ؟ فقال : رجل من عك : فحمل عليه الكندى وهو يقول :

لقد علمت عك بصفين أننـــا اذا ما نلاقى القوم نطعنها شزرا

ونحمل رايات القتـــال بحقها فنوردها بيضا ونصدرها حمرا

ثم حمل على الشامى فطعنه طعنة فى نحره صرعته ونزل فسلبه درعه وسلاحه فاذا هو عبـــد أسود فقال : والله لو علمت أنك عبـــد ما خرجت اليـــك ولكنك ذكرت أنك من عك فلعـــلك عبدا لعك (١١٩) ، فلم يعتبر الكندى قتل العبد العكى شرفا له لأن الأحرار لم يكن لهم مبارزة العبيد

---

(١١٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٦٥ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٣٠ .

(١١٧) يقصد « ان تميم بن مر أخلفت عنك » وبنو تميم هم ولد مر بن أد بن طابخة ابن الياس بن مضر من العرب العدنانية .

ابن منظور : لسان العرب جـ ٤ ص ٤٥٨ ، جـ ١٠ ص ٤٤٣ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ١٢٣ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ابن رشيق : العمدة : جـ ٢ ص ١٦٠ ، القلقشندى : نهـاية الأرب : ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(١١٨) نصر بن مزاحم : وقعـة صفين : ص ٢٧٧ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٣٠ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٣ .

(١١٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٧٧ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٣ .

وانما المبارزة بين الأكفاء ويختلف الأمر في التلاحم فلا فرق بين عبد وحر ولو قدر العبد على سيد القوم لقتلته ارضاء لقبيلته فقد ينال فيها عتقه ،

٩ ـ طيء :

لم تفارق القبائل العربية كثيرا من عادات الجاهليـة فى الاســلام فاختلط التفاخر بالأنساب والأحساب في معركة صفين مع ضرب السيوف وطعن الرماح حتى لم يعد هناك فرق بين هذا وذاك ، ففى يوم من أيام معارك صفين الطاحنة تقدمت طيء (١٢٠) العراق للنزال فعبأت لها جموع أهل الشام من أخلاط القبائل وجاءهم حمزة بن مالك الهمدانى فقال : من أنتم لله أبوكم ؟ فقال عبد الله بن خليفة الطائى يعرفه بقومه ويفخر بهم وبشجاعتهم : نحن طيء السهل طيء الجبل ، نحن حماة الجبلين ما بين العذيب الى العين ، طيء الرماح طيء الصفاح طيء البطاح والنطاح وفرسان الصباح ، فقال له حمزة بن مالك بخ بخ يا أخا طيء ما أحسن ثناءك على قومك وسرعان ما اندفع القوم الى بعضهم فى قتال شديد وأخو طيء يصيح فيهم : يا طيء فدى لكم طارفى وتلادى قاتلوا على الدين والأحساب (١٢١) وأخذ يشجعهم ويقول :

ياطيء الجبـال والسهل معـا انـا اذا داع دعـا نسمعـا
نطير الى السيف حفاظا نسرعا فنقتل المستلئم والمقتعا (١٢٢)

وظل عبد الله بن خليفة الطائى يقاتل على هذا النحو حتى فقئت احدى عينيه (١٢٣) .

١٠ حمـير وربيعـة :

كانت حمير (١٢٤) بقيادة ملكهم ذى الكلاع من القبائل التى يعتد بها فى جيش الشام عددا وعدة واقداما ، وقد ذاع صيتها من قبل فى

---

(١٢٠) عن طيء انظر ما سبق فى ذلك .

(١٢١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٧٩ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٣٠ ، ٣١ ، ابن أعثم : الفتوح جـ ٢ ص ٣٣ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(١٢٢) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٢٧٩ ، ابن أعثم : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٣٣ ، الطبرى : المصدر نفسه : جـ ٥ ص ٣١ هامش ٢ .

(١٢٣) لما فقئت عين عبد الله بن خليفة الطائى كان يقول يعزى نفسه :

. الا ياليت عينى هذه مثل هذه ولم أمش بين الناس الا بقـائد
وياليت رجلى طنت بنصفهـا وياليت كفى طاحت بسـاعدى

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٨٠ .

(١٢٤) العوتبى : الأنساب جـ ١ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥ ، أنساب حمير وبطونها وقبائلها ، .

حروب الفتح ضد الروم والمتنصرة من عرب الشام (١٢٥) وكان معاوية ابن أبى سفيان يدخرها ليوم الملمات ، فلما علا أهل العراق بفضل ربيعة وهمدان ومذحج وهي كبريات القبائل العراقية فى جيش على بن أبى طالب أراد أن يخرج حمير لأحدها تكفيه شرها فضرب لحمير بسهم على هذه القبائل الثلاث فوقع سهم حمير على ربيعة (١٢٦) فأقبل ذو الكلاع فى ميمنة معاوية ومعظمها من حمير ومعهم أربعة آلاف من قراء أهل الشام قد بايعوا على الموت فحملوا على ربيعة وميسرة أهل العراق حملة شديدة بخيلهم ورجالهم فتضعضعت رايات ربيعة وعبيد الله بن عمر بن الخطاب يصيح فى الناس : « يا أهل الشام ان هذا الحى من أهل العراق هم قتلة عثمان بن عفان وأنصار على بن أبى طالب وان هزمتم هذه القبيلة أدركتم ثأركم فى عثمان وهلك على وأهل العراق » (١٢٧) فشد أهل الشام على ربيعة شدة قوية وكان بصفين فى جملة ربيعة من عنزة (١٢٨) وحدها أربعة آلاف مجفف (١٢٩) أبلوا بلاء حسنا فثبتت لهم ربيعة وصبروا صبرا حسنا الا قليلا من الضعفاء (١٣٠) صاح فيهم خالد بن المعمر الربعى ليعودوا ويثبتوا خشية العار والفضيحة وكان من جملة ما قاله لهم : « يامعشر ربيعة ان الله عز وجل قد أتى بكم فى هذا المكان جمعا لم تجتمعوا مثله منذ نشركم فى الأرض والله لا يرضى فعلكم ولا تعدموا معيرا يقول : فضحت ربيعة الذمار وخافت « جبنت » عن القتال وأتيت من قبلها العرب فاياكم أن يتشاءم بكم المسلمون اليوم وانكم ان تمضوا مقدمين وتصبروا محتسبين فان الاقدام منكم عادة والصبر منكم سجية فاصبروا

(١٢٥) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٦ ، الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٢٣ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ص ١٦٦ .

(١٢٦) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٣٤ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٥٦ .

(١٢٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٩١ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٣٤ .

(١٢٨) هم بنو عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد من العرب العدنانية ومن بطونهم : بنو هزان وآل ضور بن رزاح والحارث بن رزاح وبنو جلان بن عتيك وبنو الحارث بن الدول وبنو عبد شمس بن القدار وكانت منازلهم تمتد من نجد حتى بادية الشام الى حمص وحماة وحلب .

ابن منظور : لسان العرب جـ ٧ ص ٢٥١ ، الزبيدى : تاج العروس : جـ ٤ ص ٦٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٩٤ ، « بطون عنزة » ابن دريد : الاشتقاق : ص ١٩٤ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٤١ .

(١٢٩) المجفف : لابس الحجفة وهى ترس يتخذ من جلود الابل يطارق بعضها بعضا أو هى ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقية الجراح وقد يلبسه أيضا .

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٩١ حاشية ٤ .

(١٣٠) ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٥٦ .

ونيتكم صادقة تؤجروا » (١٣١) فلما فرغ من كلامه قام اليه رجل من ربيعة وقال : « برحك (١٣٢) الله من خطيب قوم جنبك الخير ؟! ضاع والله أمر ربيعة حين جعلت أمرها اليك ، تأمرنا ألا نحول ولا نزول حتى نقتل أنفسنا ونسفك دماءنا ألا ترى الناس قد انصرف جلهم ؟! » (١٣٣)، ولكن معظم القوم كانوا موتورين أو مبـايعين فاذا ما خرج منهم صوت العقل بين الفينة والأخرى يردهم الى صوابهم وينهاهم عن سفك دمائهم أسكتوه وعدوا عليه ، فلما قال الرجل ما قال وقام اليه رجال من قومه فتنـاولوه بقسيهم ولكزوه بأيديهم وقال لهم خالد بن المعمـر الربعي : « اخـرجوا هذا من بينـكم فانـه ان بقى أضر بكم وان خـرج منـكم لم ينقصكم » (١٣٤) واشتد قتال ربيعة وحمير حتى بلغ ذروته فلما كثرت القتلى فيهم عادوا الى مصافهم لالتقاط أنفاسهم ثم خرج من أهل العراق نحو خمسمائة فارس من ربيعة على رءوسهم البيض وهم غائصون فى الحديد لا يرى منهم الا الحدق فخرج اليهم من حمير الشام مثلهم فى العدد فاقتتلوا بين الجمعين والناس تحت راياتها تنظر لمن يكون النصر ، فلم يرجع من هؤلاء أحد من أهل العراق ولا من أهل الشام من حمير وربيعة قتلوا جميعا بصفين (١٣٥) اختاروا القتال حتى الفناء على أن يقال انكم خذلوا صاحبهم محقا أو مبطلا وكانت الخسارة فادحة للاسلام والعرب والفرح والشماتة للفرس والروم والمتنصرة ومن فى مقامهم ويأبى كل من على ومعاوية أن يستنقذ ما تحت يده من البقية الباقية من القبائل وصون الدماء الغالية لأن كلا منهما اعتقد أنه يقاتل على الحق ضد الباطل واعتقدت القبـائل أنهـا تقاتل عن الدين والأحساب وان قتـلاهم فى الجنة وقتلى خصومهم فى النار واستحيوا من الفرار حتى كادت الحرب تبيدهم .

---

(١٣١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٩٢ ، الطبرى : التاريخ جـ ٥ ص ٣٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٣ ص ١٥٦ .

(١٣٢) برحك : أحزنك نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٩٣ حاشية ٢ .

(١٣٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٩٢ .

(١٣٤) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٢٩٣ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(١٣٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٩٣ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ، ص ١٥٦ .

١١ ـ مذحــج وعك :

استمرت الحرب في صفين دافقة في دمائها فعبيت مذحج وبكر بن وائل (١٣٦) لحمير بقيادة ذي الكلاع وعبيد الله بن عمر بن الخطاب في خيل أهل الشام وصاح رجل من حمير العراق يدعى أبو شجاع الحميرى على حمير الشام قائلا : « يا معشر حمير تبت أيديكم وأضل الله سعيكم ، أترون معاوية خيرا من علي ؟! وأنت يا ذا الكلاع قد كنا نرى لك في الدين نية ، فقال : أيها يا أبا شجاع ؟! والله لأعلمن ما معاوية بأفضل من علي وانما أقاتل على دم عثمان (١٣٧) وقاتل ذو الكلاع حتى قتل (١٣٨) بعد أن أبلى بلاء حسنا فجزعت عليه حمير جزعا شديدا وكذلك قتل عبيد الله ابن عمر قائد الخيل (١٣٩) وعندها دفع معاوية بدماء جديدة من عك ولخم وجذام والأشعريين (١٤٠) لكسر شــــوكة مذحج وبكر بن وائل فاندفعت عك وقائلهم يقول :

---

(١٣٦) بكر بن وائل : قبيلة عظيمة من العدنانية تنتسب الى بكر بن وائل بن قاسط ابن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة من بنى أسد بن نزار بن معد بن عدنان وهي من أعظم القبائل المحاربة كانت لهم أيام مع تميم والفرس وغيرهم ، ومن أشــهر بطونهم يشــكر وعكابة وبنو حنيفة وبنو عجل ، وكانت ديارهم تمتد من اليمامة الى البحــرين فأطراف سواد العراق وشمالا الى الغرب من دجلة فى حصن كيفا وآمد وميافارقين وهي المنطقة المعروفة باسم ديار بكر حتى يومنا هذا وقد حاربوا مع على بن أبى طالب في صفين وأبلوا بلاء حســنا ٠

الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٦٩ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٠٧ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٦٣٦ ، المبرد : الكامل : جـ ١ ص ٢٧٧ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٣٠١ ، الاصطخرى : مسالك الممالك : ص ٢٢ ، البكرى : معجم ما استعجم: جـ ١ ص ١١٨ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٠٢ ٠

(١٣٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٠٢ ٠

(١٣٨) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٣٦ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة غ جـ ١ ص ١١٠ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، أسد الغابة : جـ ٢ ص ٧٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٤٧ ٠

(١٣٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٠١ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٣٦ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٤٧ ٠

(١٤٠) الأشعريون : من قبائل كهلان من العرب القحطانية وهم ولد نبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ومن بطونهم الجماهر والأتغم والأرغم وجدة وعبد شمس وقاتلو اسنة ٣٧ هـ ضد على بن أبى طالب فى صفين ٠

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٤٨ ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ٦ ص ٨٤ ، البكرى : معجم ما استعجم : جـ ١ ص ٥٣ ٠

ويل لأم مذحج من عك لتتركن أمهم قائمة تبك (١٤١)

حميت مذحج من قول العكي ونادى مناديهم : يا آل مذحج خدموا ، فاعترضت مذحج لأرجل الناس فكان بوار عامة القوم ونادى رجل من عك حين طحنت الحرب رحى القوم وخاضت الخيل والرجال في الدماء : « يا آل مذحج الله الله في عك وجذام ، ألا تذكروا الأرحام ، أفنيتم لخم الكرام والأشعريين وآل ذي حمام من حمير ، أين النهي والأحلام وهذه النساء تبكي الاعلام » (١٤٢) • ولما لم تستجب مذحج لنداء العكي صاح في قومه : « يا عك أين المفر ، اليوم يعلم الخبر أنكم قوم صبر لا تشمتن بكم مضر حتى يحول الحجر فيرى عدوكم الغير » • وقال رجل من الأشعريين « يا آل مذحج من للنساء غدا اذا أفناكم الردى ، الله الله في الحرمات أما تذكرون نساءكم والبنات أما تذكرون أهل فارس والروم والأتراك لقد أذن الله فيكم بالهلاك » (١٤٣) كل هذا والقوم ينحر بعضهم بعضا ويتكادمون بالأفواه وضاع صوت الحق في معمعة القتال ، وتمادى الناس في الحرب فاضطربوا بالسيوف حتى تعطفت (١٤٤) وصارت كالمناجل ولما تحاجزوا بعد أن أعيتهم الحيل جعل الرجل من أهل العراق يمر على أهل الشام فيقول من أين آخذ الى رايات بني فلان ؟ فيقولون من هنا لا هداك الله ويمر الرجل من أهل الشام على أهل العراق فيقول : كيف آخذ الى رايات بني فلان ؟ فيقولون : من هنا لاحفظك الله (١٤٥) وكان المخارق بن الصباح الحميري مع معاوية من أشد الناس تأثرا بما يجرى وقد قتل له ثلاثة اخوة وقتل أبوه وكان من أعلام الناس فقال وهو يبكي على العرب :

أعوذ بالله الذى قد احتجب بالنور والسبع الطباق والحجب

أمن ذوات الدين منا والحسب لا تبكين عين على من قد ذهب

ليس كمثل الله شيء يرتهب يارب لا تهلك أعلام العرب(١٤٦)

---

(١٤١) ابن أعثم الكوفي : الفتوح : جـ ٢ ص ٦١ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٢٤ •

(١٤٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٠٢ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٦٢ •

(١٤٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٠٢ •

(١٤٤) تعطفت : تثنت وتلوت •

المصدر السابق : ص ٣٠٤ • حاشية ١ •

(١٤٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٠٤ •

(١٤٦) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٣١٦ •

١٢ ـ وقعة الخميس :

كانت علامة اهل العراق بصفين الصوف الأبيض جعلوه فى رءوسهم وعلى أكتافهم وشعرهم « يا الله يا أحد يا صمد يارب محمد يا رحمن يا رحيم » وكانت علامة اهل الشام خرقا صفرا جعلوها على رءوسهم وأكتافهم وكان شعارهم « نحن عباد الله حقا ، يا لثارات عثمان » (١٤٧) ، وكانوا يضعون هذه العلامات ويتنادون بشعاراتهم ليتعارفوا وخاصة عندما يشتد الخطب ويختلطون ببعضهم ، وقد ظهر ذلك أوضح ما يكون فى « معركة الخميس » وهى من أشد معارك صفين عنفا قال عنها القعقاع ابن الأبرد الطهوى : « والله انى لواقف قريبا من على بصفين يوم وقعة الخميس وقد التقت مذحج ـ وكانوا فى ميمنة على ـ وعك وجذام ولخم والأشعريين . ولقد والله رأيت فى ذلك اليوم من قتالهم وسمعت من وقع السيوف على الرءوس وخبط الخيول بحوافرها فى الأرض وفى القتلى ما الجبال تهد ولا الصواعق تصعق بأعظم هولا فى الصدور من ذلك الصوت وما حجز بيننا الا الله رب العالمين فى قريب من ثلث الليل »(١٤٨) وقتل يومئذ أعلام العرب وفيهم عبد الله بن ذى الكلاع الحميرى وخزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين (١٤٩) ، ومعقل بن نهيك بن يساف الأنصارى وغيرهم .

١٣ ـ غسان :

قاتلت غسان ـ وهم سادة القبائل العربية بالشام قبل الاسلام (١٥٠) ـ الى جانب معاوية فى صفين قتال المستميت واستخدموا

---

(١٤٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص ٣٣٢ .

(١٤٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

(١٤٩) خزيمة بن ثابت الأنصارى : من بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس وسمى ذو الشهادتين لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد ابتاع فرسه المرتجز من أعرابى من بنى مرة ، ثم رأى الأعرابى رغبة فيه فأنكر أن يكون باعه اياه فشهد له على ابتياعه هذا الفرس خزيمة بن ثابت الأنصارى ولم يكن شاهدا شراءه ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : كيف شهدت ولم تحضر ؟ قال لتصديقى اياك يا رسول الله وان قولك كالمعاينة فأجاز شهادته شهادتين وقال له : أنت ذو الشهادتين وظل يعرف بذلك حتى قتل بصفين مع على رحمة الله عليهما .

البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٥٠٩ ، ابن حزم : الجمهرة ص ٣٣٤ .

(١٥٠) الأصمعى : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ١٠١ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ابن قتيبة المعارف : ص ٣١٤ ، ٣١٦ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩٨ ـ ١٠٤ : المسعودى مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٠٧ ـ ١١٠ . ابن رشيق : العمدة : ص ٤١٦ ، نلدكه : أمراء غسان : ص ١٠ ، جواد على : المفصل : جـ ٤ ص ١٢٥ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات : ص ٢٧١ .

فى ذلك خبراتهم التى اكتسبوها من حروب الفرس والمناذرة فى الجاهلية فروعوا أهل العراق وأذاقوهم مر القتال ، فبينما المعارك قائمة على أشدها فى صفين اذ مر على بن أبى طالب بأهل راية فرآهم لا يزولون عن موقفهم فحرض الناس على قتالهم وسأل عنهم فعلم أنهم غسان (١٥١) وأدرك أنهم لن ينهزموا الا بالتخطيط والحيلة فقال : « ان هؤلاء القوم لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام وتسقط منه المعاصم والأكف حتى تصدع جباههم وتنشر حواجبهم على الصدور والأذقان » (١٥٢) ، وندب لهم خيرة المقاتلين من جنده فنادى : أين أهل الصبر وطلاب الخير ؟ أين من يشرى وجهه لله عز وجل فثابت اليه عصابة من أهل العراق ودعا ابنه محمدا وقال له : امش نحو هذه الراية رويدا على هينتك حتى اذا أشرعت فى صدورهم الرماح فامسك يدك حتى يأتيك أمرى ورأيى ففعل ، وأعد على مثلهم مع الأشتر النخعى فلما دنا منهم وأشرع الرماح فى صدورهم أمر على الذين أعدوا فشدوا عليهم ونهض محمد فى وجوههم فزالوا عن مواقفهم وأصابوا منهم رجالا واقتتل الناس بعد المغرب فى الظلام قتالا شديدا ولم يصلوا الا ايماء (١٥٣) .

١٤ ـ قريش :

لما تعاظمت الأمور على معاوية فى القتال دعا عمرو بن العاص وبسر ابن أبى أرطأة وعبيد الله بن عمر وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد من قريش وقال لهم : انه قد غمنى رجال من أصحاب على منهم سعيد بن قيس فى همدان والأشتر فى قومه مذحج والمرقال (١٥٤) وعدى بن

---

(١٥١) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٥ .

(١٥٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٩٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٥ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥٩ .

(١٥٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣٩٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٦ .

(١٥٤) المرقال : هو هاشم بن عتبة بن أبى وقاص من بنى زهرة بن كلاب وهو الملقب بالأعور لفقده احدى عينيه يوم اليرموك ، أمه بنت خالد بن عبيدة بن سويد من بنى الحارث ابن عبد مناة حليف بنى زهرة ولقب بالمرقال لانه كان يرقل فى الحرب وأبوه عتبة هو الذى جرح النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقيل مات مسلما وقيل مات كافرا ، شهد المرقال اليرموك والقادسية مع عمه سعد بن أبى وقاص وكان مع على بن ابى طالب فى حروبه وقتل معه بصفين وهو الذى قال قبل أن يقتل :

أعور يبغى أهله محلا ... قد عالج الحياة حتى ملا

فلابد أن يفل أو يفلا

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، البلاذرى : انساب الاشراف : ج ١ ص ١٧١ ، ١٧٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٥٩ .

حاتم فى طىء وقيس وقد وقتكم يمانيتكم بأنفسها أياما كثيرة حتى لقد استحييت لكم وأنتم عدتهم من قريش وقد أردت أن يعلم الناس أنكم أهل غناء وعبأت لكل رجل منهم رجلا منكم فاجعلوا ذلك الى فقـــالوا : ذلك اليك . قال : فأنا أكفيكم سعيد بن قيس وقومه من همدان غـدا وأنت يا عمرو لأعور بنى زهرة (١٥٥) يقصد المرقال وأنت يا بسر لقيس بن سعد وأنت يا عبد الله للأشتر النخعى وأنت يا عبد الرحمن بن خالد لأعور طىء ــ يعنى عدى بن حاتم ــ وجعلها نوائب فى خمسة أيام لكل رجل منهم يوم ، فأصـبح معاوية فى غده فلم يدع فارسا الا حشـده ثم قصد لهمدان بنفسه وتقدم الخيل وهو يقول :

لا عيش الا فلق قحف الهام من أرحب وشـــاكر وشـبام
ســأخلط العراق بالشــام أنعى ابن عفان مدى الأيام (١٥٦)

وطعن فى أعراض الخيل مليا فتنادت همدان بشعارها واشتد القتال حتى حجز الليل بينهم وأقحم سعيد بن قيس فرسه على معاوية يريد قتله ففاته ركضا وتقدم القوم تباعا يقاتلون كما رتبهم معاوية والحرب بينهما سجال لم تحرز فيها قريش نصرا على أهل العراق واستحيوا مما صنعوا وشمتت بهم اليمانية من أهل الشام فقال معاوية يطيب نفوسهم : «يا معشر قريش والله لقد قربكم لقاء القوم من الفتح ولكن لا مرد لأمر الله ، ومم تستحيون ؟ انما لقيتم أكباش أهل العراق وقتلتم منكم وما لكم على من حجة فلقد عبأت نفسى لسيدهم سعيد بن قيس » (١٥٧) .

حدث بعد ذلك أن معاوية دعا عمرو بن العاص فى جمع من حمير ويحصب (١٥٨) لقتال الأشتر النخعى وقومه من مذحج لأنهم كانوا قد

---

(١٥٥) بنو زهرة بن كلاب : بطن من بنى مـرة بن كلاب من قريش من العـرب العدنانية وهم : بنو زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ومن بطونهم الحارث وعبد مناف : ولد عبد مناف بن زهرة ووهب ووهيب فولد وهب : آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم : المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٢٥٧ ــ ٢٧٤ ، الأصفهانى : الأغانى : ج ١٩ ص ٧٧ ، الزبيدى : تاج العروس : ج ٣ ص ٢٤٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٢٨ ــ ١٣٥ « بطون زهرة وأعلامها » أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١١٤ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٥٤ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ٢ ص ٤٨٢ .

(١٥٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٢٧ .

(١٥٧) المصدر نفسه : ص ٤٣٢ .

(١٥٨) يحصب بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بطن من حمير بن سبأ من العرب القحطانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٣٥ .

طوروا هجومهم على أهل الشام فوجدها الأشتر فرصة لبتر ذراع معاوية اليمنى وحمل على عمرو ليقتله فلما غشيه بالرمح زاغ فطعنه الأشتر فى وجهه طعنة خفيفة ثقل منها عمرو وأمسك عنان فرسه وجعل يده على وجهه ورجع راكضا الى العسكر فنادى غلام من يحصب : يا عمرو عليك العفا ماهبت الصبا (١٥٩) ثم صاح : يا لحمير : أبلغونى اللواء فأخذه ثم مضى وهو يقول :

يا عمرو تكفيك الطعان حمير واليحصبى بالطعان أمهر

دون اللواء اليوم موت أحمر

لما رأى الأشتر ذلك نادى ابنه ابراهيم ودفع اليه لواء مذحج وقال له : تقدم غلام لغلام ، وحمل غلام النخع على غلام حمير فلقيه الحميرى بلوائه ورمحه ولم يبرحا يطعن كلا منهما صاحبه حتى سقط الحميرى قتيلا(١٦٠)، فغضب القحطانيون من معاوية وقالوا له : تولى علينا من لا يقاتل معنا !! وقد قتل منا اليوم سبعمائة رجل من مقاتلة أهل الشام ولم يقتل من أصحاب على مثلنا وأنت الذى يفعل بنا ذلك لأنك تولى علينا من لا يقاتل معنا مثل عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعتبة بن أبى سفيان وكل واحد من هؤلاء انما يقاتل ساعة ثم يخرج من الغبار فان وليت علينا رجلا منا نقاتل معه والا فلا حاجة لنا فيك (١٦١) وقال المزعف اليحصبى :

معاوى ولى علينا من يحوط ذمارنا من الحميريين الملوك على العرب

لا عمرو وبسر الجبان وابن خالد وعتبة الفرار من حومة اللهب

(١٦٢)

ولا تأمرنا بالتى لا نريدها ولا تجعلنا للهوى موضع الذنب

ولا تغضبنا والحوادث جمة فيفشو اليوم فى يحصب الغضب

فلما سمع معاوية قولهم هذا قال : والله لا أولى عليكم بعد موقفى هذا الا رجلا منكم (١٦٣) بعد أن ساءه ما كان من قتال قريش ٠

---

(١٥٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤٠ ٠

(١٦٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤١ ٠

(١٦١) ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٣٠ ٠

(١٦٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤٢ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٣٠ ٠

(١٦٣) ابن أعثم : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٣٠ ٠

١٥ ـ عك والأشعرون وهمدان :

لما طالت الحرب فى صفين وبلغ السيل الزبى وهو ما لم يكن متوقعا ضاقت نفوس الناس بما حل بهم وأراد كل طرف أن يحسم الأمر لصالحه ما استطاع الى ذلك سبيلا فتحول القتال الى ما يشبه الفناء للطرفين دون حسم تكافؤ القوتين ، فبعد أن كانوا يتقاتلون من مطلع النهار الى بداية العتمة صاروا يتقاتلون أجزاء من الليل ثم الليل كله حتى مطلع نهار اليوم التالى ، وبعد أن كانوا يصلون ايماء الى القبلة صاروا يصلون بالاشارة فى أى اتجاه ثم عدموا الصلاة لا اشارة ولا ايماء وانشغلوا بقتل بعضهم البعض (١٦٤) ، ففى أواخر أيام حرب صفين برزت همدان زعيمة لأهل العراق قوة لا تقهر (١٦٥) فرصد لهم معاوية عكا والأشعريين من أهل الشام وهم فدائيو جيش معاوية وأمر عمرا أن يقدمهم لحرب همدان فأتاهم عمرو وقال : يا معشر عك ان معاوية قد عرف أنكم حى أهل الشام فعبأكم لهمدان حى أهل العراق فاصبروا وهبوا لى جماجمكم ساعة من النهار فقد يبلغ الحق مقطعه (١٦٦) ، وأرادت عك أن لا تفوت الفرصة دون مغنم تغنمه فقال ابن مسروق العكى لقومه : امهلونى حتى آتى معاوية فأتاه ومعه رجل من الأشعريين فقال العكى : يا معاوية اجعل لنا فريضة ألفى رجل فى ألفين ومن هلك فابن عمه مكانه لنقر اليوم عينك ، وطلب الأشعرى أن يقطعهم معاوية حوران والبثنية (١٦٧) تكون لهم طعمة ولعقبهم من بعدهم (١٦٨) ولأن معاوية كان فى موقف لا يحسد عليه فقد وافق عكا والأشعريين وأعطاهم ما طلبوا (١٦٩) مع علمه بأن ذلك قد يفتح عليه بابا هو فى غنى عنه ، وكانت عك والأشعريون أول القبائل العربية التى حددت وطالبت صراحة بمقابل مادى نظير قتالها منذ أن خرجت القبائل للفتوح وحتى حرب صفين ففتحوا باب الكلام أمام القبائل فى ذلك وحذت بعضها حذو عك والأشعريين فى المطالبة بالفرائض والقطائع ، فلما اشترطوا ما اشترطوا من الفريضة والعطاء وأعطاهم معاوية لم يبق من

---

(١٦٤) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٤٦ .

(١٦٥) ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(١٦٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٣٣ .

(١٦٧) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار قصبتها بصرى ، والبثنية بلدة خصبة معروفة بالشام من نواحى دمشق . ياقوت معجم البلدان : جـ ١ ص ٣٣٨ ، جـ ٢ ص ٣١٧ .

(١٦٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٣٣ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(١٦٩) ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ١٣٢ .

أهل العراق أحد فى قلبه مرض الا طمع فى معاوية وشخص ببصره اليه حتى فشا ذلك فى الناس وبلغ عليا فساءه وقال شاعر أهل العراق يذم عكا والأشعريين على فعلهم ٠

ان عكا سألوا الفرائض والأشعر سألوا حوران والبثنية
تركوا الدين للعقار والفرض فكانوا بذاك شر البرية
ولأهل العراق أعرف بالله وبالدين والأمور السنية (١٧٠)

لما رجع ابن مسروق العكى والأشعرى الى قومهم وأخبروهم الخبر فرحت عك والأشعريون وقالوا : نحن لهمدان وتقدموا اليهم مكشرين عن أنيابهم فلما رآهم سعيد بن قيس سيد همدان علم أن عكا والأشعريين لن يوقفهم عن زحفهم سوى تعجيزهم عن الحركة بضرب سيقانهم وأرجلهم فصاح بهمدان : أن خدموا ، فأخذت السيوف سيقان القوم فنادى أبو مسروق العكى : « برك كبرك الجمل » ، فبركوا تحت الحجف اتقاء لضرب همدان فى أرجلهم وشجروهم بالرماح وقائلهم يقول :

يدعون همدان وندعو عكا نفسى فداكم يال عك بكا
ان خدم القوم فبركا بركا لاتدخلوا نفسى عليكم شكا (١٧١)

فلما تقصفت رماحهم صاروا الى السيوف وتجالدوا حتى أدركهم الليل فصاحت همدان : يا معشر عك انا والله لا ننصرف حتى تنصرفوا وقالت عك والأشعريون مثل ذلك تطالب همدان بانصرافها أولا ووقف القوم يتناطحون فأرسل معاوية الى عك والأشعريين : « أبروا قسم القوم وهلموا » فانصرفت عك والأشعريون ثم انصرفت همدان وقال عمرو : يا معاوية لم أر كاليوم قط ولو أن معك حيا كعك والأشعريين ومع على حى كهمدان لكان والله الفناء (١٧٢) ٠

---

(١٧٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٣٥ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٣٢ ٠

(١٧١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٣٤ ٠

(١٧٢) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٤٣٤ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٥٥ ٠

١٦ ـ قضـــاعة :

لم تكن قبائل قضاعة (١٧٣) في جيش معاويه على حماس لقضيته في حرب علي بن أبي طالب ولذلك كانوا يقاتلون على التراخي كلما عن لهم ذلك طمعا في العطاء والفريضة ، ففي معمعة القتال افتقد معـاوية راية قضاعة فقال لغلام يقف على رأسه : اذهب الى النعمان بن جبلة القضاعي وقل له ما يجلسك عن الخروج وقد زحفت الرايات ؟ والله لقـد هممت أن أول أمر قضاعة من هو أفصح منك حيـا وأقل منك عيبـا (١٧٤) . فانطلق الغلام الى النعمان بهذه الرسالة فلم يك بأسرع من أن خرجت كراديس قضاعة يقدم بعضها بعضا حتى وقفوا في موقفهم وأقبل النعمان ابن جبلة الى معاوية فلما رآه عرف الغضب في وجهه وقال : اللهم اني أعوذ بك من شر سنان هذا المقبل ، فلما دنا النعمان من معاوية نزل عن فرسه وجلس مطرقا لا يتكلم وقد احتمي بحبائل سيفه فقال له معاوية يا أبا المنذر ما الذى أجلسك اليوم عن العدو وقد زحفت الرايات وغدت القبائل الى مواقفها وأنتم تعلمون يا معشر قضاعة أنكم أعيان عسكرى هذا وثقاتي في نفسي ؟! فقال له النعمان : يا معاوية اننا لو كنا نعدو الى جيش مصنوع واناء موضوع لكان في ذلك بعض الأناة فكيف وانما نعدو الى سيوف قاطعة ورماح مشرعة وقوم ذوى بصائر نافعة فلابد لنا من أن نأخذ لذلك أهبة وزعمت أنك تولى أمر قضاعة من هو أنصح مني جيبا وأقل مني عيبا ، أما والله يا معاوية لقد نصحتك عن نفسي وآثرت ملكك على ديني وقتلت فيك عشيرتي وتركت لهواك رشدى وأنا أعرفه وحدت عن الحق وأنا أبصره قال معاوية : أبا المنذر اني لم أرد بك هذا كله ولكن أى رشد أرد وأى حق أحق من طلبك دم الخليفة المظلوم وذبك عن الحريم (١٧٥) فقال النعمان : لا والله يا معاوية ما وفقت لرشادى اذ أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله ﷺ وهو أول مؤمن وأول مهاجر معه ولو أعطيناه من

---

(١٧٣) قضاعة : شعب ضخم من حمير من العرب القحطانية غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم قضاعة وهم : بنو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير ، كان لهم ملك ما بين الحجاز والشـام واستعملهم الروم على بادية العرب قبل الاسلام وهم الذين أرسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص ليغزوهم في ذات السلاسل سنة ٧ هـ .

ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٢ ص ٧١ ـ ٧٣ ، ابن صاعد : طبقات الأمم : ص ٤٣ ، ابن حزم : الجمهرة ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٢ ص ٢٤٩ ، ابن منظور : لسان العـرب : جـ ١٠ ص ١٤٩ ابن دريد : الاشـتقاق : ص ٣١٣ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٥٨ ، Ency. de L'Islam tome 2, p. 1157.

(١٧٤) ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٦٦ .

(١٧٥) ابن أعثم : الفتوح جـ ٢ ص ٦٧ .

أنفسنا مثل الذى أعطيناك لكان أرأف بالرعية وأجزل للعطية وأنفذ فى القضية وأقسم بالسوية وأبعد من الدنية والعصية ، ولكننا بذلنا لك أمرا لابد من تمامه غيا كان أم رشدا (١٧٦) ثم قام عنه واذا بكردوسين عظيمين من أصحاب على قد خرجا أحدهما قبائل مذحج وفيهم الأشتر النخعى والآخر همدان وفيهم سعيد بن قيس الهمدانى فنكى هذان الكردوسان فى أهل الشام نكاية شديدة حتى كادوا أن يتضعضعوا وأرسل معاوية الى النعمان بن جبلة القضاعى يقول : لله أنت أبا المنذر ألا ترى ما صنع بنا هذان الكردوسان فى هذا اليوم ؟ أنت لهم لله درك ، فأرسل اليه النعمان : ادع لهما من هو أفصح منى جيبا وأقل منى عيبا ، فقال معاوية لعمر بن مرة الجهنى والحارث بن نمر الجرمى : (١٧٧) قوما الى ابن عمكما فاطلبا اليه أن يلق هذين الكردوسين بقومه من عشيرته من قضاعة فليس لهم سواه فقال له عمر بن مرة والله يا معاوية انك لتقصر بنا فى الخلاء وتضسح بنا فى الملأ وتميل علينا فى الأهواء وتدعونا لكل كتيبة خشناء ، قال معاوية : ليس هذا خبر شاف فقد أخذت السيوف هام الرجال فقوما الى ابن عمكما · فقاما اليه وكلماه وسألاه أن يخرج بقومه الى الكردوسين فقال : أفعل ذلك ولا أردكما (١٧٨) وضرب بيده الى راية قومه وقال لهم : انا سنقاتل عن الغوطة وعنبها وزينونها اذ قد حرمنا الجنة ونعيمها وحور عينها وحمل النعمان بن جبلة القضاعى فى قومه من قضاعة وحمل الأشتر وسعيد بن قيس فى قومهما من مذحج وهمدان فتجالدوا من أول وقتهم ذلك الى الليل وقتل النعمان بن جبلة ومعه جماعة من أصحابه ثم تحاجز الفريقان وقد فاتتهم الصلوات وبلغ معاوية قتل النعمان فاسترجع وأبدى جزعا شديدا وكان يحب أن يقتل لما كان من عزوفه عنه (١٧٩) ·

١٧ ـ همدان :

استبسلت همدان فى القتال مع على بن أبى طالب بما لم يبد من القبائل الأخرى فى الحرب شاما وعراقا ودوخوا معاوية ومن معه وأذاقوهم الأمرين حتى أن معاوية نادى فى أحياء اليمن التى كانت معه قائلا : عبوا

---

(١٧٦) ابن أعثم : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٦٧ ·

(١٧٧) نسبة الى جرم بن حلوان بن عمران بن الحافى بن قضاعة · ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥١ ـ ٤٥٢ ·

(١٧٨) ابن أعثم : الفتوى : جـ ٢ ص ٦٧ ·

(١٧٩) المصدر نفسه : جـ ٢ ص ٦٨ ·

الى كل فارس مذكور فيكم أتقوى به على هذا الحى من همدان (١٨٠) فخرجت اليه خيل عظيمة فلما رآها على عرف أنها عيون القوم تقصد درته همدان فنادى : يا لهمدان فأجابه سعيد بن قيس ، فطلب منه أن يبادر خيل الشام بالهجوم فحمل حتى خالط الخيل واشتد القتال وارتد المهاجمون حتى لحقوا بمعاوية الذى صاح : « يا ويل ما نلاقى من همدان » وجزع جزعا شديدا اذا وقع القتال فى فرسان أهل الشام ، وجمع على همدان ليثنى عليهم فقال : يا معشر همدان أنتم درعى ورمحى ما نصرتم الا الله ولا أجبتم غيره فقال سعيد بن قيس الهمدانى : أجبنا الله وأجبناك ونصرنا نبى الله ﷺ فى قبره وقاتلنا معك من ليس مثلك فارم بنا حيث شئت (١٨١) فطلب اليهم على أن يكفوه أهل حمص (١٨٢) وكلهم يمانية معظمهم من كندة (١٨٣) لقى منهم عنتا ورهقا شديدا فتقدمت همدان وشدوا شدة واحدة على أهل حمص وضربوهم ضربا متداركا بالسيوف وعمد الحديد حتى ألجئوهم الى قبة معاوية (١٨٤) ورجعت همدان الى مكانها وكانت فيهم سودة بنت عمارة بن لاسك الهمدانية تحض قومها على القتال وتخص أخيها قالت :

شمر لقتل أخيك يا ابن عمارة يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر عليا والحسين وصنوه وأقصد هندا وابنها بهوان
ابن الامام أخو النبى محمد علم الهدى وعصمة الايمان (١٨٥)

وكان لذلك أثره في أن ضيق عليهم معاوية فى خلافته فقتل بسر ابن أبى أرطأة والى العراق بعض رجالهم وأخذ أموالهم وسامهم الذل والخسف مما جعل سودة بنت عمارة الهمدانية تحتج لدى معاوية على ظلم واليه لهم وأغلظت له فى القول حتى رفع الظلم عن أهلها (١٨٦) .

---

(١٨٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٣٧ .
(١٨١) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٤٣٧ .
(١٨٢) ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٥٤ .
(١٨٣) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٤٣ ، ٢١١ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٧٩ ، الميدانى : مجمع الأمثال : جـ ١ ص ٢٩٤ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ، ص ٣٤٢ .
(١٨٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٢٨ .
(١٨٥) ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٦٢ .
(١٨٦) انظر قصة مقابلة سودة لمعاوية فى قصره بدمشق والحوار الذى دار بينهما : ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ١ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

١٨ ـ الأنصار :

كان الأنصار من الأوس والخزرج (١٨٧) فى حرب صفين مع على ابن أبى طالب دون معاوية بن أبى سفيان الذى لم يكن معه منهما سوى رجلين هما : النعمان بن بشير بن سعد الأنصارى (١٨٨) ومسلمة بن مخلد الأنصارى (١٨٩) فكان تجمعهم لنصرة على وكأنهم آلوا على أنفسهم الا أن يعيدوا مجدهم وكما نصروا رسول الله ﷺ ينصرون ابن عمه الذى تربى فى حجره ولازمه غلاما وشابا ورجلا وكان ختنه على ابنته فاطمة وله منها العقب فقاتلوا معه قتال الأبطال (١٩٠) حتى أن معاوية دعا النعمان ابن بشير ومسلمة بن مخلد وقال لهما : يا هذان والله لقد غمنى ما لقيت من الأوس والخزرج فقد صاروا واضعى سيوفهم على عواتقهم يدعون الى النزال حتى جبنوا أصحابى الشجاع منهم والجبان وصرت ما أسأل عن فارس من أهل الشام الا قالوا قتله الأنصار، أما والله لألقينهم بحدى وحديدى ولأعبين لكل فارس منهم فارسا ينشب فى حلقه ثم لأرمينهم بأعدادهم من

---

(١٨٧) انظر أنساب الأوس والخزرج وبطونهم : العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٦١ ـ ٦٥ وسبق ذكرها فى أنساب الأزد .

(١٨٨) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس بن زيد بن مالك الأغر من بنى كعب من الخزرج وبشير بن سعد بدرى عقبى وهو أول من بايع أبا بكر يوم الثقيفة واستشهد بعين التمر وكان مع خالد بن الوليد يوم افتتاحها وله من الولد : ابراهيم وهو شاعر مكثر والنعمان بن بشير أول مولود للأنصار بعد الهجرة حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد صفين مع معاوية وولى له اليمن وولى الكوفة ليزيد وحمص لابن الزبير وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة وكان له من الولد : محمد وشبيب وأبان وبشير وابراهيم ويزيد وعبد الله وحميدة تزوجها بروح بن زنباع ثم الفيض بن أبى عقيل الثقفى وكانت شاعرة مجيدة هجت زوجها هجاء كثيرا وكان للنعمان عقب كثير منهم قوم بالأندلس بقرية شوش الأنصار من أشبيلية وهم بنو عبد السلام بن سرى وقتل النعمان بحمص فى عهد مروان بن الحكم لأنه كان قد شايع ابن الزبير « لا رضى الله عن قاتله » .

البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٢٤٤ ، ابن حزم : الجمهرة ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(١٨٩) اسمه مسلمة بن مخلد بن الصامت بن نيار بن لوذان بن عبد ود بن ثعلبة بن الخزرج وهو أحد قتلة محمد بن أبى بكر ، له صحبة قتل أبوه يوم بعاث وولى مصر لمعاوية ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٦٦ .

(١٩٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤٥ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ، ص ١٠٩ .

قريش رجال لم يغذهم التمر والطفيشل (١٩١) يقولون : نحن الأنصار ويدعون الله ، فقد والله آووا ونصروا ولكن أفسدوا حقهم بباطلهم (١٩٢)، فلما انتهى معاوية غضب غضب النعمان بن بشير من كلامه وقال له مدافعا عن قومه يا معاوية لا تلومن الأنصار بسرعتهم في الحرب فانهم كذلك كانوا في الجاهلية وأما دعاؤهم الله فقد رأيتهم مع رسول الله ﷺ يفعلون ذلك كثيرا وأما لقاؤك اياهم في أعدادهم من قريش فقد علمت ما لقيت قريش منهم قديما فان أحببت أن ترى منهم مثل ذلك آنفـا فافعل ، وأما التمر فكان لنا فلما ذقتموه شاركتمونا فيه وأما الطفيشل فكان لليهود فلما أكلنـاه غلبنـــاهم كما غلبت قريش على السخينة (١٩٣) ، ثم تكلم مسلمة بن مخلد فقال : يا معاوية ان الأنصار لاتعاب أحسابها ولا نجداتها، وأما غمهم اياك فقد والله غمونا ولو رضينا ما فارقنا جماعتهم ولكن حملنا لك ذلك ورجونا منك عوضه وأما التمر والطفيشل فانهما يجزاك عليك نسب السخينة والخرنوب (١٩٤) ، ولما انتهى الكلام الى الأنصـــار في جيش على جمع قيس بن سعد الأنصارى (١٩٥) قومه وقام فيهم خطيبا قال : ان معاوية قد قال ما بلغكم وأجاب عنكم صاحباكم فلعمرى لئن غظتم معاوية اليوم فلقد غظتموه بالأمس وان وترتموه فى الاسلام فقد وترتموه فى الشرك ومالكم اليه من ذنب أعظم من نصر هذا الدين الذى أنتم عليه فجدوا اليوم جدا تنسونه به ما كان أمس ، ويعيرنا بالتمر فانا لم نغرسه ولكن

---

(١٩١) الطفيشل : ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجزر والعسل وقيل : هو كل طعام من الحبوب كالعدس وغيره وكان من طعام أهل المدينة ·

الجاحظ : الحيوان : جـ ٢ ص ٢٤ ، جـ ٥ ص ٢٢٦ وحواشيهما ، ابن سيده : المخصص : كتاب الطعام جـ ٤ ، ص ١٢٠ ·

(١٩٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤٦ ·

(١٩٣) السخينة : طعـام يتخذ من دقيق وسـمن وقيل من دقيق وتمر وهو اغلظ من الحساء وأرق من العصيدة وكانت قريش تكثر من أكلها فعيرت بها حتى سموا « سخينة » ·

الجاحظ : البخلاء : ص ٣٢ ، الأبشيهى : المستطرف فى كل فن من مستظرف : جـ ١ ص ٣٦٨ ، ابن سيده : المخصص : كتاب الطعام : جـ ٤ ص ١١٩ ، ١٣٥ ، ابن عبد الهادى : كتاب الطبيخ ص ٢٣٣ ·

(١٩٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٤٤٦ ·

(١٩٥) قيس بن سعد هو ابن سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن ابى خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بدرى عقبى ، نقيب ، سيد ، كان له ولدان : قيس وسـعيد ، ولى قيس مصر لعلى بن أبى طالب وكان بمنزله صاحب الشرطة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وولى سعيد اليمن لعلى وله عقب بالأندلس بقرية يقال لها قريلان من عمل سرقسطة : ابن حزم : الجمهرة ، ص ٣٦٥ ·

غلبنا عليه من غرسه وأما الطفيشل فلو كان طعامنا لسمينا به كما سميت قريش السخينة ، ثم قال قيس بن سعد فى نهاية خطبته للأنصار يتوعد معاوية :

يا ابن هند دع التوثب في الحرب ... اذا نحن في البلاد نأينا
نحن من قد رأيت فادن اذا شئت ... بمن شئت في العجاج الينا
فالقنا في اللفيف تلقك في الخزرج ... ندعو في حربنا أبوينا (١٩٦)

اعتبر معاوية شعر قيس بن سعد شتما له فدعا عمرو بن العاص وقال له : ما ترى في شتم الأنصار ؟ قال : أرى أن توعد ولا تشتم وما عسى أن تقول لهم ؟! اذا أردت ذمهم فذم أبدانهم ولا تذم أحسابهم فقال معاوية : ان خطيب الأنصار قيس بن سعد يقوم كل يوم خطيبا وهو والله يريد أن يفنينا غدا ان لم يحبسه عنا حابس الفيل فما الرأى ؟ قال عمرو : ليس هناك غير التوكل والصبر (١٩٧) ، فسأل معاوية النعمان بن بشير أن يخرج الى قيس بن سعد فيعاتبه ويسأله السلم فخرج النعمان حتى وقف بين الصفين وقال : يا قيس انه قد أنصفكم من دعاكم الى ما رضى لنفسه ، ألستم معشر الأنصار تعلمون أنكم أخطأتم فى خذل عثمان يوم الدار وقتلتم أنصاره يوم الجمل وأقحمتم خيولكم على أهل الشام بصفين فلو كنتم اذا خذلتم عثمان خذلتم عليا لكانت واحدة بواحدة ولكنكم خذلتم حقا ونصرتم باطلا ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى أعملتم في الحرب ودعوتم الى المبارزة ثم لم ينزل بعلى أمر قط الا هونتم عليه المصيبة. ووعدتموه الظفر وقد أخذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم فاتقوا الله فى البقية (١٩٨) • فلما انتهى النعمان من كلامه رد عليه قيس بن سعد قائلا : ما كنت أراك يا نعمان تجترىء على هذه المقالة انه لا ينضح أخاه من غش نفسه وأنت والله الغاش الضال المضل ، أما ذكرك عثمان فان كانت الأخبار تكفيك فخذها منى : واحدة قتل عثمان من لست خيرا منه وخذله من هو خير منك وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث ، وأما معاوية فوالله لو اجتمعت عليه العرب قاطبة لقاتلته الأنصار ، وأما قولك انا لسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله ﷺ نتقى السيف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم

(١٩٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٤٤٧ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ، ص ١٠٩ •

(١٩٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٤٤٨ •

(١٩٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٤٤٩ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ، ص ١٠٩ •

كارهون ولكن انظر يانعمان هل ترى مع معاوية الا طليقا أو أعرابيا أو يمانيا مستدرجا بغرور ؟! ، أين المهاجرون والأنصار والتابعون باحسان الذين رضي الله عنهم ؟! ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك ولستما والله ببدريين ولا عقبيين ولا أحديين ولا لكما سابقة في الاسلام ولا آية في القرآن ، ولعمري لئن شغبت علينا فلقد شغب علينا أبوك ، فلما انتهى قيس بن سعد من رده على النعمان بن بشير دعاه علي وأثنى عليه خيرا وسوده على الأنصار (١٩٩) .

١٩ ـ جزع أهل الشام على قتلاهم :

أنشبت الحرب أظافرها في أهل العراق وأهل الشام ولم يعد للقوم منجى الا أن يدركهم الله برحمته وجزع أهل الشام على قتلاهم جزعا شديدا بعد أن فقدوا الملوك والزعماء والأعلام فقال معاوية بن خديج الكندي (٢٠٠) يبكي سادة اليمن : يا أهل الشام قبح الله ملكا يملكه المرء بعد حوشب وذي الكلاع والنعمان بن جبلة والله لوظفرنا بأهل العراق بعد قتلهم بغير مؤنة ما كان ظفر (٢٠١) ، وقال يزيد بن انس لمعاوية بن أبي سفيان لا خير في أمر لا يشبه أوله آخره لا يدمل جريح ولا يبكي على قتيل حتى تنجلي هذه الفتنة . فقال معاوية : يا أهل الشام ما جعلكم أحق بالجزع على قتلاكم من أهل العراق على قتلاهم فوالله ما ذو الكلاع فيكم بأعظم من عمار بن ياسر فيهم ولا حوشب فيكم بأعظم من هاشم فيهم وما عبيد الله بن عمر فيكم بأعظم من بديل فيهم وما الرجال الا أشباه وما التمحيص الا من عند الله (٢٠٢) فأبشروا فان الله قد قتل من القوم ثلاثة : قتل عمار بن ياسر (٢٠٣) وهو كان فتاهم وقتل هاشما وكان

---

(١٩٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤٩ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ١٠٩ .

(٢٠٠) اسمه معاوية بن حديج بن قتيرة بن حارثة بن عبد شمس من بني اشرس بن شبيب بن السكون من كندة من العرب القحطانية ، يكنى ابا نعيم له صحبة وبمصر عقب . ابن حزم : الجمهرة ، ص ٤٢٩ .

(٢٠١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٥٥ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ، ص ١٥٩ .

(٢٠٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٤٥٥ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ، ص ١٥٩ .

(٢٠٣) انظر قصة مقتل عمار بن ياسر في موقعة صفين وما قيل فيها : الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ٤١ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، ابو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ، ص ٣٤٨ ـ ٣٥٤ .

جمرتهم وقتل بديل وهو فاعل الأفاعيل وبقى الأشعث من كندة والأشتر من مذحج وعدى بن حاتم من طيء فأما الأشعث فحماه مصره وأما الأشتر وعدى فغضبا للفتنة والله قاتلهما غدا ان شاء الله • فقال ابن حديج : ان يكن الرجال عندك أشباهها فليست عندنا كذلك فغضب معاوية منه (٢٠٤) ، ولكن الجزع لم يغن عن الحرب شيئا وكل طرف يظن أن النصر سوف يأتيه غدا أو أن الله سوف يجعل لهم مخرجا ومرت الأيام ثقيلة عليهم بسواد نهارها وحلوك ليلها المفعم بالدماء دون بادرة تخلصهم مما وقعوا فيه بعد أن أكلتهم الحرب أكل النار فى الهشيم •

٢٠ ـ ليلة الهرير ونهاية حرب صفين :

فى يوم الثلاثاء العاشر من شهر ربيع الأول سنة ٣٧ هـ ـ ٦٥٧ م كانت ليلة الهرير (٢٠٥) وهى آخر ليلة فى حرب صفين من أشد الأيام هولا فى الوقائع كلها (٢٠٦) وشبهت بالقادسية ، فيها عبأ على بن أبى طالب قبائل العراق عن بكرة أبيهم بقضهم وقضيضهم للزحف على أهل الشام للنيل منهم وحسم الصراع لصالحه بعد أن رأى الحرب قد أكلت الفريقين وأن الناس قد سئموا القتال وتضعضعت أركانهم بعد مائة وعشرة من الأيام طحنا وقتلا ودماء ، كان الأمر فى أهل الشام أشد نكاية وأعظم

(٢٠٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٥٥ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ١٥٩ ، ١٦٠ •

(٢٠٥) ليلة الهرير : هو آخر ليلة فى حرب صفين وقد استمر فيها القتال طوال الليل حتى مطلع اليوم التالى ومعناها : الليلة الشرسة المكروهة لكثرة ما كان فيها من عنف الحرب وسفك الدماء ، وأصل التسمية يرجع الى ما ذكره ابن منظور من أن هرير الكلب : صوته وهو دون النباح من قلة صبره على البرد فلعلها سميت بذلك لتشابه هذا الصوت مع همهمات المقاتلين تحت جنح الظلام حيث شبه به نظر بعض الكماة الى بعض فى الحرب وقد يقصد بها الشراسة فيقال هر الكلب هريرا اذا نبح وكشر عن أنيابه وكذلك الذئب اذا كشر عن أنيابه كناية عن الشراسة ، وقد يطلق لفظ الهرير على صوت غير الكلب لقولهم : انى سمعت هريرا كهرير الرحى أى صوت دورانها فلعل الرحى فى هذه الليلة شبهت بدوران الرحى التى طحنت القوم ، أما هر الشر يهره هرا وهريرا أى كرهه ، وهر فلان الكأس والحرب أى كرهها قال عنترة العبسى فى هذا المعنى •

حلفنا لهم والخيل تردى بنا معا   نزايلكم حتى تهروا العواليا

وقال الأعشى فى ذلك أيضا :

أرى الناس هرونى وشهر مدخلى   ففى كل ممشى أرصد الناس عقربا

ابن منظور : لسان العرب : جـ ٧ ص ١٢١ ، ١٢٢ •

(٢٠٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٧٣ •

وقعـــا ومع ذلك فقـــد عبـــأت قبـــائل الشام عن آخرها لملاقاة أهـــل العراق (٢٠٧) ٠

وبينما القوم يتأهبون للقتال اذ خرج رجل من أهل الشام مشفقا على الناس مما هم مقدمون عليه من الفتك والابادة ورأى أن يقوم بمحاولة أخيرة لحقن الدماء وانقاذ ما يمكن انقاذه فصاح بين الصفين : يا أبا الحسن ابرز الى ، فخرج اليه على حتى اذا اختلف أعناق دابتيهما قال : يا على ان لك قدما فى الاسلام وهجرة فهل لك فى أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء وتأخير هذه الحروب حتى ترى من رايك ٠ قال له على وما ذاك ؟ قال الرجل : ترجع الى عراقك فنخلى بينك وبين العراق ونرجع الى شامنا فتخلى بيننا وبين شامنا ٠ فقال له على : انما عرضت هذا نصيحة وشفقة ولقد أهمنى هذا الأمر وأسهرنى حتى منعنى النوم وضربت ظهره وبطنه وأنفه وعينه فلم أجد الا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد ﷺ وأن الله تبارك وتعالى لا يرضى من اوليائه أن يعصى فى الأرض وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، وقد وجدت القتـــال أهون على من معالجة الأغلال فى جهنم ، وأيم الله لوددت أننى فديت دماء المسلمين بمهجتى ، ولكن قولوا لصاحبكم نخرج الى هذه الصحراء ثم انى أدعو الله ويدعو هو أن يقتل المحق منا المبطل ثم انى أبارزه فاينا قتل صاحبه ملتم معه بأجمعكم ٠ فلما سمع الشامى ذلك عاد من حيث أتى وهو يقول : « **انا لله وانا اليه راجعون هلكت العرب ورب محمد** » (٢٠٨) وذلك لأنه يعلم أن معاوية لا يبارز عليا لأنه لم يبارز أحدا قط الا قتله (٢٠٩) ٠

زحف الناس الى بعضهم فتراشقوا بالنبل والحجارة حتى فنيت ، فتطاعنوا بالرماح حتى تكسرت وانـــدقت فمشوا الى بعضهم بالسيوف وعمد الحديد ولم يعد يسمع السامع الا تغمغم الرجال ووقع الحديد بعضه على بعض وكسفت الشمس وثار القتـــام وضلت الألوية والرايات ومرت مواقيت أربع صـــلوات لم يسجد لله فيهن الا تكبيرا ونادى ناس من الحفاظ : يا معشر العرب الله الله فى الحرمات من النساء والبنات (٢١٠) ،

---

(٢٠٧) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٤٢ ـ ٤٨ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٦٠ ، ١٦١ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ٠

(٢٠٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، الدينورى : الاخبار الطوال : ص ١٩١ ٠

(٢٠٩) ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٦٠ ٠

(٢١٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٧٥ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٤٦ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ١٧٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٥٥ ٠

وبرز الأشتر النخعي في جيش العراق شعلة من النشاط يسير فيما بين الميسرة والميمنة فيأمر كل قبيلة أن تحمل على التي تليها (٢١١) ولم يحجز القوم انتهاء النهار عن القتال فاستمروا فيه من نصف الليل الثاني الى ارتفاع الضحى والأشتر يسير بين القبائل يقول : الا من يشرى نفسه لله ويقاتل مع الأشتر حتى يظهر أو يلحق(٢١٢) بالله ، فتلاحقت اليه الناس تخرج اليه وتقاتل معه فشد على أهل الشام حتى ألجأهم الى عسكرهم فلما رأى على الظفر قد جاء من قبله صار يمده بالرجال فطحنت رحى مذحج عكا ولخما وجذاما والأشعريين وأصاب الجميع أمر عظيم تشيب منه النواصي من حين ارتفعت الشمس في السماء حتى قام قائم الظهيرة في اليوم التالى (٢١٣) وعندها صاح على في بقية القوم يحرضهم على القتال : حتى متى نخلى بين هذين الحيين وقد فنينا وأنتم وقوف تنظرون اليهم ؟! أما تخافون مقت الله ؟ . فاندفع الجميع الى القتال وجعلت كندة العراق تقاتل كندة الشام وطيء لطيء ومذحج لمذحج والأزد للأزد وهمدان لهمدان وتميم لتميم وبجيلة لخثعم وكل قوم صرفوا الى أهلهم (٢١٤) وما افترقوا الا عن ثلاثة آلاف قتيل في ذلك اليوم وتلك الليلة المشئومة وهي ليلة الهرير آخر أيام وليالي حرب صفين قتل فيها من أصحاب على ما بين سبعمائة الى ألف وضعفهم من أهل الشام وكانت جملة القتلى خمسة وأربعين ألفا من أهل الشام وخمسة وعشرين ألفا من أهل العراق بما مجموعه سبعين ألفا من الطرفين تقريبا (٢١٥) .

خطب الأشعث الكندى ليلة الهرير في أصحابه من كندة يحذرهم الفناء قال : « .. قد رأيتم يا معشر المسلمين ما كان في يومكم الماضى وما قد فنى فيه من العرب فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط ألا فليبلغ الشاهد الغائب انا ان نحن تواقفنا غدا انه لفناء العرب وضيعة الحرمات أما والله ما اقول هذه المقالة جزعا من الحتف ولكنى رجل مسن أخاف على النساء والذرارى غدا اذا فنينا .

---

(٢١١) ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٦٠ ، ابو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٦ .

(٢١٢) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٤٧ .

(٢١٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٧٧ : الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٤٧ ، ابن الاثير : التاريخ : جـ ٣ ص ١٦٠ .

(٢١٤) ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٨٣ .

(٢١٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٥٨ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٧٨ ، المسعودى : التنبيه والاشراف : ص ٢٩٥ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٢٤٠ .

اللهم انك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل وما توفيقي الا بالله » (٢١٦) ٠

بلغ معاوية بعد ليلة الهرير أن عليا مجهز عليه من غدة فدعا عمرو ابن العاص وزيره ومستشاره الأول وقال : يا عمرو انما هي الليلة حتى يغدو علي علينا بالفيصل فما ترى ؟ قال : ان رجالك لا يقومون لرجاله ولست مثله هو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء وأهل العراق يخافون منك ان ظفرت بهم واهل الشام لا يخافون عليا ان ظفر بهم ولكن ألق اليهم أمرا ان قبلوه اختلفوا وان ردوه اختلفوا : ادعهم الى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم فانك بالغ به حاجتك في القوم فاني لم أزل أدخر هذا الأمر لوقت حاجتك اليه (٢١٧) وكان معاوية قد بلغته خطبة الأشعث في قومه من كندة فقال : أصاب ورب الكعبة لئن نحن التقينا غدا لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا ولتميلن أهل فارس على نساء أهل العراق وذراريهم وانما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهى (٢١٨) ٠ ثم قال لأهل الشام : اربطوا المصاحف على أطراف القنا وأمرهم أن ينادوا في سواد الليل : يا أهل العراق من لذرارينا ان قتلتمونا ومن لذراريكم ان قتلناكم ٠ الله الله في البقية من الأهل والذرية وأصبح أهل الشام وقد رفعوا المصاحف على رءوس الرماح وقلدوها الخيل والناس على الرايات وقد اشتهوا ما دعوا اليه ورفع مصحف دمشق الأعظم حمله عشرة رجال على رءوس الرماح ونادوا يا أهل العراق : كتاب الله بيننا وبينكم (٢١٩) ، واقبل أبو الأعور السلمي على برذون

---

(٢١٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨٠ ، ٤٨١ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٤٠٠ ـ ٤٠٢ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ١٩١ ٠

(٢١٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٧٧ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ١٧٩ ، ابن قتيبة الامامة والسياسة ج ١ ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ابن الأثير : الكامل : ٣ ص ١٦٠ ٠

(٢١٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨١ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ١٩١ ٠

(٢١٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨١ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ج ١ ص ١٠١ ، ١٠٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٨ ، ابن اعثم : الفتوح : ج٢م ص ١٧٩ ، الدينورى : الاخبار الطوال : ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٠ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٧٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ١٨٠ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة : ج ١ ص ١٨٨ ٠

أبيض وقد وضع المصحف على رأسه ينادى : يا أهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم ثم تلا قوله تعالى : « **ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعـــون الى كتاب الله ليحـــكم بينهم ثم يتـــولى فـريق منهم وهـــم معرضـــون** » (٢٢٠) .

برفع المصاحف وطلب الاحتكام الى كتاب الله بعد ليلة الهرير تنتهى حرب صفين بين قبائل العراق وقبائل الشام وتتوقف أعمال القتل بينهم دون نصر واضح لأى منهما يعلى كلمة أحدهما على الآخر وبذلك تبدأ مرحلة جديدة للصراع السياسى نعتبرها بداية لقيام الدولة الأموية لما وقعت فيه قبائل العراق من الاختلاف والجدل والفرقة والشغب على امامهم فى حين ثبتت قبائل الشـــام على قلب رجل واحد خلف أميرهـــم تنصره وتؤازره ولا تشغب عليه مما أهلها للتميز فاستحقت الظفر وحظيت بشرف الخلافة الجديدة بعد أن عدا أهل العراق على امامهم بالقتل فخلت الساحة لمنافسه معاوية بن أبى سفيان مؤسس دولة بنى أمية الذى رفع من قدر القبائل الشامية وميزهـــا فى العطاء والفىء والغنائـــم لقاء ما قدموه من الأرواح والأموال وحسن الامتثال والطاعة فى وقت ضيعت فيه القبـــائل العراقية كل شىء قدموه فى صفين ونصر كانوا على وشك أن يحرزوه فخـــذلوا امامهم بكثرة قولهم ومخالفتهم وشغبهم وتنازع أهوائهم .

---

(٢٢٠) سورة ال عمران : آية : ٢٣ ، الفخر الرازى : التفسير الكبير : ج ٤ ص ١٤٧ .

الفصل الثالث

دور القبائل العراقية والشامية في قيام دولة بني أمية

أولا ـ أحداث التحكيم :

١ ـ رفع المصاحف واختلاف أهل العراق :

ساهمت القبائل العراقية بدور كبير فى قيام الدولة الأموية دون أن تشعر بذلك ، فبعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من النصر فى آخر معارك صفين وانشقوا على أنفسهم واختلفت أهواؤهم عندما رفع أهل الشام المصاحف وطلبوا التحكيم (١) ولم يتوقف عصيانهم وتمردهم عند هـذا الحد بل تمادوا فى غيهم حتى وقعت الفرقة بينهم (٢) وتهيأت الظروف تماما لسيادة أهل الشام وعندها بدأت المرحلة الأخيرة من الصراع بين على ومعـاوية تلك المرحلة التى شـهدت بزوغ نجم الدولة الأموية على أيدى القبائل العراقية نفسها .

لما طلب أهل الشام الاحتكام الى كتاب الله عز وجل قال على : « اللهم انك تعلم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم انك أنت الحكم الحق المبين » ، واختلف أصحاب على فى الرأى فطائفة قالت : القتال وطائفة

---

(١) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٤٦ .

(٢) انظر ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل : جـ ٤ ص ١١٣ .

قالت : المحاكمة ــ وهم الأغلبية ــ ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا الى حكم الكتاب ، وعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها وحكم الحكمان (٣) ٠

فبينما رأت معظم طيء عليها عدى بن حاتم ومذحج برعامة الأشتر النخعي وخزاعة عليهــا عمرو بن الحمق استمرار القتــال لاخضاع أهل الشام بالسيف رأت كندة وسائر القبائل ايقاف القتال واجابة القوم الى التحكيم ووقف الأشعث بن قيس غاضبا يقول لعلي : « ٠٠٠ انه ليس آخر أمرنا كأوله ٠٠٠ فاجب القوم الى كتاب الله فانك أحق به منهم وقد أحب النــاس البقــاء وكرهــوا القتال والا والله لا يرمى معك يمانى بسهم ولا يضرب معك بسيف أو يطعن برمح » (٤) وقام الناس الى علي فقالوا : أجب القوم الى ما دعوك اليه فاننا قد فنينا ، وكان الأشعث بن قيس فى كندة من أعظم الناس قولا فى اطفاء الحرب والركون الى الموادعة(٥) وكان الأشتر النخعى فى مذحج لا يرى الا الحرب ولا سبيل غير الحرب لاقامة أمر المسلمين (٦) ولكنه سكت على مضض لكثرة القائلين بالتحكيم وضغطهم على الخليفة وأما سعيد بن قيس (٧) فى همدان فكان متذبذب الرأى تارة هكذا وتارة هكذا لا يدرى أيهم يأخذ جانبه وهو على استعداد للانضمام الى الكثرة حين ماج معظمهم وقالوا : أكلتنا الحرب وقتلت الرجال وليس الا الموادعة (٨) وقال قليل : نقاتل اليوم على ما قاتلناهم عليه أمس ثم رجعوا عن قولهم الى الجماعة وعندها قام علي بن أبى طالب فى القوم خطيبا يتحسر على نفسه وعليهم وقال : « انه لم يزل أمرى معكم على ما أحب الى ان أخذت منكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وأخذت من عدوكم فلم تترك وانها فيهم أنكى وأنهك الا أنى كنت أمسك امير المؤمنين فاصبحت اليوم مأمورا وكنت ناهيا فاصبحت منهيا وقد أحببتم البقاء وليس لى أن أحملكم على ما تكرهون » (٩) ٠ فلمــــا انتهى من كلامه قام قائم ربيعة

---

(٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨٢ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ،

(٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨٢ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ، ص ١٦١ ٠

(٥) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ج ١ ص ١٠٢ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ، ص ١٨٠ ٠

(٦) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٩ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ، ص ٤٠١ ٠

(٧) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ ٠

(٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨٤ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ، ص ١٨٣ ٠

(٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨٣ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ، ص ١٨٣ ٠

« كردوس بن هانىء » يحث الناس على طاعة الخليفة فلما انتهى قام قائم بكر «شقيق بن ثور» يطلب الموادعة وكثر الكلام بين الناس (١٠) وعندما أدرك على أن الفرقة قد وقعت فى أهل العراق ولابد من عمل شىء ربما يدرك به ما حل بالقوم فقام خطيبا قال : « عباد الله انى أحق من أجاب الى كتاب الله ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبى معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبى سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وانى أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالا وصحبتهم رجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال وانها كلمة حق يراد بها باطل ، انهم والله ما رفعوها وهم يعرفونها ويعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة فأعيرونى سواعدكم وجماجمكم ساعة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق الا أن يقطع دابر الذين ظلموا » (١١) · فما انتهى على بن أبى طالب من كلامه حتى أتاه زهاء عشرين ألفا من الرجال مقنعين فى الحديد شاكى السلاح سيوفهم على عواتقهم وقد اسودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر (١٢) ابن فدكى التميمى من بنى تميم وزيد بن حصين الطائى فى طىء وعصابة القراء الذين صاروا (خوارج) فيما بعد فنادوه باسمه لا بأمرة المؤمنين قالوا : يا على أجب الى كتاب الله اذا دعيت اليه والا قتلناك كما قتلنا ابن عفان فقال : ويحكم أنا أول من دعا الى كتاب الله وأول من أجاب اليه وليس يحل لى ولا يسعنى فى دينى أن أدعى الى كتاب الله فلا أقبله انما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فانهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه ولكنى قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم وانهم ليس العمل بالقرآن يريدون قالوا : فابعث الى الأشتر ليأتيك(١٣) وكان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف فى مذحج على معسكر معاوية ليدخله ويأتى بالنصر لأهل العراق فارسل على الى الأشتر بالعودة ، فقال الأشتر لرسول على يزيد بن هانىء : ليس هذه بالساعة التى ينبغى لك أن تزيلنى فيها عن موقفى ، انى قد رجوت الله أن يفتح لى فلا تعجلنى ، فرجع يزيد بن هانىء الى على فأخبره بموقف الأشتر وما هو الا قليل حتى ارتفع الغبار وعلت الأصوات من قبل الأشتر النخعى وظهرت له دلائل النصر فقال القوم لعلى : والله ما نراك الا أمرته بالقتال · قال : أرأيتمونى

---

(١٠) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٤٩ ·

(١١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٨٩ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٤٨ ، ٤٩ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ١٨٣ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٦١ ·

(١٢) اسمه مسعر بن فدكى بن اعبد بن اسعد بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم من العرب العدنانية وفدكى بن اعبد هو فارس بنى سعد فى الجاهلية وكان هو وابنه مسعر فى جيش على بصفين ثم صارا من الخوارج · ابن حزم : الجمهرة : ص ٢١٦ ، ٢١٧ ·

(١٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٩٠ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٨٣ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٤٩ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٢ ص ١٦١ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٤ ، ص ٣٥٧ ·

سارّرت رسولي اليه ؟! قالوا : فابعث اليه فليأت الآن والا اعتزلناك (١٤) فصاح علي في يزيد قائلا : اذهب وقل له يقبل فان الفتنة قد وقعت فأتاه وأخبره . فقال الأشتر : ألرفع هذه المصاحف !! أما والله لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع اختلافا وفرقة وأنها من مشورة ابن النابغة — يعني عمرو بن العاص — ثم قال ليزيد بن هانيء : أندع هذا وننصرف عنه ؟!! فقال له يزيد : أتحب أنك ظفرت هاهنا وأمير المؤمنين يسلم الى عدوه ؟ فقال : سبحان الله لا والله ما أحب ذلك . قال : فانهم قالوا : لترسلن الى الأشتر فليأتك أو لنقتلنك بسيوفنا كما قتلنا عثمـان أو لنسلمك الى عدوك (١٥) فأقبل الأشتر حتى انتهى اليهم وصاح فيهم : يا أهل الذل والوهن امهلوني يسيرا فاني قد أحسست بالفتح ، قالوا : اذن ندخل معك في خطيئتك قال الأشتر : فحدثوني عنكم وقد قتل أماثلكم وبقي أراذلكم ، متى كنتم محقين ؟!! حـين كنتم تقتلون أهل الشام !!! فأنتم الآن حين أمسكتم عن القتـال مبطلون ؟!! أم أنتم الآن في امسـاككم عن القتـال محقـون ؟!! فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خـيرا منكم ، في النار ؟!! قالوا : دعنا منك يا أشتر قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله، وانا لسنا نطيعك فاجتنبنا . قال : خدعتم والله فانخدعتم ودعيتم الى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباة السود كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقا الى لقاء الله فلا أرى فراركم الا الى الدنيا ألا فقبحا لكم ، وسبوه وسبهم وضربوا بسياطهم وجه دابته وضرب بسوطه وجوه دوابهم فصاح بهم علي فكفوا ، وقال الأشتر : يا أمير المؤمنين احمل الصف على الصف يصرع القوم — مطالبا بالحرب — فتصايح الناس من تميم وطيء وكندة وغيرهم أن عليا أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ورضي بحكم القرآن ولم يسعه الا ذلك (١٦) . فقال الأشتر : ان كان أمير المؤمنين قد رضي بحكم القرآن فقد رضيت بما رضي به أمير المؤمنين وأقبل الناس يشيعون: قد رضي أمير المؤمنين ، قد قبل أمير المؤمنين وهو ساكت مطرق الى الأرض ولم يسعه الا القبول كارها مضطرا (١٧) .

---

(١٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : جـ ١ ص ١٠٣ ، الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ٤٩ ، المسعودي : مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٠١ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٦١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٢٥٨ ، ابو الفداء : المختصر جـ ١ ص ١٧٧ .

(١٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٩١ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ١٨٣ ، الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٠ ، ابو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٧ .

(١٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٩٢ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ١٩٣ ، الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ٥١ .

(١٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٩٢ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ، ص ١٦١ .

بعث على بن أبى طالب قراء من أهل العراق وبعث معاوية بن أبى سفيان قراء من أهل الشام فاجتمعوا بين الصفين ومعهم المصحف فنظروا فيه وتدارسوه وأجمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن وأن يميتوا ما أمات القرآن ثم رجع كل فريق الى أصحابه وقال الناس : قد رضينا بحكم القرآن وقال أهـل الشـام : فانا قد رضينا واخترنا عمرو بن العـاص حكما وقال الأشعث بن قيس الكندي والقراء الذين صاروا خوارج فيما بعد — يفرضون رأيهم على علي — فانا قد رضينا واخترنا أبا موسى الأشعرى فقال لهم علي : انى لا أرضى بأبى موسى ولا أرى أن أوليه (١٨) فقـال الأشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكى انا لا نرضى الا به فانه قد حذرنا ما وقعنا فيه · قال علي فانه ليس لى برضا وقد فارقني وخـذل الناس عني وهذا ابن عباس أوليه ذلك فقالوا : والله ما نرضى : قال : فانى أجعل الأشـتر · فقال الأشعث بن قيس وهـل سعر علينا الأرض الا الأشتر ؟!!! وهل نحن الا فى حكم الأشتر ! قال علي : وما حكمه ؟ قال : حكمه أن يضرب بعضنا بعضا بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد (١٩)· قال علي : يا قوم : ان معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحدا هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وانه لا يصلح للقرشى الا مثله فعليكم بعبد الله بن عباس فارموه فان عمرا لا يعقد عقدة الا حلها عبد الله ولا يحل عقدة الا عقدها ولا يبرم أمرا الا نقضه ولا ينقص أمرا الا أبرمه فقال الأشعث : لا والله لا يحكم فيها مضريان حتى تقوم الساعة ولكن اجعله رجلا من اليمن اذ جعلوا رجلا من مضر · قال علي : انى أخاف أن يخدع يمانيكم فان عمرا ليس من الله فى شيء اذا كان له فى أمر هوى · قال الأشعث والله لأن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من اليمن أحب الينا من أن يكون بعض ما نحب فى حكمهما وهما مضريان فقال علي : وقد أبيتم الا أبا موسى فاصنعوا ما أردتم اللهم انى أبرأ اليك من صنيعهم (٢٠) ·

وهكذا انقلبت كندة وطيء وتميم وغيرهم من حلفاء الأمس الى أعداء اليوم ، وثارت حفيظة كندة وطيء أن يحكم فيها قرشيان وظهرت عليهم عوارض العصبية فجأة وكأنهم فطنوا الى أن قريش هى التى أوقعت بهم فى صفين ورأوا أنه لابد لها من يمنى وان كره الخليفة حتى ولو لم يكن أهلا لها ، وأبوا الا أن يتمادوا فى عصيانهم وتمردوا وكان هذا طبعهم

---

(١٨) ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ١٩٣ ، الدينورى : الاخبار الطوال : ص ١٩٢ ·

(١٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤٤٩ ، ٥٠٠ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ١٩٤ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٥١ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٦٢ ، ابو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٧ ·

(٢٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٠٠ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ، ص ١٩٤ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : جـ ١ ص ١٠٢ ، الدينورى : الاخبار الطوال : ص ١٩٢ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٤٠٢ ·

الغالب من الخشونة والجفوة والبـداوة فاستحقوا ما أنزله بهم خلفـاء بني أمية من الشدة والبأس طوال عهدهم ٠

لما رضى أهل الشام بعمرو بن العاص ورضى أهل العراق بأبى موسى الأشعرى (٢١) أخذوا في وضع كتاب الموادعة (٢٢) ورضوا بحكم القرآن واتخذ الحكمان دومة الجندل (٢٣) فى رمضان فان لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح(٢٤)وأن يجيء على بأربعمائة من أصحابه فيشهدوا الحكومة وكان ذلك في يوم الأربعـاء لثـلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٣٧ هـ ــ ٦٥٧ (٢٥) ٠

وامعـانا من أهل العراق فى شقاقهم وعصيانهم وتمردهم وتشتت أهوائهم كدأبهم وطبعهم الذى كانت تغلب عليه الخشونة والشقاق فانه لما كتب كتاب الموادعة والرضا بالتحكيم خرج الأشعث بن قيس بذلك الكتاب يقرأه على الناس ويعرضه عليهم فمر به على صفوف أهل الشام وراياتهم بأجمعها من حمير وكندة وعك والأشعرين ولخم وجذام وبجيلة وخثعم وقضاعة وغيرهم فسمعوا ورضوا وأطاعوا (٢٦) لأن هـذه كانت طبيعة القبائل الشامية التى تخلقوا بها من سكناهم للحضر ومجاورة الملوك من الروم والغساسنة فجبلوا على طاعة أمرائهم والبيعة لهم على ذلك ٠ فلما جاء صفوف أهل العراق وراياتهم ومعظمهم من الأعراب الجفاة ليقرأ عليهم الكتاب مر برايات عنزة (٢٧) وكان منهم بصفين مع على اربعة آلاف

---

(٢١) ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٦٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٦٢ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٧ ، ١٧٨ ٠

(٢٢) انظر نص كتاب الموادعة والرضا بالتحكيم بين على بن ابى طالب ومعاوية بن ابى سفيان ٠

نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٠٤ ــ ٥٠٨ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٣ ، ٥٤ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : جـ ١ ص ٩٨ ، ابن ابى الحديد : شرح نهج البلاغة : جـ ١ ص ١٩١ ، احمد زكى صفوت : جمهرة رسائل العرب : جـ ١ ص ٤٣١ ٠

(٢٣) دومة الجندل : حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طيء وكانت به بنو كنانة من كلب ٠

ياقوت معجم البلدان : جـ ٢ ص ٤٨٧ ، ٤٨٩ ٠

(٢٤) أذرح : بلد فى اطراف الشام من اعمال الشراة فى نواحى البلقاء ، ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ ٠

(٢٥) أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ، ص ٣٦٢ ٠

(٢٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥١٢ ٠

(٢٧) عنزة بطن من ربيعة من العرب العدنانية ، انظر ما سبق عنها ٠

رجل مجفف (٢٨) فلما قرأ الكتاب عليهم صاح منهم فتيان أخوان أحدهما يدعى جعد والآخر معدان : « لا حكم الا لله » رافضين ما توصل اليه القوم وحملا على أهل الشام بسيوفهما وقاتلا حتى قتلا على باب رواق معاوية(٢٩) وهما أول من حكم (٣٠) . ثم مر الأشعث بالكتاب على مراد (٣١) فقال صالح بن شقيق المرادى وكان من رؤسائهم :

ما لعلى فى الدماء قد حكم لو قاتل الأحزاب يوما ما ظلم

ثم قال : لا حكم الا لله ولو كره المشركون (٣٢) . ولما جاء الأشعث رايات بنى راسب (٣٣) ليقرأ عليهم صاح فيه رجل منهم : « **ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين** » (٣٤) ، ولما جاء تميم خرج اليهم عروة بن أدية أخو مرداس بن أدية التميمي (٣٥) فقال : أتحكمون الرجال

(٢٨) المجفف : لابس التجفاف وهو من لباس الحرب ، انظر ما سبق فى ذلك .

(٢٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥١٢ .

(٣٠) الخوارج يسمون المحكمة لانكارهم أمر الحكمين وقولهم « لا حكم الا لله » ، فهم يرون انه لا يجب لعلى بن ابى طالب ان يعرض حقه فى الخلافة للتحكيم بين الناس لا سيما ان عثمان رفض التنازل عنها وقتل فى سبيلها وان المعركة وحدها هى التى يجب ان تنطق بحكم الله ، وعرفوا ايضا بالحرورية لما انسحبوا الى حروراء قرب الكوفة واعتزلوا عليا .

ابن حزم : الفصل فى الملل : ج ٤ ص ١١٣ ، ١٥٥ ، البغدادى : الفرق بين الفرق : ص ٥٧ ، النوبختى : فرق الشيعة : ص ٦ .

(٣١) مراد : بطن من مذحج من العرب القحطانية ، انظر ما سبق فى ذلك .

(٣٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين .

(٣٣) بنو راسب بطن من شنوءة من الازد القحطانيـة وهم بنو راسب بن مالك ابن ميدعان بن مالك بن نصر وهو شنوءة بن الازد بن الغوث منهم عبد الله بن وهب الراسبى رأس الخوارج فى وقعة النهروان كان عابدا ذا رأى وفصاحة وشجاعة أدرك النبى صلى الله عليه وسلم وشهد فتوح العراق مع سعد بن ابى وقاص وكان مع على فى حروبه فلما وقع التحكيم وادرك المكيدة فقد صوابه واعتزل امامه وترأس العصيان وحارب عليا فى النهروان سنة ٣٨ هـ ـ ٦٥٨ م فهزم وقتل ولم ينج ممن كان معه سوى تسعة نفر .

ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ص ٧٧ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٤ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٠١ ، النويرى : نهاية الأرب : ج ٢ ص ٣١٣ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٣٩ ، هامش ١ نفس الصفحة ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ج ١ ص ٤١١ .

(٣٤) سورة الانعام : اية ٥٧ . الفخر الرازى : التفسير الكبير : ج ٦ ص ٢٣٦ .

(٣٥) عروة بن ادية ومرداس بن ادية : خارجيان وأدية امهما واليها نسبا وابوهما جرير بن عامر بن عبد كعب من بنى ربيعة بن حنظلة وهم بطن من تميم من العرب العدنانية . وقيل ان عروة هو اول من نطق بـ « لا حكم الا لله » شعار الخوارج كناية عن رفضهم التحكيم الذى رضى به أهل الشام وأهل العراق فى نهاية حرب صفين .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٢٣ .

فى أمر الله ، لا حكم الا لله ، أين قتلانا يا أشعث ؟!! (٣٦) مع أن مسعر ابن فدكى التميمى كان من زعماء القراء المطالبين بوقف القتال حين أباه على فكانت تميم من القبائل المتخبطة كغيرها من أهل العراق ، ثم شد عروة بسيفه ليضرب به الأشعث فأخطاه وضرب عجز دابته فاندفعت به الدابة وصاح الناس : ان امسك يدك فكف ، ورجع الأشعث الى قومه من كندة التى كشرت عن أنيابها لاهانة كبيرها فمشى اليه خلق كثير من مضر واليمن وفيهم الأحنف بن قيس ومعقل بن قيس ومسعر بن فدكى ورجال من تميم فتنصلوا مما وقع من عروة واعتذروا فقبل منهم الأشعث وتركهم وانطلق الى على (٣٧) .

لما جاء الأشعث بن قيس الكندى على بن أبى طالب بعدما وقع من بنى مراد وعنزة وبنى راسب وتميم ما وقع قال له : لقد عرضت الحكومة على صفوف أهل الشـــام وأهل العراق فقالوا جميعـــا قد رضينا حتى مررت برايات بنى راسب ونبذ من الناس سواهم فقالوا : لا نرضى ، لا حكم الا لله ، فلنحمل بأهل العراق وأهل الشام عليهم فنقتلهم(٣٨) فقال على : هل هى راية أو رايتين ونبذ من الناس ؟ قال الأشعث : بلى قال : فدعهم اذ ظن أنهم قليل لا يعبأ بهم فما راعه الا نداء الناس من كل جهة وناحية لا حكم الا لله ، الحكم لله لا لك يا على ، لا نرضى أن يحكم الرجال فى دين الله ، ان الله قد أمضى حكمه فى معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا فى حكمنا عليهم وقد كانت منا خطيئة وزلة حين رضينا بالحكمين فرجعنا وتبنا الى ربنا فارجع أنت يا على كما رجعنا وتب الى الله كما تبنا والا برئنا منك (٣٩) ، قال على : ويحكم أبعد الرضا والميثاق والعهد نرجع أوليس الله تعـــالى قال : « **أوفوا بالعقود** » (٤٠) وقال : « **أوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون** » (٤١) وأبى على أن يرجع وأبت الخوارج الا تضليل

---

(٣٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥١٣ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٤٠٣ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ١٩٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٦٣ .

(٣٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٤١٣ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٤ ص ٣٦٣ .

(٣٨) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٥١٢ .

(٣٩) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥١٤ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٦٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٤ ص ٣٦٦ .

(٤٠) سورة المائدة آية ١ ، الفخر الرازى : التفسير الكبير : جـ ٥ ص ٥٤٤ ، ٥٤٥ .

(٤١) سورة النحل : آية ٩١ ، الفخر الرازى : التفســير الكبير جـ ٩ ص ٦٢٣ ـ ٦٢٦ .

التحكيم والطعن فيه وبرئوا من على وشهدوا عليه بالشرك وبرىء على منهم وعظمت الفتنة فى أهل العراق بينما أهل الشام لا يسمع لهم صوت وانصرف الجميع من صفين الى أوطانهم (٤٢) وعلى أية حال فأيا كان ما وقع فان قبول مبدأ التحكيم فى حد ذاته كان يحمل فى طياته اعترافا ضمنيا بالشك فى أحقية على بن أبى طالب بالخلافة وهو ما رمى اليه كل من عمرو ومعاوية حين أمر الأخير برفع المصاحف بمشورة الأول حتى جاءت لهما الرياح أخيرا بما أحبوا واشتهوا وبما انتزعه عمرو من الاعتراف من أبى موسى فى دومة الجندل على رءوس الأشهاد من أهل الشام والعراق ٠

٢ ـ اجتماع الحكمين بدومة الجندل :

لما حل موعد التحكيم بين أهل الشام وأهل العراق على ما افترقوا عليه فى صفين بعث على أربعمائة رجل الى المكان المتفق عليه فى دومة الجندل وجعل عليهم شريح بن هانىء الحارثى ومعهم عبد الله بن عباس يصلى بهم ويلى أمورهم وفيهم أبو موسى الأشعرى (٤٣) وكان آخر من ودعه الأحنف بن قيس من تميم أخذ بيده ثم قال له ينصحه ويحذره : يا أبا موسى « اعرف خطب هذا الأمر واعلم أن له ما بعده وأنك ان أضعت العراق فلا عراق فاتق الله فانها تجمع لك دنياك وآخرتك واذا لقيت عمرا غدا فلا تبدأه بالسلام فانها وان كانت سنة الا أنه ليس من أهلها ولا تعطه يدك فانها أمانة واياك أن يقعدك على صدر الفراش فانها خدعة ولا تلقه وحده ، واحذر أن يكلمك فى بيت فيه مخدع تخبأ فيه الرجال والشهود » (٤٤) ٠ وكتب شاعر أهل العراق الى أبى موسى يؤكد عليه العهد والايمان ويحذره خطر ما هو مقدم عليه قال :

أبا موسى جزاك الله خيرا ... عراقك ان حظك فى العراق
وانا لا نزال لهم عدوا ... أبا موسى الى يوم التلاق
فلا تجعل معاوية بن حرب ... اماما لنا ما مشت قدم بساق (٤٥)

(٤٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥١٨ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٠٤ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٧ ، ٥٨ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٦٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٦٣ ٠

(٤٣) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٦٧ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢٠٤ ، ابن حزم : الفصل فى الملل : جـ ٤ ص ١٥٦ ، ابن الأثير : جـ ٣ ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، ابن كثير :: البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٦٨ ٠

(٤٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٣٦ ٠

(٤٥) نصر بن مزاحم : المصدر السابق : ص ٥٣٧ ٠

وبعث معاوية عمرو بن العاص فى أربعمـــائة رجل وســـار معه شرحبيل بن السمط الكندى فى خيل عظيمة حتى اذا آمن عليه أهـل العراق ودعه ثم قال : « يا عمرو انك رجل قريش وان معاوية لم يبعثك الا ثقة وانك لن تؤتى من عجز ولا مكيدة وقد عرفت أنى وطأت هذا الأمر لك ولصاحبك فكن عند ظننا » ثم انصرف (٤٦) ٠

لمـــا اجتمع الحكمان فى دومة الجندل كان اذا كتب على بشىء الى صاحبه أتاه أهل الكوفة فقالوا : ما الذى كتب به اليك أمير المؤمنين ؟ فيكتمهم ، فيقولون له : كتمتنا ما كتب به اليك ، انما كتب فى كذا وكذا، ثم يجىء رسول معاوية الى عمرو بن العاص فلا يدرى أحد فى أى شىء جاء ولا فى أى شىء ذهب ولا يسمع حول صاحبهم لغطا ، فأنب ابن عباس أهل الكوفة على ذلك وقال لهم : اذا جاء رسول الله قلتم بأى شىء جاء ؟ فان كتمكم قلتم : لم تكتمنا ؟ لقـد جاء بكذا وكذا فلا تزالون توقفون وتقاربون حتى تصيبوا فليس لكم سر (٤٧) ٠

لما خلا الحكمان الى بعضهما كان رأى أبى موسى فى ابن عمر وكان يردد : « والله لو استطعت لأحيين سنة عمر » وأراده عمرو بن العاص على معاوية فابى وأراده أبو موسى على عبد الله بن عمر بن الخطاب فأبى عليه عمرو (٤٨) ، وكان أبا موسى كان مقـدما على دومة الجندل وهو مضمر لخلع صاحبه فصدق حس على فيه حين رفض تفويضه ولكنه فرض عليه فرضا ، وعندما لم يتوصل الطرفان الى حل يرضى كلاهما سأل عمرو أبا موسى عن الرأى فى ذلك فقال ابو موسى : نخلع هذين الرجلين عليا ومعاوية ثم نجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون لأنفسهم من شاءوا فقال له عمرو : الرأى ما رأيت ، وكان عمرو يقدم أبو موسى فى الكلام دائمـــا ويقول له : انك صحبت رســول الله ﷺ قبلى وأنت أكبر منى فتكلم أولا (٤٩) ، وعوده على أن يقدمه فى كل شىء فاغتره بذلك ليعده لليوم الموعود حين يقدمه ليبدأ بخلع على ، ولما حان وقت خروجهما للناس للافضاء اليهم بما توصلا اليه قدم عمرو بن العاص أبا موسى الأشعرى ليتكلم قبله كما عوده فناداه ابن عباس : ويحك انى لأظنه قد خدعك فان كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه قبلك فيتكلم بذلك الأمر ثم تكلم أنت بعده فان عمرا رجل غدار ولا آمن ان يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك

---

(٤٦) نصر بن مزاحم : المصدر نفسه : ص ٥٣٦ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٦٧ . ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٧ ٠

(٤٧) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٦٧ ٠

(٤٨) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٤٤ ٠

(٤٩) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٧٠ : ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٦٧ . ١٦٨ ٠

وبينه فاذا قمت به فى الناس خالفك (٥٠) ، ولكن أبا موسى لم يكن رجلا حصيفا بالمرة ولم يكن على مستوى الحدث الذى قدم له فى أى وجه من الوجوه وان كان تقيا عبادا ذا صحبة وسابقة الا أنه لم يكن يدرى فى السياسة شيء ولم يكن أهلا للحديث باسم على فرضته يمانية العراق لمجرد أنه رجل من اليمن أعجبتهم تقواه يقارعون به رجلا من مضر وان لم يكن كفئا له وان حكم بما يكرهون حتى لا يحكم فيها مضريان ، فلعله الحقد الكامن على قريش التى راح ضحيتها فى صفين سبعين ألفا من القبائل معظمهم من اليمانية (٥١) .

لم يعبأ أبو موسى بنصيحة ابن عباس له وتقدم للكلام الى النـاس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة فلم نر شيئا هو أصلح لأمرها ولم شعثها من ألا تتباين أمورها وقد أجمع رأيى ورأى صاحبى عمرو على خلع معاوية وأن نستقبل هذا الأمر فيكون شورى بين المسلمين فيولون أمورهم من أحبوا وانى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا من رأيتم له أهلا ثم تنحى وقعـد وقام عمرو ابن العاص مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان هذا قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه عليا وأخرجه من هذا الأمر الذى يطلب وهو أعلم به وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبى معاوية فى الخلافة على وعليكم فانه ولى عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه وان أبا موسى عبد الله بن قيس قد كتب فى الصحيفة أن عثمان قتل مظلوما شهيدا وأن لوليه أن يطلب بدمه حيث كان وقد صحب معاوية رسول الله ﷺ بنفسه وصحب أبوه النبى ﷺ فهو الخليفة علينا وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان(٥٢) فقال أبو موسى : مالك لا وفقك الله قد غدرت وفجرت انما مثلك مثـل الكلب « ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » فقال له عمرو : « انما مثلك مثل الحمار يحمل أسفارا » وحمل شريح بن هانىء من همدان على عمرو فقنعه بالسوط وحمل على شريح ابن لعمرو فضربه بالسوط وقام الناس فحجزوا بينهم (٥٣) والتمس أصحاب على أبا موسى فوجدوه قد ركب

---

(٥٠) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٤٥ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٧٠ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٨ .

(٥١) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٥٨ .

(٥٢) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٧١ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة : جـ ١ ص ١١٣ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٣١ ، أبو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢٠١ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٧٠ .

(٥٣) نصر بن مزاحم : وقعـة صفين : ص ٥٤٦ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ١٩٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٧١ .

ناقته ولحق بمكة فقال ابن عباس : قبح الله أبا موسى قد حذرته وأمرته بالرأى فما عقل • وكان أبو موسى يقول بعدها : قد حذرنى ابن عباس غدرة الفاسق ولكننى اطمأننت اليه وظننت أنه لن يؤثر شيئا على نصيحة الأمة ، ثم انصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية وسلموا عليه بالخلافة فخرج من التحكيم أقوى مما كان (٥٤) ورجع ابن عباس وشريح بن هانىء الى على بخيبة الأمل والرجاء (٥٥) •

ثانيا ـ ضم مصر الى طاعة أهل الشام :

١ ـ الاعداد لغزو مصر :

انتهت موقعة صفين وأحداث التحكيم سنة ٣٧ هـ ـ ٦٥٧ م وقتل الخليفة على بن أبى طالب غيلة على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادى (٥٦) من الخوارج سنة ٤٠ هـ ـ ٦٦١ م (٥٧) وما بين سنة ٣٧ هـ وسنة ٤٠ هـ استجدت على الساحة أحداث ووقائع كانت كلها تنبىء بنهاية عصر الخلفاء الراشدين بقرب زوال خلافة على بن أبى طالب ومعها سيادة أهل العراق ، وقيام دولة جديدة فى بلاد الشام على أيدى القبائل التى رفعت معاوية على أكتافها وكانت طوع أمره فى الوقت الذى كان هو نفسه شديد الحيطة والحذر حسن التوقع والتخطيط بالغ المكر والدهاء لا يستعين برجل فى أمر من أموره الا وله عصبية من قبيلته •

لما انصرف النـاس من صفين سنة ٣٧ هـ قضـوا بقيـة عامهم فى تضميد جراحهم والبكاء على قتلاهم (٥٨) وكان أهل العراق فى انشقاق وانقسام واختلاف على أنفسهم يكفر بعضهم بعضا (٥٩) بسبب القول فى

---

(٥٤) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١٠٩ •

(٥٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٧١ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٦٨ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٧١ •

(٥٦) من بنى مراد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب من كهلان بن سبأ من العرب القحطانية •

ابن حزم : الجمهرة : ص ٩٩ ، ٢٠٠ ، ٤٠٦ •

(٥٧) ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٩٦ •

(٥٨) انظر : الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٦٢ « بكاء ثور وشاكر وشبام على قتلاهم » وكلهم بطون من همدان من العرب القحطانية •

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٥ •

(٥٩) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٦٣ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢٠٤ ، البغدادى : الفرق بين الفرق : ص ٥٠ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٧٢ •

التحكيم وما انتهى اليـه ، فى حين لم يكن لأهـل الشـام صوت بينهم الا لمعاوية بن أبى سفيان فكانوا أسرع من أهـل العراق فى لم شعثهم وتوحيد صفوفهم حيث ان كلا من على ومعاوية لم يعتبر أن التحكيم قد أنهى الصراع بينهما وأن عليهم أن يبدءا من جديد (٦٠) ، وكان معاوية ابن أبى سفيان يدرك أن على بن أبى طالب لن يدعـــه وشأنه وأنه لابد معـاود الكرة عليه بعـد أن يفرغ من أمر الخوارج ويجمع كلمـة أهل العراق (٦١) وقد تكون هناك صفين أخرى أو ربما ما هو أفظع من صفين ولذلك فقد أخذ يعد للأمر عدته ويزن الأمور بميزانها الصحيح وكانت وجهته فى هذه المرة الى ظهره مصر حتى لا يقع بين شقى الرحى العراق من أمامه ومصر من خلفه فلا يفاجىء بجيشين منهما يطبقان عليه فى وقت واحد فضلا عن ترجيح كفته بها لكثرة أهلها وجندها ووفرة خراجها (٦٢) الذى يساعده فى الاغداق على القبائل ليضمن طاعتها وولاءها .

فى سنة ٣٨ هـ ــ ٦٥٨ م كانت مصر فى طاعة على بن أبى طالب وعامله عليها محمد بن أبى بكر وبها شيعة لعثمان بن عفان موالين لبنى أمية مركزهم فى مدينة خربتا (٦٣) وكان محمد بن أبى بكر فى حرب دائمة معهم ، فلما قتلوا ابن مضاهم الكلبى الذى وجهه اليهم ابن أبى بكر خرج معاوية بن حديج السكونى الكندى فدعا الى الطلب بدم عثمان فأجابه ناس آخرون وفسدت مصر على محمد بن أبى بكر (٦٤) فرأى على أن يوجه اليها الأشتر النخعى من مذحج ليضبطها بدلا من محمد بن أبى بكر ، وكان الأشتر من أشد أعداء معاوية وهو رجل الساعة وذراع على اليمنى فلما بلغ معاوية خبر خروجه الى مصر اغتم لذلك غما شديدا وبعث الى الجايستار ــ وهو رجل من أهل الخراج بمصر ــ ان خلصه من الأشتر فلن يأخذ منه

---

(٦٠) انظر : المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٤١٨ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٧٦ ، ابو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٩ .

(٦١) ابو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٩ .

(٦٢) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٩٧ .

(٦٣) خربتا من كور الحوف الغربى فى مصر قرب الاسكندرية وهى الآن خراب لا يعرف

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٣٥٥ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١١٠ حاشية ٢ .

(٦٤) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٩٤ ، ابن تغرى بردى : : النجوم الزاهرة : جـ ١ ص ١٠٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤٠٩ ، سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١١٣ .

خراجا ما امتدت به الحياة (٦٥) فخرج الجايستار حتى أتى القلزم (٦٦) فى طريق الأشتر فلما انتهى اليها استقبله وأنزله عنده وقدم له طعاما وعلفا لدوابه حتى اذا طعم أتاه بشربة من عسل جعل فيها سما وسقاه اياها فلما شربها مات من ساعته (٦٧) ، وكان معاوية يقول ، لأهل الشام فى كل يوم : ان عليا وجه الأشتر الى مصر فادعوا الله أن يكفيكموه فكانوا كل يوم يدعون الله على الأشتر وأقبل الذى سقاه الى معاوية فأخبره بمهلكه فقام فى الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فانه كان لعلى بن أبى طالب يدان يمنيان قطعت احداهما يوم صفين — يقصد عمار بن ياسر — وقطعت الأخرى اليوم — يعنى الأشتر (٦٨) ٠

لما رأى معاوية بن أبى سفيان ما صار اليه حال مصر من الفوضى فى ولاية محمد بن أبى بكر (٦٩) وهو حدث السن قليل الخبرة وما وقع فيه أهل العراق من قتال بعضهم البعض واختلافهم فى الرأى وانشغالهم بفتنتهم قرر أن يرسل الى مصر حملة لغزوها فتكون فى طاعته يقوى بها مركز أهل الشام ويضعف من موقف أهل العراق فضلا عن تأمين ظهره من ناحية مصر اذا مادهمه دهم من على بن أبى طالب (٧٠) فجمع من كان معه من قريش : عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبسر بن أبى أرطأة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ومن غيرهم : أبا الأعور عمرو بن سفيان السلمى وحمزة بن مالك الهمدانى وشرحبيل بن السمط الكندى وقال لهم : أتدرون لم دعوتكم ؟ فقال عمر بن العاص :

---

(٦٥) المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٤١٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ج ١ ص ١٠٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٠٩ ، سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١١٣٠

(٦٦) القلزم : بلدة على ساحل بحر اليمن قرب ايلة والطور ومدين والى هذه المدينة ينسب هذا البحر وموضعها اقرب الى البحر لان بينها وبين الفرما اربعة ايام وهى فى طريق مصر للقادم من الشام ٠

ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ ٠

(٦٧) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٩٦ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٤٢١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٠ ابو الفداء : المختصر : ج ١ ، ص ١٧٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ج ١ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٠٩ ، الكندى : الولاة والقضاة : ص ٢٠ — ٢٤ ، المقريزى : الخطط : ج ٦ ص ٢٣٦ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١١٢ ٠

(٦٨) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٩٦ ٠

(٦٩) الكندى : الولاة القضاة : ص ٢٨ ، المقريزى : الخطط : ج ٣ ص ٢٣٧ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١١٤ ٠

(٧٠) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١١٤ ٠

أرى والله قد أهمك أمر هذه البلاد الكثير خراجها والكثير عددها وعدد أهلها فدعوتنا لتسألنا عن رأينا (٧١) فان كنت لذلك دعوتنا وله جمعتنا فاعزم وأقدم ونعم الرأى رأيت ففى افتتاحها عـز عـزك وعـز أصحابك وكبت عدوك وذل أهل الخلاف عليك فحمد معاوية الله وأثنى عليه ثم قال : قد رأيتم كيف صنع الله بكم فى حرب عدوكم اذ جاءوكم وهم لا يرون الا أنهم سيقبضون بيضتكم ويخربون بلادكم فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا مما أحبوا وحاكمناهم الى الله فحكم لنا عليهم ثم جمع لنا كلمتنـا وأصلح ذات بيننا وجعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر ويسفك بعضهم دم بعض والله انى لأرجو أن يتم لنـا هـذا الأمر وقد رأيت أن نحاول أهل مصر فكيف ترون يتم ذلك (٧٢) ؟ قال عمرو : قد أخبرتك عما سألتنى عنه فقال معاوية : ان عمرا قد عزم وصرم ولم يفسر فكيف لى أن أصنع ؟ قال عمرو : انى أشير عليك أن تبعث جيشا كثيفا عليهم رجل حازم صارم تأمنه وتثق به فيأتى مصر حتى يدخلها فانه سيأتيه من كان من أهلها على رأينا فيظاهره على من بها من عدونا فاذا من بها من جندك ومن بها من شيعتك على من بها من أهل حربك وأرجو أن يعين الله بنصرك وأرى أن نكاتب أولا من بها من شيعتنا ومن بها من أهل عدونا فأما شيعتنا فنأمرهم بالثبات على أمرهم ثم نمنيهم قدومنا عليهم وأما من بها من عدونا فندعوهم الى صلحنا ونمنيهم شكرنا ونخوفهم حربنا فان صلح لنا ما قبلهم بغير قتال فذاك ما أحببنا والا كان حربهم من وراء ذلك كله (٧٣) .

كتب معاوية الى مسلمة بن مخلد الأنصارى والى معاوية بن حديج السكونى وكانا قد خالفا عليا بمصر وتزعما شيعة عثمان بها : « بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله قد ابتعثكما لأمر عظيم أعظم به أجركما ورفع به ذكركما وزينكما به فى المسلمين وهو طلبكما بدم الخليفة المظلوم وغضبكما لله اذ ترك حكم الكتاب وجاهدتما أهل البغى والعدوان فابشروا برضوان الله عز وجل وعاجل نصر أوليائه والمواسـاة لكما فى الدنيا وسلطاننـا حتى ينتهى فى ذلك ما يرضيكما ونؤدى به حقكما الى

---

(٧١) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٩٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٧٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤٠٩ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١١٤ .

(٧٢) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٩٨ .

(٧٣) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٩٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٠ ، سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١١٤ .

ما يصـــير أمركم اليه · فاصبروا وصابروا وادعـــو المدبر الى هداكم وحفظكما فان الجيش قد أقبل عليكما والسلام » (٧٤) ·

خرج رسول معاوية حتى قدم مصر برسالته فكتب مسلمة عن نفسه وعن معاوية بن حديج الى معاوية بن أبي سفيان جواب كتابه بما نصه : « أما بعد فان هذا الأمر الذى بذلنا له أنفسنا وابتغنا أمر الله فيه ، أمر نرجو به ثواب ربنا والنصر ممن خالفنا وتعجيل النقمة لمن سعى على امامنا ونحن بهذا الحيز من الأرض قد نفينا من كان به من أهل البغى وأنهضنا من كان به من أهل القسط والعـدل وقد ذكرت المواساة فى سلطانك ودنياك وبالله ان ذلك لأمر ماله نهضنا ولا اياه أردنا فان يجمع الله لنـا ما نطلب ويؤتنا ما تمنينا فان الدنيا والآخرة لله رب العالمين وقد يؤتيهما الله معا عالما من خلقه كما قال فى كتابه ولا خلف لموعوده : « **فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين** » (٧٥) عجل علينا خيلك ورجلك فان عدونا قد كان علينا حربا وكنا فيهم قليلا فأصبحوا لنا هائبين وأصبحنا لهم مقرنين فان يأتنا الله بمدد من قبلك يفتح الله عليكم ولا حول ولا قوة الا بالله وحسـبنا الله ونعم الوكيل والسـلام عليـك » (٧٦) ·

٢ ــ حملة عمرو بن العاص على مصر :

جاء هذا الكتاب الى معاوية وهو يومئذ بفلسطين فارسل عمرو بن العاص الى مصر فى ستة آلاف رجل من كندة ولخم جذام وخرج معه يودعه ويوصيه قال : أوصـيك يا عمرو بتقوى الله والرفـق فانه يمن بالمهل والتؤدة فان العجلة من الشيطان وبأن تقبل ممن أقبل وان تعفو عمن أدبر فان قبل فبها ونعمت ، وان أبى فان السطوة بعد المعذرة أبلغ فى الحجة وأحسن فى العاقبة وادع النـاس الى الصلح والجماعة فاذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثر الناس عنـدك (٧٧) · وخرج عمرو يسير حتى نزل أدانى مصر فاقبلت العثمانية اليه وكتب الى محمد بن أبى بكر : « أما بعد · فتنح عنى بدمك يا ابن أبى بكر لا أحب أن يصيبك منى ظفـر فان الناس

---

(٧٤) الطبرى · التاريخ : جـ ٥ ص ٩٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤، ص ٤١٠ ·

(٧٥) سورة آل عمران : آية ١٤٨ ·

(٧٦) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٠٠ ·

(٧٧) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤١٠ ·

قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك وندموا على اتبـاعك فهم مسلموك لو التقت حلقتا البطان فاخرج منها فاني لك من الناصحين والسلام » (٧٨) وكتب محمـد بن أبى بكر الى عمرو بن العـاص : « أما بعـد فقد فهمت كتابك ٠٠ زعمت أنك تكره أن يصيبنى منك ظفر وأشهد أنك من المبطلين وتزعم أنك لى نصيح وأقسم أنك عندى ظنين وتزعم أن أهل البلد رفضوا رأيى وأمرى وندموا على اتبـاعى فأولئـك لك وللشيطان الرجيم أولياء فحسـبنا الله رب العـالمين وتوكلنـا على الله رب العرش العظيم والسلام » (٧٩) ٠

خرج محمد بن أبى بكر فى ألفى رجل ومعه حليفه كنانة بن بشر التجيبى فى مثلهم للقـاء عمرو بن العـاص فلما دنا عمرو من كنانة بالمسناة (٨٠) فى صفر سنة ٣٨ هـ — ٦٥٨ م سرح اليه الكتائب كتيبة بعد كتيبة فجعل كنانة لا تأتيه كتيبة من كتائب أهل الشام الا شد عليها بمن معه وفعل ذلك مرارا فلما رأى عمرو ذلك بعث الى معاوية بن حديج السكونى فأتاه بمثل الدهـم فى قوم من كندة والكسون فأحـاط بكنانة وأصحابه واجتمع عليهم أهل الشام من كل جانب فلما رأى ذلك كنانة ابن بشر نزل عن فرسـه ونزل أصحابه وضربوا بالسـيوف حتى قتلوا وأقبـل (٨١) عمرو بن العـاص نحو محمد بن أبى بكر وقد تفرق عنـه أصحابه لما بلغهم قتل كنانة حتى بقى وما معـه أحد من أصحابـه فخرج يمشى حتى انتهى الى خربة فى ناحية الطريق فاوى اليها وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط وخرج معاوية بن حديج فى طلب محمد حتى انتهى الى ناس فى قارعة الطريق فسألهم عن غريب مر بهم فدلوا عليه فأخذ وقتـل (٨٢) ٠

---

(٧٨) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤١٠ ٠

(٧٩) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٤٢١ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٣ ص ١٨٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤١٠ ، ٤١١ ٠

(٨٠) المسناة : مكان بين عين شمس وأم دنين شمالى القاهرة ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ١٢٩ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١١٥ حاشية ١ ٠

(٨١) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٤٢١ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٨٠ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : جـ ١ ص ١٠٤ ، الكندى : الولاة والقضاة : ص ٢٩ ، المقريزى : الخطط : جـ ٢ ص ٣٣٧ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١١٥ ٠

(٨٢) الكندى : الولاة والقضاة : ص ٢٩ ، سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١١٥ ٠

كتب عمرو بن العاص الى معاوية بن أبى سفيان بعد قتله محمد بن أبى بكر وكنانة بن بشر : « أما بعد فانا لقينا محمد بن أبى بكر وكنانة ابن بشر فى جموع جمة من أهل مصر فدعوناهم الى الهدى والسنة وحكم الكتاب فرفضوا الحق وتوركوا الضلال فجاهدناهم واستنصرنا الله عليهم فضرب الله وجوههم ومنحونا أكتافهم فقتل محمد بن أبى بكر وكنانة بن بشر وأماثل القوم والحمد لله رب العالمين والسلام » (٨٣) وهكذا خرجت مصر من طاعة على بن أبى طالب وأهـل العراق الى طاعـة معاوية بن أبى سفيان وأهل الشام (٨٤) فكان ذلك وهنا وضعفا على أهل العراق يضاف الى خلافهم وقتالهم لبعضهم وقوة وبأسا لأهل الشام تضاف الى تماسكهم وطاعتهم وأمنا لظهرهم ومددا لهم بالمال والرجال ٠

ثالثا ــ حملات معاوية بن أبى سفيان ضد على بن أبى طالب :

أعطى استيلاء معاوية بن أبى سفيان على مصر قوة كبيرة له دفعته لأن يهاجم على بن أبى طالب فى عقر داره مستغلا تأمين ظهره من ناحية مصر وطاعة القبائل الشامية له وانشغال معظم جيوش خصمه فى حرب الخوارج وهدفه من ذلك تقليم أظافر أهـل العراق والحـد من شوكتهم والنيل من على وممن معه واعلاء كلمة أهل الشام تمهيدا لحسم الصراع لصالحه فى جولة كانت آتية لا محالة بين القبائل العراقية والشامية لو لم يقتل على بن أبى طالب سنة ٤٠ هـ ــ ٦٦١ م ٠

١ ــ فتنـة ابن الحضرمى فى البصرة :

فى أواخر سنة ٣٨ هـ ــ ٦٥٨ م لما قتل محمد بن أبى بكر بمصر ودانت بالطاعـة لمعـاوية بن أبى سـفيان (٨٥) خرج ابن عبـاس من البصرة (٨٦) وكان واليا عليها لعلى بن أبى طالب ورحل اليه بالكوفة (٨٧)

---

(٨٣) الطبرى التاريخ : جـ ٥ ص ١٠٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤١١ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٩ ٠

(٨٤) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١٦١ ٠

(٨٥) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٤٢١ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ، ص ١٨٠ ٠

(٨٦) ياقوت ٠ معجم البلدان : جـ ١ ص ٤٣٠ ــ ٤٤٠ ، استرنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٦٥ــ٦٧ ٠

(٨٧) ياقوت : المصدر نفسه : جـ ٤ ص ٤٩٠ ــ ٤٩٤ ، استرنج : المرجع السابق ، ص ١٠١ ، ١٠٢ ٠

للتشاور بعد أن استخلف عليها زياد بن عبيد (٨٨) وكانت عيون معاويه تأتيه بأخبار على بن أبى طالب وأهل العراق أولا بأول وكان هو نفسه لا يغفل عنهم متربصا يتحين الفرص لينفذ الى داخلهم ليشتت شملهم أكثر مما كان مشتتا انطلاقا من مبدأ الهجوم خير وسيلة للدفاع ومن ثم فقد حرص معاوية بن أبى سفيان منذ استولى على مصر على أن يظل مهاجما حتى وفاة على بن أبى طالب مما هيأ له أفضل السبل لاقامة صرح دولته وهو ما نحاول أن نبينه فى العرض التالى ٠

استهل معاوية حملاته ضد أهل العراق بتصدير الفتن والقلاقـل اليهم فى موطنهم فلما علم برحيل ابن عباس عن البصرة وهى ثانى العراقين بعد الكوفة ومعظم أهلها من العثمانية وعهدهم بموقعة الجمل ليس بعيدا أرسـل اليهم رجـلا يدعى عبد الله بن الحضرمى فى جمع من قومه من حضارمة الشام يؤلب أهلها ضد على بن أبى طالب ويدعوهم الى الخروج عن طاعته (٨٩) والطلب بدم عثمان وادراك ثأرهم لمن قتل منهم فى موقعة

---

(٨٨) هو زياد بن عبيد مولى ثقيف من اشهر ولاة بنى أمية كان فصيحا ذا لغة وبيان ، وينسب الى امه احيانا فيقـال زياد بن سمية ، واختلف فى نسـبه فقيـل زياد بن أبيـه « ابا كان » وادعاه ابو سفيان بن حرب واستلحقه معاوية فقيل زياد بن أبى سـفيان ، وسمية امه كانت امراة من أهل زندورد من كسكر بفارس كانت تسمى « أمنج » سباها الكواء اليشكرى ابو « عبد الله بن الكواء » وسماها سمية فكانت عنده ما شاء الله حتى مرض ببطنه فاتى الحارث بن كلدة الثقفى طبيب العرب بالطائف فداواه وبرأ فوهب له سمية ، يقال انها كانت أمة لدهقان الابلة وكان مريضا فعالجه الحارث بن كلدة فوهبه سمية فولدت له على فراشه غلاما سماه نافعا ثم جاءته بغلام اخر سماه نفيع وهو ابو بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسود فقال الحارث والله ما هذا بابنى ولا كان فى آبائى اسود فنسب ابو بكرة الى مسروح غلام الحارث بن كلدة ونفى نافعـا بسبب ابى بكرة ، ثم ان الحارث بن كلدة تزوج صفية بنت عبيد بن اسيد بن علاج الثقفى ومهرها سمية فزوجتها عبدا لها روميا يقال له عبيد فولدت منه زيادا فاعتقته صفية ، وقد شهد المنذر بن الزبير على قول على بن ابى طالب باعتراف ابى سفيان ان زيادا ابنـه قال : لما قدم زياد من عند ابى موسى بعد فتح تستر الى عمر بن الخطاب بالمدينة امره ان يتكلم فيخبر الناس بفتح تستر فتكلم زياد فابلغ ، فاعجب الناس من بيانه وقالوا : « ان ابن عبيد الخطيب » قال على بن ابى طالب : فسمع ذلك ابو سفيان بن حرب فاقبل على وقال : « ليس بابن عبيد وانا والله أبوه ما اقره فى رحم امه غيرى » قلت : فما يمنعك منه ؟ قال : « الخوف من هذا » يعنى عمر بن الخطاب فكان آل زياد يشكرون ذلك للمنذر بن الزبير ، ولما جاء معاوية بن ابى سفيان الى الخلافة اعترف له بنسـبه الى ابى سـفيان واستعمله على العراق فضبطه له ٠

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، البلاذرى : أنساب الاشراف : ج ١ ص ٤٨٩ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٣٣ ، ٣٨٦ ٠

(٨٩) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١١٠ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨١ ٠

الجمل ، وكانت البصرة في ذلك الوقت تمر بفترة فوضى داخلية بانقسام أهلها العرب من تميم من مضر وعبد القيس وبكر بن وائل من ربيعة والأزد من القحطانية الى فريقين متنافرين لم يأت في صورة تكتل ربيعة كلها في جانب والأزد في جانب آخر انما كان بين الفريقين بعض الزعامات الفردية تميل الى هذا الجانب أو ذاك في النزاع حول السيادة بين سلطان علي أو سلطان معاوية (٩٠) وفي ظل هذه الظروف نزل ابن الحضرمي ديار بني تميم بالبصرة لأن أكثرهم كانوا جند علي في موقعة الجمل (٩١) ثم انشقوا عليه بعد التحكيم وصاروا خوارج لا يرون رأيه فانصاعوا لابن الحضرمي نكاية فيه ، وأتته العثمانية من كل مكان وجاءه غيرهم يستمعون الى دعوته وما جاء من أجله ، وسرعان ما ظهر الخلاف والجدل اذ أعلن الضحاك بن قيس الهلالي وكان على شرطة البصرة رفضه فتنة ابن الحضرمي والعودة الى سفك الدماء بعد أن آمن الناس ورضوا خلافة علي بن أبي طالب بينما عارضه عبد الله بن خازم السلمي واستهان به وعرض نصرته لابن الحضرمي الذي قرأ عليهم كتاب معاوية يذكرهم فيه بآثار عثمان فيهم وحبه للعافية وسده ثغورهم ويذكر قتلته ويدعوهم الى الطلب بدمه ويقدم لهم العهد والضمان أن يعمل فيهم بالسنة والكتاب كما أغراهم بالمال ووعدهم بصرف قيمة عطاءين في العام الواحد ، وحدث الانقسام بين الناس فمنهم من رأى الاعتزال مثل الأحنف بن قيس سيد تميم الذي قال : لا ناقة لي ولا جمل في هذا وانقسم رأي عبد القيس من ربيعة بين عمرو بن مرحوم الذي آثر الولاء لعلي وبين عباس بن صحار العبدي الذي خالف قومه عبد القيس في الولاء لعلي ٠ ووقعت الفوضى في القوم (٩٢)٠

لما رأى زياد بن عتبة والي البصرة نزول ابن الحضرمي ديار بني تميم يدعوهم الى طاعة بني أمية واجارتهم له استجار بربيعة لتمنعه ان عدا عليه ابن الحضرمي ومن معه من تميم فأرسل الى حضين بن المنذر ومالك ابن مسمع من سادة ربيعة يقول : أنتم يا معشر بكر بن وائل من أنصار أمير المؤمنين وثقاته وقد نزل ابن الحضرمي حيث ترون وآتاه من آتاه فامنعوني حتى يأتي رأي أمير المؤمنين ، فكان الانقسام بين شيوخهم اذ أجابه حضين وتثاقل عنه مالك ــ وكان رأيه مائلا لبني أمية وأجار مروان ابن الحكم يوم الجمل ــ وقال لزياد : هذا أمر لي فيه شركاء أستشير

---

(٩٠) ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٨٢ ، محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٥٩ ٠

(٩١) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ، ص ٣٠٦ ٠

(٩٢) ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٨٣ ، محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٥٩ ٠

وانظر (٩٣) ، فلما رأى زياد تثاقل مالك عنه خشى أن تختلف فيه ربيعة ويضيع عليه الوقت فتحول عن ربيعة من مضر الى الأزد من اليمن وارسل الى صبرة بن شيمال الحدانى من بنى الحدان (٩٤) من الازد يقول له : ألا تجيرونى وبيت مال المسلمين فانه فيؤكم وأنا أمين أمير المؤمنين . قال صبرة بلى ان حملته ونزلت دارى قال : فانى حامله وخرج حتى أتى الحدان ونزل زياد دار صبرة بن شيمان وحول بيت المال والمنبر فوضعه فى مسجد الحدان فكان يصلى به الجمعة ويطعم الطعام وهو فى حمايتهم وليس معه الا خمسون رجلا فقط من أهل البصرة (٩٥) وان دل هذا على شيء فانما يدل على أن هذا البلد لم يكن هواه فى على لأن معظمهم موتورون وليس أدل على ذلك من خذلانهم لواليه امام ابن الحضرمى ومن والاه من تميم وان كانت الأزد قد قبلت اجازة الوالى فلم يكن هذا بدافع العصبية والتنافس بين ربيعة من مضر والأزد من اليمن (٩٦) .

لما انتقل زياد الى حماية الأزد ونزل دار الحدان بالبصرة أحب أن يطمئن على نفسه ان هاجمته تميم فقال لجابر بن وهب الراسبى : يا أبا محمد انى لا أدرى ابن الحضرمى يكف عن ما جاء اليه ولا أراه الا سيقاتلكم ولا أدرى ما عند أصحابك فانظر لى ما عندهم ، فلما صلى زياد جلس فى المسجد واجتمع اليه الناس فقال جابر : يا معشر الأزد ان تميما تزعم أنهم هم الناس وأنهم أصبر منكم عند البأس وقد بلغنى أنهم يريدون أن يسيروا اليكم حتى يأخذوا جاركم ويخرجوه من المصر قسرا فكيف أنتم اذا فعلوا ذلك وقد أجرتموه وبيت مال المسلمين ؟ قال صبرة بن شيمان — وكان رجلا مفخما يحب الفخر — : أن جاء الأحنف جئت وان جاء الحتات جئت وان جاء شبان ففينا شبان ، فضحك زياد ونهض وكان يقول بعدها : ما كدت مكيدة قط كنت بها أقرب الى الفضيحة منى يومئذ لما غلبنى من الضحك (٩٧) .

لم يركن زياد الى حماية بنى الحدان من الأزد له لأن تميما وربيعة كانت أكثر منها عددا وقوة فكتب الى على بالكوفة يقول : « ان ابن الحضرمى

---

(٩٣) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١١٠ .
(٩٤) هم بنو الحدان بن شمس بن عمرو من القحطانية .
ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٧٤ .
(٩٥) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١١٠ ، ١١١ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ، ص ١٨٢ .
(٩٦) محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٦٠ .
(٩٧) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١١١ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٢ .

أقبل من الشام فنزل ديار بنى تميم ونعى عثمان ودعا الى الحرب وبايعته تميم وكل أهل البصرة ولم يبق معى من امتنع به فاستجرت لنفسى ولبيت المال صبرة بن شيمان وتحولت فنزلت معهم فشيعة عثمان يختلفون الى ابن الحضرمى فوجه الى أعين بن ضبيعة المجاشعى ليفرق قومه من تميم عن ابن الحضرمى فانظر ما يكون منه فان فرق جمع ابن الحضرمى فذلك ما نريد وان أدت الأمور بهم الى التمادى فى العصيان فأنهض اليهم وأجاهدهم ، فان رأيت ممن قبلك بالكوفة تثاقلا فدارهم وطاولهم فكأن جنود الله قد أظلتك تقتل الظالمين(٩٨) » وكان عامة جند العراق فى حرب الخوارج » (٩٩) ٠ وفى اشارة زياد الى تثاقل أهل الكوفة عن على ما يوحى بأنهم لم يكونوا بخير من أهل البصرة لتقاعسهم عن نصرة صاحبهم وأنهم جميعا على ما يبدو كانوا قد سئموا الحرب ودماءها بعد ما كان من الجمل وصفين ثم ما أصبحوا فيه من حرب الخوارج فى الشرق ومعاوية فى الغرب فكرهوا الحرب وركنوا الى الدعة والراحة وكلما استصرخهم على لنصرته رفضوا أمره حتى أنه ضج منهم وكثيرا ما كان يبدى لهم ندمه على خروجه اليهم من المدينة وقال لهم ذات مرة يعنفهم « بأن المغرور والله من قد غررتموه » (١٠٠) ٠

لما أرسل على بن أبى طالب أعين بن ضبيعة المجاشعى التميمى الى البصرة كطلب زياد ليخذل قومه من تميم عن ابن الحضرمى ، حضر فنزل عند زياد ثم أتى قومه من تميم وجمع رجالا ونهض الى ابن الحضرمى ليرده عن البصرة فشتمه خلق من تميم وناوشوه فانصرف عنهم ، فلما أتى منزله دخل عليه جماعة منهم وقتلوه (١٠١) فغضب زياد وأراد أن يقاتل بنى تميم بمن معه من الأزد فأرسلت بنو تميم الى الأزد تقول : انا لم نعرض لجاركم ولا لأحد من أصحابه فماذا تريدون الى جارنا وحربنا فاستجابت الأزد لبنى تميم وكرهوا القتال وقالوا : ان عرضوا لجارنا منعناهم وان يكفوا عن جارنا كففنا عن جارهم وأمسكوا (١٠٢) ٠

لم يستبشر زياد خيرا بما اتفقت عليه كل من الأزد وتميم طالما بقى ابن الحضرمى فى حماية بنى تميم يدعو الى الفتنة بالبصرة فأرسل الى على ابن أبى طالب يعلمه بما حدث من أمر أعين بن ضبيعة ويحذره من خطورة

---

(٩٨) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١١١ ٠

(٩٩) الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢١٩ ٠

(١٠٠) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤١٧ ٠

(١٠١) ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٨٢ ٠

(١٠٢) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١١١ ٠

الموقف (١٠٣) فوجه اليه على بن أبى طالب جارية بن قدامة السعدى أحد بنى سعد من تميم (١٠٤) فى خمسمائة رجل وكتب اليه كتابا يصوب رأيه فيما صنع وأمره بمعونة جارية والاشارة عليه ، فلما قدم جارية البصرة وأتى زيادا قال له : تهيأ واحتفز واحذر أن يصيبك ما أصاب صاحبك ولا تثقن بأحد من القوم ، فمشى جارية الى بنى تميم وقرأ عليهم كتاب على ووعدهم ومناهم فأجابه أكثرهم فانطلق الى ابن الحضرمى وحاصره فى دار سنبيل التميمى ثم أحرقها عليه وعلى من معه وتفرق الناس (١٠٥) ورجع زياد الى دار الامارة وكتب الى على مع ظبيان بن عارة وكان ممن قدم مع جارية : « ... ان جارية قدم علينا فسار الى ابن الحضرمى حتى اضطره الى دار من دور بنى تميم فى عدة رجال من أصحابه بعد الاعذار والانذار والدعاء الى الطاعة فلم ينيبوا ولم يرجعوا فأضرم عليهم النار وهدم عليهم دارهم فبعدا لمن طغى وعصى » (١٠٦) .

ومع أن فتنة ابن الحضرمى انتهت بمقتله الا أنها كانت نذير سوء من أهل البصرة ضد على بن أبى طالب لايوائهم له ونصرتهم اياه كما بينت مقدرة معاوية بن أبى سفيان فى اختراق جهة على بن أبى طالب وتصدير الفتن والقلاقل لديه فى عقر داره مستغلا ما وصلت اليه حال القبائل العراقية من سأم القتال وتقاعسهم عن نصرة الخليفة وسهولة استمالتهم بالعطاء وكراهية الحرب والركون الى الدعة وهو ما لم يقدر عليه على ابن أبى طالب مع أهل الشام لترابطهم وتماسكهم خلف أميرهم .

٢ ـ حملة النعمان بن بشير الأنصارى على عين التمر :

ابتداء من سنة ٣٩ هـ ـ ٦٥٩ م أخذ معاوية بن أبى سفيان يرسل الحملات العسكرية للاغارة على أطراف العراق لاشاعة الذعر والفوضى وأخذ البيعة له بالخلافة وتأكيدا لسيادة أهل الشام وسيطرتهم على الموقف ، فوجه النعمان بن بشير الأنصارى فى ألفى رجل من أخلاط القبائل بالشام الى عين التمر (١٠٧) للاغارة عليها وكان بها مالك بن

---

(١٠٣) انظر : الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١١٢ .

(١٠٤) هم بنو سعد بن الهجيم بن عمرو بن تميم .
ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٠٩ .

(١٠٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١١٢ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٨٣ .

(١٠٦) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١١٢ .

(١٠٧) عين التمر : بلدة قديمة افتتحها المسلمون ايام ابى بكر سنة ١٢ هـ على يد خالد ابن الوليد عنوة فسبى نساءها وقتل رجالها وهى قريبة من الانبار غربى الكوفة على طرف البرية منها يجلب القسب والتمر الى سائر البلاد وهو بها كثير جدا .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ١٧٦ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٩٠ ، ١٠٨ .

كعب الأرحبي مسلحة لعلي في مائة رجل فكتب الى علي يخبره بأمر النعمان ومن معه (١٠٨) فخطب علي الناس وأمرهم بالخروج الى عين التمر فتثاقلوا فصعد المنبر وقال : يا أهل الكوفة كلما سمعتم بمنسر (١٠٩) من مناسر أهل الشام أظلكم انجحرتم كل امرىء منكم في بيته انجحار الضب في جحره والضبع في وجارها ، انما المغرور من غررتموه ولمن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ، لا أحرار عند النداء ! الا اخوان ثقة في النجاء ! ماذا منيت به منكم ؟! عمى لا تبصرون ! صم لا تسمعون ! انا لله وانا اليه راجعون ثم نزل » (١١٠) .

واقع مالك بن كعب النعمان بن بشير في قوة غير متكافئة وكتب الى مخنف بن سليم يسأله أن يمده وهو قريب منه فوجه اليه مخنف ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلا فلما رآهم أهل الشام وقت العتمة ظنوا أن لهم مددا فانسحبوا الى بلدهم (١١١) .

٣ ـ حملة سفيان بن عوف على هيت والأنبار والمدائن :

بعد حملة النعمان بن بشير على عين التمر وجه معاوية سفيان بن عوف الغـامدي الأزدي (١١٢) في ستة آلاف رجـل وأمره أن يأتي هيت(١١٣) فيغير عليها ثم يمضي حتى يأتي الأنبار والمدائن(١١٤) فيوقع

(١٠٨) الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ١٢٣ ، اليعقوبي : التاريخ : جـ ٢ ص ١٩٥ ، ابو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٩ .

(١٠٩) المنسر : طليعة الجيش .

الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ١٣٤ حاشية ١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤١٧ حاشية ٣ .

(١١٠) الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ١٣٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤١٧ ، اليعقوبي : التاريخ : جـ ٢ ص ١٩٥ .

(١١١) الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ١٣٣ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٨٨ ، أبو الفدا : المختصر : جـ ١ ص ١٧٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤١٧ ، ٤١٨ ، اليعقوبي : التاريخ : جـ ٢ ص ١٩٥ .

(١١٢) الجاحظ : البيان والتبيين : جـ ٢ ص ٥٢ .

(١١٣) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبـار مجاورة للبرية ذات نخل كثير وخيرات واسعة وسميت هيت لأنها في هوة من الارض .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٤٢٠ ، ٤٢١ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٩٠ .

(١١٤) الانبار مدينة على الفرات غربي بغداد والمدائن بفارس كانت مسكن ملوك الاكاسرة .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٢٥٧ ، جـ ٥ ص ٧٤ ، ٧٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٧ ، ٤١ ، ٩١ .

بأهلها (١١٥) ، فسار حتى أتى هيت وبها يومئذ رجل من قبل علي يقال له كميل بن زياد النخعي فلما بلغه أن خيل الشام قاربت هيت خلف عليها رجلا من أصحابه في خمسين فارسا وسار يريد خيل أهل الشام فلما بعد كميل بن زياد عن مدينة هيت أقبل سفيان بن عوف فأغار عليها ولم يتبعه أحد ثم أتى الأنبار وبها مسلحة لعلي من خمسمائة رجل كانوا قد تفرقوا ولم يبق منهم الا مائة قاتلوا أهل الشام مع قلتهم وصبروا لهم فحملت عليهم الخيل والرجالة وقتلوا صاحب المسلحة ويدعى أشرس بن حسان البكري ومعه ثلاثون رجلا وتفرق الباقون واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال ورجعوا الى معاوية بالشام (١١٦) .

٤ ــ حملة عبد الله بن مسعدة الفزاري على تيماء :

في سنة ٣٩هـ ــ ٦٥٩م وجه معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل من فزارة (١١٧) الى تيماء (١١٨) وأمره أن يجمع الصدقات ممن يمر به من أهل البوادي وأن يقتل من امتنع من اعطائه صدقة ماله ثم يأتي مكة والمدينة ومدن الحجاز ليفعل مثل ذلك (١١٩) فلما بلغ ذلك عليا وجه المسيب بن نجبه الفزاري في ألف رجل من فزارة العراق فسار حتى لحق ابن مسعدة بتيماء فاقتتلت فزارة العراق وفزارة الشام في ذلك اليوم قتالا شديدا حتى زالت الشمس وحمل المسيب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات خفيفة وهو لا يريد قتله ويقول له : النجاء النجاء (١٢٠) فدخل ابن مسعدة وعامة من معه من

---

(١١٥) الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ١٣٤ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٢ .

(١١٦) الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ١٣٤ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٨٩ . أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٩ . ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤١٨ ، اليعقوبي : التاريخ : جـ ٢ ص ١٩٦ .

(١١٧) بنو فزارة : بطن من قيس عيلان بن مضر من العرب العدنانية وهم بنو فزارة ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٢٥ .

(١١٨) تيماء بلد في أطراف الشام قرب وادي القرى على طريق حاج دمشق وبها حصن السموأل بن عادياء اليهودي المسمى « الأبلق الفرد » ولذلك كان يقال لها تيماء اليهودي .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٦٧ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٧٢ .

(١١٩) الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ١٣٥ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٨٩ .

(١٢٠) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤١٨ .

فزارة الشام حصن تيماء وهرب الباقون نحو الشام ونهب الأعراب ابل الصدقة التى كانت مع ابن مسعدة وحاصره المسيب ثلاثة أيام ثم ألقى الحطب على باب الحصن يريد حرقه (١٢١) فلما أشعل فيه النيران وشعر القوم بالهلاك أشرفوا على المسيب وقالوا : يا مسيب قومك فرق لهم وكره هلاكهم وأمر بالنار فأطفئت واحتال لاخراجهم فقال لأصحابه قد جاءتنى عيون أخبرونى أن جندا قد أقبل اليكم من الشام فانضموا فى مكان واحد وخرج ابن مسعدة فى أصحابه ليلا حتى لحقوا بالشام فقال عبد الرحمن ابن شبيب للمسيب بن نجبة : سر بنا فى طلبهم فأبى ذلك عليه فقال له : غششت أمير المؤمنين وداهنت فى أمرهم فوبخه على بن أبى طالب على هذا العمل وحبسه أياما ثم أطلقه (١٢٢) .

٥ ــ حملة الضحاك بن قيس على أطراف العراق :

فى سنة ٣٩هـ ــ ٦٦٠م أيضا جهز معاوية بن أبى سفيان حملة من ثلاثة آلاف رجل من لخسم وجذام وكنــدة وعك والأشعرين ومن أخــلاط القبائل بالشام (١٢٣) وضم اليهم خيلا عظيمة وجعل عليهم الضحاك بن قيس الفهرى (١٢٤) صاحب شرطته وأمره أن يمر بأسفل واقصة (١٢٥) وأن يغير على كل من مر به ممن هو فى طاعة على من الأعراب (١٢٦) ثم

---

(١٢١) ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٨٩ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ١٩٧ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٩ .

(١٢٢) الطبرى : التاريخ جـ ٥ ص ١٣٤ ١٣٥ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٨٩ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤١٨ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ١٩٧ ، محمد امين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(١٢٢ ، ١٢٣) ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ، ص ٢١٥ .

(١٢٤) الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن وائلة له صحبة وكان مع معاوية بصفين وقتله مروان بن الحكم فى موقعــة مرج راهط وأخته فاطمة بنت قيس تزوجها أسامة بن زيد وابنه عبد الرحمن بن الضحاك ولى المدينة ليزيد بن عبد الملك وابن اخى الضحاك سويد بن كلثوم بن قيس ولى دمشق لأبى عبيدة .

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٢٣٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٧٨ ، ١٩٧

(١٢٥) واقصة منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وقبل العقبة وهو لبنى شهاب من طيء .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٣٥٤ .

(١٢٦) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٣٥ .

يأخذ على طريق السماوة (١٢٧) من بلاد بنى كلب بن وبرة (١٢٨) ثم ينقض على الكوفة وسوادها فيغير على ما قدر عليه فأقبل الضحاك فى أهل الشام وآخذ صدقات الناس وأغار على من عصاه من الأعراب (١٢٩) ومر بالثعلبية (١٣٠) فهاجم مسالح على بها وأخذ أمتعتهم ومضى حتى انتهى الى القطقطانة (١٣١) فأتى واليها عمرو بن عميس بن مسعود (١٣٢) وكان فى خيل لعلى وأمامه أهله وهو يريد الحج فأغار على من كان معه وحبسه عن المسير ثم قتله (١٣٣) فلما بلغ ذلك على بن أبى طالب وجه اليه حجر ابن عدى الكندى فى ألفى رجل معظمهم من كندة فلحق الضحاك بتدمر وهى بلاد بنى كلب (١٣٤) واشتبك معه فقتل من أهل الشام سبعة رجال

---

(١٢٧) السماوة أرض مستوية لا حجر فيها بها ماء السماوة وهى لبنى كلب بن وبرة وموقعها بين الكوفة والشام ·

ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٢٤٥ ·

(١٢٨) بنو كلب بن وبرة بطن من قضاعة من العرب القحطانية وهم بنو كلب بن وبرة ابن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافى بن قضاعة كانوا ينزلون دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام وقد ذكر الهمدانى : « أن مساكنهم فى السماوة لا يخالط بطونهم فيها أحد ومن حوران فى ديار كلب عن يمينك فى السماوة ثم فى الدهناء الى أن ترى نخل الفرات لا يخالط كلبا سواها وما وقع فى ديار كلب من القرى تدمر وسليمة والعاصمية وحمص وخلفهما مما يلى العراق حماة وشيزر وكفرطاب للكنانة من كلب ثم يأتى الفرات من بلد الروم شاقا طرف الشام على التواء الى العراق فغربيه ديار كلب وشرقية ديار مضر » وكان لبنى كلب فى الجاهلية صنما بدومة الجندل يسمى ودا خلعوه عندما تنصروا ثم انتهوا الى الاسلام وكان لهم شأن فى دولة بنى أمية ·

ابن الكلبى : الأصنام : ص ١٠ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٩ ، ١٣٢ ، الأصفهانى : الاغانى ج ١٧ ص ١١١ ، ١١٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٧١ ، ابن حزم : الجمهرة ص ٤٤٥ ــ ٤٦١ ، ابن خلدون : العبر : الاشتقاق : ص ١٣ ، القلقشندى نهاية الأرب : ص ٢٦٥ ، عمر رضا كحالة : معجم بقائل العرب : ج ٣ ص ٩٩١ ٩٩٢ ·

(١٢٩) ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٨٩ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ١٩٦ ·

(١٣٠) الثعلبية : من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية وهى ثلثا الطريق وسميت بثعلبة بن عمرو من مزيقياء بن عامر ماء السماء فلما تفرقت أزد مارب لحق ثعلبة بهذا الموقع واقام به فسمى باسمه فلما كثر ولده وقوى أمره رجع الى نواحى يثرب وولده هم الانصار ·

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٧٨

(١٣١) القطقطانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف ·

ياقوت : المصدر السابق ج ٣ ص ٣٧٤ ·

(١٣٢) ابن حزم : الجمهرة : ص ١٩٧ ·

(١٣٣) ابن أعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢١٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٩٧ ·

(١٣٤) الهمدانى : صفة جزيرة العرب . ص ١٣٠ ·

ومن أهل الكوفة أربعة وهرب الضحاك وأصحابه الى الشام ورجع حجر ومن معه إلى العراق (١٣٥) .

٦ ـ حملة عبد الرحمن بن أشيم على بلاد الجزيرة العراقية :

لم يفتر معاوية بن أبي سفيان عن غزو العراق واستعراض القوة على اهله طوال عام ٣٩هـ ـ ٦٦٠ م ، فكان يعد الحملة تلو الأخرى يريد الاجهاز عليهم منذ أن فلت شوكتهم بانقسامهم على أنفسهم بعد صفين سنة ٣٧ هـ وضم مصر الى طاعة أهل الشام سنة ٣٨ هـ ، فبعد حملة الضحاك بن قيس الفهرى على أطراف العراق الجنوبية وجه معاوية حملة أخرى الى الأطراف الشمالية من بلاد الجزيرة العراقية بقيادة عبد الرحمن ابن أشيم لضرب مسالح على بن أبى طالب بها (١٣٦) وكان نائبه عليها شبيب بن عامر وهو جد الكرمانى الذى كان بخراسان وكان شبيب مقيما بنصيبين (١٣٧) فى ستمائة رجل من أصحاب على فلما علم بمقدم أهل الشام كتب الى كميل بن زياد النخعى فى هيت يحذره منهم : قال « أما بعد فانى أخبرك أن عبد الرحمن بن أشيم قد وصل من الشام فى خيل عظيمة ولست أدرى أين يريد فكن على حذر والسلام » (١٣٨) . فخرج كميل ابن زياد من هيت فى أربعمائة فارس كلهم أصحاب بيض ودروع وقصدوا شبيبا فى نصيبين وأصبحوا جميعا ألف فارس وساروا الى عبد الرحمن ابن أشيم (١٣٩) وهو يومئذ بمدينة يقال لها كفرتوثا (١٤٠) فى جيش لجب من أهل الشام واشرفت خيل أهل العراق على خيل أهل الشام واختلط القوم واقتتلوا قتالا شديدا فقتل من أصحاب كميل رجلان ومن

---

(١٣٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٣٥ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٨٩ ، ١٩٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤١٨ ، ٤١٩ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ١٩٦ ، محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(١٣٦) ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٢٣ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٩٠ .

(١٣٧) نصيبين مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام وفيها وفى قراها اربعون الف بستان وبينهما وبين سنجار تسعة فراسخ وبينها وبين الموصل ستة أيام وكان عليها سور بناه الروم وأتمه أنوشروان الملك عند فتحه اياها .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٢٤ ، ١٥٧ .

(١٣٨) ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٢٤ .

(١٣٩) ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٩١ .

(١٤٠) كفرتوثا قرية كبيرة من أعمال الجزيرة تقع بين دارا ورأس عين .

ياقوت معجم البلدان : جـ ٤ ص ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٢٦ .

أصحاب شبيب أربعة نفر ومن أهل الشام عدة رجال وانسحبوا الى بلادهم ورجع شبيب بن عامر الى نصيبين ورجع كميل بن زياد الى هيت (١٤١) ، وهكذا كان عام ٣٩ هـ ـ ٦٥٩ م هو عام الحملات الشامية على أهل العراق وغزو معاوية بن أبى سفيان لعلى بن أبى طالب فى عقر داره تأكيدا لرفض بيعته وعدم الاعتراف بسلطانه •

٧ ـ حملة يزيد بن شجرة الرهاوى على مكة :

لم يكتف معاوية بن أبى سفيان بتوجيه الحملات العسكرية ضد بلاد العراق فقط بل أراد أن يحكم الطوق ضد على بن أبى طالب بعد أن دانت له مصر بالطاعة فاتجه الى شبه الجزيرة العربية لأنها كانت من مراكز الثقل التى لا يستهان بها فى الدولة الاسلامية فى ذلك الوقت ، وبها ترجح كفته لأنها مهبط الرسالة وبها الحرمان الشريفان حيث يقصدها الناس من كل فج للحج واقامة الشعائر فضلا عن وجود كبار الصحابة بها ولذلك فهو يريد أن يقيم للناس الحج باسمه وتتم له الدعوة على منابر الحرمين الشريفين تدعيما لسلطانه فى مواجهة خصمه • وظهرت لأول مرة منذ ذلك الحين أهمية الدعوة للخليفة على منابر مكة والمدينة فى توطيد حكمه وطاعة الناس له • من ثم فقد كانت أخطر حملات معاوية بن أبى سفيان ضد على بن أبى طالب تلك التى كان مقصدها بلاد الحجاز وبقية شبه الجزيرة العربية على يد يزيد بن شجرة الرهاوى وبسر بن أبى أرطأة العامرى فى وقت لم يجد فيه الخليفة على سوى الالتزام بموقفه الدفاعى بعد أن يئس من استنهاض عرب الكوفة •

في آخر عام ٣٩ هـ ـ ٦٥٩ م دعا معاوية بن أبى سفيان يزيد بن شجرة الرهاوى (١٤٢) من سادات أهل الشام وكلفه بالذهاب الى مكة ليقيم للناس الحج (١٤٣) ويعلمهم بأن معاوية بن أبى سفيان هو أمير المؤمنين (١٤٤) وقال له : « انى أريد أن أوجه بك الى مكة لتقيم للناس الحج بها وتقص عامل على بن أبى طالب وتاخذ لى هناك البيعة بالسمع والطاعة والبراءة من على فانى قد رضيت هديك ورأيك ومذهبك ولست

---

(١٤١) ابن اعثم : الفتوح : ج ٢ ص ٢٢٥ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ١٩١ •

(١٤٢) يزيد بن شجرة الرهاوى من بنى رهاء بن منبه بن حرب بن مالك بن ادد المنتهى نسبه الى عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ من العرب القحطانية •

ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢١ ، ٤١٣ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٤٢ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٤٦ •

(١٤٣) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٤١٩ •

(١٤٤) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ١٣٦ •

أوجهك للحرب انما أوجهك لتقيم للناس الحج فاتق الله فى الحرم وان قدرت أن تخرج عامل على من الحرم بلا قتال فلا تقاتل (١٤٥) « قال يزيد : ما كنت لأحيف بلدا » « **ومن دخله كان آمنا** » (١٤٦) ·

ضم معاوية الى يزيد بن شجرة ثلاثة آلاف فارس من وجوه أهل الشام من سادة القبائل من حمير وغسان وكندة ولخم وجذام وغيرهم وقال له : « أوصيك يا يزيد مرة ثانية واعلم أنك تأتى مكة ومكة حرم الله وأمنه وأهل مكة قومى وعشيرتى ومكة هى بيضتى التى تفلقت عنى فاتق الله فيهم فانى أحب اصلاحهم وبقاءهم وأكره حربهم وقتالهم فاحفظ فيهم وصيتى وسر على بركة الله (١٤٧) ·

سار يزيد بن شجرة يريد مكة وبها يومئذ قثم بن العباس بن عبد المطلب (١٤٨) من قبل على بن أبى طالب فلما علم بذلك قام فى الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أنه قد أظلكم جيش من ظلمة أهل الشام الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون يريدون الالحاد فى حرم الله فتسالمون أم تحاربون ؟ فسكت الناس ولم يجبه أحد بشيء قال قثم : انكم أعلمتمونى بما فى أنفسكم فانى خارج عنكم الى بعض هذه الشعاب فأكون هنالك الى أن يقضى الله بما يحب ويرضى ، فقال له شيبة بن عثمان العبدرى من بنى عبد الدار بن قصى (١٤٩) : يا هذا أنت الأمير ونحن الرعية سامعون لك مطيعون فان قاتلت قاتلنا معك وان كففت كففنا · قال قثم بن العباس : هيهات يا أهل مكة ان الجنود لا تهزم بالوعد ولست أرى معك أحدا يدفع أو يمنع فأعتزل عنكم وأكون فى بعض هذه الشعاب وأكتب الى أمير المؤمنين على

---

(١٤٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٣٦ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢١٦ ·
(١٤٦) سورة آل عمران : آية ٩٧ ·
(١٤٧) ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢١٧ ·
(١٤٨) اسمه قثم بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ·
المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٣٢ ، ٣٣ ·
(١٤٩) اسمه شيبة بن عثمان بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى ، شهد حنينا مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو مشرك وكان يريد أن يغتاله فلما رأى منه غفلة أقبل يريده ، ورآه النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : « هلم ياشيبة لا أم لك » وقذف الله فى قلبه الرعب فدنا من النبى صلى الله عليه وسلم وقد أخذته رعدة وفزع فوضع يده الشريفة على صدره وقال : فليخسأ عنك الشيطان » وأسلم شيبة وقاتل مع النبى صلى الله عليه وسلم وصبر معه وسلمه مفاتيح الكعبة هو وعثمان بن أبى طلحة ·

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١١٤ ·

ابن أبى طالب فان جاءنى من المدد ما أقوى به عليهم ناهضتهم وان تكن الأخرى لم أقاتل وصبرت لأمـــر الله عز وجل (١٥٠) ٠ قال أبو سعيد الخدرى صاحب رسول الله ﷺ : أيها الأمير ان لبيت الله حرمة عظيمـــة والقوم ان قدموا لن يعجلوا بقتال فأقم ولا تبرح مكة فاذا وافوك ورأيت لك قوة عليهم فاعمل برأيك وان لم تر قوة لك تنحيت من بين أيديهم الى بعض هذه الشعاب فتكون قد أعذرت وقضيت ما عليك (١٥١) ٠ أقام قثم بن العباس بمكة وبلغ ذلك عليا وهو يومئـــذ بالكوفة فانتدب ألفا وسبعمائة رجل من فرسان القبائل معظمهم من قيس من الكوفة فى أول يوم من ذى الحجة سنة ٣٩ هـ وقد فات الوقت (١٥٢) وقدم يزيد بن شجرة الى الحرم قبل التروية بيومين فنادى فى الناس : أنتم آمنون فاننا لم نقدم هاهنا لقتال وانما قدمنا للحج الا من قاتلنا ونازعنا وعرض فى سلطاننا ، ثم قال لأصحابه : انظروا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فقيل له : أبو سعيد الخدرى : قال : على به فأتى الى يزيد بن شجرة فسلم وجلس فقال له يزيد : يا أبا سعيد يرحمـــك الله انى انما وجهت اليكم لأجمع ولا أفرق ولو شئت أن آخذ أميركم أسيرا وأمضى به الى الشام لفعلت ولكننى أكره الالحاد فى الحرم فقولوا لأميركم أن يعتزل الصـــلاة بالناس فأعتزلها أنا أيضا ويختار الناس رجلا يصلى بهم فاننا نكره ما قد علمت ، فقال أبو سعيد : جزاك الله من رجل خير فما رأيت من أهل الشام رجلا أحسن منك نيـــة ولا أفضـــل منك رأيا ٠ ثم أقبل أبو سعيد الى قثم بن العباس فكلمه فى أمر الصلاة فقال قثم : قد فعلت ذلك ، وتراضت الناس شيبة بن عثمان العبدرى فصلى بأهل الموسم وأقام لهم الحج (١٥٣) ٠ فلما قضى الناس حجهم أقبل يزيد بن شجرة فقال : يا أهل الشام اعلموا أن الله تبارك وتعالى قد رزقكم خيرا وصرف عنكم شرا فأما الخير الذى رزقكم فطاعة امامكم وحجكم وقضاء نسككم وأما الشر الذى صرفـــه عنكم فكف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم فانصرفوا مأجورين سامعين مطيعين وخرج أهل الشام من مكة يريدون بلادهم وجاءت خيل على بن أبى طالب لمواقعتهم بعد انقضاء الموسم فوجدوهم قد رحلوا الى بلادهم (١٥٤) ٠

(١٥٠) ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ٠

(١٥١) ابن أعثم : المصـــدر الســـابق : جـ ٢١٨ ، ابن أعثم : الكـــامل : جـ ٢ ص ١٩٠ ٠

(١٥٢) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤١٩ ٠

(١٥٣) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٣٦ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ابن الأثير : الكـــامل : جـ ٣ ص ١٩٠ ، ابن كثير : البـــداية والنهـــاية : جـ ٤ ص ٤١٩ ٠

(١٥٤) ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٢٠ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٩٠ ، محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٦٥ ٠

٨ ـ حملة بسر بن أرطأة الفهرى على بلاد الحجاز واليمن :

فى مطلع سنة ٤٠ هـ ـ ٦٦١ م تحركت شيعة عثمان بن عفان باليمن وخالفوا عليا وأظهروا البراءة منه والوالى عليهم يومئذ عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب (١٥٥) من قبل على بن أبى طالب وكان مقيما بصنعاء (١٥٦) ، فكتبوا الى معاوية بن أبى سفيان : « أما بعد يا أمير المؤمنين فالعجل العجل وجه الينا من قبلك لنبايعك على يديه والا كتبنا الى على فاعتذرنا اليه مما كان منا والسلام » (١٥٧) واستعصى أهل اليمن ومنعوا الزكاة وأظهروا العصيان فكتب عبيد الله بن عباس بذلك الى على فدعا يزيد بن أنس الأرحبى وقال له : ألا ترى ما صنع قومك باليمن ومخالفتهم على وعلى عاملى ، قال يزيد : والله يا أمير المؤمنين ان ظنى بقومى لحسن طاعتك وان شئت كتبت اليهم وكتب اليهم فلم يمتثلوا وأصروا على العصيان وعندها دعا معاوية بسر بن أبى أرطأة الفهرى من (١٥٨) بنى عامر بن لؤى وهو أحد جبابرة الشام فعقد له عقدا وضم اليه أربعة آلاف رجل من أخلاط القبائل بالشام (١٥٩) وقال له : « سر الى أهل اليمن سيرا عنيفا حتى تأخذ بيعة الناس فانهم قد خالفوا عليا وانظر أن تجعل طريقك على المدينة ومكة ولا تنزلن بلدا أهله فى طاعة على الا بسطت لسانك عليهم حتى يظنوا أنك محيط بهم وأنهم لا نجاة لهم منك ثم أصفح عنهم بعد ذلك وادعهم الى البيعة لى فمن أبى عليك فاستعمل السيف حتى تدخل أرض اليمن » (١٦٠) .

---

(١٥٥) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب : رأى النبى صلى الله عليه وسلم وكان سخيا جوادا كثير الطعام للفقراء استعمله على بن أبى طالب على اليمن وحج بالناس سنة ٣٦ ، ٢٧ هـ ومات بالمدينة .

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٢٢٧ .

(١٥٦) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٤٢٥ ـ ٤٣١ .

(١٥٧) ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٢٧ .

(١٥٨) ابن حزم : الجمهرة : ص ١٥٨ .

(١٥٩) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٣٩ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤٢٠ .

(١٦٠) ابن أعثم : الفتوح جـ ٢ ص ٢٢٨ .

خرج بسر من دمشق يريد المدينة وعليها يومئذ أبو أيوب الأنصاري (١٦١) من قبل على بن أبى طالب فخرج منها هاربا خوفا على نفسه وخرج أهل المدينة يستقبلونه اتقاء لشره (١٢٦) فلما نظر اليهم صاح بهم وانتهرهم وقال : شاهت الوجوه ان الله تعالى ضرب لكم مثلا « **قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** » (١٦٣) وقد وقع بكم هذا المثل وأنتم أهل لذلك لأن بلادكم هذه قد كانت مهاجر نبيكم ﷺ ومنازل الخلفاء من بعده فلم تشكروا نعمة ربكم ولم ترعوا حق أئمتكم حتى قتل خليفة الله بين أظهركم فكنتم بين قاتل وخاذل وشاتم ومتربص أما والله لأفعلن بكم الأفاعيل ولأجعلنكم أحاديث كالأمم السابقة ، يا شرار الأنصار وحلفاء اليهود ويا أسماء العبيد ، انما أنتم بنو دينار وبنو سالم وبنو زريق وبنو طريف وبنو عجلان (١٦٤) ، ثم دخل المدينة وصعد المنبر ونادى : يا دينار ويانجار ويازريق شيخى شيخى عهدى به بالأمس فأين هو ؟ ـ «يعنى عثمان» ـ والله لأوقعن بكم وقعة تشفى الصدور (١٦٥) .

خشى أهل المدينة أن يوقع بهم بسر بن أبى أرطأة فقال له حويطب ابن عبد العزى (١٦٦) وهو على المنبر : أيها الأمير قومك وعشيرتك وأنصار نبيك وليسوا بقتلة عثمان فالله الله فيهم فنزل بسر ولم يكلمه بشىء وأمر بدور قوم من الأنصار كانت لهم يد فى قتل عثمان فحرقت

---

(١٦١) اسمه ابو ايوب خالد بن زيد بن كليب النجارى وهو الذى نزل عليه النبى صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله من قباء شهد بدرا وغزا مع يزيد بن معاوية الروم سنة ٥٠ هـ ومات بارض الروم سنة ٥٢ هـ فصلى عليه يزيد ودفنه فى أصل سور القسطنطينية .

البلاذرى : انساب الأشراف : جـ ١ ص ٢٤٢ ، هامش ٢ الصفحة نفسها ، السهيلى : الروض الأنف : جـ ٢ ص ٢٤٦ .

(١٦٢) الطبرى : التاريخ جـ ٥ ص ١٣٩ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٩٢ .

(١٦٣) سور النحل : اية ١١٢ ، الفخر الرازى : التفسير الكبير : جـ ٩ ص ٦٤٩ ــ ٦٥٢ .

(١٦٤) ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٢٩ .

(١٦٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٣٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤٢٠ .

(١٦٦) اسمه حويطب بن عبد العزى بن ابى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، ادرك الاسلام وهو من مسلمة الفتح واحد من دفن عثمان بن عفان ومات فى آخر عهد معاوية وله مائة وعشرون سنة .

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٤٣٦ ، البلاذرى : انساب الأشراف : جـ ٦ ص ٢٩٢ ، ٢٤٩ ، ابن حزم الجمهرة : ص ١٦٩ .

وهدمت (١٦٧) ، ثم دعا الناس الى بيعة معاوية فبايعوه وأكره جابر بن عبد الله الأنصارى الخزرجى الصحابى (١٦٨) على البيعة فبايع كارها ، وأقام بشر بالمدينة حتى أخذ البيعة لمعاوية ثم نادى فى الناس وجمعهم وقال : يا أهل المدينة انى قد صفحت عنكم وما أنتم لذلك أهل لأنه ما من قوم قتل امامهم بين أظهرهم ولم يدفعوا عنه بأهل أن يعفى عنهم وان نالتكم العقوبة فى الدنيا فانى أرجو ألا تنالكم رحمة الله عز وجل فى الآخرة ، ألا وانى استخلفت عليكم أبا هريرة فاسمعوا له وأطيعوا واياكم والخلاف فوالله لئن عدتم لمعصية لأعودن عليكم بالهلاك وقطع النسل (١٦٩) .

سار بسر من المدينة يريد مكة وبها يومئذ قثم بن العباس فخرج عنها هاربا وخافه أبو موسى الأشعرى على نفسه فقال له بسر : ما كنت لأقتل صاحب رسول الله ﷺ وخلى عنه حتى اذا توسط مكة خرج اليه أشراف أهلها فلما نظر اليهم انتهرهم وشتمهم لتقاعسهم عن بيعة معاوية فقالوا له : أيها الأمير انا نذكرك الله فى بيضتك وعشيرتك وأهل حرم الله وحرم رسول الله ﷺ . وأقام بسر بمكة أياما ثم دعا شيبة بن عثمان العبدرى واستخلفه عليها وقال : يا أهل مكة اعلموا أنى قد صفحت عنكم فاياكم والخلاف فوالله لئن خالفتم لأقتلن الرجال منكم ولأحوين الأموال ولأخربن الديار ولأفنين الكبار والصغار (١٧٠) .

خرج بسر من مكة قاصدا الطائف (١٧١) فلما دنا منها خرج اليه المغيرة بن شعبة الثقفى فاستقبله وكلمه فى قومه وقال : « أيها الأمير انه لم يزل يبلغنا عنك منذ خرجت من الشام شدتك على عدو أمير المؤمنين عثمان بن عفان وكنت فى ذلك محمودا عندنا وانه متى كان عدوك ووليك

---

(١٦٧) ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٩٢ .

(١٦٨) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم من ولد الخزرج ابن حارثة من العرب القحطانية ، ابوه عبد الله بن عمرو عقبى بدرى نقيب شهد بدرا واستشهد يوم احد ولجابر بن عبد الله عقب فى جهة افريقية فى الموضع المعروف بالانصاريين ومات سنة ٧٨ هـ وقد كف بصره وهو ابن اربع وتسعين سنة وصلى عليه أبان بن عثمان والى المدينـة .

البلاذرى : انساب الاشراف : جـ ١ ص ٥٤٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٥٩ .

(١٦٩) ابن أعثـم : الفتـوح : جـ ٢ ص ٢٢٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤٢١ .

(١٧٠) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٣٩ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٩٢ ، أبو الفداء : المختصر : جـ ١ ص ١٧٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤٢١ .

(١٧١) انظر : ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٨ ـ ١٢ .

عندك في منزلة واحدة تأثم في ربك وتعرى الناس بك » فأمسك بسر ولم يؤذ أحدا من أهل الطائف (١٢٧) ٠

لما رحل أهل الشام عن الطائف قصدوا نجران (١٧٣) وبها يومئذ رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له عبد المدان وكان النبي سماه عبد الله (١٧٤) وهو من شيعة علي فقتله بسر بن أبي أرطأة وقتل ابنا له يدعى مالكا (١٧٥) فقال بعض بني عمه :

فلولا أن أخاف صيال بسر   بكيت على بني عبد المدان (١٧٦)

ثم جعل بسر يتهدد أهل نجران بالقتل (١٧٧) ويقول لهم : يا اخوان اليهود والنصارى أما والله لئن بلغني عنكم أمرا أكرهه لأرجعن عليكم بالخيل والرجال فانظروا لأنفسكم فقد أعذر من أنذر (١٧٨) ٠

سار بسر حتى أتى بلاد همدان وبها قوم من أرحب من (١٧٩) شيعة علي فقتلهم عن آخرهم (١٨٠) ثم قدم جيشان (١٨١) فقتل قوما بها ، ومشى الى صنعاء وبها يومئذ عبيد الله بن عباس من قبل علي بن أبي طالب فلما بلغه خبر بسر دعا برجل يقال له عمرو بن أراكة واستخلفه على صنعاء وخرج عنها هاربا وأقبل بسر حتى دخل صنعاء فأخذ عمرو بن

---

(١٧٢) ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٣٢ ٠

(١٧٣) نجران : من مخاليف اليمن من ناحية مكة سميت بنجران بن زيدان بن سبأ لأنه كان أول من عمرها ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٢٦٦ ـ ٢٧١ ٠

(١٧٤) ابن الأثير : أسد الغابة : جـ ٣ ص ٤٢٠

(١٧٥) ابن الاثير : أسد الغابة : جـ ٣ ص ٤٢٠ ٠

(١٧٦) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : ص ١٣٢ ٠

(١٧٧) الهمداني : الاكليل : جـ ١٠ ص ٦٦ ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : جـ ١ ص ٩٦ ، ٩٧ ٠

(١٧٨) ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٣٢ ٠

(١٧٩) بنو أرحب بطن من همدان من العرب القحطانية وهم ولد دعام بن مالك ابن معاوية بن دومان ٠

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٩٦ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٤٦ ٠

(١٨٠) الهمداني : الاكليل : جـ ١٠ ص ٦٦ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٣٣ ، يحيى بن الحسن : غاية الأماني : جـ ١ ص ٩٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤٢١ ٠

(١٨١) جيشان : مخلاف وكورة باليمن ينسب اليها الخمر السود كان ينزلها جيشان ابن غيدان المنتهى نسبه الى حمير بن سبأ فسميت به ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٠٠ ٠

ازالته وضرب عنقه وجعل يتلقط من كان بصنعاء من شيعة على فيقتلهم (١٨٢) ولما انتهى من ذلك قصد الى حضرموت(١٨٣) وجعل يسأل عن كل من يعرف أحدا من موالاة على فيقتله حتى قتل خلقا كثيرا وأشاع الذعر فى البلاد وأقبل الى رجل من ملوكهم يقال له عبد الله بن ثوابة وهو فى حصن له فلم يزل يختدعه ويحلف له حتى استنزله من حصنه ثم أمر بقتله ، فقال له ابن ثوابة : أيها الرجل انى لا أعلم ذنبا لنفسى يوجب القتل فعلام تقتلنى ؟! فقال له بسر : قعودك عن بيعة معاوية وتفضيلك على بن أبى طالب ثم قتله على ذلك (١٨٤) · ومن العجب أن يتخذ أهل اليمن موقفا سلبيا ازاء هذا العدوان الظالم على بلادهم وأن يتقاعسوا عن استنفار عامل الخليفة لهم لمواجهة قسوة بسر بن أبى أرطأة حتى اضطروه الى الخروج من اليمن هاربا الى الكوفة وتتحمل همدان كبرى قبائل اليمن آنذاك مسئولية تقصيرها عن التصدى لعدوان أهل الشام على جنوب الجزيرة وسلطان الخلافة ولعل ذلك مرجعه الى الأحقاد الشخصية التى كانت كامنة فى صدر أبى معين بن حمزة الهمدانى صاحب راية همدان فى حرب صفين فلما حول الخليفة الراية منه الى سعيد بن قيس غضب الأول ولحق بمعاوية وكان مصاحبا لجيش بسر عونا له وسندا فى بلد همدان (١٨٥) ·

بلغ على بن أبى طالب خبر بسر بن أبى أرطأة وما فعله فى بلاد العرب فوجه اليه جارية بن قدامة السعدى فى ألفى رجل ليوقع به فسار جارية حتى قدم نجران فحرق بها دورا وأخذ ناسا من شيعة عثمان فقتلهم (١٨٦) وخرج بسر وأصحابه الى الشام وجاء جارية الى مكة ثم سار حتى أتى المدينة وأبا هريرة يصلى بالناس فهرب منه فقال جارية : والله

---

(١٨٢) الهمدانى : الاكليل جـ ١٠ ص ٦٢ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٣٣ ، يحيى بن الحسين : غاية الامانى : جـ ١ ص ٩٧ ، أبو الفداء المختصر : جـ ١ ص ١٧٩ ·

(١٨٣) حضرموت : مخلاف باليمن بينه وبين البحر رمال وبينه وبين صنعاء اثنان وسبعون فرسخا ·

ياقوت معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٧٠ ، ٢٧١ ·

(١٨٤) ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٣٣ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى : جـ ١ ص ٩٧ ·

(١٨٥) الهمدانى : الأكليل : جـ ٨ ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٦٧ ·

(١٨٦) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٤٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ص ٤ ، ص ٤٢١ ·

لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه وأقام يومه ثم خرج منصرفا الى الكوفة وعاد أبو هريرة الى المدينة فصلى بالناس (١٨٧) ٠

وهكذا دارت رحى الحرب بين أهل الشام وأهل العراق بعد صفين فى كل مكان فى مصر والعراق وشبه الجزيرة العربية حتى اليمن وحضرموت وأخذ معاوية من لم يعترف بالحكومة أخذا شديدا وقد استغرقت هذه الحروب ما يقرب من ثلاث سنوات من سنة ٣٨ هـ ـ ٦٥٨ م حتى سنة ٤٠ هـ ـ ٦٦١ م وكانت فيها لأهل الشام اليد الطولى على أهل العراق بسبب انشغالهم فى حرب الخوارج وانقسامهم على أنفسهم ، حتى أن على ابن أبى طالب رضى فى نهاية الأمر أن يحقن دماء المسلمين واعترف لمعاوية ولايته على الشام فأقام معاوية بها يجبيها وما حولها وعلى بالعراق يجبيها ويقسمها بين جنوده (١٨٨) وكان من الممكن أن يظل الوضع هكذا بانقسام الدولة الاسلامية بين العراق والشام لو لم يعجل الخوارج بقتل على بن أبى طالب الذى لم يستطع أن يخضع معاوية لسلطانه طيلة حياته بسبب نصرة القبائل الشامية له ووقوفها خلفه ، وتبين لنا هذه الغارات مدى الاضطراب الداخلى الذى أصاب الدولة بعد تلك الحروب الأهلية المهلكة فى الجمل وصفين والنهروان مما أوجد العداوة والبغضاء بين العرب جميعا من مضر وربيعة واليمن فتوقفت فتوحاتهم وتناقض سلطانهم فى أطراف الدولة كما تبين أيضا مدى الضعف السياسى الذى صارت اليه خلافة على بن أبى طالب الذى استقر بالكوفة وخذله أهلها فى التصدى لمنافسه معاوية بن أبى سفيان فالتزم جانب الدفاع ازاء اعتداءات أهل الشام ووصلت الفوضى مداها الى حد المنازعة فى السيادة على الحجاز حتى أقيم الحج فى موسم ٣٩ هـ والناس لا يدرون من خليفتهم بالاضافة الى طمع بعض العمال فى ابطاء الخراج من ولاياتهم (١٨٩) ٠

رابعا : مقتل على بن أبى طالب وتسليم الحسن بن على بالبيعة لمعاوية بن أبى سفيان وقيام الدولة الأموية :

فى سنة ٤٠ هـ ـ ٦٦١ م اجتمع ثلاثة من الخوارج هم : عبد الرحمن ابن ملجم المرادى ، والبرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر التميمى فتذاكروا أمر الناس وعابوا على ولاتهم ، ثم ذكروا أهل النهر من الخوارج الذين

---

(١٨٧) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٤٠ ، يحيى بن الحسين : غاية الامانى : جـ ١ ص ٩٧ ٠

(١٨٨) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٤٠ ٠

(١٨٩) اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٩٨ ٠

قتلوا فى الحرب مع على بن أبى طالب فترحموا عليهم (١٩٠) وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم ؟! اخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم والذين كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم فلو شرينا أنفسنا وأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم لأرحنا منهم البلاد وثأرنا بهم (١٩١) اخواننا ، قال ابن ملجم ــ وكان من أهل مصر ــ أنا أكفيكم على بن أبى طالب وقال البرك بن عبد الله : أنا أكفيكم معاوية بن أبى سفيان وقال عمرو بن بكر التميمى : أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذى توجه اليه حتى يقتله أو يموت دونه وأخذوا سيوفهم فشحذوها وسموها وتواعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثب كل واحد منهم على صاحبه الذى توجه اليه وأقبل كل رجل منهم الى المصر الذى فيه صاحبه الذى يطلب (١٩٢) .

خرج ابن ملجم المرادى الى الكوفة ولقى أصحابه من تيم الرباب(١٩٣) وكاتمهم أمره خشية أن يظهروا منه شيئا وكان على قتل منهم يوم النهر عشرة فذكروا قتلاهـم وأتى ابن ملجم رجلا من أشجع (١٩٤) يقال له شبيب بن بجرة وقال له : هـل لك فى شرف الدنيـا والآخرة ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : قتل على بن أبى طالب قال : ثكلتك أمك : لقد جئت شيئا ادا ، كيف تقدر على على ؟! قال : أكمن له فى المسجد فاذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه فان نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا وان قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها (١٩٥) ، قال : ويحك لو كان غير على لكان أهون على وقد عرفت بلاءه فى الاسلام وسابقته مع النبى ﷺ وما أجـدنى أنشرح لقتـله ، قال : أما تعلم أنه قتـل أهـل النهر العباد

---

(١٩٠) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٤٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤٢٥ .

(١٩١) ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٩٤ .

(١٩٢) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٤٤ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٤٢٣ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ٢١٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤٢٥ ، سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام : ص ١٠٩ .

(١٩٣) حى من طابخـة من الياس بن مضر من العرب العدنانية .
ابن حزم : الجمهرة : ص ١٩٨ ، القلقشندى : نهاية الأمب : ١٢٩ .

(١٩٤) بنو أشجع بن ميث بن غطفان من بنى سعد بن قيس عيلان بن مضر من العرب العدنانية .
ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٤٩ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٥٠ .

(١٩٥) الطبرى : التاريخ جـ ٥ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٩٦ اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤٢٦ .

الصالحين . قال : بلى . قال : فنقتله بمن قتل من اخواننا . فأجابه الرجل وجاءوا بامرأة من تيم الرباب تدعى قطام (١٩٦) وهي موتورة بأبيها وأخيها قتلوا يوم النهر وأفضوا اليها بسرهم فعصبتهم بالحرير وأخذوا سيوفهم وخرجوا فجلسوا مقابل السدة التى كان يخرج منها على للصلاة (١٩٧) ، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف فأخطأه وضربه ابن ملجم فى رأسه فأصابه ، وخرج شبيب نحو أبواب كندة فلحقه رجل من حضرموت يدعى عويمر أوقعه على الأرض وجثم عليه فلما رأى الناس قد أقبلوا خشى أن يتهم بأنه شريك معه فى قتل على وتركه فتبعه رجل من همدان يكنى أبا ادماء ضرب شبيبا بالسيف فى رجله فصرعه (١٩٨) ، وأخذ ابن ملجم وأدخل الى على بن أبى طالب فور اصابته فقال له : أى عدو الله ألم أحسن اليك ؟! قال : بلى قال : فما حملك على هذا ؟ قال : شحذته أربعين صباحا « يقصد السيف » وسألت الله أن يقتل به شر خلقه ، قال على : اذن لا أراك الا مقتولا به ولا أراك الا من شر خلقه (١٩٩) .

دخل جندب بن عبد الله الى على بن أبى طالب وهو فى اصابته فسأله : يا أمير المؤمنين ان فقدناك – ولا نفقدك – فنبايع الحسن ؟ قال : ما آمركم ولا أنهاكم وأنتم أبصر لأنفسكم (٢٠٠) ثم دعا حسنا وحسينا وقال لهما : أوصيكما بتقوى الله وألا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تبكيا على شيء زوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأغيثا الملهوف واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا واعملا بما فى كتاب الله ولا تأخذكما فى الله لومة لائم (٢٠١) وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه قد ضرب يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ومكث يوم الجمعة وليلة السبت وتوفى ليلة الأحد سنة أربعين للهجرة وله من العمر ثلاثة وستون عاما ودفن عند مسجد الجماعة فى قصر الامارة (٢٠٢) وكانت خلافته خمس سنوات الا ثلاثة أشهر ، وكان على يدعى بالعراق أمير المؤمنين ومعاوية يدعى بالشام الأمير فلما قتل دعى معاوية أمير المؤمنين (٢٠٣) .

---

(١٩٦) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٤٢٣ .

(١٩٧) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٤٥ ، ابن كثير : البداية : جـ ٤ ص ٤٢٦ .

(١٩٨) ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٩٦ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ٤٢٥ .

(١٩٩) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٤٦ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٩٦ .

(٢٠٠) ابن الأثير : الكامل جـ ٣ ص ١٩٦ .

(٢٠١) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٤٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٢٠٢) ابن سعد : الطبقات : جـ ٦ ص ١٢ .

(٢٠٣) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٦١ .

في هذه السنة التي قتل فيها على بن أبي طالب وهى سنة ٤٠ هـ ـ ٦٦١ م بويع الحسن بن على بالخلافة وكان أول من بايعه قيس بن سعد ابن عبادة الأنصارى (٢٠٤) وكان على جيوش العراق فى ذلك الوقت ووالى مصر سابقا ، قال له أبسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وقتال المحلين فقال له الحسن على كتاب الله وسنة نبيه فان ذلك يأتى من وراء كل شرط فبايعه وسكت وبايعه القوم (٢٠٥) ٠

فى هذه الأثناء تحرك معاوية بجيش الشام منتهزا فرصة وفاة على ابن أبى طالب وقدم عبد الله بن عامر على طلائعه (٢٠٧) قاصدا عين التمر ومنها الى الأنبار ثم المدائن (٢٠٧) ، فلما علم الحسن بن على بذلك خرج بجيش العراق وسبق الى المدائن انتظارا للقاء معاوية وأقام سرادقه فى المعسكر وقدم قيس بن سعد على طلائعه فنزل الأنبار (٢٠٨) ، وسرعان ما انقسم أهل العراق كدأبهم فى هذه الآونة بين أقلية تريد القتال وأكثرية لا تريده (٢٠٩) ، وكانت الأقلية على رأى الخوارج ترى أن عدم القتال هو كفر من الحسن كما كفروا أبوه من قبل (٢١٠) ، وأقبل معاوية فى جيشه حتى نزل مسكن (٢١١) وبينما الحسن فى المدائن اذ نادى مناد فى العسكر ، ألا ان قيس بن سعد قد قتل فانفروا ، فنفروا ونهبوا سرادق الحسن ونهبوا فسطاطه حتى نازعوه بساطا كان تحته وكادوا يفتكون به (٢١٢) غير أنه ركب فرسه واستنجد بربيعة وهمدان فاقبلوا عليه وكشفوا عنه القوم (٢١٣) فلما مضى الى المدائن كمن له أحدهم فى الطريق

---

(٢٠٤) ابن حزم : الجمهرة : ص ١٢٧ ، ٣٦٥ ٠

(٢٠٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٥٨ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٣ ص ٤ : ابن كثير : الكامل : جـ ٣ ص ٢٠٢ ٠

(٢٠٦) ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ٢٠٣ ٠

(٢٠٧) راجع ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ١٧٦ ، جـ ١ ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، جـ ٥ ص ٧٤ ٧٥ وسبق ذكر هذه البلاد ٠

(٢٠٨) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٥٩ ، ابن كثير : البداية : جـ ٤ ص ٤٩٣ ٠

(٢٠٩) الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢١٦ ٠

(٢١٠) الدينورى : المصدر السابق : ص ٢١٧ ٠

(٢١١) مسكن موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير فى سنة ٧٢ هـ حيث قتل مصعب ودفن وقبره بها معروف ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ١٢٧ ، ١٢٨ ٠

(٢١٢) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٥٩ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٣ ص ٩ ، الدينورى ٠ الأخبار الطوال : ص ٢١٧ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ٢٠٣ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ٢١٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤٩٤ ٠

(٢١٣) الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢١٧ ٠

وطعنه فأسال دمه وحمل جريحا الى القصر الأبيض بالمدائن(٢١٤) وازاء هذا الاعتــداء من أهل العراق على الحسن بن على « ازداد لهم بغضــا ومنهم ذعرا » (٢١٥) • وخطب فيهم قائلا : يا أهل العراق انه سخى بنفسى عنكم ثلاث : « قتلكم أبى وطعنكم اياى وانتهابكم متاعى » (٢١٦) وراسل معاوية فى طلب الصلح ولم يلتفت الى معارضة أخيه الحسين (٢١٧) وتصادف أن يصل كتاب الحسن الى معاوية فى طلب الصلح بشروط حددها بعد أن كان معاوية قد أرسل له عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس فقدما على الحسن بالمدائن وأعطياه صحيفة بيضاء مختومة ليكتب فيها ما يراه من شروط الصلح وبذلا له ما أراد وصالحاه على أن يأخــذ من بيت مال الكوفــة خمســة آلاف ألف فى أشــياء اشترطها (٢١٨) وبايع معاوية فجاء الكوفة وأخذ بيعة الناس بها (٢١٩) فكان ذلك ايذانا ببدء عهد جديد حيث قامت دولة بنى أمية •

---

(٢١٤) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤٩٤ •

(٢١٥) ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص ٢٠٣ •

(٢١٦) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٥٩ •

(٢١٧) ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص ٢٠٣ •

(٢١٨) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ٢٠٣ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢١٨ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ٢١٥ •

(٢١٩) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٦٠ المبرد : الكامل : جـ ٢ ص ١٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٤٩٤ ، سيده كاشف : مصر فى فجر الاسـلام : ص ١٠٩ •

الباب الخامس

العصبية القبلية في أهل الشام وأثرها على الدولة الأموية

الفصل الأول : العصبية عند العرب وفى قبائل الشام .

أولا : مفهوم العصبية ومظاهرها وموقف الاسلام منها .

ثانيا : تطور العصبية فى الأمصار .

ثالثا : مظاهر تأثير العصبية فى قبائل الشام .

رابعا : دور الفصحاء والشعراء فى اثارة العصبية والنعرة القبلية .

الفصل الثانى : الحروب القبلية فى بلاد الشام .

أولا : الحرب بين القيسية واليمنية .

(أ) موقعة مرج راهط .

(ب) الوقائع التى حدثت بين قيس وكلب بعد يوم المرج .

ثانيا : الحرب بين قيس وقبيلة تغلب النصرانية .

(أ) دواعى الحرب القيسية التغلبية .

(ب) الوقائع الحربية بين قيس وتغلب .

١ ـ وقعة يوم ماكسين ·   ٢ ـ وقعة يوم الثرثار الأول ·
٣ ـ وقعة يوم الثرثار الثانى ·
٤ ـ أيام متفرقة من حرب قيس
٥ ـ موقعة الحشاك ·
٦ ـ وقعة نهر الكحيل ·
٧ ـ موقعة البشر ·

الفصل الثالث : القبائل العربية بالشام ودورها فى سقوط الدولة الأموية ·

أولا : سياسة الدولة الأموية تجاه القبائل وزعمائها :

١ ـ سيطرة الدولة على نفوذ زعماء القبائل والحد من سلطانهم ·
٢ ـ مسئولية بنى أمية تجاه العصبية والروح القبلية ·
(أ) سياسة المصاهرات   (ب) العصبية لقريش ·
(جـ) التحريش بين الشعراء والأشراف ·

ثانيا : الفتن القبلية ابتداء من عهد الوليد بن يزيد ودور الخلفاء فيهـا وسقوط الدولة الأموية :

١ ـ نهاية عصر الاستقرار ·
٢ ـ اندلاع الفتن القبلية وعودة روح العصبية الى القبائل وأثرها فى زوال دولة بنى أمية ·
(أ) الوليد بن يزيد بن عبد الملك ·
(ب) يزيد بن الوليد بن عبد الملك ·
(جـ) ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك ·
(د) مروان بن محمد الجعدى ·

الفصل الأول

العصبية عند العرب وفي قبائل الشام

أولا : مفهوم العصبية ومظاهرها وموقف الاسلام منها ٠

كان للعصبية القبلية فى عهد الدولة الأموية شأن خطير لم يكن لها نظيره فى أى عهد آخر فى تاريخ الاسلام ٠ اذ كان لها تأثير بالغ فى صنع وبلورة الأحداث التاريخية لتلك الفترة حيث وقعت الفتن والحروب القبلية فى شتى بقاع الدولة ولا سيما فى الشام مقر الحكم الأموى حتى اذا ساد العنف وحلت الفوضى لم يجد العباسيون عنتا فى ازالة ملك بنى أمية واقامة دولتهم على أنقاضها ، فقد حال استفحال العصبيات دون نمو الشعور القومى الذى يسمو على الشعور العصبى مما كان له أبلغ الأثر فى تقطيع الوشائج واثارة الخصومات والوقائع الدامية بين القبائل فكانت الحزازات والأحقاد التى توارثها الأبناء عن الآباء وتحكمت فى مسلكهم وتفكيرهم ووجدت بسببها ظاهرة الثأر تلك الآفة الاجتماعية الخطيرة ٠

وأصل كلمة عصبية كما عرفها أهل اللغة هى « أن يدعى الرجل الى نصرة عصبيته من أهله وقومه ضد خصومهم ظالمين كانوا أو مظلومين ، أو هى « تجمع القوم للاعانة والمساعدة والنصرة سواء على الحق أو الباطل » (١) ، وهى مشتقة من التعصب أى التجمع (٢) ، ولما كان

(١) ابن منظور : لسان العرب : جـ ٢ ص ٩٦ ، الفيروز ابادى : القاموس المحيط « مادة عصب » ٠

(٢) ابن منظور : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٩٦ ٠

أقارب الرجل يتعصبون به أى يلازمونه ويسيرون معه سموا عصـبته ، وقد أطلق هذا اللفظ على أقـارب الرجل من جهة أبيـه فهم قومه الذين يتعصبون له • وقيل للرجل يغضب لعصبته ويحامى عنهم ويعينهم ولو على الظلم « عصبى » (٣) •

والعصبية فى حيـاة القبائل لا تكون لقرابة الرجل وذوى رحمه الأدنين فحسب وانما تكون للقبيلة بأسرها فهى تضم جميع أفراد القبيلة فى اطار واحد وتفرض عليهم تبعـات وواجبـات مشتركة وكل رجل فى القبيلة يشعر أنه مسئول عن جماعته كلها كما أن القبيلة بأجمعها تشعر أنها مسئولة عن كل من ينتمى اليها (٤) ، ومن ثم فالعصبية سداها وحدة الدم ولحمتها صلة النسب لا ينفكان ولا ينفصلان لأن صلة الرحم شىء طبيعى فى البشر •• فالقريب يجد فى نفسـه غضـاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب » (٥) فالقبيلة كلها ملزمة بنصرة أى رجل ينتمى اليها اذا طلب نجدتها لا يهمها ان كان معتديا أو معتدى عليه وفى ذلك يقول أبو تمام :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... فى النائبات على ما قال برهانا (٦)

وفى ذلك أيضـا جرى المثـل القـائل : « فى الجريرة تشترك العشيرة » (٧) •

فالتماسك الشديد بين أفراد القبيلة الواحدة من أهم مظاهر العصبية وسير الرجل فى ركاب جماعته ولو خالفوا رأيه فرض عليه مثله فى ذلك قول دريد بن الصمة :

وهل أنا الا من غزية ان غوت ... غويت وان ترشد غزية أرشد (٨)

(٣) ذكر الرازى أن عصبة الرجل : بنو قرابته لابيه وسموا بذلك لانهم عصبوا به أى احاطوا به • والأب طرف والابن طرف والعم جانب والاخ جانب والعصبية من الرجال ما بين العشرة الى الاربعين •

الرازى : مختار الصحاح : ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ مادة عصب •

(٤) احسان النص : العصبية القبلية واثرها فى الشعر الأموى : ص ١٠٥ •

(٥) ابن خلدون : المقدمة : ص ١٢٨ •

(٦) ابو تمام : ديوان الحماسة : جـ ١ ص ١٦ •

(٧) الميدانى : مجمع الأمثال : جـ ٢ ص ٢٠ •

(٨) أبو تمام : الحماسة : جـ ٢ ص ٣٠٦ •

وكانت القبائل تعتز بأنسابها وتحرص عليها وتتمسك بأسمائها التى عرفت بها ولو كان مدلولها قبيحا فلما وفد بنو مغويه (٩) على النبى ﷺ وأراد أن يغير اسمهم ويجعله بنو رشدة كرهوا ذلك وتمسكوا باسمهم (١٠) وكانت كل قبيلة ترى لنفسها من المكانة والمنزلة ورفعة الحسب وعراقة النسب ومن المآثر والمحامد ما ليس لغيرها (١١) فقامت المفاخرات والمنافرات والمناقضات على ألسنة الشعراء والخطباء والأشراف يؤكدون ذلك وتلهج به ألسنتهم ما عن لهم فى كل حين وآن (١٢) ، ومن ثم فلم يكن هناك تصور لأى نظام آخر غير النظام القبلى فى تلك الفترة مما يفسر طول الوقت الذى استغرقته القبائل للانتقال من طور البداوة الى طور التحضر والرغبة فى التمرد على السلطة والنظام كلما سنحت لهم الظروف بذلك (١٣) .

ولما كان التفاضل فى الجنس واختلاف الأنساب هو أساس العصبية عند العرب فقد بذلت الجهود الكبيرة للعناية بأنساب القبائل ووضعت الكثير من المؤلفات التى تناولت أنساب العرب وترجمت لمشاهير علماء النسب بما لا يوجد عند أمة أخرى (١٤) ، ولم يكن ذلك ليتم لو لم يدرك النسابون شدة اهتمام القبائل بأنسابها واعتزازها بأسلافها ومفاخرها بأجدادها ، وبفضل هؤلاء النسابين ظهر ما عرف بعلم النسب وهو يتناول الحديث عن تسلسل العرب منذ انحدروا من صلب آدم ويفصل قبائلهم وعشائرهم ويوضح أواصر القربى التى تربط بين القبائل التى تمت الى أصل واحد وأب مشترك ويتحدث عما وقع بين مختلف القبائل من مصاهرات أو انفصال عشيرة عن أصلها أو التحامها بقبيلة أخرى ، كما يحدثنا هذا العلم عن أسماء القبائل والأحلاف القبلية ويضع لكل قبيلة

وبنو غزية بطن من هوزان من العدنانية وهم بنو غزية بن جشم بن معاوية بن بكر ابن هوازن وكانت منازلهم بالسروات من تهامة ونجد .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٩١ ، ٣٩٢ ، القلقشندى : نهاية الارب : ص ٤٣٧ .

(٩) بنو مغوية من ولد خثعم بن انمار من العرب القحطانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٩٠ .

(١٠) ابن حبيب : مختلف القبائل ومؤتلفها : ص ٣٧ ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٩٠ ابن قيم الجوزية : زاد المعاد : جـ ٢ ص ٣٣٥ . الأبشيهى : المستطرف : جـ ٢ ص ٧٦ ، الأنبارى : شرح المفضليات : ص ١٠٢ .

(١١) احسان النص : العصبية القبلية : ص ١١٨ .

(١٢) انظر : الاصفهانى : الاغانى : جـ ١٩ ص ٧٤ .

(١٤) انظر : البلاذرى : انساب الأشراف جـ ١ ص ٨١ ، ياقوت : معجم الأدباء : « تراجم النسابين » ابن حزم : الجمهرة : ص ٩ ، ابن النديم : الفهرست : ص ١٣١ وما بعدها ، عبد العزيز الدورى : بحث فى نشاة علم التاريخ عند العرب : ص ٤٩ ، ٢٩٢ .

جدولا للأنساب لا يزال ترتقي بها حتى يصلها بجدها الأعلى بحيث كان في مقدور أى عربى صريح يعيش فى الحقبة الأولى من عصور الخلفاء الراشدين أن يعرف أسماء معظم أجداده الماضين (١٥) ومن ثم فقد كان تمسك العرب بأنسابهم وأحسابهم والتفاخر بها والحرب من أجل اعلائها أمرا هاما فى حياة المجتمع الذى تكونه مجموع القبائل ٠

ومن المرجح أن وضع الخليفة عمر بن الخطاب لديوان العطاء (١٦) كان أول ما نبه العرب الى ضرورة العناية بأنسابهم وتصنيفها وتدوينها وخاصة أن بناء الدولة العربية الى ذلك الحين وحتى آخر عصر الأمويين كان بناء قبليا وكانت نظمها الادارية مستمدة من هذا النظام القبلى (١٧) ، ومما يذكر في هذا المجال أن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي (١٨) هو الذى أشار على الخليفة عمر بن الخطاب بتدوين الدواوين وتجنيد الجند وفقا لما رآه لدى ملوك الشام فأخذ عمر بمشورته ودعا عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وأمرهم أن يدونوا الناس على قدر منازلهم (١٩) ٠

على أن وضع جداول الأنساب فى صورتها المنسقة لم يتم الا فى أوائل العصر الأموى حيث استقى النسابون مادتهم عن أنساب الأمم القديمة منذ عهد آدم وأبناء سام وقبائل العرب البائدة من التوراة ومن أفواه أهل الكتاب كما أشاروا هم أنفسهم (٢٠) ، كذلك روى أهل الكتاب أمثال وهب بن منبه وكعب الأحبار كثيرا من أخبار القدماء وأنسابهم وذكر ابن النديم أن ابن اسحاق كان ينقل عن اليهود والنصارى وسماهم فى

---

(١٥) انظر نص حديث صعصعة بن صوحان العبدى مع معاوية بن ابى سفيان حين سأله عن آبائه ونسبه ٠ المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٦٠ ، ٦١ ٠

(١٦) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٥٤٩ ، عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ : ص ١٩ ٠

(١٧) الدورى : المرجع السابق : ص ١٩ ٠

(١٨) عن نسبه فى قريش وعقبة وانتقاله بأهله وماله الى الشام فى زمن عمر بن الخطاب انظر :

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٣٠١ ـ ٣٠٣ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ٠

(١٩) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٥٤٩ ، الطبرى : جـ ٣ ص ٢٠٠ ، ابن ابى الحديد : شرح نهج البلاغة : جـ ٣ ص ١١٣ ، احسان النص : العصبية : ص ٣١ ٠

(٢٠) انظر : ابن قتيبة : المعارف : ص ٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٧ ، ابن خلدون : العبر : جـ ١ ص ١٧ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٥ ، سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى : ص ١٣ ٠

كتبه « أهل العلم الاول » (٢١) ويعتبر عبيد بن شرية الجرهمى من أوائل من دونوا أنساب العرب عندما استدعاه معاوية بن أبى سفيان من اليمن وأخـــذ يســـأله عن أخبـــار الماضين وأنساب اليمن وأمر بتدوين ذلك كله (٢٢) ·

كان الطابع الغالب على العصبية القبلية فى العصر الجاهلى هو ضيق حدودها لأن العرب فى ذلك الوقت كانوا يعيشـــون على هيئـــة جماعات صغيرة لا تتعدى القبيلة أو بعض بطـــونها وكل جمـــاعة كانت مستقلة بمراعيها ومياهها وحماها ومصلحة القبيلة وحدها هى التى تحدد صلاتها بالقبائل المجاورة لها ومن ثم كانت العصبية للرهط أو البطن أو العشيرة تطغى على العصبية الجامعة للقبيلة ولذلك فانه كثيرا ما نشبت الحروب القبلية فى العصر الجاهلى بين بطون القبيلة الواحدة (٢٣) كتلك التى قامت بين بطون بنى عدوان وكادت تؤدى الى فنائها (٢٤) والتى قامت بين بطون مرة بن عوف (٢٥) · بنو صرمة وبنو سهم (٢٦) ، والتى قامت بين جديلة والغوث من بطون طىء (٢٧) والتى وقعت بين أحمس بن الغوث وزيد ابن الغوث وعرينة بن نذير وأفصى بن نذير من بطون بجيلة وتمزقت على أثرها فى شتى قبائل العرب (٢٨) ·

---

(٢١) ابن النديم : الفهرست : ص ١٣٦

(٢٢) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٧٣ ، ابن النديم : الفهرست : ص ٣٢ ، وفى محمد حسن : دراسات فى الموازنة المؤرخين : ص ٦ · ٧ سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى : ص ١٣ ، عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ : ص ١١٥ ـ ١١٧ ، النص : العصبية : ص ٣١ ·

(٢٣) انظر : الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٠ ص ٣٣ ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٣ ص ٣٤٣ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ١ ص ٢٤٢ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧ ، جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٢٥٤ ـ ٢٧٤ ·

(٢٤) الاصفهانى : الاغانى : جـ ٣ ص ٧٩ ·

وبنو عدوان هم : زيد ويشكر ودوس ، ولد عمرو بن قيس عيلان بن مضر · انظر بطونهم وقبائلهم : ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، القلقشندى : نهاية الارب : ص ٣٢١ ، ٣٢٢ ·

(٢٥) الاصفهانى : الاغانى : جـ ١٣ ص ١٠ ، ، زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٢٥٧ ·

(٢٦) مرة بن عوف : بطن من بنى ذبيان من العدنانية ، وهم بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيـــان ·

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٢ ، القلقشندى : نهاية الارب : ص ٣٧٤ ·

(٢٧) ابن الاثير : الكامل : جـ ١ ص ٣٨٨ ·

(٢٨) البكرى معجم ما استعجم : جـ ١ ص ٥٩ ·

وكثيرا ما كانت تتحالف القبيلة مع قبائل أخرى على قبيلة تربطها بها صلة النسب كتحالف تميم وذبيان وكندة على بنى عامر وبنى عبس يوم شعب جبلة (٢٩) وتحالف ذبيان وأسد على عبس أخوة ذبيـان يوم الهباءة (٣٠) وتحـالف الخزرج مع جهينة وأشـجع على أخوتهم الأوس وحليفتهم مزينة يوم بعاث (٣١) ، وأن دل هذا على شىء فانما يدل على أن

---

(٢٩) جبلة : جبل طويل له شعب عظيم واسع وداخله متسع ، ويوم شعب جبلة من أعظم أيام العرب وأشدها كان قبل الاسلام بسبع وخمسين سنة بين بنى عامر بن صعصعة وتميم وسبب ذلك أن لقيط بن زرارة عزم على غزو بنى عامر للأخذ بثأر أخ له كان أسيرا عندهم ومات فبينما لقيط يتجهز بلغه أن بنى عامر وبنى عبس تحالفا ، فخابر القبائل الأخرى لتحالفه على عبس وعامر فأجابته أسد وغطفان وساروا وهم لا يشكون أنهم ظافرون لأنهم سيفتنمون غرة القوم ، وبينما هم سائرون لقيهم كرب بن صفوان من أشراف بنى سعد فحياهم وظل سائرا فخافوا أن يكون مسرعا لاطلاع أعدائهم على خبرهم فاستوقفوه وطلبوا منه أن يصحبهم فى غـزوهم فقـال لهم : انه يبحث عن ابل ضـلت منه فأخذوا على المواثيق أن لا يخبرا أحد بمسيرهم ولكنه غضب لهذه المعاملة فلما دنا من عامر وعبس أخذ خرقة وضع بها حنظلة وشوكا وترابا وخرقتين يمانيتين وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم فأخذها بعضهم وجاء بها الى قيس بن زهير أمير عبس فعلم ما يعنى الرجل بهذه الخرقة وقال : هذا رجل قد أخذ عليه عهد الا يكلمكم يخبركم أن أعداءكم قد غزوكم عدد التراب وأن شوكتكم شديدة وأما الحنظلة فهى رؤساء القوم والخرقتان اليمانيتان هما حيان معه من اليمن والخرقة الحمراء هى حاجب بن زرارة وأما الأحجار فهى عشر ليـال يأتيكم القوم بعدها وقد أنذرتكم ، فأثنوا على حكمته واستشاروه فى ماذا يعملون ؟ فقـال : « ادخلوا ابلكم هذا الشعب » شعب جبلة ثم أظمأوها هذه الأيام فاذا جاء القوم أخرجوها عليهم وانخسوها بالسيوف والرماح فتخرج عليهم مذاعير عطاشا فتشغلهم وتفرق جمعهم وأخرجوا أنتم فى أثرها واشفوا نفوسكم » ففعلوا ما أمرهم به وكثر القتل فى تميم وغطفـان .

الأصفهانى : الأغانى : ج ١٠ ص ٢٣ ، ابن عبد ربه : العقـد : ج ٢ ص ٣٠٧ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ، ص ١٠٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ١ ص ٣٣٥ ، زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٣٠) الهباء : التراب الذى تطيره الريح فتراه على وجوه الناس وثيابهم وتأنيثه للأرض : وهى الأرض التى ببلاد غطفان قتل بها حذيفة وحمل ابنا بدر الفزاريان قتلهما قيس بن زهير ، ويوم الهباءة من أيام حرب داحس والغبراء الشهيرة فى الجاهلية بين عبس وهوازن .

ابن قتيبة : عيون الأخبار : ج ١ ص ١٢٥ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ٣٩٩ ، ابن الأثير : الكامل : ج ١ ص ٢٥٨ ــ ٢٦٧ ، زيدان : الغـرب قبل الاسـلام ص ٢١٩ ــ ٢٧١ .

(٣١) بعاث : موضع من نواحى المدينة كانت به وقائع كثيرة بين الأوس والخزرج فى الجاهلية ، وكان الرئيس فى بعض حروب بعاث وحضير الكتائب أبو أسيد بن حضير وكان قد توفى من جراحه فيها فقال خفاف بن ندبة يرثيه :

فلو كنت حيا ناجيا من حمامه … لكان حضير يوم أغلق واقعا

أبو تمام : ديوان الحماسة : ج ٣ ص ٢٤ ، حسان بن ثابت : الديوان : ص ١٢١ ، الأصفهانى : الأغانى : ج ١٥ ص ١٥٤ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٥١ .

مفهوم العصبية القبلية قبل الاسلام كان مفهوما ضيقا منحصرا فى معظمه داخل نطاق القبيلة أو بعض بطـــونها ، أما العصبية القبلية فى نطاقها الواسع كالعصبية لقيس كلها أو لمصر كلها أو لربيعة أو العصبية الشاملة للجذم كعدنان وقحطان فلم تكن معروفة في الجاهلية وانما ظهرت بوادرها مع الاسلام ويبلورت في حروب الردة واتضحت معالمها بعد حروب الجمل وصفين فى خلافة على بن أبى طالب وبلغت أقصى غايتها من العنف والقوة فى عصر دولة بنى أمية ، ومن ثم فانه ليس من الصواب القول بأن العصبية العدنانية القحطانية بمعناها الشامل قامت منذ العصر الجاهلي لأن العربى فى ذلك الوقت لم يكن قادرا على الارتقاء بشعوره وحسه عن حدود عشيرته ورحمه الأدنين وربما اتسع نطاق عصبيته ليشمل القبيلة بمعناها المحدود أما اتجاوز ذلك الى الشعب والجذم والأصل الجامع فلم يكن من سمات المجتمع القبلي في هذا الوقت وهو ما يمثل تطورا فى مفهوم العصبية لم يكن موجودا فى العصر الجاهلي عصر القبائل والبطون الصغيرة (٣٢) .

أوجدت العصبية القبلية حالة من العداء الدائم والتوتر المستمر بين قبائل لعرب وبطونها فضلا عن أثارة الأحقـاد والضغائن النـاتجة عن اتصال الحروب والوقائع بينها مما حال دون توحدها وجمع شملها ولذلك فانه لما جاء الاسلام وجه همه الى محاربة النزعات العصبية والروح القبلية ودعا العرب كافة الى التآخى والتآلف ونبذ أسباب العداوة وعدم المفاضلة بينهم على أساس الجنس والنسب وانما بالتقوى وقوة الايمان فقال تعالى : « **يا أيهـــا النــاس انا خلقنـاكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير** » (٣٣) وأكد النبى ﷺ هذا المعنى فى حجة الوداع حين خطب الناس وكان مما قال : « **الناس سواسية كأسنان المشط ، كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » (٣٤) وهكذا أكد الاسلام فى محاربة العصبية على أن الناس كافة سواسية قال تعالى : « **انما المؤمنون اخوة** » (٣٥) ودعا الى نبذ حمية الجاهلية وخلع الروح القبلية وذمها . قال تعالى : « **اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية** » (٣٦) وقال النبى ﷺ : « **من قتل تحت راية عمية يدعو لعصبية أو ينصر عصبية**

---

(٣٢) احسان النص : العصبية القبلية : ص ١٤١ .
(٣٣) سورة الحجرات : آية ١٣ .
(٣٤) انظر نص الخطبة : ابن هشام : السيرة : ج ٤ ص ١٧ ، ١٤١ .
(٣٥) سورة الحجرات : آية ١٠ .
(٣٦)سورة الفتح : آية ٢٦ .

فقتلته جاهلية » (٣٧) وحين سئل ﷺ عن العصبية ؟ وصفها بأنها « **الدعوة الخبيثة** » (٣٨) وقال : « **هى أن تعين قومك على الظلم** » (٣٩) وأكد ﷺ فى كتبه وعهوده الى القبائل على نبذ العصبية والروح القبلية فكتب الى الحارث بن كعب « ٠٠ **وينهى اذا كان بين الناس هيج عن الدعاء الى القبائل والعشائر وليكن دعاؤهم الى الله وحده لا شريك له** » (٤٠) ٠ وقد حرص النبى ﷺ منذ فتح مكة على دعوة الناس الى تطهير النفوس مما شابها وعلق بها من أدران الجاهلية وخاصة الروح القبلية والنوازع العصبية فأهدر كل ما سال فيها من دماء وما اغتصب من أموال ودعا الناس الى التحلى بالخلق القويم والتمسك بأهداب الدين فكان مما جاء فى خطبته فى فتح مكة : « **لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ٠ ألا كل مأثرة أو دم أم مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ ففيه الدية مغلظة ٠٠٠ يا معشر قريش : ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب** » (٤١) ٠

وفى سبيل القضاء على حق الثأر الذى هو من أهم مظاهر العصبية القبلية فقد جعله الاسلام منوطا بأولى الأمر وليس للفرد أو القبيلة للحد من المنازعات القبلية والقضاء عليها (٤٢) كما ألغى مبدأ التفاوت فى تقدير ديات القتلى تبعا لمنزلتهم وقدرهم وجعلها واحدة فى كل الأحوال لا فرق بين سيد ومسود ، واستن مبدأ القود أو القصاص حين يكون القتل عن نية مبيتة قال تعالى : « **ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا** » (٤٣) الا أن يرضى أولياء المقتول بالدية وأكد النبى ﷺ على هذا المسلك حين كتب فى عهد المهاجرين والأنصار : « **وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به الا أن يرضى**

---

(٣٧) الشيبانى : تيسير الوصول : جـ ٤ ص ١٧ ٠

(٣٨) صحيح البخارى : جـ ٤ ص ١٨٣ ٠

(٣٩) نفسه : جـ ٤ ص ١٨٤ ، الشيبانى : المصدر السابق : جـ ٤ ص ١٧ ٠

(٤٠) الطبرى : التاريخ : جـ ٣ ص ٣٨٧ ٠

الحارث بن كعب وبنوه كانوا بنجران من أرض اليمن ٠

البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٢٨٤ ٠

(٤١) ابن هشام : السيرة : جـ ٤ ص ١٧ ٠

(٤٢) فلهوزن :تاريخ الدولة العربية : ص ١٩ ٠

(٤٢) سورة الاسراء : آية ٣٣ ، الفخر الرازى : التفسير الكبير : جـ ١٠ ص ٧٨ ، ٧٩ ٠

ولى المقتول » (٤٤) وقد خير النبى ﷺ بنو ليث عـام الفتح بين القود أو الدية حين قتلت خزاعة منهم رجلا بقتيل لهم فى الجاهلية (٤٥) وأمر بقتل الحارث بن سويد (٤٦) لقتله غيلة المجذر بن زياد البلوى ثأرا بأبيه الذى قتل فى بعض حروب الأوس والخزرج .

ورغم كل ما دعا اليه القرآن الكريم وأكده النبى ﷺ فلم يكن من الممكن أن تقتلع الروح العصبية اقتلاعا من قلوب العرب بين عشية وضحاها وهى الضاربة بأطنابها فى أعماقهم من مئات السنين فاستغرق ذلك وقتا طويلا شمل فى جملته عهد الدولة الأموية وكان سببا رئيسيا فى القضاء عليها وزوالها حين لم يستطع العرب التخلى عن الروح القبلية .

ثانيا : تطور العصبية فى الأمصار :

بعد حركة الفتوحات الكبرى التى أدت الى نشأة الأمصار وانتقال القبائل لسكناها حدث الاحتكاك فيما بينها لأن كل قبيلة ظلت تؤلف كتلة مستقلة فى الجيش وفى الحرب وفى الرحيل والاقامة ولم يتم الاندماج والاختلاط فيما بينها (٤٧) مما ساعد على ظهور العصبيات القديمة فى الأمصار ابتداء من عهد الخليفة عثمان بن عفان (٤٨) ، فمنذ عهد سلفه عمر بن الخطاب وعلى أثر انتصارات المسلمين المتلاحقة ضد الفرس والروم

---

(٤٤) ابن هشام : السيرة : جـ ١ ص ٥٠١ .

(٤٥) صحيح البخارى : جـ ٩ ص ٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٣٧ .

(٤٦) هو الحارث بن سويد بن الصامت بن خالد بن عطية بن حوط من بنى عمرو بن عوف بن مالك من الأوس : ويقال انه كان منافقا ، وكان المجذر بن زياد بن عمرو بن زمزمة من بنى فران بن بلى قتل فى حرب بعاث فى الجاهلية سويد بن الصامت ، فلما كان يوم أحد وفى معمعة القتال اغتاله الحارث بن سويد فقضى عليه ولم يعرف بذلك أحد ولم يره مخلوق فأتى جبريل بخبره الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فخرج الى قبـاء حيث ينزل بنو عمرو بن عوف وجاءه القوم بما فيهم الحارث وعليه حلة له فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الأنصار بضرب عنقه فقـال الحارث : وفيم يا رسول الله ؟ فقال : لقتلك المجذر بن زياد ، فتبرأ عند القتل من النفاق وقال : والله ما قتلت المجذر شكا فى دينى ولا نفاقا ولكنى لما رأيت قاتل أبى لم أتمالك أن قتلته . ثم قام ومد عنقه ولم ينطق بعدها بكلمة واحدة .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٤٤٢ .

(٤٧) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٨ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢٣ ، الأزدى : فتوح الشام : ص ١٦ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ١ ، ص ص ٣٣٠ .

(٤٨) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٢٩٦ .

خرجت من الجزيرة العربية هجرات ضخمة متلاحقة من القبائل العربية أخذت تتجمع فى الحواضر والأمصار المحدثة والبوادى القريبة مؤلفة كتلا قبلية ضخمة (٤٩) ، ولحرصها على توازن القوى فيما بينها تجمعت كل البطون الصغيرة التى كانت تؤثر العيش منفردة فى شبه الجزيرة لتكون تحت راية القبيلة الأم فى المواطن المفتوحة مثلما حدث من اندماج ضبة والرباب ومزينة فى كتلة تميم (٥٠) ، وغنى وباهلة وقشير وجشم فى كتلة قيس (٥١) وكذلك بالنسبة لسائر القبائل • فلما ازداد نطاق التجمع القبلى اتساعا تبلور ظهور الرابطة القحطانية والعدنانية والمضرية والربعية « نسبة الى ربيعة » •

ومما ساعد على ذلك أن التنظيم الادارى فى عهد عمر وما استتبعه من وضع ديوان العطاء (٥٢) أخذ فى اعتباره الأوضاع القبلية وأنساب القبائل (٥٣) وكذلك كان التنظيم الحربى كما رأينا فى صفين تنظيما قبليا صرفا (٥٤) ويرجع ذلك الى أنه لم يكن من الممكن حتى ذلك الوقت تصور أى نظام لا يراعى الاعتبارات القبلية وأوضاع البطون والعشائر وخلعها فجأة مما عاشت فيه مئات السنين فخططت الأمصار بسكنى القبائل لها (٥٥) لسهولة توزيع العطاء على الجند واستنفار المقاتلين عند اللزوم فكانت حمص ودمشق وجنوب الشام أكثرها قحطانية (٥٦) وقرقيسيا وقنسرين وبلاد الجزيرة (٥٧) وشمال الشام كلها عدنانية (٥٨)

---

(٤٩) انظر الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٦٨ •

(٥٠) انظر الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٣٩٦ ، ويجمع بين هذه القبائل انتماؤها الى اد بن طابخة من العرب العدنانية • القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٩١ ، ١٢٩ ، ٣٧٥ •

(٥١) هذه القبائل تنتمى الى مجموعة قبائل قيس عيلان مضر •
ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٥ ـ ٢٤٧ ، ٢٨٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ •

(٥٢) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٥٤٩ •

(٥٣) عبد العزيز الدورى : نشأة علم التاريخ : ص ١٩ •

(٥٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١١ ، ١٢ ، ابن اعثم الكوفى : الفتوح : جـ ٢ ص ٢٢ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٥٠ ، ان كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ •

(٥٥) البلاذرى : فتوح البلدان : جـ ١ ص ٢١١ •

(٥٦) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٢٦١ ، ٢٦٢ •

(٥٧) سبق ذكر هذه البلاد والتعريف بها وانظر خريطة شمال الشام وبلاد الجزيرة بالملاحق

(٥٨) الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٧ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢١١ •

وعرفت بديار مضر (٥٩) ، وحتى القبائل التى خرجت الى بلاد الشام مع الفتح وبعده كانت تؤثر المضى الى مواطن قريبانها فى النسب فكانت العدنانيه تتجه الى الشمال والقحطانيه تترل فى الجنوب والوسط فحين ندب الخليفه عمر بن الخطاب القبائل للتوجه مع سعد بن ابى وقاص لفتح العراق رغبت اليمانيه فى التوجه الى الشام موطن أسلافهم وكرهوا المسير الى العراق فاضطر عمر الى توجيه اكثرهم الى الشام وبعضهم الى العراق (٦٠) ، وبصفة عامة كان أهل اليمن ينزعون الى الشام ومضر تنزع الى العراق (٦١) وبرغم ذلك فقد كانت جيوش الفتح خليطا من قبائل شتى ، ولم يكن الأمر قاصرا على الشام فقط بل وجد فى سائر الأمصار الأخرى حتى أن سعد بن أبى وقاص لما أراد أن يختط الكوفة أسهم للنزارية واهل اليمن فخرج سهم نزار فى الجانب الغربى ووقع سهم اليمنية فى الجانب الشرقى (٦٢) مما كان له أكبر الأثر فى احتدام العصبيات ونشوب الفتن القبلية بصورة مستمرة .

لما أفاء الله على المسلمين أموال المغانم والجزية والخراج (٦٣) وغيرها واستلزم الأمر فرض نظام العطاء وتصنيف الناس حسب أصولهم وقبائلهم وبلائهم وسابقتهم نشط النسابون لتدوين الأنساب وتصنيف القبائل حسب أصولها وأجذامها مما ساعد على تحديد معالم الرابطة العدنانية والقحطانية بشكل واضح دون ظهور أى أثر للعصبية القبلية فيما بينها نظرا لسياسة الخليفة عمر بن الخطاب وحزمه وقوة شخصيته وعدله (٦٤) فهابته القبائل على شتى أصولها وفروعها ، فلما جاء بعده الخليفة عثمان بن عفان بطيبته وتردده وما وقع فيه من محاباة رهطه والانصياع لهم (٦٥) أظهر شيوخ القبائل سخطهم عليه وحقدوا على قريش استئثارها بالخلافة وعلى بنى أمية بالمغانم (٦٦) مما أفسح المجال لاندلاع

---

(٥٩) قال عنها ياقوت : وهى ما كان فى السهل بالقرب من شرقى الفرات نحو حران والرقة وشمشاط وسروج وتل موزن معجم البلدان : جـ ٢ ص ٤٩٤ وانظر أيضا لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١١٤ ، ١٣٢ .

(٦٠) الطبرى : التاريخ : جـ ٣ ص ٥ .

(٦١) نفسه : جـ ٣ ص ٧ .

(٦٢) البلاذرى : فتوح البلدان : جـ ٢ ص ٣٣٨ .

(٦٣) انظر ابو عبيدة : الأموال : ص ٥٥ ، أبو يوسف : الخراج : ص ٢٣ . الماوردى : الاحكام السلطانية : ص ١٣٧ .

(٦٤) ابن سعد : الطبقات : جـ ٣ ص ٢٦٥ ، الطبرى : جـ ٤ ص ٩٦ .

(٦٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٢٧١ ، ابن كثير : البداية : جـ ٤ ص ١٩٦ .

(٦٦) انظر الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٢١٧ ـ ٢١٩ أحداث سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة « نفس الموضوع » .

شرارة العصبية بالاضافة الى العوامل السياسية والدينية الأخرى التى ساهمت فى اضرام نار الثورة على عثمان حتى انتهت بمقتله (٦٧) ووقوع سلسلة من الأحداث الداميه (٦٨) انغمست فيها شتى القبائل مما هيأ مناخا مناسبا لظهور تيار من العصبية والنزعه القبليه استمر طوال عصر بنى أميــة .

لم تكن العصبية القبلية فى عهد الدولة الأموية شيئا جديدا فى حياة القبائل العربية التى سكنت بلاد الشام ولكنها كانت شيئا متأصلا فى نفوسهم منذ الجاهلية (٦٩) ولكن الجديد الذى طرأ عليها هو أن القبائل لم تعد تغزو بعضها بعضا سعيا وراء القوت والكلأ مذ فاءت عليهم الفتوح بما أغناهم (٧٠) كما أدى انشغالهم فى الجهاد والفتح (٧١) الى تخليهم عن فكرة الثأر مما أفسح المجال لظهور العامل السياسى على مسرح الأحداث وصار محركا للكثير من عوامل العصبية والفتن القبلية ، فالاتجاهات المختلفة التى ظهرت منذ عهد عثمان وعلى استتبعها بالضرورة انقسامات قبلية كثيرة فكان يكفى أن يكون شيخ القبيلة من آشياع على فتصير القبيلة كلها علوية الهوى أو من أنصار معاوية فتصير القبيلة كلها أنصارا له (٧٢) وكذلك ظهرت العثمانية (٧٣) ، وكان لتصادم هذه الأهواء أن وقعت طائفة من الحروب فى الجمل وصفين ومرج راهط كانت فى ظاهرها قرشية بحكم زعاماتها ولكنها قبلية فى صميمها لكثرة من اشترك فيها من القبائل على اختلاف أصولها ومشاربها من عدنان وقحطان ومن سقط فيها من ضحاياهم (٧٤) ، غير أن الرغبة فى السيطرة والاستئثار بالسلطان لم يكن هدفا فى حد ذاته لدى القبائل بل كان أيضا وسيلة للحصول على المغانم المادية الكبيرة والمراعى الواسعة فالقبائل التى قاست حياة الضيق

(٦٧) ابن سعد : الطبقات : جـ ٣ ص ٧٢ ـ ٧٧ .

(٦٨) انظر موقعة الجمل وموقعة صفين : الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٠٨ ، جـ ٥ ص ١٧ ـ ٣٨ ، نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٣١٤

(٦٩) الاصفهانى : الأغانى : جـ ١٠ ص ٣٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٣ ص ٣٠٧ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ١ ص ٢٤٢ ، ٢٥٦ ـ ٢٥٨ ، جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٢٥١ ـ ٢٧٤ : ايام العرب » .

(٧٠) أبو يوسف : الخراج : ص ٢٧ ، ٢٨ ، ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية : ص ١٠٨ .

(٧١) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٦٩ وما بعدها .

(٧٢) انظر البند الخامس من الفصل الثانى فى الباب الرابع من هذا الكتاب « مجموعة القبائل التى كانت مع على ومجموعة القبائل التى كانت مع معاوية » .

(٧٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٤٦ .

(٧٤) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٢٤٧ ـ ٢٥٦ .

والشظف فى شبه الجزيرة لم تعد تقنعها المغانم التافهة فى عصر الفتوحات والرخاء (٧٥) وتطلعت كل واحدة منها الى الاستئثار بالقسط الأوفر على حساب القبائل الأخرى يتناسب وما تدعيه بما قدمت من جهد وضحايا مما أدى الى اصطدامها ببعضها وليس أدل على ذلك من حنق زعماء القبائل بالكوفة على سعيد بن العاص (٧٦) حين ادعى أن السواد هو بستان قريش (٧٧) وظهر ذلك أوضح ما يكون فى الصدام الدموى بين قيس وتغلب فى منطقة بلاد الجزيرة الفراتية حين شاركت الأولى الثانية قراها ومراعيها وهو ما سوف نعرض له بالتفصيل فى الفصل الخاص بالحروب القبلية فى بلاد الشام .

كان عصر بنى أمية عصر التكتلات القبلية الضخمة (٧٨) ولذلك فقد انكمشت العصبية للرهط والبطن واتسعت على حسابها العصبية للقبيلة والجذم وأصبحت السمة الغالبة للعصبية فى ذلك الوقت هو اتساع نطاقها حتى بلغت أقصى مداها ولم يعد بعدها الا العصبية للأمة كلها فظهرت العصبية العربية فى مواجهة العصبيات الأعجمية ، وكان من نتيجة اتساع نطاق العصبية وانضمام البطون الصغيرة تحت راية القبيلة الأم أن برزت على مسرح الأحداث أسماء القبائل الكبيرة مثل كلب والأزد وتميم وقيس وبكر وتغلب وأسد وغيرها وتوارت معظم البطون المتفرعة منها

---

(٧٥) احسان النص : العصبية القبلية : ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٧٦) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية أمه أم كلثوم بنت عمرو من بنى عامر ابن لؤى ، قتل على اباه يوم بدر واستعمله عثمان على الكوفة وغزا بالناس طبرستان واستعمله معاوية على المدينة ومات سعيد فى قصره بالعرصة على بعد ثلاثة أميال من المدينة ودفن بالبقيع وكان قد أمر ابنه الأشدق اذا دفنه أن يركب الى معاوية بالشام ويبيعه منزلة بالعرصة وكان منزلا فخما اتخذه سعيد وغرس فيه النخيل وزرعه وبنى به قصرا منيفا وهو الذى يقول فيه أبو قطيفة عمر بن الوليد بن عقبة :

القصر ذو النخل بالجماء فوقهما ... أشهى الى القلب من أبواب جيرون

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ١٠١ ، ١٠٢ وقد أفاض فى ذكر العرصة ومقر سعيد بها .

(٧٧) الطبرى : التاريخ ج ٤ ص ٣١٨ .

(٧٨) انحصرت هذه التكتلات فى كتلة اليمن وكتلة قيس وكتلة ربيعة ، وتركزت الأولى فى وسط الشام وجنوبه والثانية والثالثة فى شمال الشام ومنطقة الجزيرة الفراتية لاجتماعهما فى النسب العدنانى .

وهب بن منبه : التيجان فى ملوك حمير : ص ٢٧٣ ، الأصفهانى : الأغانى : ج ١١ ص ٦٢ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧١ — ٢٧٣ ، العوتبى : الأنساب : ج ٢ ص ١٦٩ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ١ ص ٣١٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١٠ ، حتى تاريخ سورية : ج ١ ص ٤٤٦ .

والتى كان لها وجود مستقل قبل ذلك (٧٩) ، وليس هذا فقط بل ظهرت أيضـا أسـماء الشعوب والأجـذام كعدنان وقحطان وربيعة ومضر ونزار واليمن كما حدث فى خراسان فى ولاية نصر بن سيار زعيم المضرية ضد الكرمانى زعيم القحطانية (٨٠) ٠

ويمكن القول بأن كل وقائـع العصـبية القبلية فى العصر الأموى انحصرت فى ثلاث كتل قبلية كبيرة هى : ربيعة ومضر واليمن ، ولم تكن ربيعة ومضر تكونان جبهة واحدة رغم الرابطة العدنانية التى تجمعهما بل كثـيرا ما كانتا تتعاديان وتقتتـلان كمـا حدث بين قيس وتغلب فى الجزيرة (٨١) وبكر وتميم فى خراسان (٨٢) والسبب فى ذلك يرجع الى تضارب مصالحهما واختلاف أهوائهما وحقـد ربيعة على مضر لاستئثارها بالنبوة والخلافة شأنها فى ذلك شأن قحطان التى كثيرا ما تحالفت معها ربيعـة ضـد شقيقتها مضر (٨٣) ، وعلى العكس من ذلك كانت الرابطة القحطانية وثيقة العرى لأن القحطانية أدركوا بأنه لا أمل لهم فى الوصول الى الخلافة بعد أن تفاضلت عليهم قريش بقرابتهم من النبى ﷺ (٨٤) فتآزروا حتى لا تتسلط عليهم قبائل مضر وسلكت يمانية الشام فى بداية عهد الدولة الأموية مسلكا جعلها قريبة من بيت الخلافة (٨٥) فتبوأت مكانة رفيعة مكنتها من رعاية مصالحها مما أحفظ عليها قيسية الشام ٠

ثالثا : مظاهر تأثير العصبية فى قبائل الشام :

كان من أهم مظاهر تأثير العصبية فى العصر الأموى تعلق القبائل بأنسابها ورغبتها فى عدم الانتسـاب الى غير أصلها تحت أى ظرف من

---

(٧٩) احسان النص : العصبية القبلية : ص ٢٧٣ ٠

(٨٠) الطبرى : التاريخ : ج ٧ ص ٢٨٥ ٠

(٨١) انظر الأصفهانى : الأغانى : ج ١٢ ص ٢٠٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٩٩ ٠

(٨٢) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ٦١٩ ، ٦٢٠ ٠

(٨٣) انظر الأصفهانى : الأغانى : ج ١٤ ص ٢٩٠ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٣٧٩ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ج ١ ص ٣٦٥ ٠

(٨٤) الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٣٧٨ ٠

(٨٥) الأصفهانى : الأغانى : ج ١٨ ص ٦٩ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح : ج ٣ ص ١٩٢ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٢٩٩ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٧٠ ٠

الظروف ومهما كانت الاغراءات فقد انتسب كثير الخزاعى (٨٦) من الأزد القحطانية الى كنانة المضرية ولحم نسبه بقريش فى مجلس عبد الملك ابن مروان طمعا فى الحظوة والمنزلة الرفيعة فقال :

أليس أبى بالصلت أم ليس اخوتى   بكل هجان من بنى النضر أزهرا(٨٧)

فلما علم قومه من الأزد بذلك غضبوا عليه وتهددوه بالقتل ان لم يرجع الى صوابه ووجه اليه الأحوص (٨٨) الشاعر أبياتا يقول فيها :

ستأبى بنو عمرو عليك وينتمى   لهم حسب فى جذم غسان معرق
فانك لا عمرا أباك حفظته   ولا النضر ان ضيعت شيخك تلحق

ولما ادعى روح بن زنباع الجذامى عند يزيد بن معاوية نسبا فى معد الى خزيمة بن مدركة منتفيا من اليمن وداعيا جذام الى الدخول فى بنى أسد بتأييد من الشاعر عدى بن الرقاع العاملى (٥٠) حضر ناتل بن قيس شيخ جذام وكبيرها ودخل على يزيد مغضبا وهو يقول : أين هذا الفاجر الغادر روح بن زنباع ؟ وزجر روحا ونهره لا انتفائه من أصله وأعلن أمام الخليفة ان جذام يمانية من قحطان وانهم لا يرضون بنسبهم بديلا (٩١) مما اضطر روح الى التراجع عن فعلته وندم عدى على تأييده اياه وقال يؤكد نسبتهم الى قحطان :

قحطان والدنا الذى ندعى له   وأبو خزيمة خندف بن نزار (٩٢)

---

(٨٦) هو كثير بن عبد الرحمن بن أبى جمعة شاعر حجازى من خزاعة كان ينزل المدينة كثيرا واشتهر بغزله فى عزة بنت جميل الضمرية حتى سمى كثير عزة ·
الأصفهانى : الأغانى : ج ٩ ص ٢ « ترجمة كثير واخباره » ، ابن سلام : طبقات الشعراء ص ٤٥٧ ، شوقى ضيف : العصر الاسلامى : ص ٣١٩ ، ٣٢٠ ·

(٨٧) ديوان كثير : ص ١٩ · والنضر هو : النضر بن كنانة بن خزيمة وكان له ولد يقال له : الصلت عرف به · البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٣٨ ، ابن حزم : الجمهرة ص ١١ ، ١٢ ·

(٨٨) الأحوص شاعر أوسى من الأنصار من أهل المدينة سكن الشام واسمه عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن عاصم ابن ثابت ·

(٨٩) الاصفهانى : الاغانى : ج ١ ص ٢١٤ ــ ٢٠١ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٤٣٧ ، شوقى ضيف : العصر الاسلامى ، ص ٣٥٤ ·

(٩٠) ينتسب الى عاملة احدى قبائل قضاعة ، سكن دمشق وكان مقدما عند بنى أمية مداحا لهم وخاصة الوليد بن عبد الملك الذى قربه اليه وجعله شاعره المفضل ولما قامت الحرب بين القبائل اليمنية والقيسية ناصر قومه وبنى أمية · الأصفهانى : الأغانى : ج ٩ ص ٢٩٩ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ٢ ص ٦٠٠ ، ضيف : العصر الاسلامى : ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ ·

(٩١) البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٣٦ ، ٣٧ ·

(٩٢) الأصفهانى : الأغانى : ج ٦ ص ٣٠٧ ·

ورغم ذلك فان نسابى مضر انتهزوا الفرصة وادعوا نسبة جذام اليهم وذكروا ان أباه هو أسدة بن خزيمة أخى أسد (٩٣) .

وكان قد شاع في ذلك العصر من جراء العصبية والفتن القبلية نسبة بعض القبائل لقبائل أخرى اليها لاستمالتها الى صفها وكسب تأييدها ونصرتها ضد خصومها ويضعون لذلك الجداول النسبية التى تؤيد ادعاؤهم ، وهذا الضرب من التلاعب بالأنساب وتجاذب القبائل كان أحد مظاهر الصراع القبلى بين العدنانية والقحطانية فى ذلك العصر فعلى الرغم من تمسك جذام بأصلها القحطانى فما برح المضرية ينسبونها اليهم ويعتبون عليها تنكرها لأبيها خزيمة (٩٤) فلما جاء مروان بن محمد المعروف بعصبيته لمضر أبى نسبة جذام لبنى أسدة وهو ما أثار عليه حقد اليمنية وأنكره شعراؤهم لأنه كان من أشد الأمور على العربى أن يخلع من قومه أو يطعن فى نسبه (٩٥) ، ويذكر فى ذلك أن العمى كان شائعا فى مشايخ بنى عوف المريين (٩٦) وقد بلغ بهم الأمر من الاعتزاز بنسبهم أن كل شيخ منهم كان يتمنى أن يصيبه العمى ليعرف أنه عوفى فلما هرم

---

(٩٣) أشاع نسابو مضر فى العصر الأموى أن أسدة بن خزيمة هو أبو جذام وان ولده غاضبوا اخوته فخرجوهم فأتوا الشام وحالفوا لخما ، وذكروا أن جذام بن عدى أخو لخم بن عدى وقال بشر بن أبى خازم الأسدى فى ذلك :

صبرنا عن عشيرتنا فباتوا ... كما صبرت خزيمة من جذام
وكانوا قومنا فبغوا علينا ... فسقناهم الى البلد الشامى

البلاذرى : إنساب الأشراف : جـ ١ ص ٣٦ ، ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواه : ص ١٠٤ .

(٩٤) قال أبو السماك الأسدى فى ذلك :

ابلغ جذاما ولخما ان لقيتهم ... والقوم ينفعهم علم الذى علموا
انا نذكركم بالله أن تدعوا ... اباكم حين جد القوم واعتزموا
لا تدعوا معشرا ليسوا باخوتكم ... حتى الممات وان عزوا وان كرموا

البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٣٧ .

(٩٥) قال القعقاع الطائى يرد على ادعاء المضرية نسبه الى بنى أسد .

وما كنت أحسب أن يمتد بى أجلى ... حتى تكون جذام فى بنى اسد
فأصبحت فقعس تدعى امامهم ... يا للرجال لريب الدهر ذى العدد
والبيض لخم وكانوا أهل مملكة ... شم العرانين لا يسقون من ثمد

البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٣٦ .

(٩٦) بنو عوف بن مرة : بطن من ذبيان من العرب العدنانية وهم بنو عوف بن سعد ابن ذبيان وكان له من الولد مرة بطن ودهمان بطن .

ابن حزم : ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٤٤ .

الشاعر شبيب بن أبي البرصاء العوفي (٩٧) ولم يصبه العمى اتخذهـا خصمه أرطأة بن زفر وسيلة لهجائه والطعن عليه في نسبه فقال ضمن ما هجاه به :

فلو كنت عوفيا عميت كذاك   ولكن المريب مريب (٩٨)

ولما مات أرطأة جاءت شبيبا براءته بين قومه وأصابه العمى فظـل يتمنى لـو أن خصـمه امتـد به العمر ليراه وقد كف بصره فيعلم أنه عوفى (٩٩) ٠

لم تتوقف مضر عند هذا الحد في ادعاء نسبة بعض القبائل اليمنية اليها فجعلوا أيضا لخم شقيقة جذام اليمنية مضرية معدية وأبوهـم هو قنص بن معد وأيدوا زعمهم بما نقلوه عن النسابة القرشي جبير بن مطعم في نسبته ملك الحيرة اللخمي النعمان بن المنذر الى معد (١٠٠) ليفاخروا به القحطانية الذين تفضلوا عليهم بملوكهم فى الجاهليـة ، والى بواعث العصبية بين العدنانية والقحطانية يرجع الخلاف الذى وقع بين نسابى الفريقين حول نسب قبائل أخرى كثيرة مثل خزاعة وعك وبجيلة وخثعم واياد وعاملة وغيرها واحتج هؤلاء على دعواهم بأشعار إختلقوها وأضافوها الى شعر الجاهلية (١٠١) وأحاديث نسبوها الى النبى ﷺ فى فضائـل القبائل (١٠٢) شاع معظمها فى زمن معاوية وأكثرها يتنبأ بخروج الخلافة من قريش وصيرورتها الى قحطان مما حدا بمعاوية الى انكارها ونهى الناس عن روايتها والأخذ بما جاء فيها (١٠٣) ٠

---

(٩٧) هو شبيب بن زيد بن حمزة بن عوف بن أبى حارثة بن مرة ، أمه أمامة بنت الحارث بن عوف بن أبى حارثة يقال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها فقال أبوها : ان بها بياضا يريد البرص ولم يكن بها شيء فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لتكن كذلك ! » فبرصت ولذلك سميت البرصاء واسمها قرصافة وأختها عمرة العوراء هى أم عقيل ابن علفه المرى الذى اصهر اليه كثير من خلفاء بنى أمية ٠

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، البلاذرى : انسـاب الأشراف : ج ١ ص ٤٦٢ ٠

(٩٨) الأصفهانى : الأغانى : ج ١٢ ص ٢٧٩ ٠

(٩٩) نفسه : ج ١٢ ص ٢٧٩ ، ج ١٣ ص ٣٣ ٠

(١٠٠) البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٢٣ ، ابن عبد البر : الانباه : ص ١٠٤ ، احسان النص: العصبية القبلية : ص ٣٤٤ ٠

(١٠١) انظر فى هذه الاختلافات : ابن هشام : السيرة : ج ١ ص ٧٦ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٣٤ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٤٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٢٢ ، ابن عبد البر : الانباه : ص ١٠٣ ٠

(١٠٢) ابن عبد البر : الانباه : ص ١٠٤ ٠

(١٠٣) انظر صحيح البخارى : ج ٤ ص ١٧٩ ٠

كان من أهـــم وأخطر ما وقع فى سلسلة تجـاذب أنساب القبائل لدواعي العصبية فى العصر الأموى ما كان من شأن قضاعة تلك القبيلة القحطانية (١٠٤) الضخمة ذات البطون المتعـددة من كلب وبلى وبهراء وجهينة وسليح وتنوخ ونهد وغيرها والتى كانت تنتشر فى بقاع واسعة من أرجاء الشام فى الحضر والبوادى (١٠٥) ، وقد حرص بنو أمية منذ زمن عثمان على الارتباط بصلة النسب بقبيلة كلب أقوى قبائل قضاعة وأكثرها عددا آنئـذ استظهارا بها فصهر اليها عثمان ومعـاوية ويزيد ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص (١٠٦) ، فلما آل الأمر الى بنى أمية كانت قضاعة بزعامة كلب من أقوى الكتل القبلية فى بلاد الشام وكان انحيـازها الى أى من الجهتين العدنانية أو القحطانية كفيلا بترجيح كفتها فحرصت كل منهما على ادعاء نسبة قضاعة اليها ومما ساعد على ذلك أن قضاعة بكل بطونها كانت تسكن شمال شبه الجزيرة العربيـة وجنوبى الشام من قبل الاسلام مجاورة للقبائل العدنانية فى منازلها (١٠٧) فقام نزاع بين نســابى عدنان وقحطان واخبـارييهم مع بـداية العصر الأموى واستمر حتى منتصف العصر العباسى بذلت فيه المحاولات من كلا الجانبين لضم قضاعة الى أصلهم (١٠٨) ٠

ويقال ان أول من بدأ ذلك معاوية بن أبى سفيان وابنه يزيد فيزعم نشواى الحميرى (١٠٩) انهما بذلا الأموال لرؤساء قضاعة لقاء الانتفاء من اليمن والانتساب الى معد وأن نفرا منهم أجابوهم الى ذلك وأشاعوا القول بانتساب قضاعة الى معد بن عدنان (١١٠) ، ولكن يبدو أن هذا زعما

---

(١٠٤) وهب بن منبه : التيجان فى ملوك حمير : ص ٣٠٣ ٠

(١٠٥) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٢ ، البكرى : معجم ما استعجم : ج ١ ص ١٩ « منازل قضاعة وهجرتهم » ٠

(١٠٦) الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٣٩٣ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٨ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٦١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٧٨ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٢٧ ، سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١١ ٠

(١٠٧) الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ٢٧٢ ٠

(١٠٨) حول النزاع فى نسب قضاعة انظر : المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٥ ، ابن هشام : السيرة : ج ١ ص ١٠ ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٤٠ ، ابن سعيد الأندلسى : نشوة الطرب فى أخبار جاهلية العرب : ج ١ ص ١٧١ ، ابن عبد البر : الانبـاه على قبائل الرواه : ص ٥٩ ، أبو الفداء : المختصر : ج ١ ص ١٠٠ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٥٨ ، احسان النص : العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى : ص ٤٥ ٠

(١٠٩) نشوان الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن : ص ٨٧

(١١٠) ديوان زهير بن أبى سلمى : ص ١٠ ، ديوان لبيد بن أعصم : ص ٢٣ ، الأصفهانى : الأغانى : ج ٨ ص ٩٠ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ١٥ ، البكرى ، معجم ما استعجم : ج ١ ص ١٧ ٠

باطلا لأن قضاعة لم تكن على وفاق مع معاوية فى حرب صفين بسبب أنها وجدت حرجا فى قتال على بن أبى طالب ابن عم رسول الله ﷺ وقاتلت على كره منها تحت ضغط والحاح شديد من بنى عمومتهم من سائر القبائل اليمنية فى جيش معاوية شعارهم فلنقاتل عن الغوطة وعنبها اذ قد حرمنا الجنة ونعيمها » (١١١) فان كان القول بانتساب قضاعة الى معد قد حدث فلم تكن المبادرة من معاوية وابنه يزيد لأنه لم يكن يعنيهما انتساب قضاعة الى معد من عدمه لأن كلب أضخم قبائل قضاعة وأقواها وزعيمة اليمنية بالشــام فى هذا الوقت كانت من أشد أنصــار الأمويين وأعوانهم لأنهم صاهروهم منذ عهد عثمان وفرضوا لهم فى العطاء وقربوهــم اليهم فعزت اليمانية بالشام فى عهدهم ونعموا بمركز متميز بين القبائل دفعهم الى مساندة الأمويين والحرص على بقائهم (١١٢) ٠

وأيا كان الأمر فلما شاع القول بانتساب قضاعة الى معد غضبت معظم بطونها وتمسكوا بانتمائهم الى حمير والى الشعب القحطانى (١١٣) وأتت جموعهم مسجد دمشق الكبير فى يوم الجمعة ودخلوا على يزيد بن معاوية وشاعرهم أفلح بن يعبوب القضاعى (١٤٤) يقول :

يــا أيها الداعى ادعنــا وبشر   وكــن قضــــاعيا ولا تنزر

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر   قضــــاعة بن مالك بن حمير

---

(١١١) انظر موقف قضاعة من معاوية بن أبى سفيان ونص الحديث الذى دار بين معاوية والنعمان بن جبلة القضاعى والحرب قائمة فى صفين ٠

ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٦٦ ، ٦٧ ، وذكر هذا فى البند رقم ١٦ فى الفصل الثانى من الباب الرابع ٠

(١١٢) من أبرز ما يوضح ذلك مساندتهم الأمويين فى موقعة راهط ضد القيسية وسوف يلى ذكر ذلك بالتفصيل فى البند رقم (أ) من الحرب بين القيسية واليمنية فى الفصل الثانى من هذا الباب ٠

(١١٣) ابن الكلبى : الاصنام : ص ٤٨ ، الأصفهانى : الأغانى : جـ ٢ ص ٣٥ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ١٨ ، ١٩ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٨٦ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٢ ص ٧١ ، ابن صاعد : طبقات الأمم : ص ٤٣ ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ١٠ ص ١٤٩ ، الجوهرى : الصحاح : جـ ١ ص ٦١٥ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣١٣ ٠

(١١٤) افلح بن يعبوب القضاعى من ولد امر مناة بن مشجعة بن تيم بن النمر بن وبرة ابن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ٠

البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ١٨ ، ابن جزم : الجمرة : ص ٤٥٥ ٠

النسب المعروف غير المنكر   من قال قولا غير ذا لا يبصر (١١٥)

وازاء ما بدا من قضاعة من غضبها لما قيل عنها فقد أقر لها يزيد ابن معاوية ما ذهبوا اليه من تمسكهم بانتمائهم الى مالك بن حمير في قحطان اليمن (١١٦) ·

لم يقتصر ادعاء الأنساب وتجاذبها لدواعي العصبية في العصر الأموي على القبائل وبطونها فحسب بل امتد الى الأصول نفسها ، فقد عز على القحطانية أن يفاخرها العدنانيون بانتمائهم الى الأنبياء وكونهم ولد اسماعيل بن ابراهيم وأن محمدا ﷺ خرج من بينهم فادعى بعضهم أن العرب كافة من سلالة اسماعيل بن ابراهيم وأيدوا ما ادعوه بقول النبي ﷺ لنفر من أسلم والأنصار « ارموا بني اسماعيل فان أباكم كان راميا » (١١٧) وبشعر نسبوه الى المنذر بن حرام جد حسان بن ثابت (١١٨) ، وليس هذا فقط بل أقحموا اسم هود النبي في سلسلة نسب قحطان فزعموا أن « عابر أبو قحطان » هو هود النبي (١١٩) وكذلك جعلوا صالحا النبي حميري من آل ذي رعين (١٢٠) ثم أضافوا الى هذين نبيا ثالثا ردا على افتخار العدنانية بأبيها اسماعيل فجعلوا أسعد تبع المعروف بتبع الأوسط أحد تبابعة حمير نبيا مرسلا واحتجوا لذلك بقوله تعالى : « وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد » (١٢١) وقالوا بأن الله لم يرسل الى قوم تبع رسولا غيره (١٢٢) وذهبوا في الحديث عن ملوك التبابعة ومآثرهم الخالدة مذهبا بعيدا فجعلوا جيوشهم الفاتحة تغزو بلاد الفرس والهند والترك والهياطلة وما وراء النهر وافريقية والمغرب فضلا

---

(١١٥) وقال عامر بن عبيلة بن قسميل بن قران بن بلي القضاعي :

وما أنا ان نسبت بخندفي   وما أنا من بطون بني معد
ولكنا لحمير حيث كنا   ذوي الأكال والركن الأشد

البلاذري : أنساب الأشراف : ج ١ ص ١٨ ، ابن هشام : السيرة : ج ١ ص ١٠ ·

(١١٦) الهمداني : الاكليل : ص ١٠١ ، الأصفهاني : الأغاني : ج ٨ ص ٩٠ ·

(١١٧) ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواه : ص ٢٨ ·

(١١٨) قال :

ورثنا من البهلول عمرو بن عامر   وحارثة الغطريف مجدا مؤثلا
مآثر من نبت بن نبت بن مالك   ونبت ابن اسماعيل ما ان تحولا

ابن عبد البر : المصدر السابق : ص ٢٨ ·

(١١٩) عبيد بن شرية : أخبار عبيد بن شرية على هامش التيجان لوهب بن منبه : ص ٣١٣ ، نشوان الحميري : منتخبات في أخبار اليمن : ص ٨٣ ، المسعودي : التنبيه والأشراف : ص ٧١ ، ابن عبد البر : الانباه : ص ٢٧ ·

(١٢٠) نشوان الحميري : منتخبات : ص ٦٢ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٥٥ ·

(١٢١) سورة ق : آية ١٤ ·

(١٢٢) نشوان : المصدر السابق : ص ١٢ ·

عن بلاد العرب وخضوع نزار لسلطانهم (١٢٣) وجعلوا التبابعة يملكون الارض كلها فهذا أسعد تبع مثلا يقول : « قد دعتنى نفسى لأن أنطح الصين بخيل أقودها من ظفار » (١٢٤) ٠

وهكذا كان اخباريو اليمن ونسابوهم أطول باعا وأكثر خيالا فى اختراع القصص واختلاق الأحداث والاشتطاط فى الأنساب من رواة العدنانية واخبارييها (١٢٥) الذين شعروا بعجزهم عن مجاراة اليمانية فى مجال الاختلاق التاريخى فوجهوا هممهم الى ما جادت به قرائحهم من الفصاحة والبيان اللذين عرفوا بهما فافتعلوا بدورهم على لسان شعراء نزار القدامى ما شاء لهم خيالهم من الشعر ليفاخروا القحطانية بهذا التراث الأدبى الذى لم يتسح لهم مثله مما حفظ لنا كثيرا من الأخبار والأشعار المختلفة التى وضعت بدافع العصبية واكتسبت على مر الزمن صفة الحقائق التاريخية السليمة التى تعج بها كتب التاريخ (١٢٦) ٠

رابعا : دور الفصحاء والشعراء فى اثارة العصبية والنعرة القبلية :

كانوا من أهم ما أثار نوازع العصبية والنعرة القبلية فى العصر الأموى بين القبائل العربية مجموعة الخطباء والشعراء الذين كانوا ينافحون عن قبائلهم بشعرهم وبيانهم فيذمون خصومها ويشيدون بذكر وقائعها وبطولاتها ويفاخرون بمحامدها ويمجدون فضائلها ، ولا يكاد يوجد عصر

(١٢٣) الطبرى : التاريخ : ج ١ ص ٢٦٩ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢٧١ ٠

(١٢٤) نشوان الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن : ص ٦٧ ٠

(١٢٥) يعتبر من اهم ما ورد فى ذلك كتاب أخبار عبيد بن شرية الجرهمى المعروف بـ « كتاب الملوك واخبار الماضين » المطبوع فى مجلد واحد مع كتاب وهب بن منبه المعروف بالتيجان فى ملوك حمير « طبع حيدر اباد عام ١٣٤٧ هـ وهو كتاب حافل بكثير من الأخبار والأشعار والاحاديث التى جاء معظمها من نسيج خيال راويها فقال أن معاوية بن ابى سفيان لما ولى الخلافة أمر باستدعاء عبيد بن شرية من اليمن وصار يسأله عن اخبار الامم القديمة وملوك العرب والعجم فحدثه بذلك كله وأمر معاوية بتدوين ما صدر عنه من أقوال فخرج لنا هذا الكتاب ٠

الهمدانى : الاكليل : ج ٨ ص ٧٨ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٣ ص ٣١ ، ابن النديم : الفهرست : ص ٨٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٤ ص ٤١٧ ، كرد على : خطط الشام : ج ٦ ص ١٨٩ ، زكى محمد حسن : دراسات فى الموازنة بين المؤرخين : ص ٦ ، سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ومناهج البحث فيه : ص ١٣ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية : ص ٤٠٦ ، روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين : ص ٢٧٥ ٠

(١٢٦) انظر البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ٣٦ ، ٣٧ ، ابن عبد البر : الانباه : ص ٣٥ ٠

من عصور الاسلام شارك فيه الشعراء والبلغاء فى الخصومات القبلية بالخطب والشعر والمفاخرات والهجاء كالعصر الأموى (١١٧) ، فكان أهل اليمن بصفة عامة يفاخرون بماضيهم العريق وحضاراتهم القديمة وانتصاراتهم فى الجاهلية ورجالهم المشهورين وسلالة ملوكهم من التبابعة والأقيال بينما يفتخر العدنانيون بانتمائهم الى النبى ﷺ وبرجالهم المشهورين وبكون الخلفاء منهم وأيامهم التى انتصروا فيها على اليمن فى الجاهلية ، ومن أمثلة ذلك ما تفاخر به عياش بن الزبرقان من مضر (١٢٨) وروح بن زنباع الجذامى من اليمن فى مجلس عبد الملك بن مروان (١٢٩) وكان لخالد بن صفوان من مضر جولات موفقة فى مفاخرة اليمانية وهو صاحب القول المأثور فيهم « هم بين حائك برد ودابغ جلد وسائس قرد دل عليهم هدهد وملكتهم امرأة ... الخ » (١٣٠) ، ولما فاخر صفوان الأبرش الكلبى فى مجلس هشام بن عبد عبد الملك قال الأبرش : « لنا ربع البيت يقصد الركمن اليمانى ومنا حاتم طيء ومنا المهلب » فقال خالد : « منا النبى المرسل وفينا الكتاب المنزل ولنا الخليفة المؤمل » فلما علا خالد الأبرش قال : لا فاخرت مضريا بعد ذلك (١٣١) .

كان لشعراء القبائل الباع الأطول فى خوض غمار العصبيات وتأجيج نار الفتن فى بلاد الشام والجزيرة طوال عصر بنى أمية . وكان معظم شعراء العصبية بالشام ممن ينتمون الى كلب وقيس المضرية وتغلب ربيعة (١٣٢) ، ففى طليعة الشعراء الذين نطقوا بلسان قيس زفر بن الحارث الكلابى ونفيع بن صفار المحاربى والعجير السلولى (١٣٣) ، ومن

---

(١٢٧) انظر شوقى ضيف : العصر الاسلامى : ص ٢١٥ ـ ٤٥٣ .

(١٢٨) عياش بن الزبرقان من بنى بهدلة وهم بطن من بنى عوف بن كعب بن سعد ابن زيد مناة ، والزبرقان اسمه المعين ابن بدر بن امرىء القيس بن خلف ، وله وفادة . البلاذرى : انساب الأشراف : جـ ١ ص ٥٣٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢١٨ .

(١٢٩) البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٢٥٤ .

(١٣٠) الجاحظ : البيان والتبيين : جـ ١ ص ٣٠٠ .

(١٣١) الجاحظ : البيان والتبيين : جـ ١ ص ٣٢٩ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٣ ص ٣٣٠ .

(١٣٢) شوقى ضيف : العصر الاسلامى : ص ٢٢ ، احسان النص : العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى : ص ٣٦٨ .

(١٣٣) اسمه عبد الله بن همام : ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ٢ ص ٦٣٣ ، المبرد : الكامل : ص ٧٨٥ .

تغلب أعشى تغلب (١٣٤) والأخطل والقطامى (١٣٥) ومن اليمانية برز عمرو بن مخلاة وجواس بن قعطل وحكيم بن عياش (١٣٦) والأصبغ بن ذؤالة وعمران بن هباء وكلهم من كلب يعاوتهم افلح بن يعبوب من النمر ابن وبرة من قضاعة وعدى بن الرقاع العاملى من عاملة اليمنية وجاوب هؤلاء وهؤلاء فى معتركهم البعيث وغسان السليطى والعجاج الراجز وابنه رؤبة (١٣٧) من تميم من العدنانية وأبو جلدة اليشكرى وعويف القوافى الفزارى وأبو النجم العجلى والعديل (١٣٨) وهم من أخلاط العدنانية والطرماح الطائى وسراقة بن مرداس البارقى من اليمنية ، وهؤلاء كلهم فى جانب وفحول شعراء العصر الأموى وجرير والفرزدق والأخطل والكميت

---

(١٣٤) راجع عنه : الأغانى : جـ ٢٠ ص ١١ ، ياقوت : معجم الأدباء : جـ ١١ ، ص ١٣٢ .

(١٣٥) القطامى : اسمه عمير بن شييم من بنى الغدوكس عشيرة الأخطل من تغلب وكان نصرانيا اشترك فى الحروب التى نشبت بين قبيلة تغلب وقيس ، وأسر يوم ماكسين وأطلق زفر بن الحارث سراحه فمدحه وأثنى عليه .

الأصفهانى : الأغانى : جـ ٢٠ ص ١١٨ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ٢ ص ٧٠١ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٤٥٢ ، المرزبانى : معجم الشعراء : ص ٤٧ .

(١٣٦) عنه انظر الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٥ ص ١٢ ، ياقوت : معجم الأدباء : جـ ١٠ ص ٢٤٧ .

(١٣٧) العجاج الراجز هو عبد الله بن رؤبة التميمى نشأ بالبادية ونزل البصرة وكان دائب الرحلة الى منازل قومه بالصحراء ، وقد سخر أراجيزه منذ يزيد بن معاوية فى مدح الخلفاء وخاصة سليمان بن عبد الملك وكانت فيه عصبية لقومه جعلته يضطرب فيما يضطربون فيه من خصومات قبلية فهجا ربيعة بالمربد واقتص منه أبو النجم العجلى ، أما ابنه رؤبة فقد ولد عام ٦٥ وأظهر شاعرية مبكرة ووفد مع أبيه على الوليد بن عبد الملك بدمشق وحج برفقة سليمان سنة ٩٧ هـ . الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٨ ص ٦٠ ، ١٢٤ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ٢ ص ٥٧٢ ، ٥٧٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢١٥ ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٥٧٩ ، ياقوت : معجم الأدباء : جـ ١١ ص ١٤٩ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق : جـ ٧ ص ٣٤٩ .

(١٣٨) أبو النجم العجلى الراجز اسمه الفضل بن قدامة بن عبيد من بنى ربيعة بن عجل ابن لجيم بن صعب من بنى بكر بن وائل من العرب العدنانية ، والعديل بن الفرخ العجلى الشاعر اسمه الحارث بن ربيعة وهو من ولد معن بن سود بن عمرو من بنى شتى بن العباب من بنى عجل ، وكان أبو النجم من اهل الكوفة مداحا لبنى أمية ، مدح سليمان وهشام والحجاج وقد اقطعه هشام أرضا بالكوفة تسمى الفرك كان ينزلها وتوفرت له روح الفكاهة فيذكر أنه دخل على زياد بن أبيه فرهبه رهبة شديدة فخرج من عنده وهو يقول :

اقبلت من عند زياد كالخرف — تخط رجلاى بخط مختلف

تكتبان فى الطريق لام ألف

انظر الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٠ ص ١٥٠ ، جـ ٢٠ ص ١١ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ٢ ص ٥٨٤ المرزبانى : معجم الشعراء : ص ١٨٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣١٤ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٥٧٦ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٤٥ .

ابن زيد الأسدى فى جانب لأن هؤلاء درسوا دراسة عميقـة فى تاريـخ القبائل العربية فى الجاهليـة والاسلامية واستلهموا هذا التـاريخ فى أشعارهم وقصائدهم بحيث أصبحت تعد من الوثائق التاريخيـة الطريفة ذات القيمة العالية التى لا يستهان بها ، لأن معظمها لم يكن هجاء فقط بل كان أيضا دراسة وتحليلا لأن الشاعر من هؤلاء لم يكن مضطرا لدراسة تاريخ القبائل التى يحامى عنها ليشيد بمحامدها ومآثرها فحسب بل كان يدرس أيضا تاريخ القبائل التى يهجوها ليقف على مثالبها والأيام التى انهزمت فيها حتى يكتسب القدرة على نشر مخازيها فى الناس (١٣٩) ، ومن ثم فقد كان الدور البارز لهؤلاء الشعراء الفطاحل فى اثارة العصبية والنعرة القبلية فى بلاد الشام والعراق طوال العصر الأموى .

بالغ شعراء اليمانية بالشام فى تأييد البيت الأموى بعد عهد يزيد ابن معاوية أثناء المحنة المروانية وفى طليعتهم ابن مخلاة وجواس بن قعطل وحكيم بن عياش وأشادوا بحقهم فى الخلافة وناهضوا منافسيهم من آل الزبير وغيرهم لأن مصلحتهم القبلية كانت تفرض عليهم مساندة الحكم الأموى وفى نفس الوقت كانوا لا يتورعون عن توجيه اللوم لهم اذا أنسوا منهم ازورارا عنهم أو تقريبا لغيرهم (١٤٠) ، وقد أدى استظهار بنى أمية باليمانية فى أول خلافتهم واصطناعهم اياهم الى نقمة شعراء القيسية القبيلة الأولى فى مضر الشام ضد بنى أمية فولوا وجههم شطر ابن الزبير وظاهروه عليهم (١٤١) وكان على رأس هؤلاء الشعراء زفر بن الحارث ونفيع بن صفار المحاربى وبسبب هذه الخصومة ثارت معركة لسانية عنيفة بين شعراء الفريقين لم تهدأ ثائرتها الا باستتباب الأمر لعبد الملك بن مروان واصلاحه بين القبائل المتخاصمة (١٤٢) .

لم يكن معظم شعراء العصر الأموى لدواعى العصبية القبليـة التى استشرت بينهم ولقربهم من حياة الجاهلية رسل محبـة وأخوة أو دعاة اصلاح وسلام كما يجب أن يكونوا وانما كان أكثرهم دعاة شر وملقحى فتن وأبواق حرب دأبهم أن يحرشوا بين القبائل ويقرعوا طبول الشر حتى اذا ما وقعت الحرب طفقوا يهللون لها ويشيدون بأمجادهم فيها ويدعون للثأر (١٤٣) مما حدا بالحسن البصرى (١٤٤) فقيه عصره بأن يتهمهم

---

(١٣٩) شوقى ضيف : العصر الاسلامى : ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(١٤٠) انظر شرح حماسة أبى تمام : ج ٤ ص ٦٦ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ٥ ، ص ١٣٥ .

(١٤١) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣١ .

(١٤٢) انظر الأصفهانى : الأغانى : ج ٨ ص ٢٩٩ .

(١٤٣) احسان النص : العصبية القبلية : ص ٣٧٦ .

(١٤٤) عنه انظر : ابن سعد : الطبقات : ج ٧ ص ١٥٦ .

بأنه لم تكن فتنة الا كانوا أكثر أهلها (١٤٥) ، وكذلك وصفهم هشام بن عبد الملك بأنهم : « الذين فرقوا أعراضهم وهتكوا أستارهم وأغروا بين عشائرهم فى غير خير ولا بر ولا نفع » (١٤٦) .

وما أكثر الفتن التى كان الشعراء مثيريها وموقدى نارها فقد أنبأنا نبأ الأخطل شاعر تغلب النصرانى (١٤٧) الذى هجا الأنصار أيام معاوية بقصيدته التى يقول فى مطلعها :

ذهبت قريش بالمكارم والعلا … واللؤم تحت عمائم الأنصار
قوم اذا هــدر العصير رأيتهم … حمرا عيونهم كجمر النار (١٤٨)

فلما علم الأنصــار بقوله هــاجوا وماجوا وأتوا معــاوية غــاضبين متوعدين ولم تهدأ ثائرتهم حتى وعدهــم بقطع لســان الأخطــل ان ظفر بــه (١٤٩) ، ومع ذلك فلم تقر لهم عــين حتى هجــا النعمان بن بشير الأنصارى الأخطل وقومه قال :

أبلغ قبائل تغلب ابنة وائل … من الفرات وجــانب الثرثــــار
فاللؤم بــين أنوف تغلب بين … كالرقم فوق ذراع كل حمار (١٥٠)

والأخطل أيضا هو الذى أهاج الجحاف بن حكيم السلمى (١٥١) زعيم القيسية فى مجلس عبد الملك بن مروان حين تحداه أن يثأر لقتلى قيس بعد أن هدأت الفتنة بينها وبين تغلب وذلك حيث قال :

ألا ســائل الجحاف هل هو ثائر … بقتلى أصيبت من سليم وعامر

---

(١٤٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٣٤٠ .

(١٤٦) الأصفهانى : الأغانى : جـ ٨ ص ٨١ .

(١٤٧) عنه انظر : الأصفهانى : الأغانى : جـ ٨ ص ٢٨٠ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ١ ص ٤٥٥ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٣٨ .

(١٤٨) ديوان الأخطل : ص ٣١٤ ، الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٥ ، ص ١٠٦ .

(١٤٩) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٥ ص ١١٠ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ١ ص ٤٥٦ .

(١٥٠) المصدر السابق : جـ ١٣ ، ص ١٤٧ ، جـ ١٤ ص ١١٤ ، جـ ١٥ ص ١١٨ وبه تفصيل قصة هجاء الأخطل للأنصار وظروفها ودور يزيد بن معاوية فيها وموقف معاوية منها وكذا شوقى ضيف : العصر الاسلامى : ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(١٥١) اسمه الجحاف بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خزاعى بن محارب ابن هلال البطلان الفاتكان من بنى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .
ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٤ .

فجعل الجحاف يتميز غيظا حتى أنه كان يأكل رطبا فصار النوى يتساقط من يده وهو لا يدرى ورد عليه بقوله :

بلى سوف نبكيهم بكل مهند ونبكي عميرا بالرماح الشواجر

وخرج الجحاف من عند عبد الملك بن مروان يجر أذياله ولم يهدأ حتى أوقع بتغلب وقعته المعروفة بيوم البشر التى اقترفت فيها قيس الكثير من الأهوال والفظائع (١٥٢) .

على أن أكثر ما أهاج العصبية القبلية فى العصر الأموى قاطبة بين العدنانية والقحطانية فى بلاد الشام وسائر بلاد الدولة الاسلامية تلك المعركة اللسانية الحامية التى وقعت بين شاعر النزارية الكوفى الشيعى الكميت ابن الأسدى (١٥٣) وشاعر الشام اليمنى حكيم بن عياش المعروف بالأعور الكلبى فى عهد هشام بن عبد الملك وذلك على أثر محاباة بنى أمية لبعض القبائل من اليمن على حساب القبائل الأخرى فبعد أن استمر بينهما التلاحى والتهاجى وكل منهم يعدد مناقب قومه ومآثرهم وينتقص من الآخر وأصله جمع الكميت أفضل ما جادت به قريحته وما تفتق عنه ذهنه وانطلق لسانه كالسهم مدويا بقصيدته المشهورة التى قيل أنها بلغت

---

(١٥٢) الأصفهانى : الأغانى : ج ١٢ ص ١٩٨ ، ابن الأثير : ج ٤ ص ٨ وسوف يلى ذكر ذلك بالتفصيل فى البند الخامس بالحروب بين قيس وتغلب .

(١٥٣) من فحول شعراء العصر الأموى ، اسمه الكميت بن زيد بن خنيس من ولد ثعلبة بن دودان من بنى أسد العدنانية وهو شاعر شيعى محسن مات سنة ٩٩ هـ ، شرب قلبه حب الهاشميين وانقطع لزيد بن على بن الحسين امام الزيدية مداحا له ولأسرته ، ومذهبه فى التشيع ومدح آل البيت أيام بنى أمية معروف ، عاش حياته كلها فى الدولة الأموية متعصبا للمضرية هجاء لليمانية فلما قال قصيدته المشهورة فيهم عرض نفسه لأخطار كثيرة فقبض عليه والى العراق اليمنى خالد بن عبد الله القسرى وسجنه الا أنه أفلح فى الهرب من مجلسه متنكرا فى ملابس النساء وقصد الشام مستجيرا بقريش فاجاره مسلمة بن عبد الملك .

الأصفهانى : الأغانى : ج ١٥ س ١٠٨ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ٢ ص ٥٦٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٩٣ ، ابن عمران المرزبانى : معجم الشعراء : ص ٣٧٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٥ ص ٢٢١ ، شوقى ضيف : العصر الاسلامى : ص ٣٢٣ ــ ٣٢٩ ، التطور والتجديد فى الشعر الأموى : ص ٢٩٢ .

ثلاثمائة بيت (١٥٤) فصار يشيد بمآثر قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار وأنمار بن نزار مبينا أنهم أفضل من قحطان وصرح وأشار بما كان من أمر الأحبـاش فيهم ولم يترك حيـا من أحيـاء اليمن الا هجاهم وتطـاول عليهم وبين مثـالبهم ومخـازيهم ، مما أغضب اليمنيـة في سائر الأمصار في الحضر والبوادي وأدى الى تدفق تيار من العصبية بين الحيين استغرق بقية عهد الدولة الأموية حتى نهايتها وشطرا من العصر العباسي ، فعلى الرغم من أن حكيم بن عياش الكلبي نقض قصيدة الكميت في حينها بقصيدته التي قال فيها من نفس وزنه وقافيته :

سقيناهم دماءهم فسالت   فأبرزنا اليه مقسمينا (١٥٥)

الا أن ذلك لم يشف نفوس اليمانية واستمر نقض قصيدة الكميت على التوالي من شعرائهم حتى بعد نهاية العصر الأموى مما حدا بدعبل بن على الخزاعي (١٥٦) الى نقضها (١٥٧) على الرغم مما كان يربطه بالكميت

(١٥٤) وذكر أيضا في سبب قوله لهذه القصيدة أن حكيم بن عياش الكلبي كان متعصبا للأمويين مداحا لهم هجاء للهاشميين وزيد بن علي بمر الهجاء فرأى الكميت أن يصرفه عن ذلك بفتح معركة مع اليمنية والمضرية وبذلك يدفعه عن هجاء بني هاشم ويشغله بقومه والقدح عنهم فجاءت قصيدته كالسهام المدوية في قلب عياش وسائر القحطانية وهي التي يقول فيها :

الا حييت عنـا يا مدينـا   وهل ناس تقول مسـلمينا
لنا قمر السـماء وكل نجم   تشير اليه أيدى المهتدينـا
وجـدت الله اذ سمى نزار   واسـكنهم بمكة قاطنينـا
لنا جعل المكارم خالصـات   وللناس القفا ولنا الجبينا
وما ضربت هجائن من نزار   فوالج من فحول الاعجمينـا
وما وجدت بنات من نزار   حلائل أسودين وأحمرينـا

الأصفهاني : الأغاني : ج ١٥ ص ١١٢ ، المسعودي : مروج الذهب : ج ٣ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ ، ياقوت : معجم الأدباء : ج ١٠ ص ٢٤٨ ، البغدادي : خزانة الأدب : ج ١ ص ٨٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٥ ص ٢٢٠ ، شوقي ضيف : العصر الاسلامي : ص ٣٢٥ .

(١٥٥) المسعودي : مروج الذهب : ج ٣ ص ١٥٥ .

(١٥٦) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٤١ .

(١٥٧) قال دعبل :

أفيقي من مـلامك يا ظعينـا   كفـاك اللـوم مر الأربعينـا
أحيي الغـر من سروات قـومي   لقـد حييت عنـا يا مدينـا
فان تـك آل اسرائيـل منكم   وكنتـم بالأعاجـم فاخرينـا
فـلا تنسى الخنـازير اللـواتي   مسـخن مع القرود الخاسئينـا
لقـد علمـت نـزار أن قـومي   الى نصرة النبـوة فاخرينـا

ديوان دعبل : جمع وتحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي : ص ٢٣٤ .
وعن دعبل : انظر ابن النديم : الفهرست : ص ٢٢٩ .

من رابطة التشيع فسمت عنده رابطة النسب على رابطة المذهب مما يدل على ما كان لهذه القصيدة من أثر بالغ فى ايقاد نار العصبية بين العدنانية والقحطانية فى ذلك الوقت ٠

وقد ذكر الأصفهانى (١٥٨) أن السبب الذى جعل الكميت بن زيلم يقول قصيدته المشهورة فى هجاء اليمن هو أن حكيم بن عياش الكلبى كان ولعا بهجاء مضر وكان شعراؤها يهجونه فلا يصيبون منه مقتلا ، كل هذا والكميت يرقب عن كثب ما يدور بينهم دون خوض فيه خشية بطش خالد القسرى (١٥٩) والى العراق اليمنى من قبل هشام بن عبد الملك غير أن صبره لم يطل على عياش حين تعرض فى شعره لنساء نزار بالهجاء الفاحش فانطلق المارد من عقاله وكان ما وقع بين القوم ولم يسلم القسرى نفسه من لسانه حين هجاه وعرض بنسبه وعشيرته فقال عنه فى نفس القصيدة :

تجاوزت المياه بلا دليل ولا علم تعسف مخطئينا
فانك والتحول من معد كهيلة قبلنا والحالبينا
تخطت خيرهم حلبا وبسا الى الوالى المغادرها ذنينا
كعنز السوء تنطح عالفيها وترميها عصا الذابحينا (١٦٠)

وقيل أن الذين حضه على ذلك هو عبد الله بن معاوية بن عبد الملك ابن جعفر من بيت بنى هاشم لاثارة الفتنة وضعضعة الأمويين وتهيئة المناخ لاعلان ثورة الشيعة على بنى أمية (١٦١) ، وأيا كان السبب الذى

---

(١٥٨) الأغانى : جـ ١٥ ص ١١٢ ٠

(١٥٩) هو خالد بن عبد الله القسرى بن يزيد بن أسد بن كرز البجلى اليمانية ، وقد جده يزيد بن أسد على النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه ثم نزل الشام ، وقد تزوج عبد الله القسرى نصرانية رومية من أهل الشام وأنجب منها خالدا ، ولما ولى العراق لبنى أمية اشترى خططا بالكوفة وابتنى بها وله عقب كثير وعدد ٠

(الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٧ ص ٤ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ٧ ص ٤٢٩ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٩٨ ، المبرد : الكامل فى اللغة والأدب : جـ ٢ ص ٧٥ ، الآمدى : المؤتلف والمختلف : ص ٧٩ ، ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، على هامش الاصابة فى تمييز الصحابة : جـ ٣ ص ٦٥٢ ، ابن حجر العسقلانى : الاصابة فى تمييز الصحابة : جـ ٣ ص ٦٥١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : جـ ٣ ص ٢٢٩ ، زيدان : تاريخ التمدن : جـ ٤ ص ١٠٩ ٠

(١٦٠) هيلة : عنز كانت تنطح من يطعمها فضرب بها المثل ، وهذه الأبيات فى مجملها تتهم بجيلة قوم خالد بأنها كانت معدية الأصل ثم تحولت الى اليمن وهذا مما يعيبها ويشينها ٠

الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٥ ص ١١٢ ٠

(١٦١) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٥٥ ٠

حدا بالكميت لقول ما قال فانه لما ذاعت هذه القصيدة وانتشر خبرها احتدمت العصبية بين القبائل من عدنان وقحطان فى شتى بقاع الدولة واستمرت تفعل فعلها لوقت طويل وتحزبت الناس وأدلى كل فريق بما له من مناقب ومآثر مفتخرا بنفسه ومنتقصا من غيره (١٦٢) ٠

مما سبق يتضح لنا أن صلة النسب الكبرى هى التى أدت الى تحزب شعراء العصر الأموى فى كتلتين كبيرتين هما كتلة اليمنية وكتلة شعراء العدنانية ، وكان لشعراء نزار التفوق الكمى والكيفى على شعراء قحطان فقد برز من تميم وحدها فى العدد ما يفوق شعراء اليمنية كافة غير أن الأخيرة عوضها عن التخلف فى هذا المضمار تفوقها على الأولى فى مجال الرواية والأخبار والعلم بالأنساب ، وأيا كان ما تفوق فيه كل طرف على الآخر فقد استخدم الجميع امكاناتهم فى مجال العصبية القبلية التى نشبت بينهم فى ذلك الزمن البعيد (١٦٣) والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة نذكر منها أيضا ما نشب بين الشاعرين المتعصبين الطرماح(١٦٤)

---

(١٦٢) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٥٥ ٠

(١٦٣) شوقى ضيف : العصر الاسلامى : ص ٢٣٢ ، محمد مصطفى هداره : دراسات فى الشعر العربى : ص ٩٦ ، ٩٧ ، احسان النص : العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى : ص ٤٣٧ ، ٤٣٨ ٠

(١٦٤) الطرماح هو : حكيم بن حكم بن نفر من بنى جرول بن ثعل من طيء ، والطرماح تعنى المفرط فى الطول ولقبه الطرماح الأصغر ، وهو شاعر طائى يمنى محسن نشأ فى الشام وانتقل الى الكوفة مع من صار اليها من جيوش الشام وكان ينزل فى بنى تيم اللات بن ثعلبة وعنهم أخذ مذهب الخوارج الصفرية ومع ذلك فقد كان متعصبا لأهل الشام وصديقا حميما للكميت الذى كان متعصبا لأهل الكوفة اذ جمعت بينهما مهنة واحدة وهى تعليم الناشئة من أولاد العامة ٠ وكان الطرماح شديد العصبية لقبيلته ولسائر القبائل القحطانية وخاصة الأزد قبيلة المهلب بن أبى صفرة وهذا ما دفعه لأن يدخل فى معركة حادة مع الفرزدق شاعر تميم عدوة الأزد والقبائل القحطانية كلها وهجاهم باقذع الهجاء وكان مما قاله فيهم :

لو حان ورد تميم ثم قيل لها	حوض الرسول عليه الأزد ، لم ترد
او انزل الله وحيا يعذبها	ان لم تعد لقتال الأزد ، لم تعد
لا تأمنن تميما على جسد	قد مات ما لم تزول أعظم الجسد

الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٢ ص ٣٥ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ٢ ص ٥٦٦ ، الجاحظ : البيان والتبيين : جـ ١ ص ٤٦ ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٠٣ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٩٢ ، المرزبانى : معجم الشعراء : ص ٢٠٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ٧ ص ٥٥ ، ٥٦ ، شوقى ضيف : العصر الاسلامى : ص ٣١١ — ٣١٤ ٠

الطائى الشامى من قحطان والفرزدق (١٦٥) التميمى البصرى من مضر العدنانية وهما اللذان عرفا بشدة العصبية لقومهما ، فقد ثار الطرماح على الفرزدق حين هجا الأزد وقحطان في بعض أشعاره فقامت بينهما المناقضات التى اتسمت بالطابع القبلى (١٦٦) اذ لم يقنع كل منهما بهجاء شخص خصمه وعشيرته وانما شمل بهجائه الشعب الذى ينتمى اليه كله فكان الطرماح يهجو نزارا بأجمعها والفرزدق يهجو اليمن عامة ويخص طىء قوم الطرماح ويصب وابل غضبه عليها فيتهمها بفساد العقيدة وكتمان النصرانية دينها القديم ثم يتعرض لنساء طىء فيشبب بهن وكان مما قال فى ذلك :

لقد هتك العبد الطرماح ستره ... وأصلى بنسار قومه فتصلت
ولولا حذار أن تقتل طىء ... لما سجدت لله يوما وصلت
نصارى وأنباط يؤدون جزية ... سراعا بها جمزا اذا هي أهلت(١٦٧)

ولم يكن الطرماح ليسكت على ما الحقه به الفرزدق وبقومه لا سيما وأن معظم القوم من الجانبين كانوا متربصين ما يئول اليه أمرهما فسرعان ما أرسل اليه بتائيته فى هجاء تميم ردا على ما جاء فى تائية الفرزدق فى

---

(١٦٥) الفرزدق بن غالب بن صعصعة من كبار شعراء العصر الأموى من عشيرة مجاشع الدارمية من تميم ٠

انظر ترجمته وسيرته : الأصفهانى : الاغانى : ج ١٩ ص ٢ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ ص ٤٤٢ ، المبرد : الكامل : ج ١ ص ٣٠٦ ، الطبرى : ج ٤ ص ١٨٠ ، ياقوت : معجم الأدباء : ج ١٩ ص ص ٢٩٧ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٢٤٩ ، البغدادي : خزانة الأدب : ج ١ ص ١٠٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٣٠ ، المرزبانى : معجم الشعراء : ص ٤٦٥ ، القالى : الأمالى : ج ٣ ص ٥٣ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٢٣٩ ٠

(١٦٦) ذكر ابن عساكر فى ذلك : ان الطرماح دخل على عبد الملك بن مروان وعنده الفرزدق وهو مقبل عليه فقال الطرماح منكرا له : يا أمير المؤمنين من هذا الذى الهاك عنى ؟! فالتفت الفرزدق مغضبا وقال :

أقول له وقد أنكر بعض حالى ... الم تعرف رقاب بنى تميم ؟ !!

فقال الطرماح :

بلى أعرف رقاب مخيسات ... رقاب مذلة رقاب لؤم
اذا كنت متخذا خليلا ... فلا تجعل خليلا من تميم
يكون صميمهم والعبيد منهم ... فما أدنى العبيد من الصميم

ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير : ج ٧ ص ٥٦ ٠

(١٦٧) ديوان الفرزدق : ص ١٣٥ والجمز : الوثب ، الرازى : مختار الصحاح : ص ١٠٩ ٠

هجاء طيء وصار يعيرها خضوعها لابن المهلب ويفتخر بطيء وقحطان كافة أيامها وفضلها في تثبيت قواعد الدين والخلافة قال الطرماح :

بأى بلاد العز بعدما بمولدها هانت تميم وذلت
وكانت تميم وسط قحطان اذا سمت كمقذوفة في اليم ليلا فضلت
ونجاك من أسد العراق كتائب لقحطان أهل الشام يوم استهلت
بهم نصر الله النبى وأثبتت عرى عقد الاسلام حتى استمرت (١٦٨)
وبهم ينصر الله الخليفة كلما رأوا نعل صنديد عن الحق زلت

وهكذا ذهبت العصبية بالأزد وتميم كل مذهب حتى قيل أن رجلا من الأزد كان يطوف بالبيت العتيق وهو يدعو لأبيه ولما سئل لماذا لا يدعو لأمه ؟ قال : لأنها تميمية (١٦٩) !! فهذا الأزدى - ان صحت الرواية - قد أوردته عصبيته موارد العقوق فضن على أمه بالدعاء في وقت يتجرد الانسان فيه من كل شوائب الدنيا (١٧٠) .

لم يكن شيطان العصبية القبلية في العصر الأموى متحكما في كل من القبائل العدنانية والقحطانية وشعرائهما فحسب بل كانت هناك عصبية أخرى أشد قسوة وضراوة كان مسرحها بلاد الشام والجزيرة وغيرها من أمصار الدولة ألا وهى العصبية القبلية بين قطبى نزار العدنانية من ربيعة ومضر (١٧١) ، فقد كانت العداوة بينهما قديمة ترجع جذورها الى العصر الجاهلى نتيجة الحروب والوقائع الطويلة المتصلة التى حدثت بين قبائل ربيعة ومضر (١٧٢) والتى كان من شأنها تأريث الأحقاد والضغائن فيهم حتى أن صلة النسب العدنانية لم تستطع أن تؤلف بينهم للوقوف في وجه القبائل القحطانية ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل رأينا ربيعة في كل من البصرة وخرسان تنحاز الى جانب اليمن وتحالف الأزد ضد شقيقتها مضر (١٧٣) بدافع الأحقاد والضغائن التى كانت بينهما وتضارب مصالحهما ولأن ربيعة فيما يبدو كانت ساخطة على مضر

---

(١٦٨) ديوان الطرماح : ص ١٣٩ نشر كرنكو ، لندن ١٩٢٧ .
(١٦٩) المبرد الكامل : جـ ١ ص ١١٨ .
(١٧٠) الطيب النجار : الموالى في العصر الأموى : ص ٣٤ .
(١٧١) ربيعة ومضر أولاد نزار بن معد بن عدنان .
المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٦ .
(١٧٢) انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٣ ص ٣٤٣ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ١ ص ٢٤٢ ، ٢٥٦ ، جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٢٥٧ - ٢٦٣ .
(١٧٣) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٤ ص ٢٩٠ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٣٧٩ ، الدينورى : الأخبار الطوال : جـ ١ ص ٣٦٥ .

بسبب استئثارها بالنبوة والخلافة شأنها في ذلك شأن قحطان وقد صور ابن حازم هذا الحد بقوله : « ان ربيعة لم تزل غضابا على ربها منذ اختار الله رسوله من مضر » (١٧٤) فلا عجب أن يجمع هذا الشعور المشترك بين كل من ربيعة واليمن ضد منافستهما مضر فى بعض الأحيان .

أدت العداوة بين حيى نزار العدنانية من مضر الى وقوع التهاجى والتناقض بين شعرائهما فى كل من بلاد الشام والجزيرة والعراق وخراسان وغيرها فحين تحولت قيس زعيمة مضر بعد مرج راهط من قتال كلب كبرى القبائل اليمانية (١٧٥) الى قتال تغلب بالجزيرة الفراتية واتصلت الوقائع بينهما (١٧٦) — على نحو ما سوف نذكره فى الحروب القبلية فى بلاد الشام — ثارت معركة لسانية عنيفة بين شعراء تغلب وقيس شارك فيها من الأخيرة زفر بن الحارث وعمير بن الحباب ونفيع ابن صفار ومن تغلب القطامى وعمرو بن الأهتم والأخطل الذى ألقى فى هذا الخضم بكل ثقله وبيانه واتصلت المناقضات والأهاجى بينه وبين شعراء قيس ولا سيما ابن صفار المحاربى (١٧٧) وما لبث ميدان هذه المعركة ان اتسع وتجاوز حدود الشام فخاض حلبتها نفر من شعراء العراق من مضر ربيعة ثم عاد نطاقها وانحصر بين قطبى مضر والعراق وربيعة الشام جرير (١٧٨) والأخطل فلما نشبت التهاجى بينهما لأسباب شخصية أخذا يستعيدان أخبار المعارك التى وقعت بين قيس وتغلب بالجزيرة ويصورانها تصويرا دقيقا مما جعل ذكرى هذه الوقائع تظل حية فى أذهان الناس أمداً طويلا (١٧٩) بعد أن خبت نارها وخاصة أن الحرب الهجائية بين شاعرى مضر وربيعة ظلت مستعرة زهاء عشرين عاما ولم تتوقف الا بوفاة الأخطل سنة ٩٢ هـ (١٨٠) .

---

(١٧٤) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٤٢٤ .

(١٧٥) ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق : جـ ٧ ص ١٢ .

(١٧٦) ابن الاثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٠ .

(١٧٧) انظر نقائض جرير والأخطل : ص ٣٨ ، ديوان القطامى : ص ٨٤ ، ديوان الأخطل : ص ١٣٤ ، الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٢ ص ٢٠٥ ، جـ ٢٠ ص ١١٧ .

(١٧٨) جرير شاعر تميمى مفوه من فحول شعراء العصر الأموى ينتمى الى عشيرة كليب اليربوعية . انظر ترجمته وسيرته : الاصفهانى : الاغانى : جـ ٨ ص ٣ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ١ ص ٤٣٥ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ٣١٥ .

(١٧٩) احسان النص : العصبية القبلية : ص ٤٥٢ .

(١٨٠) ديوان الأخطل : ص ٢٢ ، شوقى ضيف : العصر الاسلامى : ص ٢٦٤ ، محمد مصطفى هدارة : دراسات فى الشعر العربى : ص ١٢٩ .

ذكر الأصفهاني (١٨١) ان الذى أهاج الشر بين الشاعرين المذكورين هو تفضيل الأخطل للفرزدق على خصمه جرير في مجلس بشر بن مروان (١٨٢) والى الكوفة لأخيه عبد الملك بن مروان مما أثار حقده عليه وحمله على هجائه وطعن في حكمه على أنه مخمور لا حكم له وهجا قومه بنى تغلب وفضل عليهم اخوتهم بكر وكان مما قاله :

يازا العباءة ان بشرا قضى — أن لا تجوز حكومة النشوان
فدعوا الحكومة لستم من أهلها — أن الحكومة فى بنى شيبان
بكر أحق بأن يكونوا قومها — وأن يفوا بحقيقة الجيران (١٨٣)

ثم جعل جرير يفاخر خصمه بقومه من كليب وسائر المضرية ويعدد وقائعهم وأيامهم على تغلب بالجزيرة وعيرهم يسبى نسائهم فقال :

أنسيت يومك بالجزيرة بعدما — كانت عواقبه عليك وبالا
حملت عليك حماة قيس خيلها — شعثا عوابس تحمل الأبطالا
مازلت تحسب كل شيء بعدها — خيلا تشد عليكم ورجالا
زفر أبو الهذيل أبادكم — فسبى النساء وأحرز الأموال
قال الأخيطل اذ رأى راياتهم — يامار سرجس لانريد قتالا (١٨٤)

وسرعان ما شحذ الأخطل شاعريته لهجاء خصمه وخص قبيلته كليب بالهجاء دون سائر تميم حتى لا يتعرض لنصيره الفرزدق وقومه من دارم ، وكان يشمل هجاء كليب بهجاء قيس كلها لما كان بينها وبين قومه من وقائع بالجزيرة ، أما سائر المضرية فلم يتعرض لهم لأنه لم يكن في وسعه مجاراة خصمه وفي مضر النبوة والخلافة كما لم يكن باستطاعته التعرض للاسلام دين الخليفة وكل القبائل فكان مجال القول أمامه أضيق من مجال جرير (١٨٥) ومع ذلك فقد استطاع أن يقارعه وأن يكون ندا قويا له فسدد سهام هجائه الى كليب وألصق بها كل مخزية تنسب الى تميم وفضل عليها دارم قوم الفرزدق امعانا في اثارة حقده وضغنه فيقول :

---

(١٨١) الأغاني : جـ ٨ ص ٣١٥ .

(١٨٢) عنه انظر : المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ١٦٠ ، ١٦١ .

(١٨٣) ديوان جرير : ص ٥٦٩ ، نقائض جرير والأخطل : ص ٢١٠ ، الأصفهاني : الأغاني : جـ ١١ ص ٦١ ، جـ ٨ ص ٣١٥ .

(١٨٤) ديوان جرير : ص ٤٥١ ، نقائض جرير والأخطل : ص ٨٣ . (نشر أنطوان صالحاني بيروت ١٩٢٢) .

(١٨٥) هدارة : دراسات في الشعر العربي : ص ١٣٠ ، النص ، العصبية القبلية : ص ٤٥٩ .

قبح الاله بنى كليب انهم لا يحفظون محارم الجيران
واذا تنودب للمكارم والعلا لم ينـدبوا لترادف الأعوان
تاج الملوك وفخرهم فى دارم وأيام يربوع مع الرعيان (١٨٦)

ويتطرق الأخطل فى هجائه لجرير الى أيام تميم التى عزمت فيها فى الجاهلية وخاصة يوم الكلاب (١٨٧) ويقارنها بأيام ربيعة التى يفتخر بها العرب كيوم ذى قار فيقول :

هلا كفيتم معدا يوم معضلة كما كفينا معدا يوم ذى قار
هلا منعتم شرحبيلا وقد حدبت له تميم بجمع غير أخيار
(١٨٨)
يوم الكلاب وقد سيقت نساؤكم سوق الجلائب من عون وابكار

ولم يفت الأخطل أن يعيره بمقتل عمير بن الحباب السلمى بأيدى تغلب يوم الحشاك وقطع رأسه (١٨٩) ، فلما حضروا بها الى عبد الملك ابن مروان فخر الأخطل بالقضاء على متمرد قيس وقال :

وقد نصرت أمير المؤمنين بنا لما أتاك ببطن الغوطة الخبر
أثر (١٩٠)
يعرفونك رأس ابن الحباب وقد أضحى وللسيف فى خيشومه

لما جد جرير فى دفع عادية الأخطل عن قومه وعشيرته وجد فى نصرانيته وقومه منفذا سهلا لهجائهم فما برح يشير الى دينهم ويعيرهم شرب الخمر وأكل الخنزير وأداء الجزية وسب نسائهم ونحو ذلك فيقول :

قبح الاله وجوه تغلب كلما قام الحجيج وكبروا اهلالا
عبدو الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرائيل وكذبوا ميكالا
المعرسين اذا انتشوا ببناتهم والدائبين اجارة وسؤالا

---

(١٨٦) نقائض جرير والأخطل ص ٢١٩ .

(١٨٧) جورجى زيدان : العرب الاسلام : ص ٢٥٧ ـ ٢٦٣ « ايام بكر وتميم فى الجاهلية » .

(١٨٨) نقائض جرير والأخطل : ص ١٣٤ .

(١٨٩) الأصفهانى : الاغانى : جـ ١٢ ص ١٩٨ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٤٩٢ ، ابن الأثير الكامل : جـ ٤ ص ٣١٧ .

(١٩٠) نقائض جرير والأخطل : ص ١٣٣ .

لولا الجزا وقسم السودا في المسلمين لكنتم اليوم أنفـــالا (١٩١)

وهكذا لم تكن العصبية القبلية فى بلاد الشام حكرا على جذمى العرب من عدنان وقحطان بل كانت فى قطبى نزار من مضر وربيعة أشد وأنكى مما نغص على بنى أمية أيامهم وساهم فى تقويض صرح دولتهم عندما فلت زمام الأمور بين القبائل من جراء العصبية والفتن القبلية بعد انتهاء عهد خلفاء بنى أمية العظام الذين كان آخرهم هشام بن عبد الملك (١٠٥ هـ ــ ١٢٥ هـ ــ ٧٢٤ م ــ ٧٤٣ م) وزج من أتى بعـده فى غمارهـا فاحترق بنارهـا ٠

(١٩١) ديوان جرير : ص ٤٥ ، نقائض جرير والأخطل : ص ٨٣ ٠

الفصل الثانى

الحروب القبلية فى بلاد الشام

أولا ـ الحرب بين القيسية واليمنية :

(أ) موقعة مرج راهط :

أدى ظهور نوازع العصبية فى بلاد الشام بين القبائل العربية المختلفة وقيام الشعراء والفصحاء بدور كبير فى تأجيج نارها فضلا عن تعارض مصالحها واختلاف أهوائها الى توتر النفوس وتبادل الأحقاد والضغائن ، ومع استمرار المعارك اللسانية والهجائية والتفاضل والتفاخر لم يكن هناك بد من أن يقع الصدام بين الكتل العربية الكبرى وهى القيسية واليمنية وربيعة ، وساهم فى ذلك عوامل أخرى كثيرة اقتصادية وسياسية تشابكت كلها مع بعضها حتى وقعت الحرب بين اليمنية وقيس وربيعة وان كان لكل منها ظروفها وأسبابها الخاصة التى أدت الى قيامها .

كان معظم سكان الشام من العرب عند الفتح الاسلامى من اليمنية الذين كانوا يتركزون فى وسط البلاد وجنوبها وبواديها من قبل الاسلام (١) والذين عرفوا بالطاعة لملوكهم (٢) وكانوا على درجة لا بأس

---

(١) كانوا كلهم من بطون قضاعة : كلب وبهراء وبلى وسليح وتنوخ من أولاد حمير ابن سبأ ، ومن الأزد من أولاد مالك بن كهلان بن سبأ ومن جذام ولخم وطىء ، وعاملة وخولان من أولاد عريب بن كهلان بن سبأ .

وهب بن منبه : التيجان : ص ٣٠٢ ، المصعب الزبيرى : نسب قريش ، ص ٧ ، ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٣٠ ، المبرد : نسب عدنان وقحطان : ص ٢٣ ، الهمدانى الاكليل : ج ١ ص ١٣٧ ، صفة جزيرة العرب : ص ١٧٠ ، ابن حزم الجمهرة : ص ٤٤٠ ، العوتبى : الأنساب : جـ ٢ ص ٥٢ ، ٥٣ ، ١٠٠ ـ ٣٠٦ ، جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام : جـ ٤ ص ١٢٥ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : جـ ٣ ص ٩٥٧ .

يها من التحضر لمجاورتهم الروم وقربهم من مناطق الخصب والعمران ، أما سكان الشام العدنانية فهم معظمهم بدو الحجاز الذين وردوا اليه مع الفتح وبعده في سلسلة هجرات متتابعة اعتبرت أحدث هجرات العرب الى الشام ، وكان تركزهم في شمال البلاد ومناطق الثغور وبلاد الجزيرة الفراتية (٣) ٠

لما ولى معاوية بن ابى سفيان الشام لعمر بن الخطاب ومن بعده عثمان بن عفان مدة عشرين عاما (٤) كان مقر اقامته فى دمشق فى قلب ديار القبائل اليمنية ٠ فكان قريبا منهم واستطاع أن يوطد لنفسه بينهم بالحكمة والدهاء وحسن السيرة والعمل وحلمه الذى لا يبارى (٥) حتى أن الرجل من أهل الشام كان يقول له : لتستقيمن بنا يامعاوية أو لنقومنك فيقول بماذا ؟ فيقول الرجل : بالخشب فيقول معاوية : اذن نستقيم(٦)٠ فأحبه الناس وأخلصوا له وأطاعوه بما جلبت عليه نفوسهم من طاعة زعمائهم حتى أنه لما ندبهم لقتال على بن أبى طالب فى صفين لم يتخلف منهم أحد وكانوا سيفه ودرعه الذى رفعه الى عرش الخلافة (٧) فقربهم وأدناهم وأغدق عليهم وفرض لهم العطاء ولم يفرض لغيرهم (٨) ، وتوطيدا لهذه الصلة الوثيقة بين بيت الخلافة والقبائل اليمنية ارتبط معاوية بن أبى سفيان بوشائج القربى وصلة النسب بقبيلة كلب (٩) أكبر

(٢) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٥٥

(٣) Lammens : Etudes Sur le Rignedu Calife Omaiyade Ma'awia Ler. p. 165.

(٣م) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٨٦ ، ٢١١ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ٥ ص ٢٩ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٣ ، الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٣ ، الطبرى : التاريخ: جـ ٤ ص ٥٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٤ ، ٤٨٣ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٤٩٤ « ديار بكر ، ديار ربيعة ، ديار مضر » ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٧٥ ، القلقشندى : نهاية الأرب ص ٣٥٢ ـ ٤٠٣ ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان : ص ١٢٨ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٧ ، ٤٠ ، ٤١ ٠

(٤) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٢٤١ « عمال عمر على الأمصار » ، ص ٣٦٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٤ ص ٢١٠ ٠

(٥) الأبشيهى : المستطرف : جـ ١ ص ٤٠٨ ، Nicholson : Reynold, A Literary History of the Arabs, p. 195.

(٦) انظر امثلة أخرى لحلم معاوية ودهائه : ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٤ ص ٣٦٤ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٣ ص ٢٣٨ ٠

(٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٢٨ ٠

(٨) نصر بن مزاحم : نفسه : ص ٤٣٣ ، ابن اعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ١٣١ ، ١٣٣ ٠

(٩) ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٣ ص ٢٦١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ص ٨٧ ، ١٥٧ ، ٢٤٥ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٢٧ ، سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١١ ٠

القبائل وأقواها وأغناها فهي التي ورثت الغساسنة (١٠) لما ارتدوا عن الاسلام ورحلوا الى أرض الروم بصحبة جبلة بن الأيهم (١١) وكان لهم ملك الأرض الواسعة بين نجد والعراق والشام فى الحضر والبوادى (١٢) ومركزهم في تدمر (١٣) فقد تزوج منهم معاوية ميسون بنت بحدل الكلبية وهى أم ابنة يزيد (١٤) الذى تولى الخلافة بعده فصارت كلب كلها أخواله وأنصـــــاره ٠

لم يكن معاوية وحده من بنى أمية الذى أصهر الى كلب فقد سبقه الى ذلك عثمـــان بن عفان الذى كان متزوجا من نائلة بنت الفرافصـــــة الكلبى (١٥) وهى التي قطعت أصابعها وهى تدافع عنه يوم الدار (١٦) وكذلك فعل مروان بن الحكم فتزوج منهم ليلى بنت زبان بن الأصبغ بن عمرو بن ثعلبـــة من بنى عدى بن جناب من كلب (١٧) وهى ابنة عم نائلة (١٨) وبذلك صارت اليمنية عامة وكلب خاصـــة حلفاء بنى أميـــة وأنصارهم لأن المصاهرة عند العرب كانت تعنى التحالف السياسى والنصرة والمؤازرة فهم أعــوان الخليفة ومؤيديه ولذلك وجدنا معاوية يوصى ولده وولى عهده يزيد بهم ويقول له : « بأنك منهم وهم منك » (١٩) وبذلك

---

(١٠) كلب من قضاعة من ولد حمير بن سبأ والغساسنة من الأزد من ولد مالك ابن كهلان بن سبأ من العرب القحطانية - السمعانى : الأنساب : ج ١ ص ٣٨٣ ، البغدادى : مراصد الاطلاع : ج ١ ص ٣١٥ ٠

(١١) الواقدى : فتوح الشام : ج ١ ص ١٦٩ ، ابن أعثم : الفتوح : ج ١ ص ١٠٣ ٠

(١٢) الأصفهانى : الأغانى : ج ١٩ ص ٤٥ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٣٠٨ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب : ص ١٧٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى : ج ١ ص ٣١٦ ، Lammens : Etudes ... p. 288.

(١٣) مدينة قديمة فى برية الشام قرب حلب ٠
ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ١٧ ٠

(١٤) ابن حبيب : المحبر : ص ٢١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٧ ، ضيف : العصر الاسلامى : ص ٢٣٠ ٠

(١٥) ابن سعد : الطبقات : ج ٣ ص ٥٤ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٩٦ ، البلاذرى : انساب الأشراف : ج ٥ ص ١٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٧ ص ٢٨٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٦ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ١٥٥ ، الأبشيهى : المستطرف : ج ١ ص ٤٣٥ ، البكرى : تاريخ الخميس : ج ٢ ص ٢٧٥ ، بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية : ص ١٣٠ ٠

(١٦) الطبرى : التاريخ : ج ٤ ص ٣٩١ ٠

(١٧) ابن حزم : الجمهرة : ص ٨٧ ٠

(١٨) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ١٣٢ : فلهوزن : تاريخ الدولة العربيـــة : ص ١٧٦ ٠

(١٩) اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٢٩٩ ٠

وضع معاوية اللبنة الأولى فى سياسة الايثار القبلية بانحيازه الى القبائل اليمنية فى بدء خلافته وظل يؤثرها بالعطاء فترة طويلة ولا يفرض عطاء لسواها (٢٠) حتى عزت اليمن بالشام فى عهده وصارت لهم اليد الطولى على سائر القبائل وتطاولوا على مضر وهددوا باخراجهم من البلاد (٢١) مما حرك فى معاوية عصبيته المضرية وفرض عطاء لأربعة آلاف رجل من قيس دفعة واحدة ثم جعل يغزى اليمن فى البحر وقيسا فى البر رعاية لها وادراكا لما فاتها مما أسخط اليمنية فقال شاعرها :

أنترك قيسا آمنين بدارهم ونركب ظهر البحر والبحر زاخر (٢٢)

مما اضطر معاوية الى استرضاء اليمن وادعى بأنه ما فعل ذلك الا لأنهم أهل ثقته (٢٣) .

وعلى أية حال فان سياسة معاوية وابنه يزيد فى تقريب اليمانية وتفضيلهم على سواهم والاصهار اليهم أثارت بغض قيس لبنى أمية وحقدهم على اليمانية ورأوا أنهم لم يعاملوا المعاملة التى تليق بهم وهم حماة الثغور ومنهم من شارك فى الفتوح ومنهم شهداء وضحايا (٢٤) حتى أنه لما مات معاوية وجاء يزيد سنة ٦٠ هـ - ٦٨٠ م بايع الناس له بالخلافة (٢٥) الا ذلك الحى من قيس الذين امتنعوا فى أول الأمر وقالوا : « والله لا نبايع ابن الكلبية » (٢٦) ومع ذلك فلم يصل بغض القيسية لبنى أمية الى حد الفتنة وظل كامنا فى نفوسهم فى عهد معاوية الذى استطاع بحنكته ودهائه وحسن قيادته أن يمنع وقوع احتكاك أو تصادم بين الطرفين كما استطاع أن يؤلف بينهم كمحاربين وكون منهم جيشا قويا ساعده فى تولى منصب الخلافة وتوطيد سلطانه (٢٧) ، وصارت الأمور على ما هى عليه فى عهد يزيد بن معاوية الذى اتبع نهج أبيه فى أواخر عهده بشأن خلق سياسة متوازنة الى حد ما بين القيسية واليمنية فعين الزعيم القيسى الضحاك بن

---

(٢٠) الأصفهانى : الاغانى : جـ ١٨ ص ٦٩ .
(٢١) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٨ ص ٦٩ ، ٧٠ .
(٢٢) الاصفهانى : نفسه : جـ ١٨ ص ٦٩ .
(٢٣) نفسه : جـ ١٨ ص ٦٩ .
(٢٤) الأزدى : فتوح الشام : ص ٧٣ ، الواقدى : فتوح الشام : جـ ١ ص ٣٣ .
(٢٥) ابن دقماق : الجوهر الثمين : جـ ١ ص ٧٤ ، ٧٧ .
(٢٦) الطبرى : التاريخ : جـ ٦ ص ١٣٢ .
(٢٧) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٤٩٩ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٥١ .

قيس الفهرى (٢٨) عاملا له على دمشق حاضرة الخلافة فاحتفظ له بولاء قيس فى بلاد الشام مدة خلافته (٢٩) ٠

مات يزيد بن معـــاوية فجأة سـنة ٦٤ هـ – ٦٨٣ م وجيوشه من اليمانية تحاصر عبـد الله بن الزبير فى مكة بقيادة الحصين بن نمير السكونى من كندة لأنه كان قد أعلن الثورة ضد الأمويين وطالب بالخلافة لنفسه ، وكان من قبل رافضا لبيعة يزيد بن معاوية ويسميه السكير الخمير (٣٠) ، ولما مات يزيد لم يستطع ابنه معاوية الثانى (٣١) أن ينهض بالأمر لمرضه وضعفه (٣٢) وقيل لزهده فى الخلافة وانصرافه عنها اذ كان يرى أن جده معاوية نازع فيها عليا مع أنه لم يكن أولى بها منه (٣٣) ، وعلى أية حال فقد مات معاوية بن يزيد فى نفس العام الذى مات فيه أبوه (٣٤) فكان ذلك

---

(٢٨) هو الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة القرشى الفهرى من بنى محارب بن فهر القيسية له صحبة ويقال لا صحبة له ، شهد فتح دمشق وسكنها الى آخر عمره ، وكانت داره فى حجر الذهب مما يلى حائط المدينة مشرفة على بردى ، شهد صفين مع معاوية وكان على أهل دمشق وهم القلب وجعله معاوية بعدها على شرطته ، أخته فاطمة بنت قيس تزوجها أسامة بن زيد ، وفى منزلها اجتمع أهل الشورى وخطبوا خطبهم المأثورة وقد ولاه معاوية الكوفة وهو الذى صلى عليه وقام بخلافته حتى قدم يزيد وكان قد دعا لابن الزبير وبايع له ثم دعا الى نفسه فقتله مروان بن الحكم فى مرج راهط سنة ٦٥ هـ ٠

ابن سعد الطبقات : ج ٧ ص ٤١٠ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٤١٢ ، ابن عبد البر : الاستيعاب ٠ على هامش الاصابة : ج ٢ ص ٢٠٥ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٧٨ ، ابن الأثير : أسد الغابة : ج ٢ ص ٣٧ ، ٣٨ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير : ج ٧ ص ٧ – ١٢ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء : ج ٢ ص ١٦١ – ١٦٤ ، ابن حجر العسقلانى : الاصابة فى تمييز الصحابة : ج ٢ ص ٢٠٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٢٥٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ١ ص ١٦١ ،
Ency. de l'Isl. Art Al Dahak B. Kais Al Fihri T.I. P. 915.

(٢٩) ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير : ج ٧ ص ١١ ٠

(٣٠) الجاحظ : التاج : ص ١٥١ ، ابن عبد ربه : العقد : ج ٧ ص ٥٥ ، المسعودى : التنبيه والأشراف : ص ٢٧٩ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٩٥ ٠

(٣١) عن شخصية هذا الخليفة الغامض وما قيل عنه انظر :

ابن حبيب المحبر : ص ٢٢ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٩ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢٢٩ ، الطبرى : التاريخ : ص ٤٩٩ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٣ ص ٧٢ ، التنبيه : ص ٢٨١ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٣٠٢ ، ابن كثير : البداية : ج ٨ ص ٢٥٥ – ٢٥٧ ، ابن العبرى : مختصر : ص ١٩١ ، القلقشندى : صبح الأعشى : ج ٣ ص ٢٥٦ ، بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية : ص ١٣٠ ،
Lammens, Etude sur le siécle des Omayades, p. 163.

(٣٢) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢٢٩ ٠

(٣٣) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ج ٢ ص ١٨ ، ١٩ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ١ ص ٢٠٣ ، ٢٠٣ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول : ص ١٩١ ٠

(٣٤) ابن دقماق : الجوهر الثمين : ص ٨١ ٠

نذيرا باضطراب الأمور فى شتى أرجاء الخلافة وأطلت الفتن برأسها فى كل مكان ولا سيما فى الشام مركز الحكم ومقر بنى أمية ٠

لما انسحبت جيوش الشام من الحجاز على أثر موت يزيد بن معاوية اعتبر عبد الله بن الزبير (٣٥) ذلك نصرا له واستمر معلنا راية العصيان ضد بنى أمية (٣٦) الذين كانوا مختلفين فيما بينهم على من يتولى منصب الخلافة أهو خالد بن يزيد الصغير السن أم مروان بن الحكم من شيوخ بنى أمية (٣٧) ومال بعضهم الى خالد بن يزيد ولكن الأغلبية رجحت عليه مروان بن الحكم (٣٨) لسنه وشيخوخته فهو شيخ قريش وسيد بنى أمية بالشام ، ومثلما اختلف الأمويون فى اختيار خليفة يزيد بن معاوية وقع أنصارهم اليمانية أيضا فى هذا الأمر فكان الحصين بن نمير السكونى(٣٩) يميل الى استخلاف مروان بن الحكم فى حين أن مالك بن هبيرة السكونى (٤٠) كان هواه فى خالد بن يزيد (٤١) ، وقد حدث أن دعا مالك الحصين لمبايعة خالد وقال له : « هلم فلنبايع هذا الغلام الذى نحن ولدنا أباه وهو ابن أختنا فانه يحملنا غدا على رقاب العرب(٤٢) ، لما أصر الحصين على رأيه في مبايعة مروان بن الحكم – حتى لا يتحدث الناس أنهم أتوا بغلام – قال له مالك : « والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها فان مروان

---

(٣٥) عنه انظر : المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ٢٣٦ – ٢٤٠ ، ابن عبد البر : الاستيعاب : على هامش الاصابة : ج ٢ ص ٢٩٩ – ٣٠٧ ، ابن الأثير : أسد الغابة : ج ٣ ص ١٦١ – ١٦٤ ، ابن حجر العسقلانى : الاصابة : ج ٢ ص ٣٠٨ – ٣١١ ، وفى ترجمة أبيه الزبير بن العوام : ابن سعد : الطبقات : ج ٣ ص ١٠٠ – ١١٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٣٨ ، ١٣٩ ٠

(٣٦) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٤٨٢ (أحداث سنة ٦٣ هـ) ، ابن حبيب : المحبر : ص ٢٢ ٠

(٣٧) ابن أعثم : الفتوح : ج ٣ ص ١٩١ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٣ ص ٢٠ ، ٢١ ٠

(٣٨) هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ٠
ابن سعد : الطبقات : ج ٥ ص ٣٥ ، المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٨٧ ٠

(٣٩) اسمه الحصين بن نمير بن نائل بن لبيد بن جعثنة بن الحارث بن سلمة ابن شكامة بن شبيب بن السكون من بنى أشرس بن كندة من العرب القحطانية ٠
ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢٩ ٠

(٤٠) من بنى ثعلبة بن عقبة بن السكون وكان شريفا بالشام ٠
ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٣٠ ٠

(٤١) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٥ ٠

(٤٢) الطبرى : نفسه : ج ٥ ص ٥٣٦ ٠

أبو عشيرة وأخو عشيرة وعم عشيرة فان بايعتموه كنتم عبيدا لهم ولكن عليكم بابن أختكم » (٤٣) ٠

وأيا كان الأمر فقد كانت كلب أقوى القبائل اليمنية بالشام من أشد أنصار بنى أمية فى محنتهم لروابط النسب والمصاهرة التى تمت بينهم والامتيازات التى تمتعوا بها فى عهدهم ، كذلك قنعت سائر يمانية الشام بمساندة الأمويين ومظاهرتهم على ابن الزبير وسائر خصومهم رعاية لمنزلتهم ومصالحهم والحيلولة دون نقل الحجازيين للخلافة من الشام بعد أن انتقلت اليهم على يد معاوية واكتفوا بأن شرطوا على مروان ما كان لهم من الشروط على معاوية وولده يزيد ومنها أن يفرض لألفى رجل منهم فى ألفين وأن يكون لهم صدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فينبغى أن يكون عن رأى منهم ومشورة (٤٤) ٠

فى الوقت الذى اجتمعت فيه كلمة القبائل اليمنية بزعامة كلب على نصرة الأمويين ضد ابن الزبير وشيعته كانت قبيلة قيس زعيمة الكتلة المضرية بالشام تقف موقف العداء من البيت الأموى (٤٥) ولاحت لهم الفرصة لاعلان سخطهم على بنى أمية لما بدر من معاوية وابنه يزيد من الاصهار اليهم وخصهم بالعطاء والمناصب دون القيسية بما لا يتلاءم ودورهم فى الفتح وشهدائهم فيه ومجهودهم فى سد الثغور ومكانتهم بالشام (٤٦)، فلما دعا ابن الزبير لنفسه بالخلافة سارعت قيس باعلان مبايعتها له والانضمام اليه وخلع طاعة بنى أمية (٤٧) ولم يكن ذلك حبا فيه بقدر ما كان بغضا لبنى أمية وأنصارهم من اليمانية ٠ وهكذا أصبح لا مفر من الصدام بين اليمنية بزعامة كلب أنصار الأمويين والمضرية بزعامة قيس أنصار ابن الزبير ٠

لما لاحت الفرصة لقيسية الشام لاعلان تمردها على بنى أمية بعد موت يزيد بن معاوية انضم اليهم نفر من اليمانية ربما لأسباب شخصية كانت بينهم وبين الخلافة فى دمشق، أو لأنهم اقتنعوا بشخصية ابن الزبير

---

(٤٣) نفسه : ج ٥ ص ٥٣٦ ٠

(٤٤) المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٤ ٠

(٤٥) حماسة أبى تمام : ص ٣١٩ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٦٧ ٠

(٤٦) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٨٦ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٦٣ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٢٩٩ ٠

(٤٧) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٢ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٢٩٣ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٦٥ ٠

ورأوا أنه خير أهل زمانه للقيام بهذا الأمر لأنه ابن حوارى (٤٨) رسول الله ﷺ ورجل له سن وشجاعة وفضل وليس له نظير فى بنى أمية فى هذا الوقت ، أو ربما لأنهم وجدوا أن بنى أمية بسبيلهم لتأريث الخلافة على غير ما كان متبعاً فى عهد الراشدين من الأخذ بالشورى فأرادوا أن يكسروا هذه القاعدة بالانضمام الى ابن الزبير ، وعلى أية حال فقد انضم الى قيسية الشام فى خروجهم على بنى أمية رجلين من اليمنية من ذوات القدر العالى والمنزلة الرفيعة وهما : النعمان بن بشير الأنصارى (٤٩) وكان واليا على حمص وناتل بن قيس الجذامى شيخ جذام فى فلسطين (٥٠) ٠

كان النعمان أول من خرج على طاعة بنى أمية ودعا الى مبايعة ابن الزبير (٥١) وتبعه زفر بن الحارث الكلابى زعيم القيسية بقنسرين (٥٢) الذين وجدوا أن اسناد الامارة عليهم فى بلدهم لرجل من كلب (٥٣) هو أمر لا يطاق فوثبوا عليه وأخرجوه من قنسرين وأعلنوا راية العصيان ضد بنى أمية ، ولما خرج حسان بن مالك بن بحدل زعيم كلب من فلسطين التى كان أميرا عليها الى الأردن ليكون أقرب الى دمشق أتاح ذلك الفرصة لناتل ابن قيس الجذامى للسيطرة عليها لصالح ابن الزبير (٥٤) وهكذا اضطربت الأمور على بنى أمية من جراء تمرد القيسية عليهم فى كثير من بلاد الشام وادعوا مناصرتهم لابن الزبير عدو الأمويين اللدود وهم فى الحقيقة يعاقبونهم على المرتبة الثانية التى وضعوهم فيها بعد اليمانية مع أنهم شاركوا فى فتح البلاد فى وقت كانت فيه كثير من يمانية الشام ما زالوا متنصرة يحاربون مع الروم ضد المسلمين فى اليرموك وغيرها ٠

---

(٤٨) ابن سعد : الطبقات : ج ٣ ص ١١٣ ٠

(٤٩) النعمان بن بشير بن سعد الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج أمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة ويقال أنه أول مولود للأنصار بالمدينة بعد الهجرة ٠

انظر ترجمته وسيرته : ابن سعد : الطبقات : ج ٦ ص ٥٣ ، ٥٤ ، ابن حبان البستى : مشاهير علماء الأمصار ص ٥١ ، ابن عبد البر : الاستيعاب : ج ٣ ص ٥٥٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ابن حجر : الاصابة : ج ٣ ص ٥٥٩ ٠

(٥٠) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٥ ، ابن حزم الجمهرة : ص ٤٢١ ٠

(٥١) ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير : ج ٧ ص ١٠ ٠

(٥٢) الأصفهانى : الأغانى : ج ١٧ ص ١١١ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٥ ٠

(٥٣) هو سعيد بن مالك بن بحدل أخو حسان بن مالك بن بحدل الكلبى خال يزيد ابن معاوية وصاحب المركز القوى فى الدولة فى ذلك الوقت ٠

الأصفهانى : الأغانى : ج ١٧ ص ١١١ ٠

(٥٤) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣١ ٠

بلغت قمــة الاضطراب عند بنى أمية واختلاط الأمور عليهم بانضمام الضــحاك بن قيس الفهــرى والى دمشــق الى الثـائرين من قيس ضــد الامويين (٥٥) وذلك لأن الضحاك كان رجلا من أصحاب السطرة والنفوذ فى خلافة كل من معاوية ويزيد اذ تولى شرطة معاوية طوال حيانه (٥٦) وقاد كثيرا من حملاته ضد على بن أبى طالب بعد صفين (٥٧) ، وكان واليا على دمشق فى خلافة ابنه يزيد حتى مات (٥٨) ، ولكن لدواعى العصبية والحقــد الكامن فى نفوس قيس على اليمنية انجرف الضحاك الى معاداة بنى أمية وحرص على أن يكون مستترا فى بداية أمره وأخذ يدعو الى ابن الزبير سرا حرجا من بنى أمية الذين كانوا عنده بدمشق (٥٩) ، فلما بلغ ذلك حسان بن مالك الكلبى نصير الأمويين بالأردن أراد أن يستخرج الثعلب من جحره (٦٠) فكتب الى الضحاك كتابا يعظم فيه حق بنى أمية وحسن بلائهم عنده ويدعوه الى طاعتهم وذكر ابن الزبير فنال منه واتهمه بأنه مارق شق عصا الطاعة وخلع خليفتين وفارق الجماعة (٦١) ثم أعطى الكتاب الى رجل من بنى كلب يدعى ناغضة بن كريب ليسلمه الى الضحاك ويأمره بقراءته على رءوس الأشهاد من أهل الشــام ودفع ابن بحدل الى ناغضة نسخة أخرى من نفس الكتاب وطلب منه أن يقرأها على الناس ان لم يقرأ الضحاك كتابه وكتب الى بنى أمية يعلمهم بما أرسل به الى الضحاك وما أوصى به ناغضة (٦٢) .

حضر ناغضة بكتاب ابن بحدل الى دمشق وسلمه الى الضحاك بن قيس وأوصاه بما طلب منه ، فلما كان يوم الجمعــة صعد الضحاك المنبر وتغافل عن قراءة رسالة ابن بحدل فقام اليه ناغضة وطلب منه أن يقرأ الكتاب الذى سلمه اليه فلم يفعل فأخرج ناغضة النسخة التى كانت معه

---

(٥٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٣٤ .

(٥٦) ابن سعد : الطبقات : جـ ٧ ص ٤١٠ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير : جـ ٧ ص ١٠ .

(٥٧) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ١٣٥ ، ابن أعثم : الفتوح : جـ ٢ ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٩٧ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ١٩٦ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ١٨٩ ، ١٩٠ ، محمد أمين صالح : العرب والاسلام : ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،

(٥٨) ابن عبد البر : الاستيعاب : جـ ٢ ص ٢٠٥ .

(٥٩) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٣٢ .

(٦٠) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٦٨ .

(٦١) الطبرى : التاريخ : جـ ٦ ص ٥٣٢ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخ مدينة دمشق : جـ ٧ ص ١٠ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ١٤٦ . ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ص ٢٥٩ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٦٨ .

(٦٢) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٣٢ .

وقرأها على الناس فقام بعض بني أمية فيهم الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وانصارهم من كلب وغسان ومعهم يزيد بن أبي الغمس الغساني (٦٣) وسفيان بن الأبرد الكلبي فصدقوا مقالة حسان وطعنوا على ابن الزبير وأنكر عمرو بن يزيد الحكمي ما جاء فيه وشتم حسانا وهاجت قيس وكلب بعضهم على بعض واقتتلوا بالمسجد ووثب نفر من كلب على عمرو بن يزيد الحكمي وأوسعوه ضربا وما لبثت الفتنة أن نشبت بين قيس وكلب في دمشق فيما عرف بيوم جيرون (٦٤) وقبض الضحاك على المعارضين لابن الزبير ومعظمهم من كلب وغسان وأمر بحبسهم فقامت كلب وغسان وأخرجوا رجالهم من حبس الضحاك وبقي الوليد بن عتبة الذي لم يجد أحدا يخرجه فقال : « لو كنت من كلب أو غسان لأخرجت » وعندئذ تدخل خالد وعبيد الله ابنا يزيد بن معاوية فجاءوا ومعهما أخوالهما من كلب وأخرجوه من الحبس (٦٥) ٠

في تطور مفاجيء للأزمة يبدو أن الضحاك بن قيس تذكر سالف أيامه مع بني أمية وما حظي به من مكانة رفيعة في خلافة معاوية ويزيد واحسانهم اليه ، أو أنه رأى ما صار اليه حال الناس من الاضطراب والفوضى في ظل غياب خليفة يجتمع عليه القوم فأراد أن يعيد النظام أو حتى أنه خشي شوكة اليمانية في دمشق وتعديهم على محبسه بما يعني ضياع هيبته فكان أن أرسل فجأة الى بني أمية ليحضروا عنده فلما جاءوه وفيهم مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد وخالد وعبيد الله ابنا يزيد بن معاوية اعتذر عما حدث وذكر لهم بأنه لم يرد شيئا يكرهونه (٦٦) وطلب منهم أن يكتبوا الى ابن بحدل ليسير من الأردن الى الجابية ونسير اليه فنستخلف رجلا منكم ٠

---

(٦٣) كان قد ارتد عن الاسلام ودخل أرض الروم مع جبلة بن الأيهم الغساني ثم عاود الاسلام وشهد صفين مع معاوية وعاش الى أيام عبد الملك بن مروان ٠

الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٣٢ حاشية ١ ٠

(٦٤) الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٣٣ ٠

وجيرون هو اسم الباب الشرقي من أبواب المسجد الجامع بدمشق ويقال له باب جيرون نسبة الى جيرون بن سعد بن عاد بن ارم بن سام بن نوح الذي يقال انه أول من بنى دمشق ٠

انظر ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ١٩٩ « المواضع الأخرى التي أطلق عليها لفظ جيرون بدمشق » ٠

(٦٥) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ١٤٧ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٦٨ ٠

(٦٦) الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٣٣ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ٧ ص ١٠ ٠

ولما نزل حسان بن بحدل الجابية (٦٧) واجتمعت الرايات مع الضحاك للمسير اليه من دمشق برز نفر من قيس فيهم ثور بن معن بن يزيد بن الأخنس السلمى الى الضحاك وقالوا له : « دعوتنا الى بيعة رجل هو من أحزم الناس رأيا وبأسا – يقصد ابن الزبير – فلما أجبناك خرجت الى هـذا الأعرابى من كلب لتبايع ابن أختـه فيحملهم غدا على رقابنا » واقترحوا عليه أن يعلن من ساعته ما كان يسره من طاعة ابن الزبير والدعوة اليه والقتال على ذلك (٦٨) فاقتنع الضحاك بما أشار به قومه وأيقن أنه لا عودة لما كان له فى سابق عهده مع معاوية ويزيد بعد أن كان منه ما كان فى يوم جيرون فنقض ما كان اتفق عليه مع بنى أمية وأنصارهم من كلب وصرف الرايات وأظهر البيعة لابن الزبير وأيده فيها سائر قيسية الشام حقدا على بنى أمية واليمانية (٦٩) ، غير أنهم لم يتخذوا أى اجراء فعلى للقضاء على خلافة الأمويين كالقبض على أفراد البيت الأموى مثلا وتوطئة الشام الذى كان منقسما على نفسه لقبول الدعوة لابن الزبير ، أو حتى تكوين جيش قوى ومباغتة كلب واليمانية فيصبح بنو أمية لا حول لهم ولا قوة . ولكن أيا من ذلك لم يحدث مما أتاح الفرصة لأفراد البيت الأموى لجمع كلمتهم وتدبر أمرهم مع أنصارهم ومواجهة أعدائهم .

يذكر المؤرخون أن عبد الله بن الزبير لما علم بما كان من الضحاك ابن قيس كتب اليه بعهده على الشام وأخرج من كان بمكة والمدينة من بنى أمية وأرسلهم الى الشام (٧٠) وأن مروان بن الحكم شيخ بنى أمية وكبيرهم بدمشق عندما رأى انفراد ابن الزبير بالحجاز (٧١) وخروج العراق عن طاعتهم (٢٧) وثورة القيسنية بالشام وعدم اجتماع الأمويين وأنصارهم من اليمنية على خليفة منهم حتى ذلك الوقت أيقن أن أمر بنى أمية الى زوال

---

(٦٧) الجابية قرية من أعمال دمشق من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر فى شمالى حوران . ابن قتيبة : المعارف : ص ١٩٢ « الهامش » ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٩١ ، ٩٢ .

(٦٨) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١٠ .

(٦٩) المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٦٤ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، الذهبى : دول الاسلام ، ص ٤٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٢٥٩ ، أحمد شلبى : الدولة الاموية : ص ٥٦ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٦٧ .

(٧٠) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١٠ ، ١١ .

(٧١) ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٨ ، اليعقوبى : التاريخ : ج ٢ ص ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(٧٢) البلاذرى : أنساب الأشراف : ج ١ ص ١٣١ .

وهم بالخروج الى ابن الزبير لمبايعته وأخذ الأمان منه له ولأسرته (٧٣) .
ويذكر ابن عساكر (٧٤) : أنه خرج بالفعل قاصدا الحجاز وكان معه عمرو ابن سعيد (٧٥) فلما كان بأذرعات (٧٦) في طريقه الى الحجاز لقيهم عبيد الله بن زياد والى العراق لبنى أمية وكان قد جاء مطرودا منها تحت ضغط أنصار ابن الزبير فلما سألهم عن وجهتهم وأخبروه بما أرادوا قال لمروان : سبحان الله أرضيت لنفسك بهذا ؟!! تبايع لأبى خبيب وأنت سيد قريش وشيخ بنى عبد مناف والله لأنت أولى بها منه . قال مروان : وما الرأى ؟ قال : أن ترجع وتدعو الى نفسك وأنا أكفيك قريشا ومواليها فلا يخالفك منهم أحد فرجع مروان وعمرو بن سعيد للعمل بمشورة ابن زياد .

في هذه الآونة أعمل عبيد الله بن زياد ــ عامل بنى أمية المخلص ــ الحيلة فى خدمة سادته والكيد للضحاك بن قيس بما يضر موقفه فى نظر اتباعه ، فلما قدم دمشق نزل باب الفراديس وكان يركب الى الضحاك كل يوم فيسلم عليه ويجالسه ثم يرجع الى منزله حتى أنس له ، فلما وجد أنه قد اطمأن اليه تماما قال له : يا أبا أنيس العجب لك وأنت شيخ قريش تدعو لابن الزبير وتدع نفسك وأنت أرضى منه عند الناس لأنك لم تزل متمسكا بالطاعة والجماعة وابن الزبير مفارق مخالف فادع الى نفسك فأنت أولى بها (٧٧) ، واغتر الضحاك بكلام ابن زياد اذ يبدو أنه لم يكن محنكا سريع التقلب ودعا الى نفسه ، فلما مضت ثلاثة أيام على ذلك حضر اليه جمع من القيسية وأنكروا عليه فعله وقالوا له : « أخذت بيعتنا وعهودنا لرجل ثم دعوتنا الى خلعه من غير حدث أحدثه والبيعة لك » ، وغضبوا منه وامتنعوا عليه مما اضطره الى الدعوة لابن الزبير من جديد (٧٨) فكان تذبذبه وتغير هواه مما أفسد عليه الناس وغير قلوبهم منه .

---

(٧٣) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٣٠ .

(٧٤) تاريخ مدينة دمشق : جـ ٧ ص ١١ .

(٧٥) هو عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية المعروف بالأشدق ــ انظر المصعب الزبيرى : نسب قريش ص ١٧٥ ــ ١٧٧ « ولد سعيد بن العاص » .

(٧٦) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٧٧) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ٧ ص ١١ .

(٧٨) ابن عساكر : المصدر السابق : جـ ٧ ص ١١ .

في الوقت الذى هبطت فيه منزلة الضحاك بين قومه من القيسية الذين أحبطوا بدورهم لتقلب زعيمهم ما بين الدعوة لابن الزبير ثم العودة للولاء لبنى أمية ثم الدعوة لنفسه (٧٩) وجـدها ابن زياد فرصة ليصل بخطته الى نهايتها والضرب على يد الضحاك وقيسية الشام لصالح بنى أمية فجاء الى الضحاك وقال له : من أراد ما تريد لم ينزل المدائن والحصون بل يبرز فتجتمع اليه الخيل ويأتيه الرجال بالسلاح والعدد فاخرج عن دمشق وادع اليك الأجناد (٨٠) فكانت من عبيد الله مكيدة للضحاك يستدرجه الى الخـلاء بعيـدا عن عرينه ليدفعه الى حتفه فتكون موقعة فاصلة تصل بالأزمة الى نهايتها وليس فتنة بالمدينة تتبعها أخريات لا نهاية لها كما حدث فى يوم جيرون ٠

ويبدو أن الضحاك بن قيس كان صيدا سهلا لعبيد الله بن زياد فما لبث أن بلع الطعم وخرج الى سهل مرج راهط (٨١) قريبا من دمشق بمن معه من القيسية وأظهر البيعة لابن الزبير على ملأ من الناس (٨٢) وكان مروان وبنو أمية بتدمر ، وخالد وعبيد الله ابنا يزيد بن معـاوية بالجابية عند خالهما حسان بن مالك بن بحدل سيد كلب ، وبقى عبيد الله ابن زياد بدمشق عينا لبنى أمية يعمل لصالحهم فكتب الى مروان : « أن ادع الى بيعتك وسر الى الضحاك فقد أصحر (٨٣) لك (٨٤) » ٠

لما تطورت الأمور على هذا النحو الخطير وجد بنو أمية وأنصارهم من اليمانية أنه قد بات من الضرورى أن يحسموا أمرهم بأسرع ما يمكن لمواجهة عدوهم فخرج مروان بن الحكم ومن معه من بنى أمية الى الجابية عند حسان بن بحدل زعيم كلب للاتفاق على اختيار خليفة منهم والخروج للقاء القيسية بمرج راهط للقضـاء على الفتنة التى أشـعلها خروج ابن

---

(٧٩) ابن حجر العسقلانى : الاصابة : جـ ٢ ص ٢٠٧ ٠

(٨٠) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ١٢ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ٧ ص ١١ ٠

(٨١) مرج راهط موضع فى الغوطة شرق دمشق يقع بعد مرج عذراء ، وراهط اسم رجل من قضاعة سمى المرج باسمه ٠

ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٥٣ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٢١ ، ابن كثير : البداية : جـ ٨ ص ٢٦٠ هامش ١ نفس الصفحة ٠

(٨٢) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٣٥ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٣ ص ٦٤ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ١٤٧ ٠

(٨٣) أصحر : أى خرج الى الصحراء وهى البرية أو الأرض الفسيحة ويقال أصحر الرجل أى خرج الى الصحراء ٠ الرازى : مختار الصحاح : ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ مادة صحر ٠

(٨٤) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ٧ ص ١١ ٠

الزبير وأيده فيها قيسية الشام (٨٥) وكانت أهواء الناس بالجابية متباينة فيمن يولونه الخلافة فكان هنـاك السفيانيون الذين يمثلهم بنو يزيد بن معاوية خالد وعبيد الله ، وفي المقابل كان العدد الأكبر من بني أمية وهم بنو العاص (٨٦) بن أمية بزعامة شيخهم مروان بن الحكم وكان الاختلاف على من تعقد له البيعة فبينما كانت كلب تريد خالد بن يزيد بن معاوية لأنهم أخواله والأوصياء عليه فيسودوا في دولته كان سـائر بني أمية يريدون مروان بن الحكم حتى لا تتحدث العرب بأنهم جاءوا بغلام حـدث ليقارعوا به ابن الزبير فينصرفوا عنهم (٨٧) وانتهى الأمر باقتناع ابن بحدل الكلبي بوجهة نظرهم ومبايعة مروان بن الحكم على أن تكون الخلافة بعده لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص وذلك بعد مشاورة واجتماع دام أربعين ليلة في الجابية (٨٨) في ذي القعدة سنة ٦٤ هـ ــ ٦٨٣ م ٠

خرج مروان بن الحكم من الجابية الى مرج راهط ومعه خمسة آلاف رجل من كلب وأتاه من سائر اليمنية السكاسك والسكون وتنوخ وطيء وبلقين وغسان من أنحاء الشام وأقبل اليه عباد بن زياد من حوارين (٨٩) في ألفين من مواليه وغيرهم من كلب ووثب يزيد بن أبي الغمس الغساني على دمشق في عبيدهـا فغلب عليها وأخرج نائب الضحاك بن قيس منها واستولى على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وأمده بالمال والرجال (٩٠) حتى صار في ثمانية عشر ألف رجل (٩١) فتقدم مروان وهو يقول :

لما رأيت الناس صاروا حزبـا والملك لا يؤخـذ الا غصـبا
أعـددت غسـانا لهم وكلبـا والسـكسكين رجـالا غلبـا

(٨٥) الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٣٥ ، ابن كثير : البداية : جـ ٨ ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ٠

(٨٦) انظر ولد ابي العاص بن أمية : المصعب الزبيري : نسب قريش : ص ١٠٠ ــ ١٠٢ ٠

(٨٧) الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٣٦ ٠

(٨٨) الطبري : نفسه : جـ ٥ ص ٥٣٧ ، ابن اعثم الفتوح : جـ ٣ ص ١٩٢ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ٣٢٨ ، ابن كثير : البداية : جـ ٨ ص ٢٦٢ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ٧ ص ١١ ٠

(٨٩) حوارين من قرى حلب وقيل حصن في ناحية حمص ٠
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٣١٥ ٠

(٩٠) الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٣٧ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ٣٢٨ ، ابن كثير : البداية : جـ ٨ ص ٢٦٢ ٠

(٩١) ابن أعثم : الفتوح : جـ ٣ ص ١٩٢ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ٧ ص ١١ ٠

لا يأخـــذون الملك الا غصـبا   بالطعن حينا وحينا ضربا (٩٢)

وكتب الضحاك بن قيس الى أمراء الأجناد الذين كانوا قد خلعوا طاعة بنى أمية يستمدهم فأتاه زفر بن الحارث الكلابى فى أهل قنسرين وأمده ناتل بن قيس الجذامى بقيسية فلسطين والنعمان بن بشير بقيسية حمص حتى صار الضحاك فى نيف وعشرين ألفا من أخلاط القيسية بالشام من غطفان وهوازن وعامر بن صعصعة وغنى وباهلة وثقيف وقشير وكلاب وسليم وجشم (٩٣) وغيرها .

لما التقى الجمعان بمرج راهط أواخر عام ٦٤ هـ ـ ٦٨٣ م احتدم القتال بينهما مدة عشرين يوما (٩٤) دون نصر واضـح لأى منهما ورأى عبيد الله بن زياد ـ وكان على ميسرة جيش الأمويين ـ أن الأمر على ذلك قد يطول وما صفين عنهم ببعيـد وقد تحل بهم الهزيمة لأن المطاولة فى الحرب نهايتها لصـالح التفوق العددى وهو ما كانت تتمتع به قيس ولذلك فقد اقترح عبيد الله على مروان أن يجد فى تحقيق غايته ولو اقتضى الأمر أن يخدع أعداءه وقال له : « انك على حق وابن الزبير ومن دعا اليه على باطل وهم أكثر منك عددا وعدة ، ومع الضحاك فرسان قيس وأنك لن تنال منهم ما تريد الا بمكيدة فكدهم فقد أحـل الله ذلك لأهـل الحق والحرب خدعة فادعهم الى الموادعة وضع الحرب ثم كر عليهم » (٩٥) .

لما أصبح القوم نادى مروان بالموادعـة « حتى ننظر فيما يصـلح المسلمين » فأمسك الضحاك والقيسية عن القتال وهم يطمعون أن مروان يبايع لابن الزبير بينما هو يعد أصحابه لمباغتتهم فى سرية وتكتم ، فلم يشعر الضحاك وأصحابه الا بالخيل قد أغارت عليهم من كل جانب ففزع النـاس الى راياتهم وقد غشيهم القـوم وهم على غير عدة فوقع القتل فى قيس(٩٦)،وصبرت الناس على راياتها يقاتلون عندها ، ولكن كان لقوة

(٩٢) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٨ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٣ ص ١٩٢ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٤ .

(٩٣) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٥ ، ابن اعثم : الفتوح : ج ٣ ص ١٩٢ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١٢ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربيـة : ص ١٦٩ .

(٩٤) ابن أعثم : الفتوح : ج ٣ ص ١٩٣ .

(٩٥) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١١ .

(٩٦) الأصفهانى : الأغانى : ج ١٧ ص ١١٤ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٧ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٢ ص ٣١٥ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٣٢٨ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ص ١٢ .

الهجمية اليمنية وعنصر المباغتة وقتال قيس على غير عدة في عجلة وارتجال أثره في شدة الهزيمة عليهم حتى نظر رجل من بني عقيل (٩٧) الى ما حل بقيس عند راياتها من القتل فقال : اللهم العنها من رايات واعترضها بسيفه وجعل يمزقها فاذا سقطت الراية تفرق أهلها وانهزم الناس ومروان يقول : قبح الله من يوليهم ظهره حتى يكون الأمر لاحدى الطائفتين (٩٨) ، وقتل الضحاك بن قيس في المعركة قتله رجل من كلب يدعى زحنة بن عبد الله (٩٩) وقتل معه ثمانون رجلا من الأشراف كلهم كان يأخذ القطيفة (١٠٠) وقتل من سائر قيس مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها في موطن قط (١٠١) لا في جاهلية ولا اسلام باجماع المؤرخين حيث بلغت قتلاهم فيما يقال ستة آلاف في يوم واحد وقتلى اليمن ألفا وثلاثمائة (١٠٢) ٠

تركت هذه المعركة جرحا غائرا وأثرا عميقا في نفوس القيسية من أهل الشام نظرا للشرك الذي نصب لهم وهو ليس من شيم العرب فضلا عن حسرة ولوعة سكنت أفئدتهم على قتلاهم وأشرافهم ظلت تلازمهم فترة طويلة حتى أنهم كانوا كلما أوقعوا بأحد من اليمانية وكلب لوقت بعيد ادعوا أنهم انما يثأرون لقتلى المرج (١٠٣) فقد كان العربي يستطيع أن ينسى على مر الزمن أسباب هزيمته الا أن يختدع ، وبذلك عادت نار العداء

---

(٩٧) هم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، بطن من قيس عيلان من العدنانية ٠

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٩٠ ــ ٢٩٢ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٣٣١ ، ٣٣٢ ٠

(٩٨) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : جـ ٧ ص ١٢ ٠

(٩٩) ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٥٣ ٠ ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٢ ص ٣١٥ للسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٨٤ ، ابن كثير البداية : جـ ٨ ص ٢٦٢ ، الذهبى ، دول الاسلام : ص ٤٨ ، ابن العماد الحنبلى : شدرات الذهب : جـ ١ ص ٧٢ ، سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك ، ١٠٨ ، ١١١ ٠

(١٠٠) الذى كان يأخذ القطيفة من الأشراف يتقاضى عطاء مقداره ألفا درهم ٠

الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٧ ص ١١١ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ١٢٨ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٣٧ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٥ ص ١٢٨ ٠

(١٠١) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٣٧ ، المسعودى : التنبيه والأشراف : ص ٣٠٩ ٠

(١٠٢) انظر نقائض جرير والأخطل : ص ١٧ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٣ ص ٢٠٣ ٠

(١٠٣) انظر الأصفهانى : الأغانى : جـ ٢٠ ص ١٢١ ٠

التي أوقدتها حرب تميم والأزد قبل الاسلام (١٠٤) الى سابق عهدها بين العرب من عدنان وقحطان ولكن في صورة أشد قوة وصرامة ٠

على الرغم من أن موقعة مرج راهط كانت في ظاهرها صراعا على السلطان الدنيوي في الرأي الا أنها كانت في حقيقتها حلقة من حلقات النزاع القبلي في بلاد الشام بين جذمي عدنان وقحطان لحيازة السبق في التفاضل والتمايز والذي احتدم أواره في عهد بني أمية ممثلا في الصراع بين قبيلة قيس أكبر قبائل مضر العدنانية وكلب زعيمة القبائل اليمانية بالشام وأقواها ، فكانت موقعة المرج بمثابة الشرارة التي أشعلت حروبا عنيفة نشبت على أثرها بين قبيلتي قيس وكلب ومن والاهما من قومهما ، مما أدى الى زعزعة بنيان الدولة الأموية في بلاد الشام وحرمانها من الاستقرار الذي كانت تنشده للثبات في وجه أعدائها ٠

كان أهم أثر لموقعة مرج راهط أنها أضافت غصة جديدة في حلق القيسية زادت من حنقهم على اليمانية الذين حباهم معاوية وولده يزيد بالقرب والرعاية فظهر تيار شديد وسافر من العصبية والعداوة على السطح في بلاد الشام بين العرب من قيس ويمن ، ولم يقتصر ظهور هذا التيار على الشام فقط بل امتد ليشمل كل مكان في أنحاء العالم الاسلامي في العراق ومصر وفارس وافريقيا والأندلس وقامت الخلافات والمنازعات والحروب بينهما أينما وجدوا وان لم تكن بنفس القوة التي كانت بها في بلاد الشام مركز الخلافة ، وهكذا انبعثت من جديد العصبية الجاهلية التي محاها الاسلام وصار الشعراء من الجانبين يتفاخرون ويهجون ويتوعدون بالثأر (١٠٥) كما كان يحدث في الجاهلية تماما ، فاذا كانت موقعة مرج راهط قد جاءت للأمويين بالنصر فانها كانت في الوقت نفسه من أهم أسباب زعزعة ملكهم (١٠٦) لما ترتب عليها من حروب ودماء ، وهو ما نحاول أن نقف عليه في البند التالي ٠

---

(١٠٤) الأصفهاني : الأغاني : جـ ٣ ص ٧ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ١ ص ٢٣٧ ، جورجي زيدان : العرب قبل الاسلام : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، هدارة : دراسات في الشعر العربي : ص ٨٩ ٠

(١٠٥) انظر الأصفهاني : الأغاني : جـ ١٨ ص ١١٢ ، البلاذري : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ٣٠٣ ، المسعودي : التنبيه والأشراف : ص ٣٠٩ ٠

(١٠٦) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٧٨ ٠

(ب) الوقائع التي حدثت بين قيس وكلب بعد يوم المرج :

لما انتهت موقعة مرج راهط بهزيمة القيسية سار زفر بن الحارث الكلابي – الذي اجتمع عليه الناس خلفا للضحاك – الى قرقيسياء (١٠٧) معقل قيس في ذلك الوقت وكان قد قتل لزفر في المعركة ثلاث بنين وغلام يدعى مشكان (١٠٨) ورجلان من قومه من بني سليم افتدياه بأنفسهما اذ شغلا عنه القوم حتى هرب ثم قتلا (١٠٩) فكانت فاجعته مريرة وهو الشاعر المطبوع الذي يعد من شعراء العصبية في العصر الأموي ولذلك فانه سرعان ما ترجم ما كان يجيش في صدره من حسرة وألم الى أبيات شعرية يعبر فيها عن شعورة العدائي ازاء كلب وبني مروان ويفصح عن رغبته في التشفي من عدوه ويعتذر عن هزيمة قيس ويتوعد كلبا وسائر اليمانية بلقاء لا محالة آت ويبكي اخوانه وأشراف قومه الذين قتلوا قال زفر :

أريني سلاحي لا أبا لك انني	أرى الحرب لا تزداد الا تماديا
لعمري لقد أبقت وقيعة راهط	لمروان صدعا بيننا متنائيا
أتذهب كلب لم تنلها رماحنا	وتترك قتلى راهط هي ما هيا
فلم ترمني نبوة قبل هذه	فراري وتركي صاحبي ورائيا
أيذهب يوم واحد ان أسأته	بصالح أيامي وحسن بلائيا
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا	وتثأر من نسوان كلب نسائيا
الا ليت شعري هل تصيبن	غارتي تنوخا وحي طيء من شفائيا

(١٠٧) تقع على مصب نهر الخابور في الفرات قرب رحبة مالك بن طوق .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٦ .

(١٠٨) ابن حبيب : المحبر : ص ٤٩٥ .

(١٠٩) الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٤١ .

(١١٠) ابن حبيب : المحبر : ص ٤٩٥ ، الأصفهاني : الأغاني : جـ ١٧ ص ١١١ ، الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٤١ ، المسعودي : التنبيه والإشراف : جـ ١ ص ٢٨٤ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٢١ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ١٥١ ، سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١٠٩ ، هدارة : دراسات : ص ٩٥ .

لما شاع أمر قصيدة زفر بن الحارث الكلابي فى أنحاء الشام بادر شعراء اليمانية الى السخرية مما جاء فيها وهجاء زفر وقومه ومعايرتهم بما حل بهم يوم المرج فقال شاعرهم جواس بن قعطل الكلبى (١١١) :

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط ... على زفر داء من الداء باقيا
يبكى على قتلى سليم وعامر ... وذبيان معذورا ونبكى البواكيا
مقيما ثوى بين الضلوع محله ... وبين الحشا أعيا الطبيب المداويا
دعا بسلاح ثم أحجم اذ رأى ... سيوف جناب والطوال المذاكيا (١١٢)

لم تقتصر معركة الشعر بالفخر والمدح والهجاء والتى أعقبت مرج راهط على زفر وابن قعطل بل خاض غمارها كثير من شعراء الجانبين فقال عمرو بن مخلاة الكلبى يفخر بيوم المرج ويشمت بهزيمة قيس :

لما زحفنا بالصفوف وأقبلوا ... قلنا اليوم ما حم واقع
وترى الرايات فيه كأنها ... عوائف طير مستدير وواقع
فلن ينصب القيسى للناس راية ... على الدهر الا وهو خزيان خاشع

وانبرى زفر بن الحارث ينقض ما ورد على لسان ابن مخلاة ويهجوه ويفخر عليه بالرابطة المضرية التى تجمع قيس وقريش فى رباط واحد ويعيره انقياد كلب لبنى أمية وهم من قريش واخوتهم فى النسب العدنانى فيقول :

فخرت ابن مخلاة الحمار بمشهد ... علاك به فى المرج من لا تدافع
فان يك نازعنا قريشا فانهم ... أخونا ومولانا الذى تنازع
فأى قبيلينا وأمك ما يكن ... له الملك تتبعه وخدك ضارع (١١٤)

وعلى هذا النحو دائما كانت المعارك اللسانية تسبق وقوع الحرب وكانت ألسنة الشعراء فيها ماضية كسنان الرمح وحين يسكت اللسان يقع السيف . فبعد الهزيمة المروعة التى لحقت بالقيسية فى مرج راهط دخلت فلسطين وحمص وتبعتهما قنسرين فى طاعة المنتصرين رغما

---

(١١١) اسمه جواس بن قعطل بن سويد بن الحارث بن حصين بن عدى من بنى عدى ابن جناب الكلبى قوم نائلة بنت الفرافصة وليلى بنت زبان زوجتى عثمان بن عفان ومروان بن الحكم وهو شاعر شامى محسن .
الآمدى : المؤتلف والمختلف : ص ١٣٨ .

(١١٢) الأصفهانى : الأغانى : ج ١٧ ص ١١١ ، الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٤٢ .

(١١٣) نقائض جرير والأخطل : ص ١٧ .

(١١٤) نفسه : ص ١٩ .

عنهم (١١٥) ولجأ زفر بن الحارث شيخ بني عامر وزعيم قيس الى قرقيسياء معقل القيسية الحصين على ضفاف الفرات في المنطقة المعروفة بديار مضر وتحصن بها وطرد عاملها الحميري وأعلن ولاءه لابن الزبير وضوت اليه القيسية وهم يلعقون جراحهم ويستعدون للأخذ بثأرهم من كلب (١١٦) فأتوه من شتى بقاع الشام ولا سيما من منطقة الثغور الجزرية التي كان معاوية أنزلها بعض بني تميم وأخلاطا من قيس وأسد وغيرهم من قبائل مضر العدنانية (١١٧) . وكانت منازل كلب البادية تتاخم منازل بطون قيس التي نزلت الجزيرة وكلها من بني سليم وبني عامر بن صعصعة فأخذ زفر يغير بقومه من بني عامر على أحياء كلب النازلة ببادية السماوة (١١٨) وتدمر وبدأ بجماعة من كلب في المصيخ (١١٩) فقتل منهم عشرين رجلا وتوالت اغاراته عليهم شديدة متواصلة في شتى أنحاء البادية (١٢٠) فهاجت كلب لغارات قيس عليها وولت أمرها حميد بن حريث بن بحدل وهو ابن عم حسان بن مالك بن بحدل المعروف زعيم كلب الشامية لمواجهة القيسية فسار بهم للاغارة على قيس وتوجه الى جماعة من بني نمير (١٢١) كانوا يعيشون بينهم قرب تدمر وبينهم وبين كلب عقد فأوقع بهم وقتلهم قتلا ذريعا ورد زفر بن الحارث على مقتلة بني نمير بقتل مائتي أسير من كلب كانوا في يده (١٢٢) .

ومن يومها صارت الحرب بين قيس وكلب بعيدة عن أي غرض دنيوي أو معنوي وانقلبت الى حرب دموية صرفة غرضها الابادة والتشفي وبدت فيها العصبية القبلية في أبشع صورها واستغرقت هذه المأساة فترة مروان بن الحكم القصيرة (٦٤ ــ ٦٥ هـ ــ ٦٨٣ ــ ٦٨٥ م) ومعظم

---

(١١٥) الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٣٩ ، ٥٤٠ .

(١١٦) ابن سعد : الطبقات : جـ ٥ ص ٢٧ ، البلاذري : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ٣٠١ ، ابن الأثير الكامل : جـ ٣ ص ٣٢٦ .

(١١٧) البلاذري : فتوح البلدان . ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٤٠٣ .

(١١٨) تقع بين الكوفة والشام وهي أرض مستوية لا حجر فيها وبها مدينة تدمر . ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ١٧ ، جـ ٣ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(١١٩) المصيخ قرية بين حوران والقلت يقال لها مصيخ بني البرشاء . ياقوت : المصدر السابق : جـ ٥ ص ١٤٤ .

(١٢٠) الأصفهاني : الأغاني : جـ ١٧ ص ١١٢ ، الطبري : التاريخ : جـ ٥ ص ٤٢ .

(١٢١) هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة من قيس عيلان من العرب العدنانية كانت منازلهم بالجزيرة الفراتية والشام .
ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٨٥ .

(١٢٢) الأصفهاني : الأغاني : جـ ١٧ ص ١١٢ .

خلافة ابنه عبد الملك بن مروان حيث اتصلت الغارات والوقائع بين القبيلتين بما يطول ذكره وكانت أيامهم فيها كثيرة ومشهورة مثل يوم الاكليل ويوم الغوير ويوم دهمان ويوم الفرس (١٢٣) وغيرها ومعظمها أسماء مواضع فى بلاد السماوة موطن كلب البادية ، وكانت لقيس اليد الطولى فى معظمها على كلب البادية التى ضجت بغارات قيس عليها فهجرت ديارها تحت وطأة الهجوم القيسى ولحقت بغور الشام من أعمال فلسطين (١٢٤) مما حدا بزفر أن يقول فى ذلك شامتا :

يا كلب كلب الزمان عليكم	وأصابكم منى عذاب مرسل
أن السماوة لا سماوة فالحقى	بالغور فالافحاص بئس المؤل
فجنوب عكا فالسواحل انها	أرض تنوب بها اللقاح وتهزل (١٢٥)

تبع ذلك احتدام المعركة اللسانية بين شعراء الفريقين من الرجال والنساء على حد سواء واتصلت المناقضات والأهاجى بينهما وشارك فى هذه الملحمة من شعراء اليمانية عمرو بن مخلاة وجواس بن قعطل وهند الجلاحية وعميرة بنت حسان الكلبية وسنان بن جابر الجهنى ومن شعراء قيس زفر بن الحارث سيد بني عامر وعويف القوافى وعلى بن الغدير الغنوى وعمير بن الحباب السلمي وأرطأة بن سهية والراعى النميرى وغيرهم (١٢٦) ، فكان على أثر وقعة يوم الاكليل التى أوقع فيها عمير بن الحباب بكلب أن قالت هند الجلاحية تبكى قتلى قومها وتحرض كلبا على الثأر لما حل بها :

الا من ثائر بدماء قوم	أصابهم عمير بن الحباب
فان لم تثأروا ممن قد أصابوا	فكونوا أعبدا لبنى كلاب (١٢٧)

---

(١٢٣) انظر : شرح حماسة أبى تمام : جـ ٢ ص ٩٦ ، الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٧ ص ١١١ وما بعدها ، جـ ٢٠ ص ١٢٠ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ٢٩٨ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ٣٢٦ .

(١٢٤) غور الشام يقع بين بيت المقدس ودمشق وهو منخفض عنها ولذلك يسمى الغور ، فيه نهر الاردن وبلاد وقرى كثيرة وعلى طرفه طبرية وبحيرتها واشهر بلاده بيسان بعد طبرية وهو وخم شديد الحر ومن قراه أريحا وفى طرفه الغربى البحيرة المنتنة « البحر الميت » وفى طرفه الشرقى بحيرة طبرية .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(١٢٥) البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ٢٩٨ .

(١٢٦) انظر الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٧ ص ١١١ ، ١١٢ ، المسعودى : التنبيه والاشراف : ص ٣٠٩ وما بعدها .

(١٢٧) الأصفهانى : الأغانى : جـ ٢٠ ص ١١٨ .

فلما التقت قيس وكلب بعد ذلك وهزمهم عمير وأوقع فيهم القتل قال يجيب هندا على قولها :

ألا يا هند هند بني الحلاج سقيت الغيث من قلل السحاب
ألا يا هند لو عاينت يوما لقومك لامتنعت عن الشراب
غداة ندوسهم بالخيل حتى أباد القتل حي بني جناب (١٢٨)

لم ينته الصدام بين قيس وكلب برحيل الأخيرة عن مواطنها بالسماوة بعيدا عن قيس بل انتقل الى مواطن أخرى كان أهمها ما وقع بين كلب وفزارة (١٢٩) من قيس فيقال أن عبد الله بن مسعدة الفزاري (١٣٠) دخل على عبد الملك بن مروان لما قدم العراق لقتال مصعب بن الزبير(١٣١) وكان في مجلسه حميد بن بحدل الكلبي فنال منه عبد الله وعنفه لما حل بقيس على يديه في الجزيرة وخاصة ما أصاب بني سليم وعامر من بطشه مما أحنق حميدا عليه وآلى الا أن يوقع ببني فزارة رهط بن مسعده وينكل بهم (١٣٢) وكانت فزارة تنتمي الى المجموعة الكبرى لقبائل قيس عيلان ابن مضر وتقع ديارهم الأصلية في بلاد العرب شرقي المدينة (١٣٣) ولم يكونوا حتى ذلك الحين قد اشتركوا في القتال الدائر بين قيس وكلب من جراء هزيمة الأولى غدرا في مرج راهط وذلك لوجود منازلها بالحجاز وبادية الشام بعيدا عن مواطن النزاع (١٣٤) ، ولكي يخلق حميد ابن بحدل الذريعة لنفسه في اعتدائه على فزارة لجأ الى خالد بن يزيد ابن معاوية الذي كانت جدته من كلب « ميسون بنت بحدل » ليفتعل له عهدا باسم عبد الملك بن مروان يبيح له أن يجمع صدقات البدو من أهل البادية ·

---

(١٢٨) الأصفهاني : نفسه : جـ ٢٠ ص ١١٨ ·

(١٢٩) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، القلقشندي : نهاية الأرب : ص ٣٥٢ وسبق التعريف بنسبها ·

(١٣٠) اسمه عبد الله بن مسعده بن حكمة كان من جلساء عبد الملك بن مروان وملازما له بالشام ·

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٧ ·

(١٣١) الطبري : التاريخ : جـ ٦ ص ١٥١ ــ ١٦٢ ·

(١٣٢) الأصفهاني : الأغاني : جـ ١٧ ص ١١٤ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ، ص ٢٥٨ ·

(١٣٣) انظر ملحق رقم ١٠ ، خريطة منازل القبائل العربية وسط وشمال الجزيرة العربية وبلاد الشام في العصر النبوي « منازل عبس وذبيان وفزارة » ·

(١٣٤) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٥٨ ·

وخرج سعيد بن بحدل باعتباره مفوضا من قبل الخليفة ومعه حشد كبير من بطون كلب من عبد ود وعليم وأخذ يضرب في كبد الصحراء ويمر بالقبـائل وهو في الحقيقـة يقصـد فزارة (١٣٥) فلما وطأ ديارهم أوقع بهم وقعة نكراء عند موضع يسمى العاه (١٣٦) على غرة منهم فقتل منهم مقتلة عظيمة فيها خمسون رجلا من بنى بدر الفزاريين وحدهم ، وفي ذلك قال عويف القوافى يظهر أساه لمصرع قومه ويتوعد ابن بحدل :

منى الله أن ألقى حميد بن بحدل بمنزلـة فيها الى النصف معلما

الا ليت أنى صـادفتنى منيتى ولم أر قتلى العاه يا أم أسلما

ولم أر قتـلى لم تدع لى بعدهـا

يدين فما أرجو من العيش أجذما(١٣٧)

أثارت هذه الوقعة النكراء فزارة العراق وتقدم أشرافها وعلى رأسهم أسماء بن خارجة الفزارى (١٣٨) الى عبد الملك بن مروان وقد فرغ من قتال مصعب بن الزبير بطلب عاجل وملح وهو أن يقيدهم (١٣٩) من حميد ابن بحدل حقناً للدماء ، ولكنه أبى متعللا بأنهم كانوا فى فتنة والفتنـة كالجاهلية لا قود فيها ، فهو لم يشأ الأخذ بمبدأ القود الذى سنه الاسلام لئلا يغضب قبيلة كلب وسائر اليمانية وهم أنصاره بقتله أحد زعمائهم البـارزين وان كان معتديا ، وعرض على فزارة الديات فى قتلاهـم من أعطيات قضاعة وحمير بالشام (١٤٠) فقبلها القوم حقنا للدماء وارضاء للخليفـة .

---

(١٣٥) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٧ ص ١١٤ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٤٩٦ .

(١٣٦) العاه اسم جبل بارض فزارة ويوم العاه من أيام العرب .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٧٣ .

(١٣٧) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٧ ص ١١٤ .

(١٣٨) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر من سادات أهل الكوفة ومن ولده الفقيه الفاضل أبو اسحاق الفزارى فقيه الثغر ، وابن عمه لحا المحدث الثقة المشهور والشاعر عويف القوافى بن معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفـة من بنى فزارة من قيس عيلان من العرب العدنانية .
ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٧ .

(١٣٩) يقيدهم أى يقتص لهم والقود : القصاص ، واقاد القاتل بالقتيل قتله به واستقاد الحاكم : سأله أن يقيد القاتل بالقتيل .
الرازى : مختار الصحاح : ص ٥٥٥ « مادة قود » .

(١٤٠) البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ٢٩٨ .

ولكن كيف يمر ذلك على شعراء اليمانية دون أن يدلوا فيه بدلوهم وهم مثيرو الفتن وملقحو الضغائن ؟!! فكان أن عيرهم ابن مخلاة شاعر كلب حين قبلوا الديات فقال :

خذوهـا بنى ذبيان عقـلا على الأحياء وأعتقـدوا الخزاما

مواعـد من بنى مروان دينـا ندافعكم بها عاما فعاما (١٤١)

وهذا يوضح بما لا يدع مجالا للشك أن الشعراء من الجانبين كانوا وقود الفتنة بين القبائل يسكبون عليها من زيتهم كلما خبت نارها ، فلما شاع قول ابن مخلاة عن فزارة فى أمر الديات وما زالت مرارة المذبحة فى حلوقهم سارعوا فابتاعوا بها خيلا وسلاحا واحتشدوا عن بكرة أبيهم وساروا يتوخون الحيطة والحذر حتى دهموا بنى عبد ود وعليم من كلب على ماء لهم يعرف ببنات قين (١٤٢) فى أرض السماوة فقتلوا عشرين رجلا من عبد ود وخمسين من عليم بقتلاهم فى العاه فثأروا لأنفسهم حين أبى الخليفة أن يقتص لهم وحين أبى مخلاة شـاعر كلب أن يتركهم وحالهم لما قبلوا الديات (١٤٣) .

أغضب ما وقع من فزارة عبد الملك بن مروان أشد الغضب لأنها أخذت الديات وقبلت حقن الدماء ، ولخشيته من اتساع دائرة القتل بينها وبين كلب فقد أمر الحجاج بن يوسف عامله على الحجاز وقتها أن يقبض على سعيد بن عيينة بن بدر وحلحلة بن قيس الفزاريين وهما اللذان قادوا جموع فزارة بنات قين وألح عليه فى الطلب لينفذ على وجه السرعة فلما علم الرجلان بذلك قدما على الحجاج طائعين دفعا للشر عن قومهما فوجه بهما الى عبد الملك ولما أبت كلب أخذ الديات عن قتلاها دفع بالفزاريين الى كلب فقتلتهما بقتلاها فى بنات قين (١٤٤) وهو ما أغضب قيس غضـبا شديدا وأبهج كلب الى حد قول شاعرهم :

---

(١٤١) الأصفهانى : الأغانى : جـ ٢٠ ص ١٢٠ .

(١٤٢) بنات قين : اسم موضع بالشام فى بادية كلب بن وبرة بالسماوة ، وهى عيون عدة ، وسميت بذلك لأن القين بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة كان ينزل بها ويقول هذه العيون بناتى . ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٤٩٥ .

(١٤٣) الأصفهانى : الأغانى جـ ١٣ ص ٤٣ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٤٩٦ . وذكر هذه الوقعة ايضا : ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٧ ، وقال : ان سعيد ابن أبان بن عيينة بن حصن بن قتادة كان هو القائم بحرب فزارة مع كلب يوم بنات قين .

(١٤٤) الأصفهانى : الأغانى : جـ ٢٠ ص ١٢٢ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية . ص ٢٠٠ .

نحن قتلنـا سـيدهم بشيخنا   سويد فما كان وفاء به دما (١٤٥)

بعد كثير من الوقائع الدامية التى حدثت بين قيس وكلب على أثر موقعة مرج راهط فى بلاد الشام وباديتها رأى الخليفة عبد الملك بن مروان الذى عرف بحصافته وحسن تدبيره (١٤٦) أنه ليس من مصلحة الدولة الأموية استمرار هـذا الصراع فى مركز الخلافة ببلاد لشـام وما زال عبد الله بن الزبير قابعا فى الحجاز ورأى أن يبذل جهده للتخفيف من حدة تيار العصبية القبلية بين القيسية واليمنية واطفـاء الأحقاد بينهما فجمع حوله زعماء قيس وكلب فى محاولة للتوفيق بينهما ودفع دية من قتل منهما (١٤٧) وصالح زفر بن الحارث الزعيم القيسى وقربه اليه مع بنيه هذيل وكوثر وضم القيسية الى جيشه وفرض لهم فى العطاء (١٤٨) وتزوج منهم ولادة بنت العباس بن حرب من عبس (١٤٩) وهى أم أبنيه الوليد وسليمان اللذين أصبحا خليفتين فيما بعد ٠

ولكن هذا التقـارب بين الملك والقيسـية لم يعجب اليمنية وأوغر صدورهم وأثار حفائظهم وانطلقت ألسن شعرائهم وخاصة من كلب توجه اللوم والعتب لبنى أمية وتذكرهـم ما كان لهم من أيـاد على قومهم فى تثبيت دعائم حكمهم ومقارعة خصومهم ظنا منهم أن بيت الخلافة بسبيله الى نبذهم وتقريب قيس على حسابهم فهذا عمرو بن مخلاة الكلبى يخاطب عبد الملك بن مروان مشـيرا الى بنى أمية فينكر عليهم اظهار الجفاء لهم ويذكرهـم بلاء قومه فى نصرتهم يوم جيرون ويوم المرج الذى دفعوا من حسابه كثيرا فيقول :

ضربنا لكم عن منبر الملك أهله   بجيرون اذ لا تستطيعون منبرا
وأيام صـدق كلها قد عرفتم   نصرنا ويوم المرج نصراً مؤزرا

(١٤٥) شرح حماسة أبى تمام : جـ ٢ ص ٩٧ ، الأصفهانى : الأغانى : جـ ٢٠ ص ١٢٢ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٧٣٩ ٠

(١٤٦) مؤلف مجهول : العيون والحدائق فى أخبار الحقائق : ص ١٦١ ، ١٦٢ ٠

(١٤٧) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٧ ص ١١٥ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ٣١١ ٠

(١٤٨) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٦ ص ٤٢ ، ٥٣ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ١٧٣ ، ٢٥٣ ، جـ ٥ ص ٢١٣ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٢ ص٣٠٠ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ١٦٥ ، فلهـوزن : تاريخ الـدولة العربيـة : ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ٠

(١٤٩) ابن حبيب : المحبر : ص ٢٥ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٩ ص ١٨٠ ، سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١ ٠

فلا تكفوا حسنى مضت من بلائنا   ولا تمنحونا بعـد لين تجبرا
فكم من أمير قبل مروان وابنه   كشفنا غطاء الغمعنه فأبصرا(١٥٠)

لم يقتصر الأمر على ابن مخلاة فى توجيه اللوم الى بنى أمية وتذكيرهم حسن بلائهم وسـالف أيامهم فى نصرتهم لمجرد أن عبد الملك بن مروان صالح القيسـية وقربهم اليه دفعـا لغائلة الشر عن بلده وقومه فنسمع جواس بن قعطل الكلبى ينحو منحى ابن مخـلاة ولكن فى صـورة أشد وأعنف فيقول :

أعبد الملك ما شكرت بلاءنـا   فكل من رخاء الأرض ما أنت آكل
بجابيـة الجولان لولا ابن بحـدل   هلكت ولم ينطق لقومك قائل
فلما علوت الشام فى رأس باذخ   من العز لا يستطيعه المتناول
نفحت لنا سجل العداوة معرضـا   كأنك مما يحدث الدهر جاهل(١٥١)

ومن ذلك يبدو أن اليمانية قد صمت آذانها عن دعوة الصلح التى عمل عبأها عبد الملك بن مروان للقضاء على نار الفتنة والعداوة والحروب بين العرب من عدنان وقحطان فى بلاد الشام وبالتالى فى غيرها من بلاد الدولة الاسلامية لأن ابن قعطل ما برح يوجه رسائله المحمومة الى الخليفة يؤكد عليه ألا ينسى فضل قومه فى غمرة تقريبه وصلحه لقيس وتكريم زعمائهم بينما هو يفعل ذلك للصالح العام ويدل على ذلك ما جاء على لسان ابن قعطل بعد ما قاله سابقا قال :

غت أميـة بالرماح دماءنـا   وطوت أميـة دوننـا دنياهـا
ا ولاة ضرابها وطعـانها   حتى تجلت عنـكم غماهـا
يجزى ‏.. لا أميـة سـعينا   بل علا شددنا بالرماح عراها(١٥٢)

وعلى هذا النحو ظل شـعراء القحطانية يذكرون بنى أميـة طوال هـم ببـلائهم عنهم يوم المرج وبعـده كلما بدا منهم أمرا يكرهونه نسوا منهم جفاء وايثارا للمضرية عليهم (١٥٣) ‏. وذلك باعتبارهم

---

(١٥٠) شرح حماسة أبى تمام : جـ ٤ ص ٦٦ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ١٣٥ ‏.

(١٥١) حماسة أبى تمام : جـ ٤ ص ٦٨ ، حماسة البحترى : ص ١١٣ ‏.
(١٥٢) حماسة أبى تمام : جـ ٤ ص ٧٠ ، حماسة البحترى : ص ١١٢ ‏.
(١٥٣) احسان النص : العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى : ص ٦١٠ ‏.

أصحاب الفضل في قيام دولتهم بما قدموه من تضحيات في صفين ومرج راهط وغيرها منافحة عن بنى أمية وملكهم .

وعلى أية حال فمع كل ما بذله عبد الملك بن مروان على النزعة العصبية التى سادت بلاد الشام الا أنه لم يفلح فى القضاء عليها ولم تعجب اليمنية جهوده وان أثمرت محاولاته فى ارجاء الصدام بينهم وبين القيسية لبعض الوقت اذ رأت قيس أن هزيمتها فى مرج راهط عار لا يمحوه الا الدم بنفس الكيل والمعيار لأن خسارتهم فيها كانت فادحة لم تقع من قبل حين بلغت ستة آلاف قتيل فى يوم واحد بالمكر والخديعة (١٥٤). وأن اغاراتهم على كلب واليمنية لم تحقق الغاية المرجوة منها بالنسبة لقتلى المرج كما أن محاولات عبد الملك بن مروان لتطييب خاطرهم استدراكا لما فاتهم من الفضل فى فتح البلاد لم تلق صدرا رحبا من خصومهم الذين رأوا أن ذلك يتم على حسابهم بما وجهوه الى الخليفة من رسائل مقذعة على لسان شعرائهم فكان لابد لقيس من أن تبيت للايقاع بهم اذ لم تصفو نفوسهم بعد .

لاحت فرصة الثأر للقيسية فى معركة نهر خازر (١٥٥) قرب الموصل سنة ٦٧هـ ـ ٦٨٦م فى عهد عبد الملك بن مروان (١٥٦) وقبل قضائه على ثورة ابن الزبير بالحجاز وأثناء الفوضى بالعراق وتمرد أهله على حكم الأمويين بزعامة مصعب بن الزبير فى البصرة وذلك بين جيش من أهل الشام بزعامة الحصين بن السكونى (١٥٧) وعبيد الله بن زياد وبين جيش من الكوفة بالعراق بقيادة ابراهيم بن الأشتر النخعى (١٥٨)

---

(١٥٤) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٢٧ ؛ ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٢ ص ٣١٥ .

(١٥٥) نهر خازر بين اربل والموصل عليه كورة يقال لها نخلا ، وأهل نخلا يسمون الخازر بريشوا ومبداه من قرية يقال لها اربون وهو يصب فى دجلة .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٣٣٧ .

(١٥٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٢ ص ٣١٩ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٨٩ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص ٢٩١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ٨ ص ٣٠٤ .

(١٥٧) هو الحصين بن نمير بن ناتل بن لبيد من بنى أشرس بن كندة من العرب اليمانية .
ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٢٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : جـ ٦ ص ٢٧٦ .

(١٥٨) ابراهيم بن الأشتر النخعى كنيته أبو عمران وهو ولد الحارث بن جذيمة من بنى النخع بن عامر .
ابن حزم : الجمهرة : ص ٤١٤ ، ٤١٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : جـ ١ ص ٢٥ ، ٢٦ .

قائد المختار بن أبي عبيد الثقفي (١٥٩) الذى كان قد ثار بالكوفة فى ذلك الوقت للأخــذ بثأر الحسـين بن علي واتخاذها وسيلة للوثوب الى مركز الزعامة (١٦٠) مستغلا حالة الفوضى التي وصلت اليها الدولة فيما بين الزبيريين والأمويين وبين القيسية واليمنية ٠

لما نزل الجيشان قرية بارشـيا بالموصـل قرب نهر خازر (١٦١)، تآمرت القيسية في جيش الشام بزعامة عمير بن الحباب السلمي وفرات

---

(١٥٩) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود عمرو الثقفى ، ويقال أن مسعوداً جده هو عظيم القريتين ، وقد استولى المختار على الكوفة زمن مصعب بن الزبير وقوى أمره بهـا بانضمام ابراهيم بن الأشتر اليه ومقتل سليمان بن صرد الخزاعى زعيم الشيعة المعروفين بالتوابين فى معركة عين الوردة بأرض الجزيرة ضد عبيد الله بن زياد (٦٥ هـ ـ ٦٨٤ م). فصار هو زعيم الشيعة بالعراق وكان شعاره « يا لثارات الحسين » فتتبع قتلته فى كل مكان يحرقهم ويقطع أيديهم وأرجلهم ويطعنهم بالرماح ويقدم الفعلة أمامه بالمعاول لهدم دورهم حتى بلغ من عذب منهم عشرة آلاف وأرسل الى شمر بن ذى الجوشن الضـبابى « الذى أجهز على الحسين » من قتله وقبض على عمر بن سعد الذى قاد جيش الأمويين فى كربلاء وكان مستخفيا بالكوفة فجرده من أطماره ولوى شفتيه وأذنيـه كما يفعل بالبهيمة وشد لحيته وقلع أضراسه وسبل عقد أصابعه وقرض لحمه بالمقاريض وقطع لسانه وغور عينيه حتى مات ، وأرسل جيشا قتل عبيد الله بن زياد وعصبة من أهل الشـام فى موقعـة نهر الخازر فاستحق اعجاب بنى هاشـم حتى قال ابن عباس : أنه أصاب بثأرنا ، ولما تمكن المختار من البلاد وخضعت له سائر مدن الجزيمة على يد ابراهيم بن الاشتر وأحمد فتنة أشراف الكوفة ضده قرر مصعب بن الزبير فى البصرة أن يهاجمه قبل استفحال أمره فاستدعى المهلب من حرب الخوارج واصطنع ابراهيم بالجزيرة حتى انضم اليه ثم وجـه اليه بجيش كبير من البصرة الى الكوفة فصمد له المختار مدة اربعة أشهر ثم قتل بقصر الامارة سنة ٦٨ هـ ـ ٦٨٧ م وبعدها اضطهد مصعب أهل الكوفة وقتل منهم جمعا كبيرا وأجبر حريم المختار على أن يتبرأن منه ففعلن الا واحدة وهى عمرة بنت النعمان بن بشير قالت : أنه عبدا من عباد الله الصلحين فأمر مصعب بقتلها وعاد العراق الى سلطان ابن الزبير قبل أن يقتل هو وأخوه عبد الله فى عهد عبد الملك بن مروان وبذلك انتهت حركة من أكبر الحركات التى رمت الى نصرة العصبة الهاشمية زمن بنى أمية ٠

ديوان عمر بن أبى ربيعـة : ص ١٢ تحقيق شوارز وجبرائيل جبور ، ابن سعد : الطبقات : جـ ٥ ص ٧٧ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ٢٦٠ ، أبو مخنف : كتاب الأخذ بالثار : ص ١٠٠ ، ١٠١ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٦ ص ٩٣ ـ ١١٦ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٤٩١ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٤٠٠ ، ٤٠١ الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢٩٦ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٥ ص ٢٧٧ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٨ ، النوبختى : فرق الشيعة : ص ٢٣ ، ابن عمران المرزبانى : معجم الشعراء : ص ٤٠٨ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ٣٦٤ ، ابن كثير : البداية : جـ ٨ ص ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣١١ « ترجمة المختار » ابن خلكان : وفيات الأعيان : جـ ٣ ص ١٦٥ ، جـ ٤ ص ١٧٢ ، الخربوطلى : المختار الثقفى : مرآة العصر الأموى : ص ٢٢ ٠

(١٦٠) ابن سعد : الطبقات : جـ ٥ ص ٧١ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ٢٦٥ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٢ ص ٦٨٦ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢٩٢ ٠

(١٦١) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٤٨٨ ٠

ابن سالم مع ابن الأشتر قائد جيش المختار وذلك فى لقاء سرى عقد بينهما قبل المعركة تم فيه الاتفاق على أن تنسحب قيس من ميسرة جيش الخليفة عبد الملك عند بدء القتال وتترك الميدان فيقع بقية جيش الشام من كلب واليمانية فريسة لجيش العراق (١٦٢) ، وليس هذا فقط بل أن عميرا بدافع حقده على اليمانية ورغبته فى الثأر والتشفى منهم نصح ابن الأشتر قبل المعركة بما نفعه وذلك حين استشاره الأخير فى أن يحتمى وراء خندق ثم يناجز القوم فقال له ناصحا : « لا تفعل ، وهل يريدون الا هذا ، فان المطاولة خير لهم وهم كثير أضعافكم وليس يطيق القليل الكثير فى المطاولة، ولكن نازل القوم فانهم قد ملئوا منكم رعبا وأن هم شابوا أصحابك وقاتلوهم يوما بعد يوم ومرة بعد مرة أنسوا بهم واجترءوا عليهم » (١٦٣) .

لما وقعت الحرب قاتل القيسية قتالا يسيرا ثم تصايح عمير بن الحباب فى قيس : يا لثارات مرج راهط وأخذ يكرر النداء فنكس القيسيون أعلامهم وانسحبوا فكشفوا ميسرة جيش الشام ودفعوا بهم الى حتفهم فحلت بهم الهزيمة (١٦٤) وقتل من اليمانية وكلب خلق كثير فيهم القائد عبيد الله بن زياد ومعه من أشراف الشام شراحيل بن ذى الكلاع الحميرى وابن حوشب ذا ظليم الكندى وغالب الباهلى (١٦٥) وغيرهم جمع كبير وتتبع ابراهيم الفارين فغرق منهم أكثر ممن قتل وكان الذى تولى قتل عبيد الله بن زياد ـ والى الكوفة أيام كربلاء (١٦٦) ـ ابراهيم بن الأشتر نفسه اذ ضربه بالسيف ضربة قوية شطرته نصفين (١٦٧) أما الحصين بن نمير السكونى ـ الذى كان قائدا مع عبيد الله بن زياد وصاحب شرطته بالكوفة وقت خروج الحسين وقائد جيش الشام فى حصار المدينة الشهير على ابن الزبير أيام يزيد ورامى

---

(١٦٢) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ٨٦ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٩ ؛ ابن الأثير : الكامل : ج ٣ ص ٣٨١ .

(١٦٣) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٢٦١ .

(١٦٤) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ٩٠ ، ٩١ ، المسعودى : التنبيه والاشراف : ج ٢ ص ٣١٢ ، مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٤ ، الذهبى : دول الاسلام : ص ٥١ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى : ج ١ ص ٤٢٩ .

(١٦٥) ابن حبيب : المحبر : ص ٤٩١ الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ٨٦ ـ ٩٢ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٣٧ ، الذهبى : دول الاسلام : ص ٥١ ، ٥٢ ، ابن كثير : البداية : ج ٨ ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(١٦٦) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ٨٦ ، ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٢٧٧ .

(١٦٧) الدينورى : الأخبار الطوال ، ص ٢٨٦ .

الكعبة بالمنجنيق والنار (١٦٨) ـ فقد أسره ابن الأشتر وبعث به الى المختار بالكوفة حيث مات بين يديه بعد أن عذبه وقطع أوصاله وقرض لحمه بالمقاريض (١٦٩) ، ولما أتت المختار بالكوفة بشائر النصر بعث الى ابراهيم بن الأشتر يوليه على بلاد الجزيرة مركز القيسية فأقام بها ووجه عماله على مدنها وسكانها وكلهم من قيس (١٧٠) .

وهكذا كشفت العصبية القبليـة عن وجهها القبيح فى اذكاء نـار العداوة والبغضاء بين قيس وكلب من جراء مرج راهط رغم كل المحاولات التى بذلها الخليفة عبد الملك بن مروان فى تهدئة الأوضاع بين الطرفين حتى وصلت بهم الأمور الى حد التآمر والخيانة مع أن ذلك لم يكن فعلا أصيلا فى سلوك العرب وأخلاقهم .

ثانيا : الحرب بين قيس وقبيلة تغلب النصرانية :

(أ) دواعى الحرب القيسية التغلبية :

لم تجر العصبية عند القبائل العربية بالشام قيسا الى الحرب مع اليمانية فقط وانما جرتهم أيضا الى حرب أشد وأعنف مع قبيلة أخـرى من العرب العدنانية وهى قبيلة تغلب النصرانيـة من ربيعة (١٧١) ، فلم تبدأ المعارك بين قيس وكلب منذ مرج راهط سنة ٦٤ هـ ـ ٦٨٤ م ألا حين قامت هذه الحرب القيسية التغلبية فى غمرة الأحـداث التى شهدتها الدولة الأموية فى ذلك الوقت والتى استمرت بينهما أربعـة سنوات كاملة من سنة ٦٩ هـ ـ ٦٨٩ م الى سنة ٧٣ هـ ـ ٦٩٢ م .

ومجموعة قبيلة تغلب قليلة الفروع اذا قورنت بقيس ، ومن أكبـر بطونها بنو جشم بن بكر ومالك بن بكر وهى أعظم قبائل ربيعة شأنا على الاطلاق (١٧٢) ، وكانت قصبة منازل تغلب فى القرن الأول للهجـرة

---

(١٦٨) الأزرقى : أخبار مكة : ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(١٦٩) أبو مخنف : كتاب الأخذ بالثار : ص ١٠٠ .

(١٧٠) الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢٨٩ .

(١٧١) سبق التعريف بنسب تغلب وربيعة . وانظر أيضا : ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، القلقشندى : نهاية الأرب : ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، قلائد الجمان : ص ١٢٩ .

(١٧٢) ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٠٦ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٠ .

وسط الجزيرة الفراتية أشبه ما تكون جزيرة حصينة يحدها نهر الخابور ودجلة والفرات وتقع بين قرقيسيا وسنجار ونصيبين والموصل شمالا وعانه وتكريت جنوبا (١٧٣) فيما عرف باسم « ديار ربيعة » (١٧٤) وقد عاشت جماعة من تغلب في مضارب على الضفة اليمنى لنهر الفرات عند منبج والرصافة وعاشت أخرى الى جوار قنسرين ودمشق حتى عين التمر في الجنوب (١٧٥) وفيما بين خفان والعذيب (١٧٦) وعبرت بطون منهم نهر دجلة مهاجرة الى أذربيجان (١٧٧) .

كان معظم بني تغلب بدوا شديدى البأس (١٧٨) تسربت النصرانية اليهم قبل ظهور الاسلام من جيرانهم النصارى فانتموا الى النحلة اليعقوبية السائدة بالمنطقة وكانت لهم أسقفية بالرصافة (١٧٩) تدعى أسقفية مار سرجيس تحظى بكل رعايتهم واهتمامهم كما يفهم من قول الأخطل (١٨٠) .

---

(١٧٣) القلقشندى : نهاية الأرب : ص ١٨٧ .

(١٧٤) ديار ربيعة تمتد من الموصل الى رأس عين نحو بقعاء الموصل ونصيبين ورأس عين ودنيسر والخابور وتشمل ما بين ذلك من المدن والقرى وشملت هذه المنطقة ديار بكر وديار ربيعة وسميت كلها ديار ربيعة لأنهم كلهم ربيعة .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٩٤ . لسترنج بلدان الخلافة الشرقية : ص ١١٤ .

(١٧٥) انظر ملحق رقم ١٦ « خريطة مواقع وأعلام جغرافية وتاريخية لبلاد الشام بعد الفتح الاسلامى » .

(١٧٦) خفان موضع قرب الكوفة وقيل فوق القادسية ، والعذيب ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال وقيل هو حد السواد .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٧٩ ، ج ٤ ص ٩٢ ، لسترنج بلدان الخلافة الشرقية : ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(١٧٧) هدارة : دراسات : ص ٨٤ نقلا عن لامنس .

(١٧٨) أبو يوسف : الخراج : ص ١٤٤ ، المسعودى : مروج الذهب : ج ١ ص ٣١٤ .

(١٧٩) تقع فى غربى الرقة على طرف البرية .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٤٧ .

(١٨٠) الأخطل هو شاعر تغلب النصرانى المتشدد واسمه غياث بن غوث بن الصلت من بنى جشم ابن بكر من تغلب من ربيعة العدنانية ، والأخطل لقب غلب عليه بسبب انه هجا رجلا من قومه فقال له : يا غلام انك لأخطل أى سفيه وقد لقبه عبد الملك بن مروان بشاعر بنى أمية وكان يدخل عليه فى أى وقت مرتديا عباءة من الحرير وعليه تعويذة ويتدلى الصليب من عنقه .

الأصفهانى : الأغانى : ج ٨ ص ٢٨٠ ترجمة الأخطل ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ ص ٤٨٣ ، الآمدى : المؤتلف والمختلف : ص ٢١ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٠٥ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٣٨٦ ، البغدادى : خزانة الأدب : ج ١ ص ٢٢٠ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٣٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب : ج ١ ص ١٤١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٩ ص ٩٣ ، ترتون : أهل الذمة : ص ١٥٠ شوقى ضيف العصر الاسلامى : ص ٢٥٨ ــ ٢٦٤ .

لما رأونا والصليب طالعا   ومار سرجيس وسما ناقعا (١٨١)

ومع أن النصرانية لم تتغلغل فى قلوب التغالبة شأنهم فى ذلك شأن البدو والأعراب الا أنهم استمسكوا بها وعدوها عرضا يذودون عنه وشرفا كان انتهاكه عارهم ، ولذلك فانه لم تفلح جميع المحاولات التى بذلها المسلمون لادخالهم فى الاسلام (١٨٢) ويستثنى من ذلك جماعة صغيرة منهم كانت تعيش الى جوار طيء (١٨٣) .

لم تستطع تغلب أن تظل طويلا بمعزل عن الظروف والأحداث التى كانت تدور حولها بالشام والعراق بحكم موقعها الهام بينهما فى الشمال ، فعندما ظهرت روائح العصبية القبلية بين العدنانية والقحطانية منذ أواخر عهد عثمان بن عفان التزمت تغلب موقفا يشبه المحايدة (١٨٤) بسبب أنها على دين مخالف لما عليه الطرفان فاعتبرت نفسها خارج الحلقة ، غير أنها لم تستمر على ذلك طويلا فمالأت عليا فى بداية أمره بسبب التعصب الذى كان قد بدا واضحا فى عهده بين العرب من مضر ويمن نتيجة للنزاع بينه وبين معاوية(١٨٥) فاتخذت تغلب جانبه لكثرة المضرية فى أنصاره لأنه كان صاحب الأمر فى مبدأ الخلاف وكان معاوية يعد خارجا عن طاعته فاتخذت القلة النصرانية جانب الجمهور من المسلمين وخاصة أنها تعيش فى منطقة النفوذ الموالى لعلى (١٨٦) .

ولكن سرعان ما انقلبت تغلب الى صف معاوية وحاربت معه فى صفين بسبب أنها وجدت أن عليا يمثل النظرية الاسلامية بغض النظر عن السياسة على عكس معاوية الذى كان يمثل النظرية السياسية بغض النظر عن الدين لتحقيق أهدافه فى الوصول الى منصب الخلافة فضيق عليهم الأول بسبب نصرانيتهم حين أوعز الى عماله بأخذ تغلب بالشدة لأنها كانت

---

(١٨١) ديوان الأخطل : ص ٢١١ .

(١٨٢) انظر قصة شمعلة التغلبى مع كل من الوليد وهشام ابنى عبد الملك بن مروان فى هذا الخصوص .

الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٠ ص ٩٣ ، ٩٩ ، المبرد : الكامل : جـ ٣ ص ٨٧ ، الآمدى : المؤتلف والمختلف : ص ١٤٠ وحاشية ٣ نفس الصفحة ، زيدان : تاريخ التمدن : جـ ١ ص ١٠٩ .

(١٨٣) أبو يوسف : الخراج : ص ٦٨ ، ترتون : أهل الذمة : ص ٩٤ .

(١٨٤) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣٠٩ .

(١٨٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ١٣٧ .

(١٨٦) هداره : دراسات فى الشعر العربى : ص ٩٠ .

قد دأبت على تنصير أولادها مخالفة في ذلك عهدها لعمر بن الخطاب (١٨٧) كما أنها تشرب الخمر فتفسد الناس (١٨٨) فكان ذلك مما أحفظها عليه وجعلها تنقلب الى خصمه وهو السياسي المطبوع الذى تلقف تغلب بكل صدر رحب لحاجته الى الحلفاء الأقوياء في صراعه ضد على ووعدهم بعدم التضييق عليهم في دينهم والمهلة في جمع صدقاتهم فأيدوه ، ولما أنبأتهم الأحداث بأن الخلافة تسعى اليه بفضل طاعة القحطانية من أهل الشام لأمره انضموا اليه وأصبحوا من أنصاره وحاربوا معه في صفين (١٨٩) وكانوا في جيش ابنه يزيد يوم الحرة وقاتلوا مع مروان في مرج راهط وفي ذلك يقول الأخطل شاعر تغلب النصراني :

وقد كان يوم راهط ـ من ضلالكم ـ فناء لأقوام وخطبا من الخطب(١٩٠)

لما نشبت الحرب بين قيس وكلب بعد مرج راهط لم تتخذ تغلب موقفا حاسما من القتال الدائر بينهما لأنها رأت وهي القبيلة النصرانية أن تدخلها بين فريقين من المسلمين لن يكون الا على حسابهـا (١٩١) ، غير أن تغلب لم تدم على حيـادها طويلا بسبب عامل العصبية القبليـة الذى لم تستطع تغلب ربيعة المضرية أن تنأى بنفسها عنه بحكم دينهـا ووجدت نفسـها منجـرة اليه ، فمع أن تغلب كانت في جانب الأمويين الا أنها لم تؤيد أنصارهم من كلب اليمنية ضد قيس المضرية اخوتهم في النسب لأن نصرانيتها لم تمح عصبيتها .

كما لم يمح الاسلام العصبية بين القبائل التى دخلت فيه .

هذا بالاضافة الى ما كان بين تغلب وكلب من عداوة وحروب قبل ذلك يدلنا عليها قول الأخطل :

---

(١٨٧) أبو يوسف : الخراج : ص ١٥ ، أبو عبيد : الأموال : ص ٤٨٢ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٨٦ .

(١٨٨) الآمدى : المؤتلف والمختلف : ص ٢١ ، ترتون : أهل الذمة : ص ١٥٠ ترجمة حسن حبشى .

(١٨٩) كان ضمن بنى تغلب ممن حارب مع معاوية في صفين الشاعر كعب بن جعيل التغلبى وكان نصرانيا ثم اعتنق الاسلام وحارب في جيش معاوية ضد على في صفين وهو صاحب الكثير من الأشعار التى كان يقارع بها معاوية شعراء العراق ممن كانوا مع على ابن ابى طالب حتى لقب بشاعر معاوية .

أنظر نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٣ ، ٢٩٨ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ٢ ص ٣١ ، المرزبانى : معجم الشعراء : ص ٢٣٣ ، ابن سلام : طبقات الشعراء ـ ٤٥٨ .

(١٩٠) ديوان الأخطل : ص ٢٣

(١٩١) عداوة : دراسات : ص ٩٨ .

نبئت كلبا تمنى أن تحاربنا وطالما حاربونا ثم ما ظفروا(١٩٢)

ومن ثم فقد وافقت تغلب هواها حين امتنعت عن مساعدة كلب في صراعها ضد قيس رغم اجتماع الاثنين « تغلب وكلب » في حب الأمويين فقد دعت نصرانية تغلب « عصبيتهم » في الانضمام الى بني أمية ، ودعتهم عصبيتهم الى مساعدة قيس ضد كلب بصرف النظر عن الدين كان أن انضمام قيسية الشام لابن الزبير كان بسبب العصبية وليس الدين (١٩٣) ٠

لم تستطع تغلب أن تستمر طويلا في دورها من العداء بين قيس وكلب وهو دور المساعدة الثانوية لقيس بحكم العصبية القبلية وصلة النسب والجيرة في الديار (١٩٤) وأدركت أنه قد بات لزاما عليها أن تجدد سياستها ، فكلب عدوتهم ولكنها حليفة الأمويين وقيس من عصبيتها ولكنها عدوة الأمويين ومن ثم فقد ترددت تغلب طويلا في اختيار أي الفريقين تلقى بثقلها الى جواره وتجاذبتها العوامل السياسية والأهواء العاطفية حتى أخرجها استفزاز قيس لها عما كانت فيه من حرج حيال الدولة الأموية (١٩٥) التي غضت الطرف عنهم في تنفيذ عهد عمر بشأن تنصير أولادهم وترفقت بهم في جباية الصدقات في الوقت الذي زاحمت فيه قيس لتغلب في منازلها يقطعونها جيئة وذهابا يستأوون جواريهم ويسخرون مشايخهم ويرهقونهم بطلب زاد لهم وعلوفا لخيلهم (١٩٦) فكان ان اعتزمت تغلب القتال ضد قيس وخلع طاعة ابن الزبير والانضمام صراحة الى الأمويين بصرف النظر عن العصبية والنسب الى مضر لما وصل الأمر الى حد المزاحمة في الديار وفي ذلك قال الأخطل شاعر تغلب :

ولما تبينا ضلالة مصعب فتحنا لأهل الشام بابا من النصر(١٩٧)

يضاف الى كل ما سبق من الأسباب التي أدت الى قيام الحرب القيسية التغلبية أن الدولة الأموية في ذلك الوقت كان يهمها انكسار

---

(١٩٢) البلاذري : انساب الأشراف : ج ٥ ص ٣١٣ ٠

(١٩٣) هدارة : دراسات : ص ٩٨ ٠

(١٩٤) عن ديار تغلب وقيس في شمال الشام والجزيرة الفراتية انظر ملحق رقم ١٧ « العراق — خريطة مواقع أعلام جغرافية وتاريخية بعد الفتح الاسلامي » ٠

(١٩٥) الأصفهاني : الأغاني : ج ١٧ ص ١١٢ ، ١١٤ ٠

(١٩٦) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٠٩ ٠

(١٩٧) ديوان الأخطل : ص ١٣٤ ٠

شوكة قيس التي اتخذت جانب ابن الزبير وأصبحت بوقا له في بلاد الشام معقل بني أمية نكاية فيهم لتفضيلهم اليمانية لدورهم في قيام دولتهم (١٩٨) ، فضلا عن أشاعة القيسية للذعر والفوضى في شتى أنحاء البلاد من جراء حربهم لكلب (١٩٩) ومن والاها من اليمانية على أثر هزيمتهم في مرج راهط ، فلما باتت الحرب واقعة بين قيس وتغلب بسبب تداخل الأولى مع الثانية في الديار وما وقع عليها من ظلم وجد فيها الأمويون ضالتهم المنشودة في فل حدة قيس القوية وصرفها عنهم وعن أنصارهم من كلب وخاصة بعد خيانة وقعة نهر الخازر (٢٠٠) ولو الى حين الانتهاء من أمر ابن الزبير بالحجاز وأخيه مصعب بالعراق فلرب ضارة نافعة جاءت في وقتها لأنها كان من الخطر على الأمويين وأنصارهم من اليمنية أن يحدق بهم أعداؤهم من جهة الحجاز والعراق في الشرق ومن جهة القيسية بشمال الشام ، كما أنه لم يكن من السهل عليهم القتال في جبهتين في وقت واحد ولذلك فليس بمستبعد بأنه لما همت تغلب بحرب قيس وجدت تشجيعا من جانب الأمويين بدليل أنهم ما كانوا يسكتون عليها لو كان في ذلك ضرر لهم ، كما أن عبد الملك بن مروان أعطى الوفد التغلبي الذي جاء له برأس الزعيم القيسي عمير بن الحباب عقب احدى وقائعهم وخلع عليه (٢٠١) .

(ب) الوقائع الحربية بين قيس وتغلب :

بدأت الحرب بين قيس وتغلب من باب الحيف الذي لحق بالأخيرة من جراء مزاحمة قيس لها في ديارها مثيرة للفوضى والقلاقل (٢٠٢) ، وكانت زعامة قيس في ذلك الوقت لكل من عمير بن الحباب السلمي(٢٠٣) وهو أعرابي جافي الطبع لا يحترم غير منطق القوة ، وزفر بن الحارث الكلابي الذي كان حكيما كريما مجمعا لا يحب الفرقة على حد قول

(١٩٨) المسعودي : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٨٤ .

(١٩٩) الأصفهاني : الأغاني : جـ ١٧ ص ١١٢ ، جـ ٢٠ ص ١٢٠ .

(٢٠٠) الطبري : التاريخ : جـ ٦ ص ٨٦ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ص ٣٨١ .

(٢٠١) ابن حبيب : المحبر : ص ٤٩٢ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٧ .

(٢٠٢) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣٠٩ .

(٢٠٣) اسمه عمير بن الحباب بن جعدة بن اياس بن حذافة بن محارب بن هلال ابن فالج من بني بهثة بن سليم من قيس عيلان العدنانية كان له جد يدعى حكيم أقام بمكة أيام الجاهلية محتسبا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وفي ذلك قال بعض سفهاء قريش :

أطوف في الأباطح كل يوم مخافة أن يشردني حكيم

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

الأصفهاني (٢٠٤) ، وقد حدث بعد موقعة نهـــر الخازر وهزيمة جيش الشـــام ومقتل جمـــع غفـير من اليمانية بسبب انســحاب قيس من المعركة (٢٠٥) أن اتحدت سائر قيسية الشام بزعامة زفر بن الحارث وعمير بن الحباب واتخذوا من معقلهم في قرقيسياء مركزا للهجـوم على كلب واليمانية طلبا لثأر من قتل منهم في مرج راهط ودارت أغلب هذه الأيام في منطقة السماوة حيث كانت تنزل كلب البادية التي اضطرت الى الرحيل عنها الى غور الشام تحت وطأة الهجوم القيسي كما أوضحنا من قبل وقد عمل مع قيس في هذه الغارات قوم من تغلب كانوا يدلونهم على المسالك والدروب لخبرتهم بهذه الأرض وطرقها (٢٠٦) .

لما عادت القيسية بزعامة عمير بن الحباب من احدى غاراتها على كلب نزلت على نهر الخابور (٢٠٧) حيث منازل تغلب التي أبدت اســـتياء شديدا من ذلك لدأب القيسيين على استغلالهم وسبي جواريهـم وتسخير مشايخهم النصارى (٢٠٨) ومعاملتهم بمـا لا يليق ومساعدتهـم التي يقدمونها لهم ظنا منهم بضعف تغلب وعدم قدرتها على مناوأتهم .. ووسط هذا الجو المشحون هاج الشر بين الحيين بسبب بضع غنمات اســتولى عليها بعض بني الحريش (٢٠٩) من امرأة تميمية يقال لها أم دويل كانت متزوجة في تغلب حيث نزل عمير ومن معه ، ولما شــكت المرأة الى عمير لم يرد عليها غنمها فهب قوم من تغلب لنصرتها فقتل منهم رجل يقال له مجاشـع التغلبي فخـرجت تغلب بزعامة شعيث بن مليل وأغاروا على بني الحريش فقتلوا جمعا واستاقوا غنما لامرأة منهم يقال لها أم الهيثم وحاول القيسيون منعهم فلم يقدروا (٢١٠) وفي ذلك يقول الأخطل :

وجــاءوا بجمع ناصري أم هيثم . فما رجعوا من ذودها ببعير(٢١١)

---

(٢٠٤) الأصفهاني : الأغاني : جـ ١٢ ص ٢٠٦ .

(٢٠٥) الذهبي : دول الاسلام : ص ٥١ ، ابن كثير : البداية : جـ ٨ ص ٣٠٣ .

(٢٠٦) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٠ .

(٢٠٧) الخابور : نهر كبير يمتد بين رأس عين والفرات من أرض الجـزيرة وعليـه بلدان كثيرة غلب عليها اسمه فنسبت اليه وأصل هذا النهر من العيون التي توجد برأس عين .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٣٣٤ ، لسترنج بلدان الخلافة الشرقية : ص ١١٤ ، ١٢٤ ، ١٢٧ .

(٢٠٨) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣٠٩ .

(٢٠٩) هم بنو الحريش بن أقصى بن عامر من قمعة بن الياس بن مضر .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٤٠ .

(٢١٠) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٠ .

(٢١١) ديوان الأخطل : ص ٣٦ .

وكان على اثر ذلك أن قامت قيس بغارة مفاجئة على تغلب بديارها في الخابور فقتلوا منهم ثلاثة نفر واستاقوا خمسة وثلاثين بعيرا (٢١٢) ٠

لما رأت تغلب أن السيف قد وقع بينها وبين قيس أرادت أن تسلك الطريق السلمي لوأد أسباب الحرب قبل أن يحتدم القتال بينهما حقنا للدماء ، فلجئوا الى زفر بن الحارث الكلابي الزعيم القيسى المعتدل للتوسط فى اجلاء عمير ومن معه عن الخابور وذكروا له القرابة والجوار وطلبوا منه أن يأتيهم برحلهم المسلوب ويرد عليهم نعمهم وشاءهم (٢١٣) فأجابهم زفر الى رد نعمهم أما اجلاء من نزل بالخابور من قيس فدفع بأنه لا طاقة له به ولا يملكه غير عمير ، وقال لهم « أما النعم فنردها عليكم أو ما قدرنا عليه ونكمل لكم من نعمنا وندى لكم القتلى ثم سكت ، فقالوا : وتدع لنا الخابور وترحل قيسا عنه فان هذه الحروب لن تطفأ ماداموا مجاورينا (٢١٤) فلم يجبهم زفر لأنه وإن كان عميرا خليفة الا أنه لم تكن له ولاية عليه فضلا عن أنه كان رجلا خشنا جافي الطبع لا يحترم غير منطق القوة (٢١٥) ٠

لكل هذه الأسباب بدأت الحرب بين قيس وتغلب اذ رأت الأخيرة أنه لا كرامة لها طالما ركبت قيس أنفاسها فى ديارها ، فى الوقت الذى طمع عمير فى اجلاء تغلب عن منازلها والاستيلاء عليها كما رحل كلبا عن منازلها بالبادية ، ورأى فى التفوق العددى لقيس ما يمكن أن يساعده فى تحقيق غايته خاصة والأمويين فى شغلهم للقضاء على آل الزبير بالحجاز والعراق (٢١٦) وربما غضوا الطرف عن حرب تكون قيس طرفا فيها فيأمنوا شرها حتى ينتهوا من أمرهم ٠

وهكذا وجدت تغلب نفسها تدفع الى الحرب دفعا فأغاروا على قرى القيسية بالقرب من قرقيسياء فتصدى لهم عمير وهزمهم وقتل منهم بعض الرجال(٢١٧) مما كان له وقع الأسى فى نفوسهم حين رأوا أن سيل الدماء قد بدأ فى تدفقه دون بادرة توقفه وعندها برز من تغلب بعض من حكمائهم فى محاولة للدعوة الى تحكيم العقل بدلا من السيف وكان من

---

(٢١٢) ابن الأثير : المصدر السابق : ج ٤ ص ٣١٠ ٠
(٢١٣) الأصفهانى : الأغانى : ج ١٢ ص ٢٠٥ ٠
(٢١٤) الأصفهانى : نفسه : ج ١٢ ص ٢٠٦ ٠
(٢١٥) الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٩٣ ٠
(٢١٦) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ١٥١ ، ١٧٤ ، ابن كثير : البداية : ج ٤ ص ٨٨٩ ٠
(٢١٧) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣١١ ٠

هؤلاء اياس بن الخراز وابن قرشة التغلبي والقطامي (٢١٨) شاعر تغلب المعتدل الذى وجه رسالة الى ضباع ابنة زفر بهذا المعنى يقول فيها :

قفي قبل التفرق يا ضباعا ولا يك موقف منك الوداعا
قفي فادى أسيرك أن قومي وقومك لا أرى لهم اجتماعا
الم يحزنك أن حبال قيس وتغلب قد تباينت انقطاعا (٢١٩)

غير أن كل هذه الأصوات ذهبت صدى وحاول عمير بن الحباب الزعيم القيسى أن يضفى على مسلكه تجاه تغلب فى ترحيلهم عن الجزيرة أو اخضاعهم لسلطان قيس صفة الشرعية فوفد على مصعب بن الزبير بالعراق وأعلمه أنه قد أولج قضاعة مدائن الشام (٢٢٠) وأنه لم يبق الا حى من ربيعة أكثرهم نصارى « يقصد تغلب » وأنهم موالون لبنى أمية ويعملون ضد الزبيريين وأهل العراق وسأله أن يوليه عليهم أو حتى يقلده عهدا بجمع صدقاتهم ، وبذلك يجد الفرصة للنيل منهم (٢٢١) ، ولكن يبدو أن مصعبا كان على علم بشخصية عمير وشدته فلم يشأ أن يسلطه على رقاب تغلب رغم ما ساقه اليه من حجج أو أنه لم يشأ أن يتحمل تبعة ذلك فقال له : «اذهب الى زفر فان هو أراد ذلك ولاك» (٢٢٢)، فلما قدم عمير الى زفر ذكر له ما كان بينه وبين مصعب فشق ذلك عليه ولم يرغب أن يوله صدقات تغلب فيحيف بها ووجه اليهم قوما لجمع صدقاتهم وأمرهم أن يترفقوا بهم (٢٢٣) فلما جاءوهم عند الخابور وأعلموهم ما جاءوا له رفضوا اجابتهم الى ذلك فعادوا الى زفر الذى ردهم وكتب معهم أن مصعبا أمره بهذا وهو لا يجد بدا من أخذ صدقاتهم أو قتالهم ، ولكن تغلب التى اعتبرت المسألة اذلالا لها ـ لأنهم كانوا يؤدون صدقاتهم لبنى أمية ـ ردت على ذلك بقتل بعض الرسل الذين

---

(٢١٨) القطامى اسمه عمير بن شييم من بنى الفدوكس والتسمية مأخوذة من أسم الصقر .

راجع فى ترجمته : الأصفهانى : الأغانى : جـ ٢٠ ص ١١٨ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٤٥٢ ، المزربانى : معجم الشعراء : ص ٤٧ ، شوقى ضيف : العصر الاسلامى : ص ٢٢٤ ـ ٢٢٦ .

(٢١٩) ديوان القطامى : ص ٣٧ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٤٥٥ .

(٢٢٠) يقصد اجباره لكلب البادية على الرحيل من ديارها وتفرقها بالمدائن ، وقد سبق ذكر ذلك .

(٢٢١) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٧٥ .

(٢٢٢) البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ٣١٣ .

(٢٢٣) البلاذرى : نفسه : جـ ٥ ص ٣١٣ .

جاءوهم (٢٢٤) مما أحزن زفر الذى كان يكره استفساد تغلب وكان حريصا ألا يتسلط عليهم عمير ومع ذلك فقد هددهم بالقتال ممثلا للحزب الزبيرى أن لم يؤدوا صدقاتهم (٢٢٥) فلما فشلت المفاوضات واحتدمت الحرب كانت بين قيس الممثلة للحزب الزبيرى وتغلب التى وجدت نفسها ممثلة للحزب الأموى (٢٢٦) ومن ثم فلم تنته هذه الحرب الا بالقضاء على ابنى الزبير بالحجاز والعراق ودخول القيسية فى طاعة بنى أمية (٢٢٧) .

١ ـ وقعة يوم ماكسين :

لما قتلت تغلب بعض عمال الصدقات الذين جاءوهم من عند زفر بصفته نائبا لمصعب بن الزبير على الجزيرة وهددهم زفر بالحرب وجدها عمير بن الحباب ـ الذى كان يتحفز لهم ـ بمثابة اعلان من تغلب بخروجها عن طاعة ابن الزبير ونوابه من قيس مما يوجب حربهم وأخذ على عاتقه الايقاع بهم دون استشارة زفر ففاجأهم بجمع قيس عند ماكسين (٢٢٨) من قرى الخابور قرب رأس العين وهم على غير استعداد فقتل منهم على ما ذكر خمسمائة رجل وما زال بأصحابه يحضهم على قتل تغلب والا يستبقون منهم أحدا (٢٢٩) حتى أن رجلا من بنى قشير (٢٣٠) يدعى الندار صاح فى تغلب بأنه جار لكل حامل أتته فهى أمنة فجاءته الحبالى حتى أن المرأة كانت تشد الجفنة من تحت ثوبها تشبها بالحبليات تنشد

---

(٢٢٤) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٢ ص ٢٠٥ .

(٢٢٥) الأصفهانى : نفسه : جـ ١٢ ص ٢٠٦ .

(٢٢٦) يؤيد ذلك ما ورد على لسان الأخطل :

ولما تبينا ضلالة مصعب فتحنا لأهل الشام بابا من النصر

فأصبح ما بين العراق ومنبج لتغلب تردى بالردينية السمر

ديوان الأخطل : ص ١٣٤ ، وتردى بالردينية السمرأى يوطأ بحوافر الخيل السمراء عليها الفرسان بالحراب ، انظر الرازى : مختار الصحاح : ص ٢٤٠ .

(٢٢٧) الطبرى : التاريخ : جـ ٦ ص ١٥١ ، ابن كثير : البداية : جـ ٤ ص ٩٨٩ .

(٢٢٨) ماكسين من البلاد الواقعة على نهر الخابور بالقرب من رحبة مالك بن طوق من ديار ربيعة .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٥ ص ٤٣ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٢٧ .

(٢٢٩) ابن الاثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٩٨ .

(٢٣٠) هم بنو قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، بطن من قيس عيلان من العرب العدنانية . ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، القلقشندى : نهاية الإرب : ص ٣٥٧ .

الامن فلما اجتمعن له أمر ببقر بطونهن وهو ما يذكره نفيع بن صفار المحاربى فى قوله :

يقسرنا منهسسم ألفى بقير فلم نترك لحاملة جنينا (٢٣١)

ويقول الأخطل عن هذه الحادثة باكيا :

فليت الحرب قد وطئت قشسيرا سنابكها وقد سسطع الغبار
فنجسزيهم ببغيهسم علينسا بني لبنى بما فعل النذار (٢٣٢)

ويبدو أن عميرا لم يكن يفهم حقيقة العلاقة بين قيس وتغلب كمسا يفهمها زفر الذى كان يرى فى عصبية مضر من قيس وتغلب قوة مخيفة لكلب وسائر اليمانية بالشام ومن ثم فقد ظل حريصا حتى آخر لحظة على ألا تنفصم عرا هسذه العصبية لأن ذلك لن يكون الا لصالح بنى قحطان فأحسن معاملة أسرى تغلب وأطلق سراحهم (٢٣٣) وأرسل الى عمير رسالة شديدة اللهجة يستنكر فيها صنيعه ويلومه ويعتب عليه قال :

ألا مسن مبلغ عنى عمسيرا رسسالة عاتب وعليه زار
أتترك حى ذى كلع وكلسب وتجعسل حسد نابك فى نسزار
كمعتمسد عسلى احسدى يديه فخانته بوهى وانكار (٢٣٤)

٣ ـ وقعة يوم الثرثار الأول :

لم تهدأ تغلب حتى أعدت لغزو قيس اعدادا جيدا للرد على ما لحق بهم يوم ماكسين فاستمدت قبائل ربيعة بالجزيرة والعراق فجاءها مدد

(٢٣١) الأصفهانى : الأغانى : جـ ٢٠ ص ١٢٧ ٠
(٢٣٢) ديوان الأخطل : ص ١٣٨ ٠
(٢٣٣) كان القطامى الشاعر فيهم فلما أطلق زفر سراحه قال يمدحه :
من مبلغ زفسر القيسى مدحتسه من القطسامى قسولا غير افنساد
انى وان كان قومى ليس بينهسم وبين قومسك الا ضربة الهسادى
مثن عليسك بما استبقيت معرفتي وقسد تعسرض منى مقتسل بسادى
ديوان القطامى : ص ٨٤ ٠
(٢٣٤) الأصفهانى : الأغانى : جـ ٢٠ ص ١٢٨ ٠

من النمر بن قاسط وبنى شيبان (٢٣٥) وكتبوا الى مهاجريهم بأذربيجان فأمدوهم بألفي فارس (٢٣٦) ، ولما رأى عمير بن الحباب حشد تغلب كتب الى قومه من تميم وأسد بالعراق يستمدهم ويذكرهم وشـــائج الرحـم والعصبية قال :

أيا أخوينا مـن تميم هديتما ومن أسد هل تسمعان المناديا
ألم تعلما إذ جاء بكر بن وائل وتغلب الفافا تهز العواليا (٢٣٧)

غير أن تميما وأسدا لم تأبه للنداء الذى وجه اليهما لفظاعة ما لحق بتغلب فى ماكسين ولضخامة الحشود التغلبية التي اجتمعت لحرب عمير الذى إستبطأ نجدة قومه فقال يستصرخهم :

أناديهـــم وقد خذلـت كلاب وحولى من ربيعـة كالجبـــال
أقاتلهـــم بحى بنى ســليم ويعصر وبالمصاعيب النهال(٢٣٨)

وهكذا ذهبت نداءات عمير أدراج الريـاح ولم يأته احـــد من قيسية العراق وزحفت عليه تغلب بوادى الثرثار (٢٣٩) بقيادة يزيد بن هوبر التغلبي فلقيهم بجمع سليم (٢٤٠) فى قوة غير متكافئـــة فوقع فى قومه القتل وبقرت تغلب بطون ثلاثين امرأة من سليم (٢٤١) ثأرا لنسائهـــم فى يوم ماكسين وهو ما عناه الأخطل بقوله :

---

(٢٣٥) هم بنو شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر وهم ، بطن متسع كثير الشعوب كانت لهم كثرة فى صدر الاسلام شرقى دجلة فى جهات الموصل ، وسيدهم فى الجاهلية مرة بن ذهل بن شيبان .

القلقشندى : نهاية الأرب : ص ٢٨٣ .

(٢٣٦) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٩٩ .

(٢٣٧) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٢ ص ٢٠٥ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ٣١٨ .

(٢٣٨) الأصفها : الاغانى : جـ ١٢ ص ٢٠٦ .

(٢٣٩) الثرثار : واد عظيم بالجزيرة ينتسب الى نهر بهذا الاسم وأصل منبعه شرقى مدينة سنجار بالقرب من قرية يقال لها سرق فى البرية بين سنجار وتكريت ، وكان فى القديم منازل بكر بن وائل واختص باكثره بني تغلب واصل التسمية من الثر وهو الكثير لكثرة ما عليه من القرى أو لكثرة مياهه .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٧٥ ، لسترنج بلدان الخلافة الشرقية : ص ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢٤٠) بطن من قيس عيلان من العدنانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦١ ـ ٢٦٣ .

(٢٤١) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٩٩ .

الا من مبلغ قيسا رسولا كيف وجدتهم طعم الشقاق
أصبنا نسوة منكم جهارا بلا مهر يعد ولا سياق(٢٤٢)

كانت المعركة اللسانية بين شعراء القبيلتين تساير ما يقع بينهما من حروب قبلية ، فهي تهدأ بهدوء الأحداث وتثور بثورتها مما كان له أكبر الأثر في اشعال نار الحرب وتقديم الوقود اللازم لاستمرارها والرغبة في الثأر ، فكانت أشعارهم بمثابة شحن متصل لأقوامهم واثارة الحمية العصبية مما أعاد الى الأذهان ذكرى الجاهلية ووقائع العرب فيها (٢٤٣) ، فكان الأخطل شاعر تغلب يتطاول على قيس بشعره ويسب مضر (٢٤٤) ، وغيره من شعراء قيس كابن صفار المحاربي يسبون تغلب ويتفاخرون عليها ، وكان من أشهر ما هجا به جرير بني تغلب وشاعرهم قوله فيهم :

أن الذى حرم الخلافة تغلبا جعل النبوة والخلافة فينا
مضر أبي وأبي الملوك فهل لكم يا خزر تغلب من أب كأبينا
هل تشهدون من المشاعر مشعرا أو تسمعون من الأذان أذينا

وقوله :

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرائيل وكذبوا ميكالا
لا تطلبن خئولة في تغلب فالزنج أكرم منهم اخوالا (٢٤٥)

٣ ـ وقعة الثرثار الثاني :

أصبحت الحرب سجالا بين قيس وتغلب ودخلت بهم في دوامة الأخذ بالثأر مع حرص كل منهما أن يمحو عار الهزيمة التي لحقت به بأسرع ما يمكن وبأي وسيلة يراها مناسبة مما أدى الى اتصال الحروب بينهما على مدى أربع سنوات كاملة فكانت من أكثر الحروب القبلية في بلاد الشام عنفا ودموية ، فبعد هزيمة قيس في يوم الثرثار الأول ما برح عمير يبكي قتلاه ويرجو قرب يوم الانتقام وكان يقول :

---

(٢٤٢) ديوان الأخطل : ص ٣١ ٠

(٢٤٣) انظر الأصفهاني : الأغاني : ج ٧ ص ٣٨ ، البلاذري : أنساب الأشراف : ج ٥ ص ٣١٦ ، جورجي زيدان : العرب قبل الاسلام : ص ٢٥١ ٠

(٢٤٤) الأصفهاني : الأغاني : ج ٧ ص ١٧٠ ٠

(٢٤٥) نقائض جرير والأخطل : ص ١٠٩ ٠

فدى لفوارس الثرثار نفسي وما جمعت من أهل ومال
أبعد فوارس الثرثار أرجو ثراء المال وعدد الرجال (٢٤٦)

ولما أكمل عمير استعداده للانقضاض على تغلب وجد زفر بن الحارث نفسه في موقف لا يحسد عليه فقد أصبح ما كان يخشاه واقعا سواء أراد أو لم يرد ولم يعد أمامه خيار الا أن يمد قومه وينصرهم لأنهم لو هزموا ثانية فسوف يلحقه عار الهزيمة التى لا تفرق بين قيسى وآخر وهكذا وجد زفر نفسه يسعى حثيثا الى حرب تغلب حتى صار حامل رايتها بعد مصرع عمير على نحو ما سوف نرى ، وعلى أية حال فقد التقت تغلب وقيس على الثرثار مرة أخرى بزعامة عمير بن الحباب وشعيث بن مليل التغلبى واحتدم القتال بينهما (٢٤٧) وحملت تغلب على بنى عامر (٢٤٨) وكانوا فى ميمنة قيس فهزموا وهو ما عبر عنه عمير بقوله :

ولت عامر عنا فأجلت وحولى من ربيعة كالجبال (٢٤٩)

وثبت بنو سليم حتى تحولت الهزيمة الى نصر وقطعت رجل شعيث بن مليل ومع ذلك فقد ظل يقاتل حتى قتل وهو يقول :

قد علمت قيس ونحن نعلم أن الفتى يقتل وهو أجذم (٢٥٠)

ولما قتل شعيث قائد تغلب عقر أصحابه دوابهم ونزلوا عنها وقاتلوا حتى قتلوا وفيهم عدد كبير من أشرافهم ولحقت الهزيمة بتغلب (٢٥١) وزادها ألما فقد قائدهم فيها دون قتل نظيره فى جيش خصمهم وهو ما أشار اليه جرير فى مفاخرته عليهم بهذا النصر حين قال :

لما لقيتم بالجزيرة خيل قيس قلتم يا مار سرجيس لا قتالا
وأسلمتم شعيث بن مليل أصاب السيف عاتقه فمالا (٢٥٢)

(٢٤٦) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٢ ص ٢٠٦ .
(٢٤٧) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٢ .
(٢٤٨) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٧٢ .
(٢٤٩) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٢ .
(٢٥٠) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٢ ص ٢٠٧ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١١ .
(٢٥١) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٢ .
(٢٥٢) الأصفهانى : الأغانى : جـ ٧ ص ١٧٠ .

٤ ـ أيام متفرقة من حرب قيس وتغلب :

استمرت الوقائع بين قيس وتغلب بعد يوم الثرثار الثـاني وكانت في معظمها على شكل غارات خاطفة من جانب قيس على تغلب في ديارها وعرفت أيام هذه الغارات بأسماء الأماكن التي حدثت فيها ولم تكن تتعدى مجرد وقائع صغيرة لم تأخذ شكل الحروب أو المعارك بين الطرفين ومنهـا وقعة يوم الفدين (٢٥٣) حيث أغار عمير بن الحباب على قرية الفدين وقتل من وجده بها من تغلب (٢٥٤) وهي التي قال فيها ابن صفار المحاربي :

لو تسأل الأرض الفضاء عليكم   شهد الفدين بهلككم والصور (٢٥٥)

ولم يلبث عمير أن اتبع غارة الفدين بغارة السكير (٢٥٦) حيث هزمت تغلب وفر من فرسـانهم عمير بن جندل فعيرهم عمير بن الحبـاب بذلك حيث قال :

وأفلتنا يـوم السكير ابن جندل   على سابح عوج اللبان مثابر (٢٥٧)

وتوالت الغارات القيسية على تغلب متلاحقة فلم تستطع لها دفعـا اذ عاد مهاجروهم الذين كانوا قد جاءوا لنصرتهم من أذربيجان كما عادت بطون ربيعة الى العراق وبقيت تغلب الجزيرة هدفا سهلا لغارات القيسية فانتصروا عليهم أيضا في وقعة يوم المعارك وهو مكان بين الحضر والعقيق من أرض الموصـل دهمت فيه تغلب وذكره ابن صـفار المحاربي في شعره فقال :

ولقد تركنـا بالمعارك منكم   والحضر والثرثار أجسادا جثا (٢٥٧)

---

(٢٥٣) الفدين : قرية على شاطىء الخابور تقع بين ماكسين وقرقيسياء .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٢٤٠ .
(٢٥٤) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٣ .
(٢٥٥) الصور : قرية على شاطىء نهر الخابور بينها وبين الفدين نحو أربعة فراسخ .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٤٣٤ .
(٢٥٦) سكير العباس : بليدة صغيرة من قرى الخابور .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٢٣١ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١١٥ ، ١٢٧ .
(٢٥٧) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٣ .
(٢٥٨) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٤ .

ولما ساء تغلب كثرة الغارات القيسية عليها والهزائم المتلاحقة التى نزلت بها حشدوا رجالهم للتصدى لقيس دفعا لغائلة الشر عن أنفسهم ، مما حدا بالأولى لأن تسير الى قيس فى ديارها فأوقعت بهم الهزيمة فى الشرعبية (٢٥٩) وقتلت جمعا من سليم كان عليهم الجحاف بن حكيم السلمى (٢٦٠) ذلك الزعيم القيسى الذى ظهر على مسرح الأحداث منذ ذلك الحين وختم حرب قيس وتغلب فى الجزيرة بمأساة مروعة على نحو ما سوف نذكر ، وعلى أية حال فبعد يوم الشرعبية دارت الرحى على تغلب وهزمت فى يوم البليخ وهو نهر بين حران والرقة (٢٦١) حيث قتل منهم بعض رجالهم وبقرت قيس بطون عدد من نسائهم فى وحشية بالغة كما فعلت فى يوم ماكسين (٢٦٢) ٠

٥ ـ موقعة الحشاك :

ساء تغلب ما حل بنسائها يوم البليخ أيما أساءة وأدركوا أن هيبتهم على وشك أن تضيع بين القبائل بالشام ، وأن قيسا فيما يبدو لا ترضى بغير القضاء عليهم أو اجبارهم على الرحيل كما فعلوا بكلب ، وذلك اما للانفراد بالجزيرة أو لتمسك تغلب بنصرانيتها بين الجمع الاسلامى وهم عرب وربما للاثنين معا ، وفى سبيل ذلك ضربت قيس بعصبيتها لمضر عرض الحائط لكى تتخلص من تغلب ، ولذلك فان التغالبة بعد يوم البليخ جمعوا قضهم وقضيضهم وحاضرتهم وباديتهم بزعامة يزيد بن هوبر (٢٦٣) لما توالت عليهم الهزائم وتأكدوا أن قيسا لن تسكت عنهم وجعلوا نساءهم فى مؤخرتهم ولم يكن ذلك يحدث فى حروب العرب الا لأمر جلل ليقاتل الرجال عن حريمهم وليضربن فى وجوه الرجال اذا فروا من الهزيمة (٢٦٤)، ولما رأت قيس عزم تغلب للايقاع بهم اجتمع كل من زفر وعمير ولأول مرة فى قيادة قيس ضد تغلب والتقى الجمعان فى تل الحشاك بأرض الجزيرة بين دجلة والفرات (٢٦٥) وحمى وطيس الحرب بينهما مدة يومين متتالين

---

(٢٥٩) موضع بالجزيرة الفراتية ٠
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٣٣٥ ٠
(٢٦٠) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٤ ٠
(٢٦١) ياقوت : المصدر السابق جـ ١ ص ٤٩٣ ، لسترنج : بلدان الخلافة : ص ٢٥ ، ١١٤ ، ١٣٢ ٠
(٢٦٢) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٥ ٠
(٢٦٣) ابن الأثير : جـ ٤ ص ٣١٥ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ١٩٩ ٠
(٢٦٤) الأزدى : فتوح الشام : ص ٢٢٩ ٠
(٢٦٥) ياقوت معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٩٢ ٠

واستماتت تغلب في القتال وهي مفعمة بالحماس الشديد والرغبة في الثأر والانتقام ، فلما رأى عمير جدهم وعزمهم نصح قومه بالتراجع أمام تغلب التي كشرت عن أنيابها لما رأوه من خروجها عن بكرة أبيها حتى يذهب حماسها فيرسل من يغير عليهم بأسلوب الحرب الخاطفة كل قوم على حدة فيأخذهم متفرقين وقال : « يا قوم أرى لكم أن تنصرفوا عن هؤلاء فانهم مستقتلون فاذا اطمأنوا وساروا الى سرحهم وجهنا الى كل قوم من يغير عليهم » (٢٦٦) ، فما كان منهم ألا أن رفضوا خطته واتهموه بالجبن والتخاذل وقال له عبد العزيز الباهلي : « قتلت فرسان قيس أمس وأول أمس ثم جبنت اليوم » (٢٦٧) فغضب عمير وظل يقاتل نزولا على رغبتهم .

بعد اليوم الثالث من بدء القتال حلت الهزيمة بقيس وهرب زفر من المعركة بعد أن كاد يفقد رأسه ولحق بقرقيسياء (٢٦٨) وركبت تغلب أكتاف قيس قتلا وتنكيلا وهم يرددون قولتهم الشهيرة : أما تعلمون أن تغلب تغلب (٢٦٩) » وحمل على عمير بن الحباب رجل من بني كعب بن زهير (٢٧٠) التغالبة يقال له جميل بن قيس فقتله واحتز رأسه (٢٧١) وأصيب يزيد بن هوبر قائد تغلب بجراح بالغة مات منها في يومه وقتل من قيس جمع غفير وخاصة من بني سليم وغني (٢٧٢) وبعث بنو تغلب برأس عمير بن الحباب الى عبد الملك بن مروان بدمشق فأعطى الوفد التغلبي وخلع عليه (٢٧٣) لأنه لم يكن قد قضى على ابن الزبير بعد وفي هزيمة القيسية وهم أنصاره ونوابه بالشام حطا من شأنه وخطوة في سبيل القضاء عليه .

وعلى أية حال فقد هزمت قيس في الحشاك هزيمة قاسية نتيجة تراخيها في القتال اذ صورت لهم انتصاراتهم المتكررة على تغلب ضعف

(٢٦٦) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٧ .
(٢٦٧) الأصفهاني : الأغاني : جـ ١٢ ص ١٩٨ .
(٢٦٨) الأصفهاني : الأغاني : جـ ١٢ ص ١٩٨ .
(٢٦٩) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٦ .
(٢٧٠) ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٠٥ .
(٢٧١) الأصفهاني الأغاني : جـ ١٢ ص ١٩٨ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٦ .
(٢٧٢) غني : هم بنو عمرو بن أعصر بن سعد من قيس عيلان بن مضر كانت لهم ظاعنة ضخمة بطفوف الشام . ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .
وطفوف الشام : معناها ما أشرف من أرض العرب على ريف الشام ، وسمي طفا لأنه دان من الريف وهو مأخوذ من أطف على الشيء بمعنى أطل .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٣٥ ، ٣٦ .
(٢٧٣) ابن حبيب : المحبر : ص ٤٩٢ .

أمرهم وسهولة تحقيق نصر سريع عليهم فلما حيل بينهم وبين ذلك وأشار عليهم عمير بما ينفعهم لم يقبلوه واتهموه بالجبن ظنا منهم أن المعارك تكسب بالحماس وحده فدارت عليهم الدائرة ، ووجد فيها الأخطل ضالته المنشودة ليصول على قيس بما تجود به شياطين شعره فقال قصيدته الطويلة التى يشمت فيها بما حل بقيس وهجا قبائلها بطنا بطنا ولم يكتف بذلك بل راح يتفنن ويبتدع الصور التى تمثل بشاعة مقتل عمير بن الحباب ، قال الأخطل :

شفى النفس قتلى من سليم وعامر	ولم تشفها قتلى غنى ولا جسر
وأن يك قد قاد المقانب مرة	عمير فقد أضحى بداوية قفر
تظل سباع الشرعبية حوله	ربوضا وما كانوا أجنوه في قبر (٢٧٤)

وما كاد الأخطل ينتهى من قصيدته حتى انبرى له شعراء قيس يردون عنيه فقال نفيع بن صفار المحاربى يعدد هزائم تغلب وأيام قيس عليها :

أبا مالك لا يدرك الوتر بالخنا	ولكن بأطراف الردينية السمر
ظللنا نفرى بالسيوف رءوسكم	ولا حى يفرى بالسيوف كما نفرى
قتلتم عميرا لا تعدون غيره	وكم قتلنا من عمير ومن عمرو (٢٧٥)

وقال أيضا يعيره بقتل شعيث بن مليل وهو رئيس كعمير :

وأيام القناطر قد تركتم	رئيسكم لنا غلقا رهينا
تركنا الباكيات على شعيث	سواجم عبرة ما ينقضينا (٢٧٦)

وما لبث ميدان هذه المعركة الشعرية أن اتسع وخاض حلبتها نفر من شعراء العراق المضريين والربعيين ، ولما نشبت التهاجى بين جرير والأخطل واتصلت النقائض بينهما أخذا يستعيدان أخبار الوقائع التى نشبت بين قيس وتغلب بالجزيرة فظلت ذكراها حية فى أذهان الناس أمدا طويلا بعد خمود نارها (٢٧٧) .

(٢٧٤) ديوان الأخطل : ص ٢٢٠ ، نقائض جرير والأخطل : ص ٢٨ ، والبلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ٣١٨ .

(٢٧٥) البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ٣١٨ .

(٢٧٦) الأصفهانى : الأغانى : جـ ٢٠ ص ١١٧ .

(٢٧٧) احسان النص : العصبية القبلية : ص ٤٤٩ .

٦ ـ وقعة الكحيل :

ضوت قيس الى ديارها بالجزيرة تلعق جراحها بعد هزيمة الحشاك ومصابها بعمير وتشهير الاخطل بها ، وحمل زفر بن الحارث الكلابي لواء الزعامة بعد اختفاء عمير بن الحباب من الميدان وأصبح لزاما عليه أن يثأر لعمير وقتلى قيس في الحشاك ، وبينما كان يعد العدة لذلك على مهل وروية في محيط محكم اذ وفد عليه تميم بن الحباب أخو عمير وسأله التعجيل بالثأر لأنه أصبح شيخ قيس وكبيرهم (٢٧٨) فلما طلب منه زفر التمهل لتحسس أفضل السبل لذلك ألح عليه تميم في الخروج من ساعته حتى لا تصبح قيسا أضحوكة العرب ومادة لشعراء أعدائها (٢٧٩) ، فلما لم يوافقه زفر خرج تميم بن الحباب ومعه جماعة من قومه متوجهين الى تغلب فلقيهم الهذيل بن زفر وسألهم عن وجهتهم فأخبروه بما كان من أبيه فقال : امهلوني ألق الشيخ ، فأقاموا ينتظرون ومضى الهذيل الى أبيه وأنكر عليه صنيعه وقال له : والله لئن ظفرت بهم تغلب ان ذلك لعار عليك وبلية تضاف الى مصابنا ولئن ظفروا هم بتغلب وقد خذلتهم فان ذلك لأشد علينا (٢٨٠) .

وازاء ذلك لم يجد زفر بد من النهوض الى تغلب فقال لابنه : احبس على القوم ، وقام الى أهله فحرضهم على القتال ثم خرج من قرقيسيا بعد أن استخلف عليها أخاه أوس بن الحارث (٢٨١) وعزم على غزو تغلب في ديارها وأخذهم متفرقين ، فوجه يزيد بن حمران في خيل الى بني فدوكس وهم بطن من تغلب قتل رجالهم واستباح نساءهم وأموالهم حتى لم يبق غير امرأة واحدة استجارت فأجارها يزيد بن حمران (٢٨٢) ، كما أرسل زفر ابنه الهذيل على رأس جماعة من جيشه الى بني كعب بن زهير (٢٨٣) من تغلب أوقعوا فيهم القتل ، وأرسل قائدا يدعى مسلم بن ربيعة العقيلي الى جمع تغلب في ديارهم فدهمهم ونال منهم أما هو فقد توجه الى قصبة ديار تغلب بالعقيق (٢٨٤) من أرض الموصل وكانوا قد

---

(٢٧٨) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٨ .

(٢٧٩) الأصفهاني : الأغاني : جـ ١٢ ص ١٩٨ .

(٢٨٠) الأصفهاني : نفسه : جـ ١٢ ص ١٩٩ .

(٢٨١) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٨٦ .

(٢٨٢) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٨ .

(٢٨٣) بنو كعب بن زهير ولد جشم بن بكر بن حبيب من بني عمرو بن غنم تغلب ومنهم جميل قاتل عمير بن الحباب . ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٠٥ .

(٢٨٤) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ١٣٩ .

شرعوا في الرحيل عبر نهر دجلة فلحق بهم زفر في جيشه من القيسية عند نهر الكحيل (٢٨٥) أسفل الموصل وهم على غير استعداد وتنظيم فأمعن فيهم قتلا وتنكيلا على مدى يوم كامل وبقر بطون نساء منهم وأسر مائتين قتلهم في الميدان وغرق من تغلب عدد كبير ولم ينج منهم الا من نجح في عبور نهر دجلة (٢٨٦) فكانت بحق ملحمة دامية كما سماها الأخطل حين قال :

ولم أر ملحمة مثلها قف لي أخبرك أخبارها
أمر على ثعلب جائع وأشبع للذئب ان زارها
تركنا البيوت لأعدائنا وعون النساء وأبكارها (٢٨٧)

أما زفر بن الحارث فارس قيس وشاعرها فقال متشفيا لقومه وثائرا بعمير :

الا يا عين بكى بانسكاب وبكى عاصما وابن الحباب
فان تك تغلب قتلت عميرا ورهطا من غنى في الحراب
فقد أفنى بني جشم بن بكر ونمرهم فوارس من كلاب (٢٨٨)

ولم يكتف زفر بذلك وهو الشاعر المطبوع بل راح يصول ويجول على تغلب كما فعل الأخطل من قبل فقال :

ولما أن نعى الناعى عميرا حسبت سماءهم دهيت بليل
فلو نبش القبر عن عمير فيخبر من بلاء أبى الهذيل
غداة يقارع الأبطال حتى جرى منهم دماء مرج الكحيل

وهكذا اتيحت الفرصة لشعراء قيس للدخول الى معترك الفخر والتشفى من تغلب وهجائها فهذا جرير يوجه كلامه مباشرة الى الأخطل يفخر عليه بانتصار الكحيل ويعيره هزيمة تغلب فقال :

---

(٢٨٥) الكحيل : مدينة كبيرة على نهر دجلة بين الزابين فوق تكريت من الجانب الغربى .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ٤٣٩ .
(٢٨٦) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٢ ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٨ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٠٠ .
(٢٨٧) ديوان الأخطل : ص ٣٠١ .
(٢٨٨) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٢ ص ١٩٩ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣١٨ .

أنسيت يومك بالجزيرة بعدما كانت عواقبــه عليك وبــالا
حملت عليك حماة قيس خيلها شعثا عوابس تحمل الأبطالا
مازلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليكم ورجالا (٢٨٩)

ويفتخر أيضا بنفسه وبمضر ويهجو تغلب والأخطل فيقول :

الضاربون على النصارى جزية وهدى لمن اتبع الكتاب ونورا
الله فضلنا وأخزى تغلبــــا لــن تستطيع لما قضى تغييرا
أفبالصليب ومارسرجيس تتقى شهباء ذات كتائب جمهورا (٢٩٠)

٧ ـ موقعة البشر :

استمرت الحرب بين قيس وتغلب بعد معـــركة الكحيل بسبب العصـــبية القبلية بينهما والتى لم تكن تقــل فى حدتها عن العصبية بين القيسية واليمانية ، وحينئذ أدرك الخليفة عبد الملك بن مروان أن ما بين قيس وتغلب ليس مجرد غارات محدودة أو حرب خاطفة كما كان يتصور بل رأى حرب ابادة شعواء يطول مداها ولا يستفيد منها الا أعداء العرب وهى فى النهاية ليست فى مصلحة الدولة واستقرارها مما يوجب العمل لصالح العرب والمسلمين والدولة معا ، ومن ثم فقد بات يعمل جاهدا لوضع حد لهذه الحروب والعصبية سواء بين قيس وتغلب أو بين قيس واليمانية وأخذ يبذل خالص مساعيه لمصالحة زعماء الأطراف المتنازعة ودعوتهم اليه لتحقيق هذا الغرض (٢٩١) .

وبينما الخليفــة عبد الملك بــن مروان يسعى لتحقيق هدفه فى المصالحة بين قيس وتغلب واذا بمأساة مروعة تحل بتغلب على يد قيس لتصبح بحق نهاية دامية للحرب بين الطرفين ، وكان للاخطل التغلبى وشعره دور مباشر فى وقوع هذه الحرب الأخيرة بين القبيلتين وذلك لأن الشعر فى ذلك الوقت كان أسمى لغة للتخاطب بين العــرب اذ كانــوا يضعون فيه خالص فصاحتهم وبيانهـــم فيسرى فى الناس سريان النار فى الهشيم يحفظونه ويرددونه اما مدحا وفخرا واما ذما وهجاء (١٩٢) ،

(٢٨٩) ديوان جرير : ص ٤٥١ ، نقائض جرير والأخطل : ص ٨٣ ، الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٢ ص ١٩٨ .

(٢٩٠) نقائض جرير والأخطل : ص ١١٩ .

(٢٩١) البلاذرى : انساب الاشراف : جـ ١١ ص ٢٥٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٣ ص ٣٣٠ .

(٢٩٢) الآلوسى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب : ص ١٢٨ .

ويبدو أن نفوس الناس من تغلب كانت لاتزال مضغنة على قيس بسبب فعلتها في يوم الكحيل وكانت مساعى عبد الملك بن مروان فى المصالحة لم تكن قد أتت ثمارها اذ كانت لا تزال فى بدايتها ودماء الضحايا لم تجف بعد ، ففى احدى المرات كان عند الخليفة من زعماء قيس الجحاف بن حكيم السلمى (٢٩٣) والأخطل شاعر تغلب ولسان حال جماعتهم الداعية الى الثأر والقتال وتطرق الحديث فيما بينهم الى ما سبق أن وقع بين الطرفين من حروب وحميت ثائرة الشاعر التغلبى فانبرى مستفزا للجحاف فى حضرة الخليفة يذكره بما كان من سابق نكاية تغلب فى قيس يوم الحشاك ويتهمه بالعجز عن الثأر لقومه ونال منه فقال :

الا سائل الجحاف هل هو ثائر	بقتلى اصيبت من سليم وعامر
أجحاف أن تصطك يوما فتصطدم	عليك أواذى البحور الزواخر
تكن مثل أقذاء الحباب الذى جرى	به الماء أوجارى الرياح الصراصر (٢٩٤)

فلما سمع الجحاف ذلك امتقع وجهه وتميز غيظا مما دعاه اليه الأخطل وقال مجيبا شاعر تغلب وملبيا دعوته :

بلى سوف نبكيهم بكل مهند	وننعى عميرا بالرماح الشواجر (٢٩٥)

لما رأى عبد الملك بن مروان ما جرى بين الرجلين أنحى باللائمة على الأخطل وقال له : ما أراك الا قد جررت على قومك شرا طويلا وأفسدت ما نحاول أن نصلحه (٢٩٦) ، ومع ذلك فلم يمتثل الأخطل لدعوة السلام التى حضر من أجلها وغلبت عليه أحقاده وضغائنه وأبى الا أن يحبط مسعى الخليفة فأمعن فى استهزائه بالجحاف وعيره بقتلى قيس ومصرع عمير وتوعده بمثل مصيره قال :

شفى النفس قتلى من سليم وعامر	بيوم بدت فيه نحوس الكواكب

---

(٢٩٣) هو الجحاف بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خزاعى ومن ولد بهثة ابن سليم وهم بطن من هوزان ابن منصور العدنانية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٤ ، الآمدى : المؤتلف والمختلف : ص ٧٦ .

(٢٩٤) ديوان الأخطل : ص ٢٨٦ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ٣٢٨ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ١ ص ٤٨٥ ، المبرد : الكامل فى اللغة والأدب : جـ ١ ص ٢٩٨ ، الآمدى : المؤتلف والمختلف : ص ٧٦ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٤٢٧ .

(٢٩٥) المبرد : الكامل : جـ ١ ص ٣٩٨ ، ابن الأثير الكامل : جـ ٤ ص ٣١٩ .

(٢٩٦) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ١ ص ٤٩٥ .

تعاورهم فرسان تغلب بالقنـا　　فولوا وخلوا عن بيوت الحبائب
ولاقى عمير حتفه في رماحنا　　وما أنت ياجحاف منها بهارب(٢٩٧)

كان على أثر ذلك أن خرج الجحـاف يجـر أذياله غاضبا من حضرة عبد الملك بن مروان مما اعتبر ايذانا بوقوع حـرب جـديدة بين قيس وتغلب لم يستطع الخليفة لها دفعا اذ أقسم الجحاف زعيم قيس أن لا يغسل رأسه حتى يوقع بتغلب لقاء ما ألحقه به الأخطل وبالقيسية من مهانة (٢٩٨) رغم ما كان يبذله عبد الملك من جهود المصالحة واستجابة قيس لهـا .

فلما أتى قومه ونفسه مفعمة بالرغبة الملحة للايقاع بتغلب لم يدع فرصة للقيل والقال فافتعل كتابا على لسـان عبد الملك بجبـايه صدقات القبائل في الجزيرة ومنها تغلب وبكر وجمع جربا حشاها حصا وترابا وقال لجمع قيس : أن عبد الملك قد ولاني صدقات القبائل وهذا كتابه بذلك وقد أتيت العشائر والبطون فأخذت صدقاتهم وهي التي معي في هذه الحرب ولم يعد الا تغلب فتأهبوا معي لنخرج اليهم (٢٩٩) فأجابه القوم الى ما طلب فلما أشرف الجحاف على بـلاد بني تغلب نثر التراب والحصى وخرق الكتاب وأخبرهم حقيقة ما حدث من الأخطل وطلب منهم أن يثأروا لقومهم فباغتوا الرحوب وهو ماء لبني جشم بن بكر من تغلب بالبشر في الجزيرة (٣٠٠) وأوقعوا بالناس ممن كانوا عليه مقتلة عظيمة وأسرفت القيسية في القتل فقتل غياث أبو الأخطل وولده وأسر الأخطل نفسه وكانت عليه عباءة قديمة فلما سئل عن شخصه أجاب بأنه عبد من عبيد تغلب فخلوا سبيله ولما خشي أن يعرف أو يدل عليه فقد ألقى بنفسه في جب وظل به حتى انصرف القوم (٣٠١) وهذا ما عناه ابن صفار المحاربي بقوله في هجاء الأخطل :

---

(٢٩٧) ديوان الأخطل : ص ٢٧٨ .

(٢٩٨) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ ص ٤٨٥ ، الآمدي : المؤتلف والمختلف : ص ٧٦ .

(٢٩٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٢١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٠١ .

(٣٠٠) ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ص ٣٧ .

والبشر اسم جبل يمتد من عرض الى الفرات من ارض الشام من جهة البادية وهو من منازل بني تغلب بن وائل .

نفسه : ج ١ ص ٤٢٦ ــ ٤٢٨ .

(٣٠١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ ص ٤٨٥ ، الآمدي : المؤتلف : ص ٧٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٢١ .

لم تنج الا بالتعبـــد نفســـه   لما تيقن انهـــم قوم عدا
وتشابهت بـــرق العبـاء عليهم   فنجا ولو عرفوا عباءته هوى(٣٠٢)

ومن ثم يتضح لنا أن الأخطل شاعر تغلب النصراني انما كان رجل قول لا فعل جلب بلسانه الدمار على قومه بعد أن كادت الأحوال أن تنصلح بين قيس وتغلب فلما جد الجد جبن وانخذل فلم يستطع أن يدافع عن أهله حتى قتل أبوه وولده ، وقد حاول القطامى شاعر تغلب المعتدل أن يكشف حقيقة الأخطل للقوم ويعرى لهم نفسه المفعمة بالشر فلم يفلح وضاع تحذيره من الانسياق وراء النعرات الكاذبة التى طالما تشدق بها فى شعره الا أنه لم يجد آذانا صاغية (٣٠٣) وقد صدق القطامى فى دعوته فلما كانت وقعة البشر ظهر أن عزم الأخطل الذى طالما شجع قبيلته وحمسها للقتال وأغرى بها أعداءها لم يكن الا عزم شيطان شعره فحسب على حد قول القطامى ٠

وعلى أية حال فانه بعد وقعة البشر أراد عبد الملك بن مروان أن يقبض على الجحاف بن حكيم السلمى ليجازيه على فعلته فى الايقاع بتغلب فهرب الى بلاد الروم (٣٠٤) وبعث الى الأخطل يبين له أنه هو الذى دفعه الى ذلك بما سبق أن قاله من شـعر أهانه وقومه من قيس فى حضرة الخليفة وصار يتشفى فيه وفى قومه من تغلب ويتوعده بمثلهـا أن دعاه مرة أخرى قال الجحاف :

أبا مالك هل لمتنى اذ حضضتنى   على القتل أم هل لامنى كل لائم
أبـا مالك انى أطعتك فى التى   حضضت عليها فعل حران حازم
ألم أفنـكم وأجـدع أنفكم   بفتيان من قيس والسيوف الصوارم
بكل فتى ينعى عميرا بسيفه   اذا اعتصمت أيمانهم بالقوائم

(٣٠٢) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٢ ص ٢٠١ ٠

(٣٠٣) قال القطامى فى ذلك :

افهمتهـم يوم جـد البين بينهـم   لو كان فيهم غداة البين من فهما
نجر الخيول ابن ليـلى وهى ساهمة   حتى أغرن مع الظلمـاء اذ ظلما
ان الأخيطل ليس الدهـر ثائرهـم   أو يبعث الله عادا أو ترى ارما
حلت بنـــو مالك والبحـر دونهم   وذمم القـوم يوم اللقـاء جشما
ودوبل لا يكون المجـد غاينـه   ولن يجـد اذا شـيطانه عزمـا

بنو مالك بن بكر : قوم القطامى وبنو جشم بن بكر قوم الأخطل والدوبل ولد الخنزير والحمار وبهذا الاسم نعت جرير الأخطل فى هجائه له واستعاره القطامى فى هذه المقام ٠
ديوان القطامى : ص ١٠١ ٠

(٣٠٤) المبرد : الكامل فى اللغة والأدب : جـ ١ ص ٢٩٩ ٠

فان تطردونى تطردونى وقد جرى — بى الورد يوما فى دماء الأراقم
نكحت بسيفى فى زهير ومالك — نكاح اغتصاب لا نكاح دراهم
فان تدعنى أخرى أجبك بمثلها — وأنت امرؤ بالحق لست بقائم(٣٠٥)

أما جرير الذى كان قد دخل معترك الهجاء مع الأخطل لحزازات بينهما ودفاعا عن قومه من قيس فانه لم يكن يدع هذه الفرصة تفوته دون أن يدلى فيها بدلوه فصور لنا هذه الوقعة تصويرا محكما دقيقا وبدأ هذه الصورة الحزينة بالهجوم على شخص الأخطل باعتباره الداعي اليها قال :

بكى دوبل لا يرقيء الله دمعه — الا انما يبك من الذل دوبل
جزعت ابن ذات الفلس لما تداركت — من الحرب أنياب عليك وكلكل
فانك والجحاف يوم تحضه — أردت بذلك المكث والورد أعجل
قذفت من حرب قيس نساؤكم — بأولادكم منها تمام ومعجل
ومقتولة صبرا ترى عند رجلها — بقيرا وأخرى ذات بعل تولول
حضضت على القوم الذين تركتهم — تعل الردينيات فيهم وتنهل
بدجلة أن كروا فقيس وراءهم — صفوفا وأن راموا المخاضة أوحلوا
وما زالت القتلى تمور دماؤها — بدجلة حتى ماء دجلة أشكل(٣٠٦)

ويمضى جرير فى وصف هذه المأساة التى أبكت الأخطل فعلا وأسالت عبراته حارة على وجنتيه فدخل من ليلته على عبد الملك بن مروان مستجيرا به وببنى مروان وبقريش كلها من ظلم قيس لقبيلته ويطلب عونها ورحمتها فى لهجة مشوبة بالتهديد والانذار كعادته فى عنجهيته الزائفة (٣٠٧) التى جر بها الوبال على قومه قال :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة — الى الله منها المشتكى والمعول
فسائل بنى مروان ما بال ذمة — وحبل ضعيف لا يزال يوصل
أتاك به الجحاف ثم أمرته بجيرانكم — عند البيوت أن نقتل

---

(٣٠٥) الأصفهانى : الاغانى : جـ ١٢ ص ٢٠٢ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ١ ص ٤٨٥ ، الآمدى : المؤتلف : ص ٧٦ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٤٢٧ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣٢١ .

(٣٠٦) ديوان جرير : ص ٦٩ ، نقائض جرير والأخطل : ص ٦٤ .

(٣٠٧) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ١ ص ٤٨٥ .

فان لا تغـــيرها قـــريش بعدلها   يكن عن قريش مستماز ومرحـــل
ونعرر أناســـا عـــرة يكرهونها   فنحيا كراما أو نموتفنقتل(٣٠٨)

ومع ذلك فقد استجاب الخليفة عبد الملك بن مروان لشاعر تغلب المكلوم وطلب الجحاف وضيق عليه حتى ظل هاربا بأرض الروم ورأى من عين الصواب أن يسرع جاهدا في سياسته التي كان قد بدأها قبل موقعة البشر للقضاء على هذه العصبية التي دفعت العرب الى حروب شرسة لم تؤد الى زعزعة الاستقرار والنظـام الذى تنشده الدولة (٣٠٩) لســائر القبائل العربية على اختلاف أصولها على اعتبار ان هذه القبائل في مجموعها هى عمـــاد الأمة وأساس المجتمع في ذلك الوقت ، وان استمرار هـــذه الحروب الناتجة عن عصـــبية القبائل والرغبة فى الثأر والابادة والقتل الجمـــاعى وشـــيوع حالة من الفوضى في البلاد ليس الا فى صالح أعداء الأمويين والمتربصين من الروم عند الثغور والفرس فى خراسان والترك فى المشرق ، فصالح قيسا وقرب زعماءها اليه وزاد عطاءها فى الديون وفرض لمن لم يكن له منهم عطاء (٣١٠) واستدنى تغلب وطيب خاطرها ووعدها الحماية وقطع دابر هذه الحروب القبلية وأمر ابنه الوليـــد فحمل الدماء التى كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب وبذل الأمان للجحاف بسعى القيسية لديه وألزمه ديات من قتل من تغلب وأخذ منه الكفلاء على ذلك فأداها عنه الحجاج بن يوسف الثقفى أقوى رجل في قيس فى ذلك الوقت وتزهد الجحاف وصلح واتخـــذ طريق النســـك والعبـــادة حتى آخر حياته (٣١١) وذهب بصحبة القوم الذين شهدوا معه البشر الى الحج وقد لبسوا الصوف الخشن وخرموا أنوفهم وجعلوا فيها البرى حتى وصلوا الى مكة وتعلق الجحاف بأســـتار الكعبـــة يدعو دعاء اليائس فقال قولته المشهورة : « اللهم اغفر لى وما أراك تفعل » (٣١٢) .

---

(٣٠٨) ديوان الأخطل : ص ١١ ، نقائض جرير والأخطل : ص ٤٨ ، الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٢ ص ٢٠٣ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ١ ص ٤٨٥ ، الآمدى : المؤتلف والمختلف : ص ٧٦ .

(٣٠٩) سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١٠ .

(٣١٠) البلاذرى : انساب الأشراف : جـ ٥ ص ٣١١ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٢٥ ، ابن قتيبة : المعـــارف ص ٣٥٦ ، سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٠٥ .

(٣١١) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٤ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣٢١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٠٢ .

(٣١٢) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣٢١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٠٢ .

وهكذا خمدت نار الحرب بين قيس وتغلب بسقوط دواعيها وأهمها القضاء على الحزب الزبيرى (٣١٣) فان قيسا وهى نصيرته ـ نكاية فى بنى أمية واليمانية ـ لم تجد بدا من كبت ثورتها بعد أن استقر الأمر للأمويين ولم تعد محاربتهم لبنى تغلب ذات معنى بصفتها كانت خارجة عن طاعة الزبيريين الذين كانت تمثلهم قيس فى الجزيرة وفترت الدواعى أيضا من ناحية الأمويين لما تقدم فلم يجدوا بدا من حسم هذه الحرب التى كان استمرارها سببا فى جلب الوبال على الدولة الأموية وبلاد الشام ٠

مما سبق من استعراض الوقائع والحروب القبلية فى العصر الأموى سواء بين القيسية واليمنية أو بين قيس وتغلب يتضح لنا أن العرب فى أرض الشام والجزيرة لم يتغيروا فى حياتهم الجديدة عما كانوا عليه من ناحيـة العصبية القبلية التي ظلت فعلا أصيلا فى سلوكهم فلا الاسـلام ولا النصرانية استطاعا أن يحولا بينهم وبين وضع القبيلة وكان الثأر ومحو العار عندهم فوق كل شىء ولا يندمون الا حين لا ينفع الندم (٣١٤) ، على أن أهم ما طرأ عليهم فى هذا المجال القبلى البغيض هو شدة القسوة التى اتبعوها فى الانتقام من بعضهم عما كانو عليه فى الجاهلية فصاروا يقتلون بعضهم بعضا على نحو أوسـع مجالا وأشمل نطاقا وأقل مبـالاة فصرنا نسمع عن هـذه الأعداد الضخمة من القتلى فى الواقعة الواحـدة ومباغتة الآمنين وقتل الأسرى وعن بقر بطون النساء وهذه عادة لم تكن موجودة فى جزيرة العرب وانما أخذوها من أهل الشام (٣١٥) ٠

وعلى أية حال فقد سارت الأمور سيرتها المذكورة من قبل بين كافة القبائل والبطون العربية فى بلاد الشام على أثر سياسة عبـد الملك بن مروان بعد قضائه على ثورة ابن الزبير وطوال عهود خلفائه الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام أبنى عبد الملك ، حتى بلغت الدولة الأموية قمة استقرارها وازدهارها وفتوحاتها بسياسة الوئام التى سادت القبائل العربية على مختلف أصولها فى مقر الخلافة بالشام ، فلما درج الخلفاء المتأخرين من بنى أمية ابتداء من عهد الوليد بن يزيد على تدخلهم المباشر فى التعصب القبلى وانحيازهم لطرف على حساب الآخر انقلبت الأمور رأسا على عقب بالنسبة لسياسات القبائل وعلاقتها ببعضها على نحو أضر بالدولة والبلاد معا لصالح العباسـيين أعداء بنى أمية وهذا ما يتنـاوله فصلنا الأخير فى الباب الختامى ٠

---

(٣١٣) الطبرى : التاريخ : جـ ٦ ص ١٨٧ ٠

(٣١٤) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ٠

(٣١٥) يذكر عاموس النبى : انه من بعض جرائم بنى اسرائيل انهم بقروا بطون الحوامل ٠

العهد القديم : قاموس : الاصحاح الأول فقرة ١٣ ، ١٤ ٠

الفصل الثالث

القبائل بالشام ودورها فى سقوط الدولة الأموية

أولا : سياسة الدولة الأموية تجاه القبائل وزعمائها .

١ - سيطرة الدولة على نفوذ زعماء القبائل والحد من سلطانهم .

شـــاع القول أن سياســـة خلفـاء بنى أمية كانت تعتمد على اثارة العصبية والنعرات القبلية لتنشغل القبائل بها فتلهى عن معارضة الحكم الأموى الذى غير وبدل عن حكم الخلفاء الراشـــدين وخاصة فيما يتعلق بمبداى العدالة وتوريث السلطان ، وان كان هذا قد حدث أحيـانا فان واجب الانصاف يقتضى تقرير أن هذه السياسة ظهرت نتيجة لمسلكهم فى محاولة الحفاظ على سلطانهم واحتواء أعدائهم ، هذا فضلا عن أن الدولة الأموية لم تكن لديها خطة منظمة يتبعها الخلفاء والولاة لمناهضة العصبية القبليـة والضرب على أيدى الداعـين بها وهذا مما يؤخذ عليها ، اذ كان سلوكهم ازاءها مستوحى من نزعة الخلفاء من جهة ، ومن مجرى الأحداث السياسية من جهة أخرى وأحيانا من الشـعور الدينى واقتداء بسياسة النبى ﷺ وخلفائه من بعده وخاصة عمر بن الخطاب الذى كان قد أعلن حربا شعواء على العصبية ودعاتها (١) ، ولكن مما لا شك فيه أن جهودا كثيرة بذلت فى عهد بنى أمية لمحاربة العصبية والنعرة القبلية وما يتصل بها من الدعوة الى الحمية الجاهلية وأعمال الثـأر الفردى والجماعى (٢)

---

(١) انظر ابن سعد : الطبقات : جـ ٣ ص ٢٩٤ _ ٣٧٠ .

(٢) الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٧ ص ١١٥ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ٣١١ ، ابن الأثير الكامل : جـ ٤ ص ١٦٥ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربيـة : ص ٢٠٥ .

ولكن تيار العصبية فى ذلك الوقت كان من القوة بحيث لم تستطع أن تقضى عليه هذه المحاولة والتى لم يكن لها من الأثر غير الحد من قوته وبصفة عامة فقد جرت الدولة الأموية منذ قيامها على خطة مزدوجة ازاء القبائل العربية لضمان ولائها وطاعتها وعدم تمردها ، وتقوم هذه الخطة على تألف القبائل واصطناع رؤسائها بالمال والهبات وزيادة أعطياتها وحين لا تفلح هذه الوسيلة كانوا يتبعون طريقة اذلال رءوس القبائل وكسر شوكتهم لتجريدهم من سلطانهم القبلى فقد أجاز معاوية بالمال رؤساء وفد بنى تميم حين قدموا عليه وفيهم الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة والحتات بن يزيد (٣) ، وقد كان لهذه الوسيلة أثرها فى استمالة رؤساء القبائل وهى نفس الطريقة التى استعان بها عبد الملك بن مروان فى استقطاب شيوخ القبائل ابان حكم ابن الزبير فأغدق عليهم الأموال وأزجى لهم الوعود المغرية فلما نشب القتال بينه وبين مصعب انحاز اليه أكثرهم وخذلوا مصعبا وأسلموه للقتل (٤) ٠

كان شائعا فى سياسة خلفاء بنى أمية تجاه القبائل اتخاذ خط المصانعة ازاء خصومهم وأعدائهم على خط الجفاء والاقصاء الذى يأتى فى آخر المطاف حين لا يجدون بديلا سواه وهذا ما يفسر حرص عبد الملك على تقريب قبيلة قيس واصطناع رؤسائها (٥) رغم ما كان لهذه القبيلة الضخمة من المواقف السابقة فى نصرة ابن الزبير ومهاجمة أنصارهم من اليمنية والايقاع بهم فى معركة نهر الخازر (٦) ، وحين لا تكون خطة المصانعة كافية وحدها لاستمالة القبائل وحملها على الطاعة كان بنو أمية وولاتهم يلجئون الى خطة القمع والبطش للقضاء على مناهضيهم ومعارضيهم وعلى رؤساء القبائل الذين عرفوا بخلافهم للحكم الأموى كما حدث عندما حاصر عبد الملك بن مروان قرقيسياء معقل قيس فى شمال الشام وضربها بالمنجنيق للقبض على زفر بن الحارث الكلابى ذلك الزعيم القيسى المتمرد على سلطان الدولة هو وبنيه الكوثر ووكيع والهذيل (٧) وعلى أية حال

---

(٣) نقائض جرير والفرزدق : جـ ٢ ص ٦٠٨ ٠

(٤) البلاذرى : أنساب الاشراف : جـ ١١ ص ٦ ، ابن سعد : الطبقات : جـ ٥ ص ١٨٣ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٦ ص ١٥٧ ، ١٥٨ ٠

(٥) ابن حبيب : المحبر : ص ٢٥ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٩ ص ١٨٠ ٠

(٦) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٥٥٤ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٨٩ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٦١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٨ ص ٣٠٤ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى : جـ ١ ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ ٠

(٧) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٨٦ ٠

(٨) المبرد : الكامل : جـ ١ ص ٣٦٢ ٠

فان سياسة الحد من سلطان زعماء القبائل كان اتجاها عاما في الدولة الاسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين لأن العصبية ضد مبادىء الاسلام ولما كانت تمثله من خطر على الأمن والاستقرار من جراء النزعات الفردية والخصومات القبلية القديمة مما جعل الاختيار لرئاسة القبيلة منوطا بالدولة لا بالقبيلة منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذى أسند رئاسة بكر لمجزاة بن ثور ثم جعلها عثمان لابنه شقيق بن مجزأة (٨) ، وقد جرى بنو أمية على ذلك فكانوا هم الذين يختارون رؤساء القبائل واذا اختارت القبيلة لنفسها فكان لابد من الحصول على موافقة الدولة على الرئيس الذى تم اختياره على عكس ما كان موجودا قبل الاسلام فى هذا الخصوص، فلما تنازع مالك بن مسمع وأشيم بن شقيق رئاسة بكر فى عهد يزيد ابن معاوية أسندها يزيد الى أشيم (٩) ، وفى أخبار قتيبة بن مسلم أنه صرف رئاسة بنى تميم عن وكيع بن حسان وصيرها الى ضرار بن حصين الضبى (١٠) .

٣ ـ مسئولية بنى أمية تجاه العصبية والروح القبلية :

على الرغم من احكام الدولة الأموية قبضتها على سائر القبائل العربية بالشام والعراق منذ قيامها وطوال عهود الخلفاء العظام منذ معاوية وحتى هشام بن عبد الملك الا أنها لم تستطع أن تقضى على ظاهرة العصبية القبلية وما استتبعها من حروب وفتن وخاصة فى مركز الدولة بالشام مما عجل بنهايتها ، بل ان خلفاء بنى أمية أنفسهم اتبعوا سياسات كان من شأنها تنمية الشعور القبلى واذكاء روح العصبية بين القبائل ظنا منهم أنهم بذلك يحافظون على سلطانهم ويقهرون أعداءهم ، وان كان ذلك قد أتى ثماره على المدى القصير بفضل حزم بعض الخلفاء وحسن تدبيرهم الا أنه على المدى البعيد أطاح بالدولة فى جملتها بعد سلسلة من الحروب والفتن والوقائع القبلية المتصلة التى حلت بالشام ابتداء من سنة ١٢٥ هـ ــ ٧٤٣ م فى عهد الوليد بن يزيد مع ملاحظة أن هذه الوقائع والفتن لم تظهر فجأة ولم تنشأ من فراغ وانما كانت لها مقدماتها وأسبابها التى جاءت بها سياسات الخلفاء الأول من بنى أمية سواء عن قصد أو غير قصد .

---

(٩) نقائض جرير والفرزدق : جـ ٢ ص ٧٢٨ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٣٩٦ .

(١٠) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ، ص ٢٧٧ .

(١١) ابن قتيبة : المعارف : ص ١٧٨ ابن حبيب : المحبر : ص ٢١ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٥٧ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ٢٦١ ، ابن كثير البداية والنهاية : جـ ٨ ص ٨٧ ، سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ، ص ١٢٧ .

(أ) سياسة المصـــاهرات :

كان أول ما ساهم في وضع بذور الفرقة بين القبائل العربية في بلاد الشام بين القيسية واليمنيه سياسة المصاهرات التى درج عليها خلفاء بنى أمية ابتداء من معاوية بن أبى سفيان رأس الدوله ومؤسسها وذلك حين أصهر الى قبيلة كلب اليمنية (١١) وصارت قريبة من بيت الخلافة وتميزت في المناصب والعطاء (١٢) مما أثار عليها حفيظة قيس (١٣) التى كان لها نصيب في معارك الفتح وسد الثغور ، ولم تكن سياسة المصاهرات شيئا جديدا في عهد بنى أمية ، بل كانت ظاهرة عند العرب منذ الجاهلية وفى الاسلام وحتى العصر الحديث وكان حرص الخلفاء والولاة على الاصهار الى الأسر العربية العريقة فى الشرف من شتى القبائل شيئا مألوفا يستمدون منه القوة والعصبية لما تضفيه هذه المصاهرات على الأسر الحاكمة من مكانة اجتماعية رفيعة مستمدة من الأعراف القبلية وغير القبلية ، ومع أن كل المصاهرات التى تمت قبل عهد بنى أمية لم يكن لها تأثير يذكر فى وضع بذور الفرقة بين القبـائل لسياسة الخلفاء الراشدين فى تحـرى العدل والمســاواة الا أن الأوضاع تغيرت فى عهد الدولة الأموية نتيجة المغانم والثروات الضـــخمة التى تدفقت على الدولة من البـلاد المفتوحة (١٤) وما استتبعها من مكاسب وامتيازات جنتها القبائل التى أصهر اليها الخلفاء على حساب القبائل الأخرى ٠

فقد أدرك معاوية بثاقب بصره مذ كان واليا على الشام مدى الفائدة السياسية التى يجنيها من مصـاهرة قبيلة كلب أقوى القبائل اليمنية بالشام وأكثرها عددا فتزوج منهم ميسون بنت بحدل الكلبية (١٥) التى أنجبت له ولده يزيد الذى ولى الخلافة من بعده (١٦) فصارت كلب أخوال الخليفة هم أصحاب اليد الطولى فى تأييد سلطانه وتثبيت دعائم الحكم الأموى فى بلاد الشام (١٧) لما صـار لهم فيه من مكانة رفيعة بفضـل مصاهرتهم لبيت الخلافة ، وقد جرى خلفاء بنى أمية من بعد يزيد على

---

(١٢) الأصفهانى : الاغانى : ج ١٨ ، ص ١٥٧ ، الذهبى : دول الاسلام : ص ٣٤ ٠

(١٣) المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٨٩ ٠

(١٤) الطبرى : التاريخ : ج ٦ ص ٤٨١ ٠

(١٥) ابوها بحدل بن انيف بن دلجة بن قنانة الكلبى ٠ ابن قتيبة : المعـارف : ص ١٧٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٨ ص ٨٧ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء : ص ١٨٧ ٠

(١٦) ابن دقماق : الجوهر الثمين : ج ١ ص ٧٧ ٠

(١٧) انظر موقفهم من أزمة الجابية سنة ٦٤ هـ ٠ الطبرى : التاريخ : ج ٥ ص ٥٣٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٤ ص ٧٧٩ ٠

نفس نهج مؤسسى دولتهم فى الاصهار الى القبائل القوية لكسب تأييدها وكانوا يؤثرون الأصهار اما الى قبيلة كلب اليمنية أو قبيلة قيس المضرية وهما أقوى قبائل الشام وأعزها نفرا ، وكما برز فى ذلك أسرة بحدل من كلب التى أصهر اليها عثمان ومعاوية ويزيد ومروان بن الحكم فقد برزت أسرة عقيل بن علفة المرى (١٨) من قيس وكذلك بنو عبس الذين كانوا من أعرق القبائل القيسية التى صهر اليها حلفاء بنى أمية وولاتهم ابتداء من عبد الملك بن مروان الذى تزوج منهم ولادة العبسية وهى أم الوليد بنت العباس بن جزء (١٩) وقد لعبت هذه المصاهرة دورا بارزا فى اثارة العصبيات والفتن القبلية فى بلاد الشام وخاصة فى أواخر عهد الدولة الأموية فالخليفة أو الوالى حين يصهر الى قبيلة ما أو يرتبط عن طريق أمه برابطة القرابة بها فانه يجد نفسه مدفوعا الى التعصب لها وتفضيلها على القبائل الأخرى فى مجلسه وفى العطاء والامتيازات (٢٠) ، وعند حدوث أى نزاع بين هذه القبيلة وأى من القبائل الأخرى فاننا نجده ينحاز الى صف القبيلة التى يرتبط بها بصلة المصاهرة فقد عرف خالد بن يزيد وهو من بيت الخلافة بتعصبه لكلب على قيس (٢١) لأنهم كانوا أخوال أبيه ولما تزوج مسلمة بن عبد الملك (٢٢) الرباب بنت زفر بن الحارث القيسى

(١٨) عقيل بن علفة المرى : من بنى يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان ، وهو الذى خطب اليه عبد الملك بن مروان بعض بناته الى بعض ولده فشرط عليه أن يجنبه هجناء ولده « أى من لم تكن أمهاتهم عربيات » وهو الذى خطب اليه عثمان ابن حيان أمير المدينة احدى بناته فامتنع عليه وقال مستهزءا « أبكرة من ابلى أيها الملك » فأمر باخراجه على أسوأ أحواله فقال :

ان بنى ضرجونى بالدم من يلق أبطال الرجال يكلم

وتزوج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء وهى ثيب من ابن عمها وتزوج سلمة ابن عبد الله المخزومى ابنته عمرة فولدت له يعقوب بن سلمة والد أم سلمة امرأة أبى العباس السفاح وتزوج يحيى بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ابنته أم عمرو بنت عقيل ومات عنها فتزوجها أخوه خالد بن الحكم ثم مات عنها فتزوجها أخوهما الحارث بن الحكم .
الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٣ ص ٢٥٤ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(١٩) المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ١٦٢ .

(٢٠) البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ٥ ص ٣٠٧ .

(٢١) وفى ذلك قال الشاعر قيس عاتبا عليه :

يا خالد بن أبى سفيان قد فرقت منا القلوب وضاق السهل والجبل
أأنت تأمر كلبا ان تقتلنا ، جهلا وتمنعهم منا اذا قتلوا
ان ذا لا يقر الطير ساكنة ولا تبرك من جراشه الابل

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ١٢٩ .

(٢٢) يكنى أبا سعد وأبا الاصبع ولى العراقيين وأرمينية وله عقب باق قرب حران فى حصن يعرف بحصن مسلمة ابن حزم : الجمهرة : ص ١٠٣ .

صارت أسرتها أثيرة عنده فكان يأذن للهذيل وكوثر أخوى الرباب في أول الناس (٢٣) ٠

وبسبب هذه المصاهرة كان خلفاء بنى أمية ينحازون تارة الى قيس وتارة الى كلب وتارة الى غيرهما (٢٤) وكان ايثار احدى القبائل على غيرها مدعاة لسخط القبائل الأخرى وغضبها على الخليفة وليس هذا فقط بل ان هذه المصاهرات أدت الى وقوع الخصومة والنزاع بين أبناء البيت الأموى أنفسهم فمن كانت أمهاتهم من قيس كانوا يؤيدون هذه القبيلة ويتعصبون لها والمنتمون الى أمهات من كلب ينفعلون لها ويقفون فى صفها (٢٥) وربما حرضوا على الثأر لها وأثاروا الفتن والحروب بين القبيلتين فقد جاء فى شرح ديوان الحماسة أن خالد بن يزيد لما ضاق بافتخار أبناء القيسيات من بنى أمية عليه حرض خاله حميد بن بحدل الكلبى على الايقاع بقيس ولكى يمهد السبيل لذلك افتعل له عهدا على لسان عبد الملك بن مروان بأخذ صدقاتهم حتى يجد الذريعة لغزوهم (٢٦)، ويبدو ان هذه الطريقة كانت وسيلة للاستفزاز فى ذلك الوقت لما كان يتم فيها من تقديرات تحيف بالقبائل التى يراد الايقاع بها ، وعلى أية حال فقد درج خلفاء بنى أمية المتأخرين على سياسة التحيز الى القبائل فصار بعضهم يقرب اليمانية والآخريقرب المضرية فأدى صنيعهم هذا الى اثارة العصبيات والخصومات القبلية التى اشتد أوارها على نحو أسقط الدولة (٢٧) وهذا ما نعرض لتفاصيله فى موضوعنا الأخير ٠

(ب) العصبية لقريش :

فى مجال الحديث عن مسئولية الدولة الأموية تجاه انتشار العصبية والروح الجاهلية بين القبائل لا يجب أن نغفل دور الخلفاء فى تعصبهم

(٢٣) البلاذرى : انساب الأشراف : جـ ٥ ص ٣٠٧ ٠

(٢٤) ابن حبيب : المحبر : ص ٤٥ ٠

(٢٥) انظر أبناء القرشيات وأبناء العربيات وأبناء أمهات الأولاد من الخلفاء ٠ ابن حبيب : المحبر : ص ٤٥ ٠

(٢٦) المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ١٢٩ ، أبو تمام : شرح ديوان الحماسة : جـ ٢ ص ٩٦ ٠

(٢٧) كما انحاز مروان بن محمد الى قيس استظهارا بها فى صراعه ضد اليمانية فى آخر عهد الدولة الأموية ٠

المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٥٥ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء : ص ٢٧٨ ، ابن طباطبا : الفخرى : ص ١٢٣ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى : جـ ١ ص ٥١٩ ، زيدان : تاريخ التمدن : جـ ١ ص ٥٩ ٠

لقبيلة قريش بصفة عامة ولبنى أمية بصفة خاصة ، ففى سبيل المحافظة على سلطانهم واحاطته بهالة من الهيبة والقداسة فانهم ما فتئوا يعلنون فى كل مناسبة ان لقريش وحـدها الحق فى تول أمور المسلمين دون غيرهم من القبائل مهما علا قدرها فنجد معاوية بن أبى سفيان مذ كان واليا على الشام لعثمان بن عفان يؤكد على ذلك ويعدد لمن سيرهم الخليفة اليه بالشام من أشراف القبائل بالكوفة فضائل قريش ومكانتها مما يجعل الخلافة وقفا عليهم (٢٨) ، وعلى هـذا النحـو أيضـا درج أنصار الأمويين وعمالهم فى التأكيد على موقع قريش وحقها وتميزها بين القبائل فى كل حين وآن حتى أنه لما أتى مسلم بن عقبة المرى بمعقل بن سنان بعد وقعة الحرة (٢٩) عنفه وأنكر عليه أن يكون لغطفان وأشجع من الخلع والخلافة شيء وان ذلك كله لقريش فقط (٣٠) ، فلما شاع ذلك وانتشر يئست القبائل وخاصة اليمنية من التطلع الى منصب الخلافة وألقت بنفسها فى أحضـان البيت الأموى علهم يدركون ما فاتهم من مناصب الشرف والرئاسة ، ومما لاشك فيه أن هذه السياسة المستعلية بالنبوة من جانب قريش على سائر القبائل كان لها أثر قوى فى تحريك النعرات القبلية واثارة العصبيات بينها ٠

(جـ) التحريش بين الشعراء والأشراف :

كان من الأمور التى درج عليها نفر من خلفاء بنى أمية وولاتهم والتى كان لها أثر فى اثارة العصبيات القبلية الرغبة فى التحريش بين الشعراء

---

(٢٨) قال معاوية للقوم : « لقد أدركتم بالاسلام شرفا وغلبتم الأمم وحويتم مراتبهم ، وقد بلغنى أنكم نقمتم قريشـا ، وان قريشا لو لم تكن ، عدتم أذلة كما كنتم وأن أئمتكم لكم الى اليوم جنة فلا تشذوا عن جنتكم ٠ فقـال رجل من القوم : أما ما ذكرت من قريش فانها لم تكن اكثر العرب ولا أمنعها فى الجاهلية فتخوفنا ٠ فقـال معاوية : أعظم عليك أمر الاسلام وأذكرك به وتذكرنى الجاهلية !! ان قريشا لم تعز فى جاهلية ولا اسلام الا بالله عز وجل وهى لم تكن باكثر العرب ولا أشدهم ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا وامحضهم انسابا وأعظمهم اخطارا وأكملهم مروءة ولم يمتنعوا فى الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا الا بالله الذى لا يستذل من أعز ولا يوضع من رفع فبوأهم حرما آمنا يتخطف الناس من حولهم ! فهل تعرفون عربا أو عجما أو سودا أو حمرا الا قد أصابه الدهر فى بلده وحرمته الا ما كان من قريش فانه لم يردهم أحدا من الناس بكيد الا جعل الله كيده الأسفل ، ثم ارتضى لكم أصحابا فكان خيارهم قريشا ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذا الخلاف فيهم ولا يصلح ذلك الا عليهم ، فكان الله يحوطهم فى الجاهلية وهم على كفرهم به أفتروه ولا يحوطهم وهم على دينه ؟!!

الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٣١٩ ، ٣٢٠ ٠

(٢٩) عن هذه الوقعة النكراء انظر : ابن كثير : البداية : جـ ٤ ص ٧٥٠) ٧٥٩ ٠

(٣٠) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٣٧٨ ٠

والرجال البارزين استفراغا لما في جعبتهم عن آخرها من الفصاحة والبيان وهو ما اشتهر به العرب ليعرف ايهم أشعر وأيهم أبلغ وكان أكثرهم ولعا بهذا الأمر بشر بن مروان (٣١) شقيق عبد الملك وواليه على العراق حيث كان يتلذذ بتحريض الشعراء بعضهم على بعض فهو الذى أغرى بين جرير والأخطل (٣٢) وبين جرير وسراقة البارقي شاعر أزد الكوفة (٣٣) ولم يكن بعمله هذا يتوخى مصلحة الدولة وانما كان يستجيب لنزعة فى نفسه حين أوعز الى سراقة البارقي بهجاء جرير وجعله يفضل الفرزدق عليه فانساق وراءه وقال فى ذلك :

أبلغ تميما غثها وسمينها ... والحكم يصيب مرة ويجور
ان الفرزدق برزت أعراقه ... سبقا وخلف فى الغبار جرير
ذهب الفرزدق بالفضائل والعلا ... وابن المراغة مخلف محسور
هذا قضاء البارقي وانني ... بالميل فى ميزانهم لبصير (٣٤)

وما كاد سراقة ينتهي من أبياته حتى بادر بشر بارسالها مع رسول الى جرير وهو يومئذ بالمروت (٣٥) من أرض البادية وأمره أن يجيب عنها فى حينه مع أن جريرا لم يكن ليغض الطرف عن تحرش البارقي به فأرسل الى بشر جواب كتابه مع قصيدة طويلة بدأها بلوم وعتاب رقيق لانه لم ينتصر له قال :

يابشر حق لوجهك التبشير ... هلا غضبت لنا وأنت أمير

---

(٣١) هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبى العاصى الأموى ، أمه قطية بنت بشر ابن عامر ملاعب الأسنة بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وكان له من الولد : الحكم أمه أم كلثوم بنت أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الملك أمه هند بنت أسماء بن خارجة ابن حصن بن حذيفة الفزارى وأبان وعبد العزيز أمهما معيطية « من نسل عقبة بن أبى معيط » ومروان وله عقب بالكوفة .

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ١٦٠ ، ١٦١ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣٢) ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٣٧٧ .

(٣٣) الأصفهانى : الأغانى : ج ٨ ص ٦٨ ، البلاذرى : انساب الشرفاء : ج ٥ ، ص ١٧٤ .

(٣٤) الأصفهانى : الأغانى : ج ٨ ص ٦٨ ، ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٣٧٧ .

(٣٥) المروت : واد بالعالية كانت به وقعة بين تميم وقشير وكان من ديار ملوك غسان وصار الى بنى تميم وبه كانت الوقعة التى قتل فيها بجير بن عبد الله بن عكبر ابن سلمة بن قشير قتله قعنب بن الحارث بن عمرو بن همام بن يربوع .

ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ص ١١١ .

فقد كان حقك أن تقول لبارق　　يا آل بارق(٣٦) فيم سب جرير؟(٣٧)

ثم انصرف جرير في قصيدته الى هجاء سراقة وقومه بأقذع الهجاء وأشده وفخر عليهم بخندف بن نزار وقرن سراقة بصاحبيه الفرزدق والأخطل قال :

أنصرت قين بني قفيرة محلبا　　أسراق ليس لبارق التخيير
أسراق انك قد تركت مخلفا　　وغبار عثيرها عليك يشور
تؤتى الكرام مهورهن سياقة　　ونساء بارق مالهن مهور
ان الملامة والمذلة فاعلموا　　قدر لأول بارق مقدور
انى بنى لى زاخر من خندف　　للملك فيه منابر وسرير (٣٨)

وتذكر الرواية أن نقيضة جرير لما أتى بها رسول بشر الى الكوفة قرئت بالعراق فافحم سراقة البارقي ولم ينطق بشيء بعدها في حق جرير وقومه من نزار (٣٩) ، ولكن على ما يبدو أن جريرا لم يكتف بما هجا به سراقة وبارق اذ سرعان ما عاجله بلكمة أخرى في شكل أبيات نذكر منها :

فاذا لقيت مجيلسا من بارق　　لاقيت أطبع الناس أخلاقا
الناقصين اذ يعد حصاهم　　والجامعين مذلة ونفاقا (٤٠)

ومما لاشك فيه أن هذه الوقعة وأمثالها كانت لها آثارها السيئة في نفوس القبائل التي لحقت بها المذمة من جراء شعرائها كما حدث بين بارق الأزدية وتميم المضرية ، ولما كانت أخبار الشعراء وقصائدهم تطير في كل الأرجاء مع سرعة الرياح فقد أدى ذلك الى أن القبائل في سائر البلاد كانت تتجاوب مع نظيرتها في النسب وتنفعل لها ضد خصومها ٠

---

(٣٦) ال بارق من ولد حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء من الأزد من العرب القحطانية ٠
ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٣١ ٠
(٣٧) ديوان جرير : ص ٢٩٩ ٠
(٣٨) ديوان جرير : ص ٣٠٠ ٠
(٣٩) الأصفهاني : الاغاني : جـ ٨ ص ٦٨ ٠
(٤٠) ديوان جرير : ص ٣٩٦ ٠

ويقال أن عبد الملك بن مروان نفسه لجأ الى سياسة التحريش والاغراء في بعض الأحيان فيذكر البلاذري (٤١) أن عياش ابن الزبرقان (٤٢) دخل عليه يوما وعنده روح بن زنباغ الجذامي (٤٣) فقال عبد الملك : يا عياش أما ترى هذا اليماني يفخر بملوك اليمن ؟ فما لبث أن لج التفاخر بين الرجلين وتعصب كل منهما لقومه (٤٤) وليس هذا فقط بل أغرى عبد الملك أيضا بين كثير من هراشة الكلابي والحجاج ابن يوسف الثقفي (٤٥) ، وحرش بن زياد بين المنذر بن الجارود العبدي وعبد الله بن خازم السلمي (٤٦) ، ويظهر أن خلفاء بني أمية كان يطيب لهم دعوة خطباء القبائل الى التفاخر والتباهي حين تفد اليهم وفودهم ويجدون متعة كبيرة في تتبع هذه المساجلات ، فقد شهدت مجالسهم مفاخرات كثيرة منذ أيام معاوية ولذلك كانت كل قبيلة تحرص على أن يكون في عداد وفدها الى الخليفة نخبة من البلغاء والخطباء المفوهين لينطلقوا بلسانها عند المفاخرة وتصاول أرباب القول ، وقد ذكر الجاحظ أن خطباء نزار واليمن اجتمعوا في مجلس معاوية فلما قام خطباء نزار وذهبوا في خطبهم كل مذهب ولم يستطع خطباء اليمن مجاراتهم قام صبرة ابن شيمان الحداني سيد الأزد فقال : « يا أمير المؤمنين انا حي فعال ولسنا حي مقال ونحن نبلغ بفعالنا أكثر من مقال غيرنا » (٤٧) . وفي هذا المجال أيضا لا يفوتنا أن نذكر مفاخرة الأبرش الكلبي وخالد بن صفوان في مجلس هشام بن عبد الملك والتي آلى فيها الأبرش الا يفاخر مضريا أبدا بعد أن علاه ابن صفوان في القول (٤٨) .

وقد كان لكل هذا أثره في اثارة العصبية بين القبائل حتى أن دعاة بني العباس حاكوا بني أمية في ذلك وأدركوا الفائدة التي يمكن أن تعود عليهم من اثارة العصبيات والفتن بين القبائل العربية عن طريق اغراء بعضها ببعض فلما وجه ابراهيم بن محمد أبا مسلم الى خراسان أوصاه أن يقرب اليه اليمانية ويكرمهم وأن يتهم ربيعة في أمرهم (٤٩) وكذلك

---

(٤١) انساب الأشراف : جـ ١١ ص ٢٥٤ .

(٤٢) من بني عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة من العرب العدنانية : ابن حزم : الجمهرة : ص ٢١٨ .

(٤٣) ابن حزم : الجمهرة : ص ٤٢١ .

(٤٤) البلاذري : انساب الأشراف : جـ ١١ ص ٢٥٤ .

(٤٥) ابن عبد البر : الأنباه : ص ٨٩ .

(٤٦) الجاحظ : البيان والتبيين : جـ ٢ ص ٢٨٥ .

(٤٧) الجاحظ : البيان والتبيين : جـ ١ ص ٣٠٠ .

(٤٨) انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٣ ص ٣٣٠ .

(٤٩) الطبري : التاريخ : جـ ٦ ص ١٤ .

نجح أبو مسلم فى اتباع خطة الاغراء بين القبائل فى خراسان وأفلح فى افساد الأمور بين نصر بن سيار والكرمانى بعد أن أوشك الصلح بينهما أن يتم وأن يتحالفا على قتاله واتيح له أن يضرب بهذه الطريقة القبائل اليمنية المضرية وأن يوهن قوى الفريقين وهذا ما سهل عليه القضاء عليهما جميعا فى النهاية (٥٠) ، ومن الثابت ان الفتن القبلية فى خراسان كانت امتدادا لنظيرتها فى الشام فقد قامتا فى زمن متقارب بل ان هناك دلائل على قيام تعاون وثيق بين القبائل المتحدة الأصل فى البلدين فقد ذكر الطبرى أن يمانية الشام أرسلوا أيام العصبية فى خراسان رجلا منهم لنصرة قومهم ضد خصومهم من المضرية (٥١) ٠

ثانيا : الفتن القبلية ابتداء من عهد الوليد بن يزيد ودور الخلفاء فيها وسقوط الدولة الأموية ٠

١ ـ نهاية عصر الاستقرار :

بعد هدوء الفتن القبلية فى بلاد الشام والجزيرة بين قيس وكلب وقيس وتغلب ببطونهم وفروعهم استقرت الأوضاع بصفة عامة بين شتى القبائل من قيس ويمن فى ربوع البلاد طوال حقبة استمرت أكثر من نصف قرن يمكن أن نسميها العهد الذهبى فى تاريخ بنى أمية بداية من أواخر عهد عبد الملك بن مروان ٨٢ هـ ـ ٧٠١ م وحتى نهاية حكم هشام ابن عبد الملك ١٢٥ هـ ـ ٧٤٣ م حيث أعلنت القبائل الشامية على اختلاف أصولها ومشاربها ولاءها المطلق لبنى أمية وانخرطوا جميعا فى غزو الروم وسد ثغور المسلمين (٥٢) ، ولما جاءت حوادث المشرق عامة والعراق خاصة (٥٣) اثارت فى القبائل الشامية شعورا بالتضامن والوحدة قضى على كل خلاف داخلى بينهم لأنهم أدركوا أن مصلحتهم لا تكون الا بالاحتفاظ بالخلافة الأموية (٥٤) فتعاونوا جميعا فى تقوية دعائمها ونجحوا فى القضاء على ثورات الخوارج وخاصة الأزارقة وثورتى ابن الأشعث وابن

---

(٥٠) الطبرى : التاريخ : جـ ٦ ص ٣٢ ، الدينورى : الأخبار الطوال : جـ ١ ص ٣٦٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٥ ص ٥١٥ ٠

(٥١) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٤٣٥ ٠

(٥٢) الطبرى : التاريخ : جـ ٦ ص ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٤ ص ١٤٧ ٠

(٥٣) انظر المبرد : الكامل : جـ ٢ ص ١٠٦ ، ابن عبد ربه : العقد : جـ ١ ص ٨٣ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢٠٤ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ٢٦٠ ٠

(٥٤) سيده كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١٠٧ ٠

المهرب (٥٥) وكانوا أداة لينة فى يد الحجاج بن يوسف لضبط العراقين وبلاد المشرق وتوطيد سلطان بنى أمية فيها (٥٦) ٠

بدأ عصر الازدهار فى تاريخ بنى أمية من نهاية خلافة عبد الملك ابن مروان الذى استغرق جزءا من عهده فى سياسة المصالحة بين القبائل المتصارعة بالشام بعد أن كادت الحروب الدامية أن تقضى عليهم وخاصة قيس التى كانت حاقدة على كلب واليمانية فى خلافة كل من معاوية ويزيد ومروان (٥٧)،ولما جاء الوليد بن عبد الملك وضع نفسه فوق كل الحزازات والعصبيات وكان محبوبا من كل أهل الشام (٥٨) فدانوا له بالولاء والطاعة بما فيهم قيس التى كانت تشعر بمحاباة الخلفاء لليمانية على حسابهم فعلا نجمهم فى عهد الوليد اذ كانت أمه منهم وهى ولادة العبسية (٥٩) وكان قائده المخلص وواليه على العراق الحجاج بن يوسف قيسيا من ثقيف (٦٠) ومع ذلك فلم يقرب الخليفة اليه أحدا على حساب الآخر فالتف حوله عرب الشام من القيسية واليمنية على حد سواء وكان سلطانه قويا مهابا اذ ترسم سياسة أبيه حين وضع نفسه فوق جميع القبائل العربية (٦١) ، وليس صحيحا أن يقال بأن الخليفة عبد الملك ابن مروان ومن بعده ابنه الوليد قد منحا الحجاج كل ثقتهما حتى صارت له اليد الطولى فى دولتهم لأنه ينتسب الى ثقيف التى تعد فرعا من قيس ولكن الثقة فى الحجاج كانت لحسن تدبيره وتصرفه ولاخلاصه الشديد لبيت الخلافة وللدولة العربية فضلا عن نبوغه وكفاءته وتفوقه الحربى (٦٢) وان كان الحجاج قد اختار معظم مساعديه من قومه وعشيرته فانما ذلك

(٥٥) البلاذرى : التنبيه والاشراف : ص ٣١٥ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ١٨٢ : الطبرى : التاريخ : جـ ٦ ص ٥٩٠ ٠

(٥٦) الطبرى : التاريخ : جـ ٦ ص ٣٤٦ ــ ٣٥٠ ٠

(٥٧) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٨٩ ٠

(٥٨) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية : ص ١٢ ٠

(٥٩) اسمها ولادة بنت العباس بن حرب بن الحارث بن زهير بن جذيمة من عبس وهم بطن من بهثة بن سليم من العرب العدنانية ، وولادة هى أم الخليفتين الوليد وسليمان ابنى عبد الملك ٠

المصعب الزبيرى : نسب قريش : ص ١٦١ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٢٥ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٥٦ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٩١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٩ ص ١٨٠ ، سيده كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١١ ٠

(٦٠) ابن حزم : الجمهرة : ص ٢٦٧ ٠

(٦١) سيده كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١٢ ٠

(٦٢) انظر ابن قتيبة : المعارف : ص ٥٤٧ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ، ص ٩٧ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٣٢٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٩ ص ١٣١ وما بعدها ، احسان صدقى العمد : الحجاج بن يوسف الثقفى : ص ٢٥ ٠

لثقتــه فيهم وولاءهـــم له وليس من المقبول أن يقــال بأنــه كان زعيم القيسية (٦٣) فى ظل سلطان الخلافة الذى كان قويا مهابا من الجميع ٠

حذا الخليفة سليمان بن عبد الملك (٦٤) حذو أخيــه الوليد فلم يتعصب لأى من قبائل العرب من قيس أو يمن فساد الهدوء والاستقرار أرجاء الشام فى عهده ، وكذلك فعل الخليفة عمر بن عبد العزيز الذى بذل غاية جهده لبسط العدل فى ربوع البلاد حتى (٦٥) مدحه جرير بأطيب ما مدح به انســان وقرنه بعمر بن الخطاب (٦٦) فى سياسته وسيرته ولذلك فقد شهدت بلاد الشام جوا من الاستقرار والأمن بعيدا عن العصبية القبلية فى عهد هؤلاء الخلفاء العظام من بنى أمية الوليد وسليمان وعمر ابن عبد العزيز (٦٧) على وجه الخصوص ، فقد عمل هؤلاء غاية جهدهم على أن يجنبوا المجتمع ويلات العصبية والتحيز وما تجر اليه من حروب ٠

والخلاصة أنه ابتداء من عهد عبد الملك بن مروان وحتى عهد هشام ابن عبد الملك استطاع كل هؤلاء الخلفاء باستثناء يزيد بن عبد الملك أن يسيروا دفة الدولة بعيدا عن تيارات العصبية القبلية ، ولكن العصــبية بين قيس وكلب ما لبث أن استعر أوارها بعــد وفاة هشام حين جرى الخلفاء على هذا الحزب أو ذاك ، بل ان الخلافة الأموية حطت من قيمتها حين خرق البيت الأموى حياده ودخل طرفا فى الصراع القبلى وكان ذلك من أقوى العوامل التى ساعدت على دك الأساس الذى قامت عليه الدولة الأمويــة (٦٨) ٠

---

(٦٣) سيده كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١٢ ٠

(٦٤) تولى الخلافة بعد أخيه الوليد يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ٩٦ هـ وكان الناس يتبركون به ويسمونه مفتاح الخير وذلك انه أطلق الأسارى وأخلى الحبوس وأحسن الى الرعية وأمر الناس بغزو القسطنطينية وجهز الجيوش برا وبحرا وسير عليها أخاه مسلمة حتى بلغ القسطنطينية فأقام عليها ، وحج سليمان بالناس سنة ٩٧ هـ وكانت وفاته بدابق قرب حلب من أعمال عزاز فى يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ هـ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وصلى عليه الامام العادل عمر بن عبد العزيز وكانت أيامه سنتين وعشرة أشهر ونصف ٠

ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين : جـ ١ ص ٩١ ، ٩٢ تحقيق كمال الدين عز الدين ٠

(٦٥) المسعودى : التنبيه والاشراف : ص ٣٢٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفــاء : ص ٥١ ٠

(٦٦) انظر المبرد : الكامل فى اللغة والأدب : جـ ١ ص ٤٠١ ٠

(٦٧) ابن دقماق : الجوهر الثمين : جـ ١ ص ٨٦ ــ ٩٥ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ص ٢٥٤ ٠

(٦٨) سيده كاشف : الوليد بن عبد الملك : ص ١١٢ ٠

عادت روح العصبية الى القبائل العربية بالشام بعد ما يقرب من عشرين عاما على اختفائها « ٨٦ هـ ــ ٧٠٥ م ــ ١٠٥ هـ ــ ٧٢٤ م » مما أدى الى اندلاع الفتن القبلية مرة أخرى فى مركز الدولة بالشام واتسمت هذه المرة بالتدخلات المباشرة للخلفاء فيها وكانت البداية ابتداء من عهد يزيد بن عبد الملك « ١٠١ هـ ــ ٧٢٠ م ــ ١٠٥ هـ ــ ٧٢٤ م » (٦٩) وان لم تتخذ شكلا عنيفا كما حدث لاحقا ، فلما ولى الخلافة يزيد (٧٠) بعد عمر بن عبد العزيز نقض سياسة سلفه ازاء القبائل وأظهر تحيزا واضحا للقيسية وخاصة أنه كان متزوجا من بنت أخى الحجاج بن يوسف من قيس (٧١) وزاد فى عطاء القيسية عن اليمانية (٧٢) مما أدى الى عودة التوتر والعصبية من جديد بين الفريقين فى بلاد الشام وظهرت الفتنة أوضح ما تكون فى العراق اذ خرج فيها يزيد بن المهلب وهو من بنى العتيك بن الأزد (٧٣) من العرب اليمانية وكان واليا على العراق فى عهد سليمان بن عبد الملك فثار على سلطان الخلافة (٧٤) التى تعصبت لمضر فى عهد يزيد واستطاع أن يحرز بعض الانتصارات فى بداية الأمر (٧٥) الا أنه هزم وقتل سنة ١٠٢ هـ ــ فى موقعة العقر (٧٦) على يد جيوش الخليفة من قبائل الشام بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك (٧٧)

---

(٦٩) ابن دقماق : الجوهر الثمين : جـ ١ ص ٩٦ ، ٩٧ ·

(٧٠) الطبرى : التاريخ : جـ ٦ ص ٥٧٤ ــ ٥٧٨ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء : ص ٥١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٩ ص ٢٣١ ، النويرى : نهاية الأرب : جـ ٢١ ، ص ٣٧٢ ·

(٧١) هى أم محمد بنت محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف ·
ابن حزم : الجمهرة : ص ٩١ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٦٥ ·

(٧٢) الطبرى : التاريخ : جـ ٦ ص ٥٧٧ ·

(٧٣) ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : جـ ٦ ص ٢٧٨ ــ ٣٠٩ ·

(٧٤) عن فتنة يزيد بن المهلب انظر : الطبرى : التاريخ : جـ ٦ ص ٥٧٨ ــ ٦٠٣ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ١٥١ ، الذهبى : دول الاسلام : ص ٧١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٩ ص ٨٦ ·

(٧٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٦ ص ٥٨١ ــ ٥٨٥ ·

(٧٦) العقر : نسبة الى عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة ·
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ١٣٦ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٦١ ·

(٧٧) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ٩ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ·

وقتل معه معظم أفراد أسرته الا من استطاع الهرب منهم الى بلاد السند مما يلى فارس شرقا (٧٨) ٠

تولى العراق فى هذه الفترة بأمر من يزيد عمر بن هبيرة الفزارى من مضر (٧٦) فأساء السيرة فى أهل اليمن مما جعل الفتنة تطل برءوسها غير أنه من يمن الطالع ولسبب كان مقدرا لاطالة عمر الدولة الأمويه حقبة أخرى لم يدم عهد يزيد بن عبد الملك أكثر من أربع سنوات اذ مات فى سنة ١٠٥ هـ ــ ٧٢٤ م وجاء من بعده هشام بن عبد الملك « ١٠٥ هـ ــ ٧٢٤ م ــ ١٢٥ هـ ٧٤٣ م » (٨٠) الذى يعد آخر خلفاء بنى أمية العظام فعمل على اصلاح ما أفسده سلفه باخلال التوازن بين القبائل واثارة نخوة العصبية القبلية فاتبع سياسة حكيمة بين القيسية واليمنية كفعل من سبقه من عظماء بنى أمية الوليد وسليمان وعمر ، واستهل عهده بأن قرب اليه قيسا وألحقها بالديوان وأجرى عليها الرواتب والجرايات ونقل كثيرا من بطونها شبه الجزيرة العربية الى الشام (٨١) حتى صارت كافة القيسية أنصاره وأتباعه ومع ذلك فلم يتجاهل جانب اليمانية ففى الوقت الذى كان يقرب اليه رجالا من قيس كان يصطنع أيضا رجالا من اليمانية فولى العراق خالد بن عبد الله القسرى (٨٢) من قبيلة بجيلة بعد أن عزل عنه ابن هبيرة من قيس ترضية لليمانية الذين قهروا فى عهد سلفه يزيد وقد أخلص له الجميع وكانوا رهن اشارته وبذلك وضع الخليفة هشام ابن عبد الملك نفسه هو الآخر فوق العصبيات (٨٣) واتبع سياسة مرضية

---

(٧٨) ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٤ ، ٤٠٠ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٦ ص ٥٩٠ ــ ٦٠٤ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٣٥ ، المرزبانى : معجم الشعراء : ص ٢٦٤ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٨٣ ، الذهبى : دول الاسلام : ص ٧١ ، ابن كثير : البداية : جـ ٩ ، ص ٨٦ ٠

(٧٩) اسمه عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن حديج بن بغيض بن مالك الفزارى ولى العراقين ليزيد بن عبد الملك ٠ ابن حمزة ، الجمهرة : ص ٢٥٥ ٠

(٨٠) ابن دقماق : الجوهر الثمين : جـ ١ ص ٩٦ ، ٩٨ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء : ص ٢٦٩ ٠

(٨١) ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٦٥ ٠

(٨٢) هو خالد بن عبد الله القسرى بن يزيد بن أسد بن كرز البجلى ، وفد جده يزيد بن أسد على النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم نزل الشام وكان يروى عنه ، وقد تزوج عبد الله القسرى امرأة رومية من أهل الذمة النصارى وانجب منها خالدا الذى ذاع صيته فى أيام بنى أمية وولى بلاد العراق واشترى خططا بالكوفة وابتنى بها وله عقب كثير وعدد ٠ البلاذرى : أنساب الأشراف : جـ ١ ص ٤٠ ، الأصفهانى : الأغانى : جـ ١٧ ص ٤ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢٩٨ ، المبرد : الكامل : جـ ٢ ص ٧٥ ، الآمدى : المؤتلف : ص ٧٩ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٢٧ ، ٣٢٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : جـ ٣ ص ٢٢٩ ، زيدان : تاريخ التمدن : جـ ٤ ص ١٠٩ ٠

(٨٣) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ١٥٥ ٠

للطرفين وساد الشام فى عهده السلام والوئام طيلة عشرين عاما شهدت فيها البلاد انتعاشا وازدهارا (٨٤) حضاريا لم تشهده فى عهود من جاء بعده من خلفاء بنى أمية حتى سقوط الدولة الأموية ٠

٢ ـ اندلاع الفتن القبلية وعودة روح العصبية الى القبائل وأثرها فى زوال دولة بنى أمية :

بعد هدوء الفتن والمعارك القبلية بين قيس وكلب وتغلب والتى روعت بلاد الشام والجزيرة فى صدر الدولة الأموية استقرت الأوضاع القبلية فى البلاد بنهاية عهد عبد الملك بن مروان « ٨٦ هـ ـ ٧٠٥ م » استقرارا تاما وذلك بفضل حكمة وسياسة الخلفاء من بعده وللظروف الخارجية التى أحاطت بالدولة واقتضت توحيد صفوف القبائل الشامية لمواجهتها ، وبنهاية عهد هشام بن عبد الملك ١٢٥ هـ ـ ٧٤٣ م تكون بلاد الشام وامتدادها فى الجزيرة قد شهدت حقبة امتدت زهاء نصف قرن دون أحداث وفتن قبلية ذات شأن مما أتاح لها جوا من الهدوء والاستقرار فاعتبرت من أزهى عصور الدولة العربية الاسلامية حيث عربت الدواوين وسكت النقود العربية (٨٥) ووصلت حركة الفتوح الى أقصاها ونشر السلام رايته فى بقاع الأرض (٨٦) وهابها الفرس والروم والمتنصرة ٠

(أ) الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ هـ ٧٤٣ م) (١٢٦ هـ ـ ٧٤٤ م) ٠

كان موت هشام بن عبد الملك فاتحة عهد الفوضى والاضطراب الذى منيت به الدولة الأموية فى آخر عهدها والذى لم يدم أكثر من سبع سنوات (١٢٥ هـ ـ ١٣٢ م) وأدى فى النهاية الى تدهورها وسقوطها على نحو مؤسف وذلك حين تجنب الخلفاء منذ الوليد بن يزيد سياسة

(٨٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٤ ص ٤٥٥ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٣ ص ١٦١ ، النويرى : نهاية الأرب : جـ ٢١ ص ٤٠٢ ٠

(٨٥) ابن سعد : الطبقات : جـ ٥ ص ٧٠ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٣٠٠ ، ٤٦٨ ، ابن عبد ربه العقد الفريد : جـ ٢ ص ٣١٧ ، جـ ٣ ص ٢٢ ، ابن منظور : لسان العرب : جـ ٢ ص ٧٧ ، ابن خلدون : المقدمة : ص ١٩٢ ، ٢٠٦ ٠

(٨٦) انظر الدينورى : الاخبار الطوال : ص ٣١٤ ـ ٣١٦ ، ابن صاعد : طبقات الأمم : ص ١٣٣ ، الاصطخرى مسالك الممالك : ص ٣٨ ، أبو الريحان البيرونى : الآثار الباقية من القرون الخالية : ص ١٠٢ ، الذهبى : دول الاسلام : جـ ١ ص ٤٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب : جـ ٢ ص ٢٤ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس : ص ٤١ ، أخبار مجموعة فى تاريخ الأندلس : ص ٢١ ، ٢٢ ٠

الحياد تجاه القبائل العربية بالشام وانحازوا الى هذا الجانب أو ذاك ، فلما جاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك (٨٧) الى الخلافة تعصب للمضرية كأبيه وخالف سياسة من كان قبله من الخلفاء الأقوياء ربما بسبب أن أمه كانت ثقفية من (٨٨) مضر فتعصب لقومها واندفع فى تيار العصبية اندفاعا أعمى فاستبعد كل عمال الدولة من اليمانيه بصرف النظر عن اخلاصهم وولائهم وجاء بغيرهم من المضرية ومن قيس على وجه الخصوص (٨٩) وليس هذا فقط بل انه اتهم خالد بن عبد الله القسرى والى العراق اليمنى فى عهد هشام بمال استبقاه لنفسه من بقايا الخراج وعذبه فيه (٩٠) ، وكان هشام قد عزل خالدا عن عمل العراق وولاه يوسف بن عمر الثقفى (٩١) من قيس الذى أخذ يضيق عليه ويكايده ويعانده حتى استدعاه هشام الى دمشق لما بلغه أن يوسف يريد التخلص منه ثم أطلق سراحه (٩٢) ٠

لما مات هشام وجاء الوليد نصح خالد قوما من اليمانية باثارة الفتنة فى دمشق ضد الوليد أو حتى التوارى عنه خشية بطشه به لصلته بالمضرية ويوسف بن عمر وتعصبه لهم ولكن خالدا كره الاثنين حتى لا يقع الشر وتحتدم الفتنة غير أن يوسف بن عمر ظل يسعى لدى الوليد حتى يسلمه خالدا مع أنه كان قد أسن وأصبح لا يقوى على المشى انما يحمل على كرسى (٩٣) ، وقدم به يوسف الى العراق وعذبه عذابا شديدا وهو بصبر ولا يتأوه حتى مات فى سنة ١٢٦ هـ ــ ٧٤٣ م وأخذ يوسف بن عمر ابنه محمدا وسجنه وسجن الوليد نفسه ابنه يزيد بن خالد (٩٤) ٠

---

(٨٧) عن سيرته وأخباره انظر : ابن حبيب : المحبر : ص ٣٠ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٦ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٤ ص ٤٥٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ١٠ ص ٧ ، ٨ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء : ص ٢٧٢ ٠
Ency. de L'Islam (Art Waliob, Yazid), 4 p. 1172.

(٨٨) ابن حزم : الجمهرة : ص ٩١ ، ابن اثير : الكامل : جـ ٥ ص ٢٦٥ ٠

(٨٩) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : جـ ٢ ص ٢١١ ٠

(٩٠) الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢٣٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ١٠ ص ٨ ، الابشيهى : المستطرف : جـ ١ ص ٢١٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : جـ ٢ ص ٢٢٩ ٠

(٩١) عن نسبه وترجمته انظر ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٩٨ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ١٩٩ ٠

(٩٢) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٤٩ ٠

(٩٣) ابن الاثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٦٢ ٠

(٩٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : جـ ٢ ص ٢١١ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٢٥٤ ــ ٢٦١ « خبر قتل خالد ابن الوليد عبد الله القسرى » الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٢٣٢ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ٠

فى خضم هذه الأحداث المؤسفة نسبت الى الوليد بن يزيد قصيدة هجا فيها اليمانية وحقر من شأنهم وفاخرهم بالنزارية وتحداهم أن يأخذوا بثأرهم لخالد القسرى تقول القصيدة :

ونحن المالكون النـاس قسرا   نسـومهم الذلـة والنـكالا
ونوردهـم حياض الخسف ذلا   وما نألوهـم الا خبـالا
وهذا خالـد فينـا قتيـلا   الا منعوه ان كانـوا رجـالا
فلو كانت قبـائل ذات عـز   لما ذهبت صنائعـه ضـلالا
ولكن المذلـة ضعضـعتهم   فلم يجـدوا لذلتهم مقـالا (٩٥)

وسواء قال الوليد هذه القصيدة أو نسبت اليه فلما شاع أمرها هاج شـعراء اليمانية وبـادروا الى نقضها ، وانبرى عمران بن هلبان الكلبى يصـول ويجول وطرح قصـيدته التى يذكر فيها مضرا بهزائمها فى مرج راهط ويفخر عليها باليمانية عامة والبـارزين منهم كآل الأشعث وآل المهلب وغيرهم كما يفخر على الوليد رفع أجداده الى عرش الخلافة ويتوعد قيسا بالثأر لمقتل القسرى فقال : يخاطبهم فى شخص الوليد :

جعلنـا للقبائـل من نزار   غـداة المرج أياما طـوالا
بنـا ملك المملك من قريش   وأودى جـد من أودى فـزالا
متى تلق السكون تلق كلبـا   بعبس تخش من ملك زوالا
سـنبكى خالـدا بمهنـدات   ولا تذهب صـنائعه ضـلالا
سـتلقى ان بقيت مسـومات   عوابس لا يزايلن الحلالا (٩٦)

وكان على أثر ذلك أن شارك عدد ضخم من شعراء النزارية واليمانية فى هذه المعركة اللسانية التى احتدم أوارها بعد هياج العصبيات على نطاق واسع فى أواخر العصر الأموى بصفة عامة وبعد مقتل خالد القسرى

---

(٩٥) الدينورى : الأخبار الطوال : جـ ١ ص ٣٤٨ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٦٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ١٠ ص ٨ .
(٩٦) الطبرى : التاميخ : جـ ٥ ص ٥٤٢ .

بصفة خاصة ولم يقتصر ميدان هذه المعركة على الشام فحسب بل امتد الى العـراق وخراسان ومصر وغيرها وكل مكان وجـدت فيه القيسـية واليمنية (٩٧) ٠

وعلى أية حال فانه بعد مقتل القسرى وما نسب الى الوليد من قول فى حق اليمانية هاجت قبائلهم وانبعثت فيهم روح العصبية والرغبة فى الثأر مما حل بهم من قتل خالد وحبس ولديه والانتقاص من قدرهم مع ما كان لهم من سبق فى نصرة بيت الخلافة (٩٨) واجتمعوا من سـائر مدن الشـام وعلى رأسهم قضـاعة التى كانت قد خلفت كلبـا فى زعامة اليمانية بالشام فى ذلك الوقت وهم أكثر جنده (٩٩) وثاروا ضد الوليد ابن يزيد بن عبد الملك وأعلنوا خلعه (١٠٠) ، وكانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ الدولة الأموية التي ثارت فيها اليمانية ضد أحد خلفائها الذين كانوا يؤثرونهم فيما مضى لأنهم كانوا أصحاب الفضل فى قيامها لنصرتهم لبنى أميـة فى صفين ومرج راهط وهما المعركتان اللتـان أقامتا الدولة الأموية وثبتتا دعائمها ٠

لم يكتف اليمانية باعلانهم خلع الوليـد بن يزيد بل اجتمعوا على ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ونادوا به خليفة عليهم فدفعوا به الى الخلافة دفعا وما زالوا به يحرضونه على البيعة لنفسه وسـاعدوه فى الاستيلاء على دمشق ففرق فيهم الصلات والجوائز (١٠١) وظل الوليد مخلوعا محاصرا فى حصن البخراء (١٠٢) بالبادية حتى لقب بخليع بنى أمية (١٠٣) ، ولم يستمر الوضع على ذلك كثيرا اذ توجهت اليمانية الى الوليد فى حصنه بالبادية على رأس جيش كبير للتخلص منه فأحضر الوليد يزيد بن خالد من محبسه وطلب منه التدخل فى رد اليمانية عنه الا أنه انفلت منه وانضم الى مهاجميه من قومه وحينئذ توسل الوليد اليهم بخلع

---

(٩٧) الاصفهانى : الاغانى : جـ ١٥ ص ١٠ ٠

(٩٨) الطبرى : التاريخ : جـ ٤ ص ٤١٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٢ ، ص ٣١٤ ، المسعودى : التنبيه والاشراف : ص ٣٠٨ ، مروج الذهب : جـ ٢ ص ٨٣ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ٢٥٦ ٠

(٩٩) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٦٥ ٠

(١٠٠) ابن حبيب : المحبر : ص ٣١ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ٣٣١ ٠

(١٠١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : جـ ٢ ص ٢١٥ ، المعارف : ص ٣٦٦ ، الذهبى : دول الاسلام : ص ٨٦ ٠

(١٠٢) البخراء تقع على مسافة ميلين من القليعة فى طرف الحجاز ٠ ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٣٥٦ ٠

(١٠٣) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية : ص ١٢٢ ٠

نفسه فلم يرتضوا منه (١٠٤) فأخرج اليهم راية مروان بالجابية وقاتلهم بمن معه من مضر الا انه هزم وتفرق اتباعه وبقى في كل وفل فانسحب الى الحصن وامتنع به (١٠٥) وأخذ مصحفا ونشره واخذ يقرأ فيه وهو يقول : يوم كيوم عثمان (١٠٦) ، وحاصره جمع من قضاعة اليمانية وخلق من أعيان بطونهم وآل الوليد بن عبد الملك ومعهم محمد بن خالد الذى كان قد فر من محبس الوليد ثم تسلق القصر عليه جماعة من اليمانيـة فيهم يزيد بن عنبسة الذى أراد حبسه حتى يسلمه ليزيد بن الوليـد الا أن عشرة من الأمراء هجموا عليه ضربا بالسيوف على رأسه ووجهه حتى مات (١٠٧) سنة ١٢٦ هـ وحملت رأسه إلى دمشق حيث احتزها أبو علاقة القضاعى وكانت مدة ولايتهسنة واحدة وستة أشهر (١٠٨) وأخذ ولديه الصغيرين عثمان والحكم وتم سجنهما (١٠٩) ، وهكذا كانت نهاية الوليد على هذا النحو المؤلم الذى حاق به منجراء العصبية التى زج بنفسه فى غمارها وقال شاعر اليمانية خلف بن خليفة (١١٠) يشمت به :

لقد سكنت كلب وأسياف مذحج صدى كان يزقوا ليله غير راقد
تـركن أمير المؤمـنين بخالـد مكبا على خيشومه غير ساجد (١١١)

(ب) يزيد بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦ هـ ـ ٧٤٤ م :

كان مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك فاتحة فتن وثورات متصلة بالشام امتدت حتى نهاية عصر بنى أمية دون انقطاع وهو مما اعتبر السبب الرئيسى فى سقوط دولتهم فلم يعد قتل الوليد الأمن والاستقرار للبلاد ولم يخفف من حدة تيار العصبية القبلية التى اكتوى بنارها سائر الناس والتى كانت سلسلة متصلة الحلقات ، فلما جاء يزيد بن الوليد بن

(١٠٤) ابن قتيبة : الامامة : جـ ٢ ص ٢١٥ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
(١٠٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٤ ص ٤٥٢ .
(١٠٦) ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٣٥٦ .
(١٠٧) ابن حبيب : المحبر : ص ٣١ ، اليعقوبى : التاريخ : جـ ٢ ص ٣٣٤ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء : ص ٢٧٥ .
(١٠٨) تاريخ خليفة بن خياط : ص ٣٨٠ ، ابن العمرى : مختصر تاريخ الدول : ص ١١٨ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين : جـ ١ ص ١٠٢ .
(١٠٩) ابن الاثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٥٩ .
(١١٠) عنه انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ٢ ص ٦٩٢ .
(١١١) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٢٦٠ .

عبد الملك الى الخلافة (١١٢) سنة ١٢٦ هـ أمر باقصاء المضرية عن كل أعمال الدولة وأحل محلهم عمالا من اليمانية مما أحنفهم عليه حتى أنه صار لا يخفى كراهيته لقيس وتمنى لو استطاع القضاء عليهم جميعا متظاهرا بأن ما يدفعه الى ذلك انما هو غيرته على الدين (١١٣) مما أسخط عليه سائر المضرية ونفر من بنى أمية من أبناء القيسيات فثاروا عليه وكان فى طليعتهم مروان بن محمد الذى أظهر الخلاف على يزيد ودعا الى الطلب بدم الوليد وايدهم بعض أهل الأجناد من المضرية الذين ندموا لخذلانهم الوليد وغاظهم افتخار شعراء اليمانية بقتله فضلا عن مجاهرة يزيد لهم بالعداء (١١٤) ٠

كان الأمر أشد ما يكون فى حمص (١١٥) فثار أهلها وطالبوا بدم الوليد والثأر له وأغلقوا أبواب البلد وأقاموا النوائح والبواكى وكاتبوا الأجناد فى طلب الأخذ بالثأر (١١٦) على أن يكون الحكم بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١١٧) هو الخليفة عليهم وخلعوا عاملهم مروان بن عبد الله بن عبد الملك (١١٨) وقتلوه وقتلوا ابنه وأمروا عليهم معاوية ابن يزيد بن حصين (١١٩) وساروا نحو دمشق وفيهم أبو محمد السفيانى (١٢٠) فأنفذ اليهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك جيشا كثيفا من اليمانية عليه سليمان بن هشام بن عبد الملك وجيشا آخر من ثلاثة آلاف رجل عليه عبد العزيز بن الوليد ليكون عند ثنية العقاب (١٢١) وأمر

---

(١١٢) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٧٣ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء : ص ٢٥٧ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين : جـ ١ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ٠

(١١٣) الطبرى : التاريخ : جـ ٥ ص ٥٧٢ ٠

(١١٤) ابن كثير : البداية : جـ ١٠ ص ١٢ ٠

(١١٥) سبق ذكرها وانظر ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٥ ٠

(١١٦) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٢٦٢ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٣٣٢ ٠

(١١٧) من ابناء الامهات : ابن حزم : الجمهرة : ص ٩١ ٠

(١١٨) ابن حزم : الجمهرة : ص ٨٩ ٠

(١١٩) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٢٦٣ ٠

(١٢٠) اسمه محمد بن سليمان بن حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وهو المحدث المعروف بزحون وملقب محمد السفيانى ٠

ابن حزم : الجمهرة : ص ٩٠ الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٢٦٣ ٠

(١٢١) ثنية العقاب مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد من دمشق الى حمص أو العكس ويقال سميت ثنية العقاب لأن خالد بن الوليد وقف عليها قبل فتح دمشق ناشرا راية النبى صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٨٥ ٠

سليمان بن مصاد المزى أن يخرج فى ألف وخمسمائة رجل ليكونوا عند عقبة السلمية (١٢٢) ، الا أن أهـل حمص تجنبـوا جيش سليمان ذات اليسـار فأسرع فى طلبهم ولحاقهم عند السليمانية (١٢٣). واقتتل الفريقان قتالا شديدا حتى جاء عبد العزيز بن الوليد بمن معه وحمل على أهل حمص فهزموا هربوا وتبعهم الناس يقتلون ويأسرون فنادوا بالكف عنهم على أن يبايعوا يزيد بن الوليد فعفا عنهم وأحسن اليهم وولى عليهم من اختاروه وهو معاوية بن يزيد بن الحصين وأقاموا عنـده فى دمشق سامعين مطيعين (١٢٤) ، كذلك كان أهل فلسطين من القيسية قد خلعوا طاعة يزيد بن الوليـد وأرادوا أن يولوا عليهم يزيد بن سليمان بن عبد الملك (١٢٥) وفعل مثلهم أهل الأردن من قيس فشقوا عصا الطاعة وأمروا عليهم محمد بن عبد الملك بن مروان (١٢٦) مما جعل يزيد بن الوليد يرسل اليهم جيوش الدماشقة من اليمانيـة فاضطر أهل الأردن وفلسطين من قيس الى الدخول فى حظيرة الطاعة وهم كارهون وكتب يزيد بامرة الرملة (١٢٧) الى أخيه ابراهيم بن الوليد (١٢٨) .

وهكذا أصبحت اليمانية بين يدى يزيد بن الوليـد بن عبد الملك تأتمر بأمره وتخضع لسلطانه فاستخدمهم فى اخضاع قيسية حمص أول من شق عصا الطاعة بعد قتل الوليد بن يزيد وأجبرهـم على المبايعـة له وكذلك فعل بأهل فلسطين والأردن من قيس وسائر قيسية الشام الذين لم يبـايعوه بالخلافة منـذ بداية الأمر (١٢٩) ، وحبس يوسف بن عمر

---

(١٢٢) بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماه وقيل من أعمال حمص وفى طريقها الى حمص قبر النعمان بن بشـير .

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(١٢٣) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٢٦٤ .

(١٢٤) ابن حبيب : المحبر : ص ٣٢ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ابن كثير : البداية : جـ ١٠ ص ١٣ .

(١٢٥) يزيد والقاسم ابنا سليمان بن عبد الملك بن مروان من أم واحدة وهى أم يزيد بنت عبد الله بن يزيد بن معـاوية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٩١ .

(١٢٦) محمد وسعيد ابنا عبد الملك بن مروان كانا ناسكين قتلا يوم أبى فطرس عند قيام الدولة العباسية .

ابن حزم : الجمهرة : ص ٨٩ .

(١٢٧) الرملة : من أعمال فلسطين : ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ٦٩ .

(١٢٨) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٧٠ ، ابن كثير : البداية : جـ ١٠ ص ١٣ .

(١٢٩) ابن حبيب : المحبر : ص ٣١ ، ٣٢ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ، ص ١٧٦ .

الثقفي عامل العراق القيسي (١٣٠) في عهد سلفه لما بدا منه من الحنق والحقد على اليمانية وتعذيبه خالدا القسري حتى الموت (١٣١) ، وكان يوسف قد سجن غالب من ببلاده من اليمانية وأقام الأرصاد على المنافذ خشية جند الخليفة (١٣٢) وأخيرا اضطر الى الهرب في زى النساء (١٣٣) وبلغ يزيد استخفاءه فجاء به مقيدا في الأغلال وحبسه مع الحكم وعثمان ابنى الوليد لاستخلاص الحقوق منه واستمر في الحبس خلافة يزيد كلها وشهرين وعشرة أيام من ولاية ابراهيم (١٣٤) وتولى العراق بدله عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز سنة ١٢٦ هـ ـ ٧٤٤ م (١٣٥) ·

وبذلك جعل يزيد بن الوليد من اليمانية بالشام سيفا مسلطا على رقاب مواطنيهم من قيس في الفترة القصيرة التي تولى فيها الخلافة وهي ما يقرب من ستة أشهر (١٣٦) اتسع فيها نطاق العصبيات حتى شمل بلاد العراق وخراسان ولم يستطع يزيد نفسه تهدئة الأوضاع في بلاد الشام الا بعد عنـاء ومشقة بالغين ولم يتـح له أن يجنى ثمرة جهوده اذ عاجلته منيته في نفس العام الذي تولى فيه الخلافة في سنة ١٢٦هـ (١٣٧) ولم يستطع أخوه ابراهيم القبض على ناصية الأمور في هذا الجو المضطرب

---

(١٣٠) ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٩٨ ·

(١٣١) الدينورى : الاخبار الطوال ، ص ٣٣٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : جـ ٢ ، ص ٢٢٩ ·

(١٣٢) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٢٧١ ·

(١٣٣) انظر تفصيل قصة هروبه والقبض عليه : الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ·

(١٣٤) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٢٧٤ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان : جـ ٢ ص ٥٤١ ·

(١٣٥) ابن الاثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٧٤ ·

(١٣٦) ابن دقماق : الجوهر الثمين : جـ ١ ص ١٠٤ ·

(١٣٧) ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٤ ص ٢٤٧ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧٦ ·

فنازعه فى الخلافة مروان بن محمد (١٣٨) وآزره فى ثورته عليه سائر المضرية فى كل أنحاء الشام لما حل بهم فى عهد يزيد ٠

وهكذا يتضح لنا ان العصبية القبلية وما تفجر عنها من فتن وحروب وموقف الخلفاء منها كان له الأثر البالغ على أمن البلاد واستقرارها وفى حالة الفوضى التى وصلت اليها ، وفى أسوأ تطور لها تطاولت الى الخلفاء أنفسهم ممن زج بنفسه فى غمارها وقد ظهر ذلك أوضح ما يكون حينما وصلت الدولة الأموية الى آخر عهدها وتعاقب عليها بضع خلفاء ضعاف لم يراعوا حيدة السلطة وبعدها عن تيار التعصب الذى كان سمة رئيسية فى العلاقات بين القبائل العربية فى بلاد الشام لقربها من عهد الجاهلية مما كان له أكبر الأثر فى سقوط الدولة الأموية وزوالها ٠

(جـ) ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦ هـ ٧٤٤ م :

قام بالخلافة بعد موت يزيد بن الوليد بن عبد الملك أخوه ابراهيم ابن الوليد (١٣٩) بعهد منه على أن يتولاها بعده عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك (١٤٠) غير أن خلافته لم تدم أكثر من أربعة أشهر ثم خلع نفسه لما ظهر له منافس من أهل بيتـه لذلك كان يسلم عليه تارة بالخلافة

---

(١٣٨) لما بويع لابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بالخلافة لم يبايعه مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم وطلب الخلافة لنفسه واستند فى ذلك الى ما قيل من أن الحكم بن الوليد بن عبد الملك وكان وليا لعهد أبيه قال وهو فى حبس يزيد بن الوليد بن عبد الملك قبل أن يقتل ما يفيد بانه قد ولى عهده مروان بن محمد قال :

الا يا ليت كلبـا لم تلـدنا	وكنـا من ولاة آخـرينـا
أيـذهب عـامر بدمى وملـكى	فلا غثـا اصبت ولا سـمينـا
فان أهلك انا وولى عهـدى	فمـروان أمـير المؤمنينـا

وكان عثمان بن الوليد أخى الحكم بن الوليد هو ولى العهد من بعد أخيه فلما قتل الاثنان فى عهد يزيد بن الوليد بن عبد الملك هب مروان بن محمد يطالب بالخلافة لنفسه ٠

ابن حبيب : المحبر : ص ٣٢ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٣١٢ ، ابن حزم : الجمهرة : ص ٩١ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٧٧ ٠

(١٣٩) ابن دقماق : الجوهر الثمين : جـ ١ ص ١٠٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : جـ ٢ ص ٥٤٢ ٠

(١٤٠) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٢٩٥ ٠

وتارة بالامارة وأحيانا لا يسلم عليه بأى منهما (١٤١) وتفصيل ذلك أنه في آخر حلقات سلسلة العصبية والفتن القبلية في بلاد الشام على عهد بني أمية بين القيسية واليمانية ودور الخلفاء فيها نذكر أن قيسية الشام لم ترض عن ما حل بها على يد يزيد واليمانية فاجتمعوا في خلافة ابراهيم ابن الوليد وساروا الى مروان بن محمد الذى كان يسيطر على بلاد الجزيرة منذ عهد يزيد ويتحفز لنيل منصب الخلافة في أقرب فرصة تأتيه وبايعوه بالخلافة على أن يثأر لابن عمه الوليد بن يزيد المقتول (١٤٢) الذى كان متعصبا للمضرية ٠

ويروى في خروج مروان أنه لما قتل الوليد بن يزيد ترك بلاد الخزر (١٤٣) التى كان موجودا بها وانصرف الى بلاد الجزيرة واستولى عليها ويذكر كلا من الطبرى وابن الأثير أنه أول من سمى يزيدا بالناقص (١٤٤) سبا له وشتيمة وتلكأ في بيعته ثم بايعه بعد أن أبقاه في عمله (١٤٥) الا أنه لما ولى ابراهيم طالبه مروان بدم الوليد (١٤٦) الذى قتله أخوه ونعت الوليد بالخليفة المظلوم تشبيها له بعثمان (١٤٧). ولما أتته المضرية من أنحاء الشام سار بجنده من أهل الجزيرة قاصدا حمص التى كان أهلها قد رفضوا بيعة يزيد وثاروا عليه لولا أنه أرسل اليهم جيشا قاتلهم وهزمهم ، فلما مات يزيد امتنعوا عن بيعة ابراهيم فأسرع مروان ودخل حمص وسار معه أهلها في جيش كبير من قيسية الشام قاصدين دمشق (١٤٨) فلما سمع ابراهيم بن الوليد بمسير مروان اليه سارع بارسال جيش كبير من اليمانية للتصدى له ودارت الحرب بينهما

---

(١٤١) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٢٩٩ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٤ ، القلقشندى : صبح الأعشى : جـ ٣ ص ٢٥٨ ٠

(١٤٢) ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٧ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٨٢ ، ابن كثير : البداية : جـ ١٠ ، ص ٢١ ٠

(١٤٣) هو بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدربند قريب من سد ذى القرنين ، وقيل أن الخزر اسم اقليم من قصبة تسمى اتل ، واتل اسم لنهر يجرى الى الخزر من الروس والبلغار ٠

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٣٦٧ ، لسترنج بلدان الخلافة الشرقية : ص ٢١٤ « الدربند » ٠

(١٤٤) ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٦٩ ٠

(١٤٥) انظر تفصيل ذلك : الطبرى : التاريخ ، جـ ٧ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٨ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٨٢ ٠

(١٤٦) انظر نص الكتاب الذى أرسله مروان بن محمد الى الغمر بن يزيد أخى الوليد ابن يزيد يأمره بدم أخيه الوليد ٠

الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ٠

(١٤٧) البلاذرى : انساب الأشراف : جـ ٥ ص ١٨٧ ٠

(١٤٨) الطبرى . التاريخ : جـ ٧ ص ٣٠٠ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٩ ٠

وهزمت اليمانية وهربت فلولهم (١٤٩) وواصل مروان سيره الى دمشق الا أن ابراهيم بن الوليد لم ييأس وبعث بجيش آخر من اليمانية لملاقاة القيسية الزاحفة اليه وجعل عليهم سليمان بن هشام الذى كان الوليد قد حبسه وهرب من محبسه بعد مقتله مع عدد كبير من اليمانية وأهل بيت القسرى (١٥٠) والتقى الجيشان فى معركة حامية عند عين الجر (١٥١) استمرت أياما وانتهت بهزيمة جيش ابراهيم وفرار سليمان وعدد كبير من اليمانية الى دمشق (١٥٢) وحينئذ وقعت الفوضى بالمدينة وعظمت الفتنة بها اذ سارعت اليمانية بقتل الحكم وعثمان بنى الوليد وقتل يزيد ابن خالد القسرى ومواليه يوسف بن عمر لثقفى الذى كان قد قتل أباه من قبل بعد أن عذبه وجروا جسده فى الطرقات وأصبحت الأمور على أسوأ ما تكون لولا أن سارع مروان بدخول دمشق وأخمد فتنتها وقبض على ابراهيم بن الوليد الذى أعلن خلع نفسه من الخلافة وكذلك ولى عهده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ويزيد بن خالد القسرى وغيرهم من زعماء اليمانية (١٥٣) ٠

---

(١٤٩) ابن الاثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٨٣ ، ابن كثير : البداية : جـ ١٠ ص ٢١ (أحداث سنة ١٢٧ هـ) ٠

(١٥٠) ابن حبيب : المحبر : ص ٣٢ ، الدينورى : الاخبار الطوال : ص ٣٣٤ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٨٣ ٠

(١٥١) عين الجر موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق ٠
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٤ ص ١٧٧ ٠

(١٥٢) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٣٠٠ ٣٠١ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٣٦٧ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام : جـ ١ ص ٥١٩ ٠

(١٥٣) ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٧٠ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣٣ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٣٠٢ الدينورى : الاخبار الطوال : ص ٣٣٤ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٨٣ ، ابن كثير البداية : جـ ١٠ ص ٢٢ ٠

(د) مروان بن محمد الجعدى (١٢٧ هـ ـ ١٧٤٤ م) (١٣٢ هـ ـ ٧٥٠ م) :

لما دخل مروان بن محمد (١٥٤) دمشق بعد هزيمة اليمانية فى عين الجر بايعه أهلها بالخلافة ـ ومعظمهم من اليمانية (١٢٧ هـ ـ ٧٤٤م)(١٥٥) وهم كارهون له لقهره اياهم وتفضيله للمضرية عليهم مما جعله لا يأمن على نفسه الاقامة بينهم فانتقل الى حران (١٥٦) قلب ديار مضر فى أرض الجزيرة وأقام فيها (١٥٧) غير أن الأمر لم ينته عند هذا الحد اذ رأت اليمانية فى تولية مروان الخلافة انتصارا للمضرية عليها وهو ما لا يمكن أن يرضوا به فثارت الكلبية فى حمص وما جاورها بعد انتقال مروان الى حران (١٥٨) مما اضطره الى العودة لقمع فتنتهم • كذلك أرسل جيشا من القيسية الى الغوطة قتل يزيد بن خالد الذى ثار بها وجيشا آخر الى فلسطين لقمع فتنة اليمانية فيها (١٥٩) ، وكان أكبر ما قامت به اليمانية

---

(١٥٤) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وكنيته أبا عبد الله ، ويقال له مروان الجعدى نسبة الى الجعد بن درهم بن معلمه ومؤدبه وأمه أم ولد كردية يقال لها لبابة كانت لابراهيم بن الاشتر النخعى الذى حارب مع المختار وقد اخذها محمد ابن مروان يوم قتله فاستولدها مروانا هذا وهو آخر خلفاء بنى امية ومدة خلافته منذ ولى الخلافة سنة ١٢٧ هـ الى أن قتل سنة ١٤٣٢ هـ خمس سنوات ، ويظهر من سيرة مروان أن اباه محمدا كان من أشد ولد مروان واشجعهم حتى كان عبد الملك يحسده على شجاعته وهو الذى قتل مصعب بن الزبير بالعراق ، وقد ولى مروان الجزيرة وارمينية لهشام والوليد بن يزيد وقاتل القبائل الشديدة المراس وكان يوصف بأنه شيخ بنى أمية وكبيرهم •

البلاذرى : انساب الاشراف : جـ ص ١٨٥ ، ابن حبيب : المحبر : ص ٣١ ، ٣٢ ، الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣٣٢ ، ابن كثير : البداية : جـ ١٠ ص ٤٦ ، السيوطى : ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٩ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جـ ٤ ص ٤٦٨ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣٣٢ ، ابن كثير : البداية : جـ ١٠ ص ٤٦ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء : ص ٢٣٧ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين : جـ ١ ص ١٠٦ ـ ١٠٩ •

(١٥٥) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٣١١ ، الذهبى : دول الاسلام : ص ٨٧ •

(١٥٦) حران مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور بين دجلة والفرات تقع على طريق الموصل والشام والروم •

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٣٦ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ١٣٤ ، ١٥٧ •

(١٥٧) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٣١٢ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٨٤ •

(١٥٨) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٣١٢ ، ٣١٣ •

(١٥٩) عن الحروب والفتن والثورات التى وقعت بالشام زمن مروان بن محمد بسبب العصبية انظر بالتفصيل : الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٣١٢ ـ ٣١٦ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٩ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٨٦ ، ابن كثير : البداية : جـ ١٠ ص ٢١ وما بعدها •

من ثورة بعد انتقال مروان الى حران هو انهم جاءوا الى سليمان بن هشام الذى كان مروان تركه بالرصافة ترضية له وألحوا عليه بالخروج على مروان وأعلنوه خليفة سنة ١٢٧ هـ يقارعون به مروان والمضرية فخرج سليمان الى قنسرين قرب حمص وعسكر بها وكانت اليمانية فى أنحاء الشام فأتوه من كل مكان فجاءه مروان بمن معه من القيسية وحاربه وهزمه فهرب الى حمص بجمع ممن معه ومنها الى تدمر ثم الى العراق (١٦٠) ٠

وهكذا أدى تعصب مروان للقيسية الى جعل اليمانية فى حالة ثورة دائمة ضد الخليفة ومن معه من قيس حتى أنه لما ظهرت الدعوة العباسية كان العرب اليمانية من أكبر أنصارها (١٦١) اذ رأوا فيها وسيلة للقضاء على حكم مروان بن محمد الذى أظهر تعصبا سافرا لقيس على حسابهم ولم يكفوا عن اثارة الفتن والحروب فى شتى أرجاء البلاد من كل صنف ولون (١٦٢) مما جعل مروان يبذل جهودا كبيرة لقمعها حتى أنه قضى كل عهده فى حروب ووقائع خاضها فى صبر وأناة حتى لقب بالحمار (١٦٣) تشبيها له بالحمار فى تحمله وصبره على المكاره حتى آخر يوم فى حياته ٠

غير أنه من أعجب ما وقع أن صراع القيسية واليمانية وما جر اليه من حروب وفتن لم يقتصر على مركز الدولة بالشام فقط بل امتد ليشمل كل بلدان الخلافة العربية ولا سيما فى العراق وفارس بالاضافة الى مصر وافريقية والأندلس وبلاد ما وراء النهر وعمان والبحرين ففى كل مكان وجدت فيه القيسية واليمانية قامت بينهما الفتن والمعارك والحروب بسبب ومن غير سبب (١٦٤) صدى لما كان يحدث بالشام وما زج الخلفاء أنفسهم

---

(١٦٠) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٣٢٣ ــ ٣٢٧ « خبر خروج سليمان بن هشام على مروان بن محمد » ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ ٠

(١٦١) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٥٥ ، ابن طباطبا : الفخرى : ص ١٢٣ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام : جـ ١ ص ٥١٩ ، زيدان : تاريخ التمدن : جـ ١ ، ص ٥٩ ٠

(١٦٢) ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٩ ، ابن كثير : البداية : جـ ١٠ ص ٢٣ ٠

(١٦٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء : ص ٢٧٨ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين : جـ ١ ، ص ١٠٦ ٠

(١٦٤) عن هذه الفتن والصراعات التى قامت بين القيسية واليمنية فى هذه البلدان انظر الطبرى : التاريخ : جـ ٢ ص ٢٩٠ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ١٥٥ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص ١٥٥ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٤ ص ٢٧٣ ، ابن كثير : البداية : جـ ١٠ ص ٢٣ ، ٢٤ ٠

فيه ، ففى اليمن قام معن بن زائدة (١٦٥) بقتل عدد كبير من أهلها اليمانية تعصبا لقومه من ربيعة وغيرها من نزار مما جعل عقبة بن سلم (١٦٦) بعمان والبحرين يرد على فعل معن بايقاع القتل فى قيس من ربيعة وغيرها كيدا لمعن ونصرة لقومه من قحطان (١٦٧) ·

وهكذا انتشرت الحروب والفتن والقبلية بسبب العصبية فى كل أنحاء الدولة وقد هيأت هذه الصراعات والحروب التى اندلعت بين اليمانية والقيسية وانغماس الخلفاء الأمويين فيها مباشرة منذ عهد يزيد ابن عبد الملك هيأت بيئة مناسبة لظهور الدعوة العباسية (١٦٨) التى لم يكن لتستطيع أن تحقق ما أحرزته من انتصارات سريعة من مركز انطلاقها فى خراسان (١٦٩) لولا وقوع الفتن والحروب بين سكان هذا المصر بسبب العصبية القبلية بين العرب من مضر ويمن وشيوع حالة من الفوضى والاضطراب واستمرار ذلك حتى الأيام الأخيرة من عمر الدولة الأموية رغم ظهور الخطر المحدق بالعرب من الطرفين من جانب الخرسانيين واضحا لكل ذى عين (١٧٠) ، حتى انه لما وقعت الحرب بين جيوش العباسيين ومعظمها من أهل فارس وجيش مروان بن محمد على نهر الزاب (١٧١) صارت قبائل الشام تتأخر وكأنما يدفعون دفعا الى القتال بينما عبد الله

---

(١٦٥) هو معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك من بنى همام بن مرة بن ذهل من العرب العدنانية ·

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٢٦ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان : جـ ٥ ص ٢٤٤ ، ٣٤٧ ·

(١٦٦) اسمه عقبة بن سلم بن نافع بن هلال من بنى غنيم بن دوس من العرب القحطانية ، اكثر القتل فى ربيعة بعمان والبحرين والبصرة حتى كان ذلك سببا فى انحلال الحلف بين الأزد وربيعة ، وقتله رجل من ربيعة فتك به فى جامع البصرة امام الناس ·

ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٨٠ ·

(١٦٧) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : جـ ٢ ص ٢٧٠ ، اليعقوبى : جـ ٢ ص ٢٦٨ ، الشهرستانى : الملل والنحل : جـ ١ ص ١١٢ ، النوبختى : فرق الشيعة : ص ٣٣ ·

(١٦٨) الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٣٢٤ ، ابن كثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣٢٣ ، وعن خراسان ، انظر ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٣٥٠ ـ ٣٥٤ ·

(١٦٩) الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٣٣٩ ·

(١٧٠) نهر الزاب الاعلى يجرى بين الموصل واربيل ومخرجه من بلاد مشتكهر ·

ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣ ص ١٢٣ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص ٩٩ ، ١٠٨ ·

(١٧١) ابن قتيبة : المعارف : ص ٣٦٧ ، الطبرى : التاريخ : جـ ٧ ص ٤٣٤ ، الدينورى : الأخبار الطوال : ص ٣٤٧ ، الذهبى : دول الاسلام : جـ ١ ص ٦٤ ·

ابن علي قائد جيوش العباسيين يمشي قدما (١٧٢) واشتد القتـال بين الطرفين ولم يعد يسمع الا وقعا كالمزارب على الحديد وهمهمات المقاتلين بما يشـبه الهرير فلما حمي الوطيس أرسـل مروان بن محمد الى قضاعة اليمانية يأمرهم بالنزول فقالوا : قل لبني سليم فلينزلوا فأرسل الى السكاسك أن احملوا فقالوا : قل لبني عامر أن يحملوا فأرســل الى السكون أن يقدموا فقالوا : قل لغطفان أن يتقدموا فقال لصاحب شرطة : انزل فقال : لا والله ما كنت لأجعل نفسي غرضا ، قال مروان : أما والله لأسوأك قال : وددت والله انك قدرت على ذلك (١٧٣) ، وهكذا رفضت سائر يمانية الشام القتال الى جانب مروان رغم الخطر المحدق بهم جميعا ولم تسـتطع المضرية التى أنهكتها حـروب قيس وكلب وقيس وتغلب والفتن الأخيرة أن تصمد في وجه الجيوش الزاحفة من خراسان وطحنتهم رحى الحرب فحلت بهم الهزيمة وتبعهم الخراسانيون في ادبارهم يقتلون ويأسرون وكان من غرق منهم أكثر ممن قتل (١٧٤) ٠

لم يتوقف أمر التعصب القبلي والحقد الكامن والكراهية في النفوس عند الحد الذى دفعت فيه اليمانية مواطنيهم من مضر الى حتفهم أمام أهل فارس بل كان للعصبية القبلية بين القيسية واليمانية من أهل دمشق دور كبير في سهولة تسليمها للعباسيين فقد كانت المدينة محصنة تحصينا قويا ولكن اختلاف أهلها أوهن عزمهم وفت في عضدهـم فقد كانوا في صراع دائم فيما بينهم بسبب التعصب ليمن أو مضر حتى في وقت البلاء الجسيم فجعلوا في كل مسجد محرابين وقبلتين لصلاة كل من الطرفين حتى المسجد الجامع وضعوا فيه منبرين وامامين يخطبان يوم الجمعة على المنبرين « وهذا من عجيب ما وقع وغريب ما اتفق وفظيع ما حدث بسبب الفتنة والهوى والعصبية » (١٧٥) ٠

---

(١٧٢) ابن كثير : البداية : جـ ١٠ ص ٤٤ ٠

(١٧٣) الطبري : التاريخ : جـ ٧ ص ٤٣٤ ، الدينوري : الاخبار الطوال : ص ٣٤٦ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ٤ ص ٣٤٦ ، ابن كثير : البداية : جـ ١٠ ص ٤٤ ٠

(١٧٤) الطبري : التاريخ : جـ ٧ ص ٤٣٤ ٠

(١٧٥) ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ١٠ ، ص ٤٥ ٠

القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموي

خاتمة

اتضح لنا من دراسه المقدمة أن الوجود العربي في بلاد الشام لم يكن دخيلا عليها بل كان قديما يرجع الى ما قبل انهيار سد مأرب في القرن الرابع الميلادى ومن بعده ، وذلك باعتبار هذه البلاد الخصبة المتاخمة لبلاد العرب منطقة جذب لسكان الصحراء منذ فجر التاريخ ، وتؤكد هذه الدراسة على ذلك بما لايدع مجالا للشك فيه ، ومن ثم فقد شهدت بلاد الشام وجودا عربيا راسخا قبل الاسلام وقبل حركة الفتوح • فكانت هناك دائما قبائل الضجاعم من قضاعة القحطانية وهم من أقدم القبائل العربية التى دخلت بلاد الشام ، وتلاهم بنو عمومتهم من كلب وبهراء وبلى وجهينة وسليح وتغلب وتنوخ ونهد بالاضافة الى قبائل كهلان بن سبأ من ولديه مالك وعريب وهى : الأزد « الذين منهم غسان » ولخم وجذام وطىء وعاملة وكان تركزهم فى وسط البلاد وجنوبها وكانت كلها ذوات أصول قحطانية دون استثناء •

وبالاضافة الى ذلك كان ينزل شمال الشام والجزيرة المعروفة بجزيرة أقور طوائف شتى من القبائل العربية من تغلب واياد والنمر بن قاسط من ربيعة العدنانية ، وهذه القبائل النصرانية ظلت على دينها بعد الفتح الاسلامى ولعبت دورا كبيرا فى أحداث تلك الفترة التاريخية •

وبصفة عامة فقد كان لقبائل حمير وكهلان منذ القدم علاقات كبرى وصلات وثيقة ببلاد الشام تفوق ما كان لقبائل عدنان من صلات بهذه البلاد بكثير لأنها كانت ملجأهم ومستودعهم منذ أيام بعيدة قبل الاسلام دون سواهم من العرب فاستقرت قبائلهم فيها وانتشروا فى مختلف ربوعها وحتى فى عصر الفتوحات كانت قبائلهم هى الغالبة فى الجيوش التى اتجهت اليها ٠

هذا وقد انفردت قبائل الأزد دون سواها من قبائل عرب الشام بتكوين مملكة الغساسنة تلك الدولة المزدهرة ذات النشاطات السياسية الواسعة التى تعاقب عليها بضع ملوك عظام كان آخرهم جبلة بن الأيهم الذى عاصر الخليفة عمر بن الخطاب ، ومن ثم قبائل أزد اليمن كانت لها الزعامة على سائر القبائل العربية بالشام من وقت قيام الدولة الغسانية وحتى آخر العهد النبوى ٠

لما ظهر الاسلام فى شبه الجزيرة كانت معظم القبائل العربية بالشام تدين بالنصرانية لمجاورتهم للروم ، وكانت هذه القبائل من أشد أعداء الدين الجديد ــ وذلك لتأثير الروم عليهم ــ قولا وفعلا مما كان يمثل خطرا داهما على بلاد العرب من جهتهم لمجاورتهم لشبه الجزيرة من الشمال وهذا ما جعل النبى ﷺ يغزوهم فى عقر دارهم فلا لشوكتهم ودرءا لخطرهم وحفظا للتوازن بين الطرفين ، ومن ثم فقد كانت العلاقات بين قبائل الشام وعرب الحجاز طوال العهد النبوى علاقات عدائية صرفة باستثناء قلة قليلة من لخم وجذام وطىء أعلنوا اسلامهم ووفدوا على المدينة فى حياة النبى ﷺ ٠ ورغم ذلك فان الوجود القبلى القحطانى فى صحراء الشام وباديتها كان توطئة لفتح العرب لبلاد الشام تحت راية الاسلام وتثبيتا لدعائم هذا الفتح العظيم اذ لم تلبث بوادر النصر أن لاحت للفاتحين حتى دانت القبائل الشامية لبنى جلدتهم من العرب بالطاعة والولاء ودخلوا فى الاسلام فكانوا من الجند المخلصين الذين أعانوا المسلمين على استكمال فتوحاتهم حتى أقصى شمال البلاد ٠

وتعتبر القبائل اليمنية فى بلاد الشام فى القرن الأول الهجرى بصفة عامة وقبائل قضاعة وكلب بصفة خاصة هى حجر الزاوية فى تأريخ تلك الفترة وذلك للدور الكبير الذى قامت به هذه القبائل فى سياسة البلاد وشئونها حيث انتشروا فى نواح كثيرة من ربوعها فى الحضر والبوادى ، كما أن معظم هذه القبائل لم يكن مهاجرا كما كانت القبائل الأخرى التى هاجرت الى سائر الأمصار بعد الفتح وانما كانوا

ببلاد الشام منذ زمن طويل واقعين تحت التأثير اليونانى الرومانى وكانوا قبل الاسلام مباشرة تابعين لدولة الغساسنة فتعودوا حياة الحضر وألفوا سياسة الطاعة والنظام بتأثير الحياة والحضارة البيزنطية ، فضلا عن اتقانهم لفن الحروب الذى اكتسبوه نتيجة الصدام المستمر ضد الروم أو مع الروم ضد الفرس أو مع الروم ضد عرب شبه الجزيرة ففاقوا سائر القبائل الأخرى فى هذا المجال وكانوا خير عون لخلفاء بنى أمية فى حكم الشام ودائما ما كانوا يفخرون على قبائل مضر بأنهم ليسوا مثلهم مهاجرين حديثا الى الشام ٠

وبينما أسلمت كل القبائل العربية التى كانت بالشام قبل الفتح وانقلبت بالنسبة للدين الجديد من العداء التام الى الاخلاص التام فان غسان لم تقبل الاسلام وارتد زعيمهم وآخر ملوكهم جبلة بن الأيهم ودخل بلاد الروم بقومه فى ثلاثين ألفا منهم ، وبذلك انسحبت غسان من مسرح التاريخ فى بلاد الشام بعد أن عاشوا فيها ردحا طويلا من الزمن تعدى الستمائة عام وذابوا فى بلاد الروم فورثتهم كلب من قضاعة فى أملاكهم وزعامتهم على سائر القبائل اليمنية ٠

ومن ثم نرى أن العنصر القحطانى كان هو الغالب على قبائل الشام فى ذلك الوقت مما يفسر لنا كيف أن القبائل اليمنية فى بلاد العرب كانت أسرع القبائل اجابة لطلب الخليفة ابى بكر فى التجمع للغزو وكانت تؤثر العمل فى فتح الشام على العمل فى فتح العراق وحتى فى فتوح الشام كانت تؤثر المضى الى مواطن أسلافها فى الجنوب والوسط ، ولذلك فقد غلب العنصر اليمنى على القبائل الشامية بعد الفتح كما كان غالبا عليها قبله مما يوضح لنا كثيرا من الأحداث فى تاريخ البلاد لا سيما وأن القبائل المضرية فى جيوش المسلمين والمهاجرة الى البلاد بعد الفتح ابتعدت عن مواطن تجمع القبائل اليمنية وأثرت الاتجاه شمالا بالقرب من تغلب واياد العدنانية مما أدى الى ظهور كتلتى اليمنية والقيسية التى شهدت بلاد الشام كثيرا من أحداث العصبية القبلية على أيديهما ٠ فقد ظلت بطون تغلب من ربيعة العدنانية مستأثرة بمنطقة شمال الشام والجزيرة الفراتية من قبل الاسلام فلما جاء الفتح الاسلامى وتدفقت قبائل مضر على الشام سواء التى شاركت فى الفتوح أو التى هاجرت بعدها ، اتجهت كلها الى بلاد العدنانية فى الشمال مؤثرين جوارهم على جوار اليمنية رغم أن الأخيرين كانوا قد أسلموا وظل الأول على نصرانيتهم ، وكان معظم هذه القبائل من قيس من مضر العدنانية من غطفان وهوازن وثقيف وسليم وباهله وغنى وقشير وكلاب وجشم وغيرها فانتشروا فى الجزيرة الفراتية

مجاورين لتغلب وتملكوا حلب ونواحيها وكان تركزهم أشد ما يكون فى حوران وقرقيسيا والرقة وحران وقنسرين والرحبة وقد أطلق على منطقة سكناهم « ديار مضر » وغلب عليهم اسم القيسية لأنهم جميعا من أبناء قيس عيلان بن مضر ٠

تعتبر موقعة اليرموك فى رجب سنة ١٥ هـ ــ ٦٣٦ م من أهم المعارك فى تاريخ الاسلام بصفة عامة وفى تاريخ بلاد الشام بصفة خاصة لأنها غيرت الخريطة البشرية لهذه البلاد كما حولتها من النصرانية الى الاسلام ، فقد كان للقبائل التى اشتركت فى هذه المعركة دور كبير فى تحديد المعالم السكانية لبلاد الشام لفترات طويلة اذ استقرت معظم هذه القبائل فى البلاد المفتوحة بعد النصر وازداد عددها بالتوالد ودوام الهجرة لأنها كانت بمثابة طلائع الهجرات العربية الى الأقطار العامرة بعد الاسلام اذ سرعان ما لحق بهذه القبائل كثير من بطونها وعشائرها التى كانت لاتزال بشبه الجزيرة ولم تشترك بعد فى معارك الفتح الأولى ٠

وكانت الكثرة الغالبة لجند المسلمين فى موقعة اليرموك من قبائل اليمن وعلى رأسها الأزد يعاونها جمع من قيس من عبس وكنانة وغطفان وهوازن بقيـــادة قرشـية من أبى عبيـــدة بن الجراح وخالد بن الوليد بمساعدة الأعلام من اليمن من أمثال قيس بن هبيرة المرادى وعامر بن الطفيل الدوسى وعمرو بن معد يكرب الزبيدى ورافع بن عميرة الطائى ومالك النخعى وغيرهم فكان نصرهم الساحق فى اليرموك أول فتح كبير للمسلمين وساما وضعته تلك القبائل على صدر بطونها وعشائرها مما أتاح لها السيادة فى تلك البلاد فترة طويلة من الزمن فكانت موضع حسد القبائل القيسية التى هاجرت الى الشام بعد الفتح ولم تحظ بذلك الشرف العظيم الذى سطرته قبائل اليمن بدماء أبنائها ٠

وبالتالى فانه يمكن أن نقول أن حرب اليرموك وفتوح الشام كانت يمانية الطابع لكثرة من اشترك فيها من قبائل قحطان اليمن من مسلمين ومتنصرة فاذا أضفنا لذلك سكنى القبائل القحطانية لهذه البلاد من قبل الاسلام لأدركنا ان الكثرة الغالبة فيها كانت للعنصر اليمنى قبل الاسلام وزمن الفتح ، غير أن السيادة لقبائل اليمن بالشام لم تدم بعد الفتح لكثرة من هاجر اليها من قبائل قيس التى نازعتها السيادة والسيطرة وان كانت لم تساوها فى الكثرة العددية لأنه اذا حسبنا القبائل اليمنية المتنصرة من لخم وجذام وقضاعة وبلقين وبلى وبهراء وغيرها التى دخلت الاسلام فضلا عن قبائل الفتح التى كان معظمها من قحطان بالاضـافة الى قبائل اليمن

المهاجرة بعد الفتح الى جوار اخوتها وأبناء عمومتها فضلا عن انه مهجرهم المفضل من قبل الاسلام لأدركنا أن التفوق العددى لقبائل اليمن على قبائل قيس بالشام دام لفترة طويلة خلال القرنين الأول والثاني الهجرى لأن كثيرا من القبائل القيسية آثرت المضى الى مصر وأفريقيا والأندلس مبتعدة عن مواطن التركز اليمنى علها تجد من لاينازعها مما كان له تاثيره على السيادة والزعامة للقبائل العربية فى بلاد الشام فى ذلك الوقت ·

وقد اتضح لنا من دراسة الصراع بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان أنه لم يكن صراعا بين شخصيتين ، أو بين زعيمين ، بقدر ما كان صراعا بين فئتين من القبائل العربية : فئة قبائل العراق ومعظمها من ذوى الأصول العدنانية ـ وخاصة ربيعة ـ والتى كان يغلب عليها طابع الخشونة والبداوة والتمرد ، وفئة قبائل الشام ومعظمها من ذوى الأصول القحطانية التى كان يغلب عليها الالتزام بالطاعة وحب النظام وهو ما انتصر به معاوية فى صراعه ضد على ، فبينما شغبت قبائل العراق على امامها أكثر من مرة ، التزمت قبائل الشام طاعة معاوية حتى آخر يوم فى حياة على فكانت خلفه صفا واحدا فى الوقت الذى كانت فيه قبائل العراق أشتاتا يعمها الجدل والفوضى والتمرد على طاعة امامهم سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولما حاولوا الخروج على سلطان الدولة فى عهد الأمويين كعادتهم فى الشغب والفوضى لم يلقوا من قبائل الشام وولاة بنى أمية الا كل بطش وشدة مما تمتلىء به صفحات الكتب التاريخية وان كان فيها المبالغة فى بعض الأحيان ·

وعلى أية حال فقد كانت معركة صفين حربا ضروسا بين القبائل العربية على اختلاف أصولها ضربت فيها قريش وجوه هذه القبائل بعضها ببعض مضرها ويمنها ضربا مبرحا كادت أن تتقصف معه ايادى الاسلام فى بلاد الشام على وجه الخصوص لقربه من الروم وبه ثغور المسلمين فما أصاب الاسلام فى صفين يكاد يعدل مصابهم فى فتح الشام كلها لأن القتلى فى الطرفين كانوا من المسلمين فلم يرض على من معاوية بغير البيعة والطاعة ولم ير معاوية فى نفسه أقل شأنا من على فى البيعة لنفسه بالخلافة وأبى كل منهما الا أن يقض مضجع الآخر بما تحت يده من القبائل التى تنصره فقتل من الطرفين خلق كثير من شتى القبائل فكان وهنا على الاسلام والمسلمين ولولا عناية الله التى تداركت البقية الباقية من القبائل المتحاربة لكان قد حدث ما لا يحمد عقباه ·

وأيا كان الأمر فان هذه الحــرب الــكريمة أنهت حقبة فى تاريخ المســلمين وجاءت بغيرها حيث انتهى عهد على بن أبى طالب ومعه عصر الخلفاء الراشــدين وجــاء عهد الدولة الأموية فانتقل مركز الخلافة من العراق الى الشام فصارت له الزعامة والســيطرة وتغيرت موازين القوى لصالح القبائل الشامية على حساب القبائل العراقية فبينما تبوأت الأولى مراكز القيادة والزعامة وتميزت فى ألفىء والعطاء والغنائم حظيت الأخيرة بولاة بنى أمية العتاه من أمثال بسر بن أبى أرطأة وزياد بن أبيه والحجاج ابن يوسف الثقفى الذين علموهم حسن الطاعة والامتثال للجماعة ٠

وقد لاحظنا أيضا من الدراسة المقدمة عن القبائل العربية فى بلاد الشام أن الوجود القبلى القحطانى كان متركزا فى بادية الشام وفى جنوب البلاد ووسطها فى فلسطين والأردن وفى حمص ودمشق ممتدا الى تدمر فى قلب باديــة السماوة بين الشــام والعراق بينما تركز ألوجود القبلى العدنانى فى شمال الشام فى منطقة الثغور وفى جهات قنسرين وحلب وحماه وفى منطقة الجزيرة ألفراتية وخاصــة فى قرقيســياء وحول نهر الخابور وكان من نتيجة هذا التركز أنه لم يحدث الاندماج المطلوب بين القبائــل اليمانيــة وكتلة العرب القيســية وقد أدى ذلك الى عودة روح العصبية القبلية القديمة بين القبائل بكل مظاهرها من تفاخر بالأحساب والأنساب والتمسك بتقاليد القبيلة وخاصة فى عادة الأخذ بالثأر والسمع والطاعة لكبيرها فى كل الأمور واعلان الحرب لاتفه الأسباب وغيرها ٠

ومع أن هذه العصبية ألقبلية بمظاهرها المتعددة كانت قد انتهت أو قلت حدتها فى عهد النبى ﷺ والخلفاء الراشدين لالتفاف العرب حول الدين الجديد لاسيما بعــد القضــاء على حركة الردة ثم خروج العرب للفتوحات الا أنها عادت تطل برأسها من جديد بين القبائل العربية التى سكنت بلاد الشام نتيجة تركزها المتجانس فى مناطق بعينها دون أى نوع من الاندماج مما أدى الى وجود الحسد والتنــافس والتباغض فيما بينها لأغراض دنيوية ولسياسات الخلفاء المتنوعة ازاء هذه القبائل خاصة وأن الدولة الأموية كانت دولة عربية صرفة يحكمها ويديرها ألعرب الخلص وهم أصحاب اليد الطولى والكلمة المسموعة فيها ٠

ومع أن بعض خلفــاء بنى أميــة اتبعوا سياســة حكيمة متوازنــة أو محايدة تجاه هذه الحروب والعصبية بين القبائل الا أن ما يؤسف له أننا وجدنا خلفاء آخرين انغمسوا فى هذا التيار القبلى وانحازوا الى أحد الطرفين على حساب الأخر وذلك فى الفترة الأخيرة من عصر الدولة الأموية

ابتداء من سنة ١٢٥ هـ ـ ٧٤٣ م فى عهد الوليد بن يزيد مما أدى الى زعزعة أمن واستقرار البلاد وشيوع حالة من الفوضى فيها حتى ان العباسيين أعداء الأمويين وجدوا جوا مناسبا وتربة صالحة للعمل على اسقاط الدولة الأموية وقد تم لهم ذلك بنشر دعوتهم فى هذا الجو المضطرب وبعد عدة حروب ومعارك لم تستغرق وقتا طويلا وكان للقضية دخل فى ذلك أيضا بسبب ان القبائل العربية التى حاربت فى جيش الأمويين كانت تدعو غيرها أن تتقدم للقتال بينما هى تتراجع حتى حلت الهزيمة بالجميع .

فاذا كانت كل دولة عبر عصور التاريخ المختلفة تحمل فى طياتها عوامل هدمها فانه يمكن أن نعتبر هذه العصبية الحمقاء بحروبها الوبيلة هى العامل الأساسى فى هدم استقرار الدولة العربية التى قامت على أكتاف العرب دون سائر الشعوب التى احتوتها هذه الدولة . ولكل هذه الحروب والفتن القبلية فان الدولة الأموية لم تعمر أكثر من تسعين عاما وهو ما يقارب عمر رجل مديد ، ولكن العجب كل العجب هو أنه مع قصر عمر هذه الدولة وكل هذه الحروب والفتن القبلية التى اجتاحت مركز الحكم والخلافة فى بلاد الشام فان حجم الانجازات التى تمت فى عهدها يعتبر عظيما بمقياس عمرها فبرغم كل هذه العيوب والمثالب فان عهد الأمويين يعتبر من أزهى فترات الدولة العربية ويسجل لها التاريخ بالمجد والفخار أروع الانجازات فى تاريخ الاسلام حيث بلغت الفتوحات العربية أقصاها وانفتح العرب على البلدان والمجتمعات الجديدة وانتشر الاسلام وعمت اللغة العربية وذاع صيتها ونقلت كافة الدواوين العاملة فى الدولة الى اللغة العربية بعد أن كانت تكتب بالفارسية والرومية وضربت العملات الخاصة بالمسلمين ونشطت الحركة العلمية الدينية فضلا عن سائر العلوم الانسانية الأخرى .

الملاحق

ملحق رقم (١)

كتاب علي بن أبي طالب الى معاوية بن أبي سفيان مع جرير بن عبد الله البجلي

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام ، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد وانما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فاذا اجتمعوا على رجل فسموه اماما كان ذلك لله رضا ، فان خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه الى ما خرج منه ، فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيرا وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي ، وكان نقضهما كردهما ، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون • فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فان أحب الأمور الى فيك العافية ، الا أن تتعرض للبلاء • فان تعرضت له قاتلتك واستعنت الله عليك • وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكم القوم الى أحملك واياهم على كتاب الله • فاما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن • ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان • واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ، ولا تعرض فيهم الشورى • وقد أرسلت اليك والى من قبلك جرير بن عبد الله ، وهو من أهل الايمان والهجرة • فبايع ولا قوة الا بالله •

عن نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ص ٢٩ ، ٣٠

ملحق رقم (٢)

كتاب معاوية بن أبي سفيان الى علي بن أبي طالب

مع أبي مسلم الخولاني

بسم الله الرحمن الرحيم

من معاوية بن أبي سفيان الى علي بن أبي طالب · سلام عليك ، فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو · أما بعد فان الله اصطفى محمدا بعمله ، وجعله الأمين على وحيه ، والرسول الى خلقه ، واجتبى له من المسلمين أعوانا أيده الله بهم ، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام · فكان أفضلهم في اسلامه ، وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة من بعده ، وخليفة خليفته ، والثالث الخليفة المظلوم عثمان ، فكلهم حسدت ، وعلى كلهم بغيت · عرفنا ذلك في نظرك الشزر ، وفي قولك الهجر ، وفي تنفسك الصعداء ، وفي ابطائك عن الخلفاء ، تقاد الى كل منهم كما يقاد الفحل المخشوش حتى تبايع وأنت كاره · ثم لم تكن لأحد منهم بأعظم حسدا منك لابن عمك عثمان ، وكان أحقهم ألا تفعل به ذلك في قرابته وصهره ، فقطعت رحمه ، وقبحت محاسنه ، وألبت الناس عليه ، وبطنت وظهرت ، حتى ضربت اليه آباط الابل ، وقيدت اليه الخيل العراب ، وحمل عليه السلاح في حرم رسول الله ، فقتل معك في المحلة وأنت تسمع في داره الهائعة ، لا تردع الظن والتهمة عن نفسك فيه بقول ولا فعل · فأقسم صادقا أن لو قمت فيما كان من أمره مقاما واحدا تنهه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحدا ، ولمحا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغي عليه · وأخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين ايواؤك قتلة عثمان ، فهم عضدك وأنصارك ويدك وبطانتك ، وقد ذكر لي أنك تتنصل من دمه ، فان كنت صادقا فأمكنا من قتلته نقتلهم

به ، ونحن أسرع (النــاس) اليك ٠ والا فانــه ليس لك ولا لأصحابك الا السيف ٠ والذى لااله الا هو لنطلبن قتلة عثمان فى الجبال والرمال ، والبر والبحر ، حتى يقتلهم الله ، أو لتلحقن أرواحنا بالله ٠ والسلام ٠

عن نصر بن مزاحم : وقعة صفين : ٨٦ ، ٨٧

ملحق رقم (٣)

خلفاء بنى أمية

٤١ ـ ١٣٢ هـ ـ ٦٦١ ـ ٧٥٠ م

	هجرية	ميلادية
معاوية بن أبى سفيان	٤١ ـ ٦٠	٦٦١ ـ ٦٨٠
يزيد بن معاوية	٦٠ ـ ٦٤	٦٨٠ ـ ٦٨٣
معاوية بن يزيد	٦٤	٦٨٣
مروان بن الحكم	٦٤ ـ ٦٥	٦٨٣ ـ ٦٨٥
عبد الملك بن مروان	٦٥ ـ ٨٦	٦٨٥ ـ ٧٠٥
الوليد بن عبد الملك	٨٦ ـ ٩٦	٧٠٥ ـ ٧١٥
سليمان بن عبد الملك	٩٦ ـ ٩٩	٧١٥ ـ ٧١٧
عمر بن عبد العزيز	٩٩ ـ ١٠١	٧١٧ ـ ٧٢٠
يزيد بن عبد الملك	١٠١ ـ ١٠٥	٧٢٠ ـ ٧٢٤
هشام بن عبد الملك	١٠٥ ـ ١٢٥	٧٢٤ ـ ٧٤٣
الوليد بن يزيد	١٢٥ ـ ١٢٦	٧٤٣ ـ ٧٤٤
يزيد بن الوليد بن عبد الملك	١٢٦	٧٤٤
ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك	١٢٦	٧٤٤
مروان بن محمد	١٢٧ ـ ١٣٢	٧٤٤ ـ ٧٥٠

المصادر والمراجع

اولا : المصادر القديمة .

ثانيا : المراجع الحديثة .

ثالثا : المراجع الأجنبية .

المصـــادر والمراجـــع

أولا : المصـــادر القـــديمة :

القــرآن الكريــم :

ابن الأثـــير : عـــز الدين أبى الحسن عـلى بن أبى الكـــرم ت ٦٣٠ هـ ـ ١٢٣٣ م ٠

الكامل فى التاريخ ١٣ ج ٠

دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ الطبعة الخامسة ١٩٨٥ ٠

أسد الغابة فى معرفة الصحابة ٥ ج ٠

تحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرون ـ القـاهرة ١٢٨٥ هـ ٠

الأخطـــل : غياث بن غوث بن الصلت « الشاعر » ٠

ديوان الأخطل ٠

شرح وتحقيق أنطوان صالحانى اليسوعى

المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٨٩١ م ٠

الأزدى : محمد بن عبد الله ت ١٧٨ هـ ـ ٧٩٤ م
تاريخ فتوح الشام ٠
تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر ـ القاهرة مؤسسة سجل العرب ١٩٧٠ ٠

الأزرقى : أبو الوليد محمد بن عبد الله ت ٢٣٣ هـ ـ ٨٤٧ م ٠
أخبار مكة شرفها الله وما جاء فيها من الآثار تحقيق وستنفيلد ـ لايبزج ١٨٥٨ م ٠

الاصطخرى : أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى ت ٣٤٠ هـ ـ ٩٥١ م ٠
المسالك والممالك
تحقيق جابر الحينى ـ مراجعة محمد شفيق غربال ٠

القاهرة ١٣٨١ هـ دار القلم

الأصفهانى : حمزة بن الحسن ت ٣٥٥ هـ ـ ٩٦٦ م
تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء
تحقيق جوتواله ـ لايبزج ١٨٤٤ م ٠

الأصفهانى : أبو الفرج على بن الهيثم الأموى ت ٣٥٦ هـ ـ ٩٦٧ م ٠
كتاب الأغانى ٢١ جـ
طبعة بولاق الأصلية ـ القاهرة ١٩٣٦ م

الأصمعى : عبد الملك بن قريب ت ٢١٧ هـ ـ ٨٣٢ م
تاريخ العرب قبل الاسلام « عن نسخة كتبت عام ٢٤٣ هـ بخط يعقوب بن السكيت »
تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ـ بغداد ـ المكتبة العلمية ١٩٥٩ ـ الطبعة الأولى ٠

ابن أعثم : أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفى ت نحو ٣١٤ هـ ـ ٩٢٦ م ·

كتاب الفتوح ٤ ج ·

بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٩٨٦ م ·

الآمدى : أبو القاسم الحسن بن بشر ت ٣٧١ هـ ـ ٩٨١ م

المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم تصحيح وتعليق د· فرتيس كرنكو ـ بيروت ١٩٨٢ م ·

البخارى : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ت ٢٥٦ هـ ـ ٨٧٠م ·

صحيح البخارى ·

القاهرة ١٣٨٤ هـ طبعة بولاق ·

البغدادى : صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ ـ ١٣٦٥ م

مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ٣ ج « وهو مختصر معجم البلدان لياقوت » ·

تحقيق وتعليق على محمد البجاوى ·

دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى ـ القاهرة ١٩٥٤ الطبعة الأولى ·

البغدادى : أبو منصور عبد القادر بن طاهر ت ٤٢٩ هـ ـ ١٠٣٧ م ·

الفرق بين الفرق ·

حققه طه عبد الرءوف سعد ـ علق عليه محمد بدر ·

القاهرة مؤسسة الحلبى ١٩١٠ ·

البكرى : حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى : ت ٩٦٦ هـ ــ ١٥٥٩ م ٠

تاريخ الخميس فى أحوال أنفس النفيس ٢ جـ فى مجلد واحد

بيروت بدون تاريخ

البكرى : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى ت ٤٨٧ هـ ــ ١٠٩٤ م معجم ما استعجم من أسماء البلاد والموضع ٤ جـ ٠

حققه وضبطه وشرحه د٠ مصطفى السقا ٠

القاهرة ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٧ ــ الطبعة الأولى ٠

البــلاذرى أبو الحسن أحمد بن يحيى ت ٢٧٩ هـ ــ ٨٩٢ م فتوح البلدان ٠

مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان ــ بيروت ١٩٨٣ ــ دار الكتب العلمية ٠

أنساب الأشراف

جـ ١ تحقيق محمد حميد الله ــ القاهرة ١٩٥٩ م دار المعارف ٠

جـ ٤ تحقيق ماكس سيمون ــ القدس ١٩٣٨ م
جـ ٥ تحقيق جوايتين ــ القدس ١٩٣٦ م ٠

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ ــ ٨٦٩ م البيان والتبيين ٤ جـ فى مجلدين ٠

تحقيق عبد الســلام هارون ــ القاهرة ١٩٧٥ مكتبة الخانجى ــ الطبعة الرابعة ٠

جرير : ابن عطية بن كليب الخطفى « الشاعر »

ديوان جرير

شرح محمد اسماعيل الصاوى ــ القاهرة ١٣٥٣هـ الطبعة الأولى ٠

الجوهرى : أبو النصر اسماعيل بن حماد ت ٣٩٣ هـ ـ ١٠٠٣ م ٠

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية

تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ـ بيروت ١٩٧٩ ـ دار العلم للملايين ٠

ابن حبيب : أبـو جعفر محمد بن حبيب ت ٢٤٥ ـ ٨٦١ م

كتاب المحبر ٠

رواية أبى سعيد الحسن السكرى ـ تصحيح ايلزة ليختن شتيتر ٠

بيروت ـ منشورات دار الآفاق بدون تاريخ

مختلف القبائل ومؤتلفها ٠

نشر وستنفيلد ـ غوتا ١٨٥٠ واعادت طبعة مكتبة المثنى ـ بغداد بدون تاريخ ٠

ابن حجر : شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ت ٨٥٢ هـ ـ ١٤٤٩ م ٠

الاصابة فى تمييز الصحابة ٤ جـ ٠

تحقيق على محمد البجاوى ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ مطبعة السعادة ٠

ابن أبى الحديد : الشريف الرضى محمد بن أبى أحمد ت ٤٠٤ هـ ـ ١٠١٣ م ٠

شرح نهج البلاغة ٤ جـ ٠

القاهرة ١٣٢٩ هـ ٠

ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد ت ٤٥٦ هـ ـ ١٠٦٤ م

جمهرة أنساب العرب ٠

تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة ١٩٧٧ م ـ دار المعارف

جوامع السيرة النبوية

بيروت – دار الكتب العلمية ١٩٨٣ – الطبعة الأولى
الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥ جـ القاهرة ١٣١٧ هـ

أبو حنيفة الدينورى : أحمد بن داود ت ٢٨٢ هـ – ٨٩٥ م
الأخبار الطوال
تحقيق عبد المنعم عامر – مراجعة جمال الدين الشيال – بغداد ١٩٥٩ مكتبة المثنى

ابن خلدون : عبد الرحمن محمد ت ٨٠٨ هـ – ١٤٠٥ م
العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر
القاهرة ١٢٨٤ هـ طبعة بولاق

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ – ١٢٨٢ م
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
تحقيق احسان عباس – بيروت ١٩٧٨ دار صادر

ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن ت ٣٢١ هـ – ٩٣٣ م
كتاب الاشتقاق ٢ جـ فى مجلد واحد
تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة ١٩٥٨ م

دعبل الخزاعى : دعبل بن على الخزاعى الشيعى ت ٢٤٦ هـ – ٨٦٠ م
ديوان دعبل الخزاعى
جمعه وقدم له : عبد الصاحب عمران الدجيلى – بيروت ١٩٢٧ دار الكتاب اللبنانى

ابن دقماق : صارم الدين ابراهيم بن محمد ت ٨٠٩ هـ – ١٤٠٧ م .

الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين ٢ ج فى مجلد واحد ٠

تحقيق محمد كمال الدين عز الدين ـ بيروت ١٩٨٥ ـ عالم الكتب ٠

الذهبى : الحافظ أبو عبد الله شمس الدين ت ٧٤٨ هـ ـ ١٣٧٤ م ٠

دول الاسلام ٢ ج ٠

تحقيق فهيم شلتوت ، محمد مصطفى ابراهيم ـ القاهرة ١٩٧٤ ـ الهيئة العامة للكتاب ٠

سير أعلام النبلاء ٠

تحقيق شعيب الأرنؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٥ ـ الطبعة الثالثة ٠

الرازى : زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر ت ٦٦٦ هـ ـ ١٢٦٨ م ٠

مختار الصحاح ٠

رتبه محمود خاطر ـ القاهرة ١٩١١ ـ الطبعة الثالثة ٠

الرازى : الامام فخر الدين محمد بن عمر ت ٦٠٤ هـ ـ ١٢٠٧ م ٠

التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب ٠

نشر دار الغد العربى ـ القاهرة ١٩٩١ ـ الطبعة الأولى ٠

ابن رشيق : أبو على الحسن بن رشيق القيروانى ت ٤٦٣ هـ ـ ١٠٧١ م ٠

العمدة فى صناعة الشعر ونقده ٠

شرح وتحقيق د٠ مفيد قميحة ـ بيروت ٠ دار الكتب العلمية ١٩٨٣ الطبعة الأولى ٠

الزبيدي : السيد محمد مرتضى .
تاج العروس من جواهر القاموس .
تحقيق عبد الستار أحمد فراج وآخرين ـ طبع الكويت بدون تاريخ .

ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد ٢٣٠ هـ ـ ٨٤٥ م .
الطبقات الكبرى ٨ جـ .
دار صادر بيروت بدون تاريخ .

ابن سلام : محمد بن سلام الجمحي .
طبقات فحول الشعراء .
تحقيق محمود شاكر ـ القاهرة ١٩٥٢ الطبعة الأولى .

السمعاني : أبي سعد عبد الكريم بن محمد ت ٥٦٢ هـ ـ ١١٦٦ م .
كتاب الأنساب .
تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ـ مركز الخدمات والأبحاث الثقافية .
بيروت ـ دار الجنان ١٩٨٨ الطبعة الأولى .

السهيلي : عبد الرحمن بن عبد الله .
الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ٢ جـ .
تحقيق عبد الرحمن الوكيل ١٩٦٧ م ـ القاهرة .

ابن سيدة : أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوى ت ٤٥٨ هـ ـ ١٠٦٦ م .
المخصص ٥ جـ .
تحقيق لجنة أحياء التراث العربي ـ بيروت ـ دار الآفـاق .

السيوطي : الحافظ جلال الدين ت ٩١١ هـ ـ ١٥٠٤ م ·
تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ·
القاهرة ١٣٥١ هـ ـ دار الطباعة المنيرية ·

ابن صاعد : أحمد بن صاعد الأندلسي ·
طبقات الأمم ·
نشر وتحقيق لويس شيخو اليسوعي ـ بيروت ١٩١٢ م ·

ابن طباطبا : محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي ت ٧٠٩ هـ ـ ١٣٠٩ م ·
الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية
راجعه محمد عوض ابراهيم وعلي الجارم ـ القاهرة ١٩٣٨ ـ مكتبة المعارف ·

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ ـ ٩٢٢ م
تاريخ الأمم والملوك ١١ جـ ·
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ١٩٧٦ م دار المعارف ·

الطرماح بن حكيم الطائي : « الشاعر » ·
ديوان الطرماح ·
تحقيق كرنكو ـ لندن ١٩٢٧ م ·

ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله ت ٤٦٣ هـ ـ ١٠٧١ م ·
الانباه على قبائل الرواه ·
حققه وقدم له ووضع فهارسه ابراهيم الابياري
بيروت ـ دار الكتاب العربي ـ الطبعة الأولى ١٩٨٥ م ·
القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ·

تحقيق ابراهيم الابيارى ـ بيروت ١٩٨٣ ـ دار الكتاب العربى ٠

الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٤ جـ على هامش الاصابة لابن حجر ٠

القاهرة ـ مطبعة السعادة ـ الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ ٠

ابن عبد ربه : أحمد بن محمد أبو عمر ت ٣٢٨ هـ ـ ٩٤٠ م العقد الفريد ٨ جـ ٠

شرح وضبط أحمد الزين ، ابراهيم الابيارى ـ القاهرة ١٩٦٥ م ٠

أبو عبيد : القاسم بن سلام ت ٢٢٢ هـ ـ ٨٣٧ م ٠ كتاب الأموال ٠

تحقيق محمد خليل هراس ـ القاهرة ١٩٨١ دار الفكر ٠

ابن عساكر : الحافظ بن هبة الله الدمشقى ت ٥٧١ هـ ـ ١١٧٦ م ٠

تاريخ مدينة دمشق وذكر فضائلها وتسمية من حلها جـ ١ ، ٢ تحقيق منجد دمشق ١٩٥١ ، ١٩٥٤ المجمع العلمى العربى ٠

تهذيب تاريخ دمشق الكبير ٠

هذبه ورتبه الشيخ عبد القادر بدران ـ دار المسيرة ـ بيروت ١٩٧٩ ٠

الطبعة الثانية ٠

العمرى : شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩ هـ ـ ١٣٤٩ م ٠

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ١ جـ ٠

تحقيق أحمد زكى ـ القاهرة ١٩٢٤ ـ دار الكتب المصرية ٠

ومنه فصلة عن قبائل العرب فى القرنين ٧ ، ٨ هـ
دراسة وتحقيق دوزوتيا كرافولسكى ـ نشر بيروت ١٩٨٥ م ٠

العوتبى : سلمة بن مسلم العوتبى الصحارى من علماء القرن الخامس الهجرى ولا يعلم تاريخ وفاته ٠
كتاب الأنساب ٢ ج ٠
جـ ١ المطبعة الشرقية ومكتبتها ـ عمان ـ الطبعة الثانية ١٩٨٤ م ٠
جـ ٢ دار عمان للصحافة والنشر ١٩٨٤ م ٠

أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل أبى الفداء ت ٧٣٢ هـ ـ ١٣٣٢ م ٠
المختصر فى أخبار البشر ٠
المطبعة الحسينية المصرية ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.

الفرزدق : أبو محمد بن غالب بن صعصعة « الشاعر » ٠
ديوان الفرزدق ٢ جـ فى مجلد واحد ٠
شرح محمد إسماعيل الصاوى القاهرة ١٩٣٦ م ٠

الفيروز أبادى : مجد الدين أبو طاهر محمد ت ٨١٧ هـ ـ ١٤١٤ م ٠
القاموس المحيط ٤ جـ فى مجلدين ٠
القاهرة ١٩٥٢ م مكتبة مصطفى البابى الحلبى

الفيومى : أحمد بن محمد بن على ت ٧٧٠ هـ ـ ١٣٦٩ م ٠
المصباح المنير ٢ جـ فى مجلد واحد ٠
تحقيق عبد العظيم الشناوى ـ القاهرة ١٩٧٧م ـ دار المعارف ٠

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى ت ٢٧٦ هـ ـ ٨٨٩ م ٠

الشعر والشعراء .

تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ـ القاهرة ـ دار المعـارف .

كتاب المعارف .

حققه وقدم له ثروت عكاشة ـ القاهرة ـ دار المعـارف .

الامامة والسياسة ٢ جـ .

تحقيق محمد محمود الرافعى ـ القاهرة ١٩٠٩م .
عمير بن شييم « الشاعر » .

ديوان القطامى .

تحقيق ج. بارث ـ ليدن ١٩٠٢ م .

القلقشندى : أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١ هـ ـ ١٤١٨ م .
نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب .

دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٤ ـ الطبعـة الأولى .

قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان
تحقيق ابراهيم الأبيارى ـ القاهرة ١٩٨٠ م .
صبح الأعشى فى صناعة الانشا ١٤ جـ .
القاهرة ١٩٢٠ ـ دار الكتب المصرية .

ابن قيم الجوزية : الامام شمس الدين محمد بن أبى بكر ت٧٥١هـ ـ ١٣٥٠ م .

زاد المعاد فى هدى خير العباد ٤ جـ فى مجلدين
دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ بدون تاريخ .

ابن كثير : عماد الدين أبى الفداء اسماعيل ت ٧٧٤ هـ ـ ١٣٧٣ م .

البداية والنهاية فى التاريخ ١٤ جـ .

القاهرة ـ دار الغد العربى ـ ١٩٩٢ م .
تفسير القرآن العظيم ٧ جـ .
القاهرة ـ دار الفكر للطباعة والنشر ـ ١٩٧٠ م .

ابن الكلبي : أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ت ٢٠٤ هـ ـ ٨١٩ م .

كتاب الأصنام .

تحقيق أحمد زكي ـ القاهرة ـ الدار القومية ـ ١٩٦٥ م .

الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد ت ٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٨ م .

الأحكام السلطانية والولايات الدينية .

صححه السيد محمد بدر الدين النعساني ـ القاهرة ١٩٠٩ م ـ مكتبة الخانجي .

المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ ـ ٨٩٨ م .

الكامل في اللغة والأدب ٢ ج في مجلد واحد شرح سيد بن علي الوصفي ـ بيروت ١٩٣١ م ـ مكتبة المعارف .

نسب عدنان وقحطان .

تصحيح عبد العزيز الميمني الراجكوتي ـ جامعة عليكرة ـ الهند .

القاهرة ـ ١٩٣٦ ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

أبو مخنف : يحيى بن لوط الأزدي ت ١٥٧ هـ ـ ٧٧٤ م .

رسالة في الأخذ بالثأر وانتصار المختار على الطغاة الفجار .

تحقيق محمد الشيرازي ـ بمباي ـ ١٣٦١ هـ .

المرزباني : أبو عبد الله محمد بن عمران ت ٣٨٤ هـ ـ ٩٩٤ م .

معجم الشعراء .

تصحيح فرتيس كرنكو ـ بيروت ١٩٨٢ م ـ دار الكتب العلمية .

المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين ت ٣٤٥ هـ ــ ٩٥٦ م ٠
مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤ جـ ١٩٧٣
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ــ القاهرة ١٩٧٣ ــ دار الفكر ٠
ألتنبيه والاشراف ٠
تحقيق دى غوية ــ ليدن ١٨٩٤ م ٠

المصعب الزبيرى : أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى ت ٢٣٦ هـ ــ ٨٥٠ م ٠
كتاب نسب قريش ٠
نشره وصححه وعلق عليه ليفى بروفنسال
القاهرة ــ دار المعارف ــ الطبعة الثالثة ١٩٨٢م ٠

المقريزى : تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ ــ ١٤٤١ م ٠
امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع ٠
صححه ونشره محمود محمد شاكر ــ القاهرة ١٩٤١ م ٠
النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم تحقيق د٠ حسين مؤنس ــ القاهرة ــ دار المعارف ١٩٨٨ م ٠

ابن منظور : جمال الدين أبى الفضل محمد بن مكرم ت ٧١٣ هـ ــ ١٣١١ م ٠
لسان العرب ٢٠ جـ ٠
القاهرة ١٣٠٨ هـ ــ طبعة بولاق ٠

الميدانى : أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد النيسابورى ت ٥١٨ هـ ــ ١١٢٢ م ٠
مجمع الأمثال ٢ جـ ٠
القاهرة ١٣٥٢ هـ ٠

ابن النديم : محمد بن اسحق ت ٣٨٣ هـ ـ ٩٩٣ م ٠
كتاب الفهرست ٠
تحقيق فلوجيل ـ ليبزج ١٨٧٢ م ٠

نشوان : ابن سعيد الحميرى ٠
منتخبات فى أخبار اليمن ٠
تحقيق عظيم الدين أحمد ـ ليدن ١٩١٦ م ٠

نصر بن مزاحم : أبو الفضل نصر بن مزاحم بن سيار المنقرى.
ت ٢١٢ هـ ـ ٨٢٨ م ٠
وقعة صفين ٠
شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون
القاهرة ـ مكتبة الخانجى ـ الطبعة الثالثة
١٩٨١ م ٠

نقائض جرير والأخطل : المطبعة الكاثوليكية ٠
بيروت ١٩٢٢ م

النوبختى : أبو محمد الحسن بن موسى ٢٣٢ هـ ـ ٨١٧ م ٠
كتاب فرق الشيعة ٠
استانبول ١٩٣١ م ٠

ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام ت ٢١٨ هـ ـ
٨٣٣ م ٠
سيرة النبى ﷺ ٤ جـ فى مجلدين
القاهرة ١٣٥٦ هـ ـ المكتبة التوفيقية ٠

الهمدانى : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ت ٣٣٤هـ ـ
٩٤٥ م ٠
صفة جزيرة العرب ٠
تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالى ـ أشرف على
طبعته محمد الجاسر ٠

منشــورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
الرياض ــ المملكة العربية السعودية ــ ١٣٩٤هـ ــ
١٩٧٤ م

الأكليــل ٤ جـ ·

جـ ١ ، ٢ تحقيق محمد بن على الأكوع ــ القاهرة
١٩٦٣ ــ جـ ٨ نشر نبيه فارس ــ بغداد ١٩٣١ ،
جـ ١٠ نشر محب الدين الخطيب ــ القــــاهرة
١٣٦٨ هـ ·

الواقدى : أبو عبد الله محمد بن عمر
ت ٢٠٧ هـ ــ ٨٢٣ م ·
فتوح الشام ٢ جـ فى مجلد واحد ·
تحقيق م · ن · لى · كلكتا ــ ١٨٥٤ م ·
طبعة دار الجيل ــ بيروت ·

وهب بن منبه : ت ١١٠ هـ ــ ٧٢٨ م ·
التيجان فى ملوك حمير ·
رواية أبى محمد عبد الملك بن هشام
عن أســد بن موسى عن أبى ادريس بن ســنان
عن جده لأمه وهب بن منبه ·
تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث
اليمنية ــ صنعاء ١٩٧٩ م ــ الطبعة الثانية ·

ياقوت الحموى : شهاب الدين أبى عبد الله
ت ٦٢٢ هـ ــ ١٢٢٥ م ·
معجم البلدان ٥ جـ ·
نشر وستنفيلد ·
بيروت ١٩٨٤ ــ دار صادر ·

اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر ·
ت ٢٨٤ هـ ــ ٨٩٧ م ·
تاريخ اليعقوبى ٣ جـ ·
طبع بريل ١٩٦٩ م ·

أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم بن حبيب
ت ١٨٢ هـ ـ ٧٩٨ م ٠
كتاب الخراج ٠
القاهرة ١٣٥٢ هـ ـ المطبعة السلفية ٠

ثانيا : المراجـع الحديثة :

ابراهيم احمد العدوى : دكتور ٠
النظم الاسلامية ٠
القاهرة ـ مكتبة الأنجلو ـ ١٩٧٢ م ٠

احسان صدقى العمد : دكتور ٠
الحجاج بن يوسف الثقفى ـ حياته وآراؤه السياسية ٠
دار الثقافة ـ بيروت ١٩٨١ م ٠

احسان النص : دكتور ٠
العصبيةالقبلية وأثرها فى الشعر الأموى
بيروت ـ دار اليقظة العربية ١٩٦٣ م ٠

احمد ابراهيم الشريف : دكتور ٠
المدينة فى الجاهلية وعهد الرسول ٠
دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٩٨٥ م ٠
دور الحجـاز فى الحياة السـياسية العـامة فى القرنين الأول والثانى للهجرة ٠
القاهرة ١٩٦٨ م ٠

احمد اسماعيل على : تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموى ٠
دمشق ـ الطبعة الأولى ١٩٨٤ دار دمشق ٠

أحمد أمين : فجر الاسلام .
القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٦٥ م .

احمد زكى صفوت : جمهرة رسائل العرب فى عصور العربية الزاهرة « العصر الجاهلى وصدر الاسلام » .
بيروت ـ المكتبة العلمية ـ بدون تاريخ .

أحمد شلبى : دكتور .
موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ج ٢ الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية فى عهدها .
القاهرة ـ ١٩٧٤ م ـ مكتبة النهضة المصرية .

ادوارد كار : ما هو التاريخ .
ترجمة أحمد حمدى محمود ـ القاهرة ١٩٦٢ م .

ألويس موسل : شمال الحجاز .
ترجمة عبد المحسن الحسينى ـ الاسكندرية ١٩٥٢ م .

أنستاس الكرملى : النقود العربية وعلم النميات .
مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ١٩٧٥ ـ الطبعة الثانية .

برنارد لويس : العرب فى التاريخ .
ترجمة نبيه فارس ومحمود يوسف .
بيروت ١٩٥٤ م

بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية
ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ـ بيروت ١٩٦٨ م .

بيك فردريك . ج : تاريخ شرق الأردن وقبائلها
القدس ١٩٣٤ م .

ترتون : أهل الذمة فى الاسلام
ترجمة وتعليق د. حسن حبشى
القاهرة ١٩٤٩ م .

جبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها
ترجمة لويس اسكندر
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٩ م .

جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ١٠ جـ
بغداد ١٩٥٢ م .

جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام
مراجعة وتعليق د. حسين مؤنس
دار الهلال ـ القاهرة ـ بدون تاريخ
تاريخ التمدن الاسلامى ٥ جـ
مطبعة الهلال ـ القاهرة ١٩٠٦ م .

جوزيف داهموس : سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى
سلسلة الألف كتاب الثانى ـ العدد ٤١
ترجمة د. محمد فتحى الشاعر
القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

حاجى خليفة : ملا كاتب شلبى
كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ٢ جـ
ترجمة وتحقيق فلوجيل ـ استانبول ١٩٤١ م .

حسن ابراهيم حسن : دكتور .
تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ٥ جـ
القاهرة ١٩٤٨ ـ مكتبة الآداب .

حسن عثمان : دكتور .
منهج البحث التاريخى
القاهرة ١٩٧٦ ـ دار المعارف

حسين مؤنس : دكتور ـ وآخرون
آطلس تاريخ الاسلام
الزهراء للاعلام العربى ـ القاهرة ١٩٨٩ م .

خليل يحيى نامق : نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرقها
القاهرة ١٩٤٣ م .

ديسو : العرب فى سورية قبل الاسلام
ترجمة عبد الحميد الدواخلى ـ مراجعة محمد مصطفى زيادة
الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

زامباور : معجم الأنساب والاسرات الحاكمة
أخرجه الدكتور زكى محمد حسن بك وحسن أحمد محمود
اشترك فى ترجمته دكتورة سيدة اسماعيل كاشف وحافظ أحمد حمدى ، أحمد ممدوح حمدى .
القاهرة ـ مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥١ م .

زكى محمد حسن : دكتور .
دراسات فى الموازنة بين المؤرخين فى دار الاسلام والمؤرخين فى العصور الوسطى .
مجلة كلية الآداب والعلوم جـ ٢ ـ بغداد ١٩٥٧ م .
دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الاسلامى
مجلة كلية الآداب ـ مجلد ١٢ ، ١٩٥٠ م
الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى القاهرة ١٩٤٥ م .

السيد عبد العزيز سالم : دكتور .
دراسات فى تاريخ العرب جـ ١ عصر ما قبل

الاســلام
الاسكندرية ١٩٦٧ ـ دار المعارف •
تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الاسلام وحتى سقوط الدولة العربية
الاسكندرية ١٩٧٣ مؤسسة الثقافة الجامعية •

السيد محمود شكرى الآلوسى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب
عنى بشرحه وضبطه محمد بهجة الأثرى
بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ بدون تاريخ •

سيدة اسماعيل كاشف : دكتورة •
الوليد بن عبد الملك
سلسلة اعلام العرب ـ الكتاب رقم ١٧
القاهرة ١٩٦٢ ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
مصر فى فجر الاسلام من الفتح العربى الى قيــام الدولة الطولونية
القاهرة ١٩٧٠ ـ دار النهضة العربية ـ الطبعة الثانيــة
مصادر التاريخ الاسلامى ومناهج البحث فيــه
القاهرة ١٩٧٦ ـ مكتبة الخانجى ـ الطبعة الثانية

شكرى فيصل : دكتور •
المجتمعات الاسلاميــة فى القرن الأول الهجرى
القاهرة ١٩٥٢ م •
حركة الفتح الاسلامى فى القرن الأول الهجرى •
بيروت ١٩٥٢ م •

شوقى ضيف : دكتور •
العصر الاسلامى
القاهرة ١٩٨١ ـ دار المعارف ـ الطبعة التاسعة
التطور والتجديد فى الشعر الأموى
القاهرة ١٩٥٩ ـ الطبعة الأولى

صالح أحمد العلي : محاضرات فى تاريخ العرب
بغداد ١٩٥٩ م ٠

صلاح الدين المنجد : معجم بنى أمية « استخرجه من تاريخ دمشق وزاد فيه »
دار الكتاب الجديد ــ بيروت ١٩٧٠ ــ الطبعة الأولى

ضياء الدين الريس : دكتور ٠
عبد الملك بن مروان
القاهرة ــ سلسلة أعلام العرب

عبد السميع سالم الهراوى : لغة الادارة فى صدر الاسلام
القاهرة ــ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦ م ٠

عبد الشافى محمد عبد اللطيف : دكتور ٠
العالم الاسلامى فى العصر الأموى ٤١ ــ ١٣٢هـ ــ ٦٦١ ــ ٧٥٠ م ٠
دراسة سياسية ٠
القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٩٨٤ م ٠

عبد العزيز الدورى : دكتور ٠
بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب
دار المشرق ــ بيروت ١٩٨٣ م ٠

عبد العزيز صالح : دكتور ٠
الشرق الأدنى القديم « مصر والعراق »
الطبعة الرابعة ١٩٨٧ ــ القاهرة ــ مكتبة الأنجلو ٠

عبد الغنى اسماعيل النابلسى : الحقيقة والمجاز فى الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز
تقديم واعداد أحمد عبد المجيد هريدى
القاهرة ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م ٠

عبد اللطيف الطيباوى : محاضرات فى تاريخ العرب والاسلام
بيروت ١٩٦٦ م ٠

عبد الله خورشيد البرى : دكتور ٠
القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٧ م ٠

عبد المنعم ماجد : دكتور ٠
التاريخ السياسى للدولة العربية ٢ ج
الطبعة السادسة ١٩٨٢ ـ القاهرة ـ مكتبة الأنجلو ٠

على حسنى الخربوطلى : دكتور ٠
المختار الثقفى مرآة العصر الأموى
القاهرة ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٩٧٠ م ٠
تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى
القاهرة ـ دار المعارف ـ بدون تاريخ ٠

على مظهر : العصبية عند العرب في الجاهلية والاسلام حتى زوال دولة بنى أمية فى المشرق
القاهرة ١٩٢٣ م ٠

عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٥ ج
مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٥ ـ الطبعة الخامسة
معجم المؤلفين ١٥ ج
بيروب ـ بدون تاريخ ٠

عمر عبد السلام تدمرى : دكتور ٠
لبنان من الفتح الاسلامى حتى سقوط الدولة الأموية
دار جرس برس ـ طرابلس لبنان ـ الطبعة الأولى ١٩٩٠ م ٠

عمر أبو النصر : عبد الملك بن مروان
بيروت ١٩٦٢ م ٠

فرانز روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين
ترجمة صالح أحمد العلي ـ بغداد ١٩٦٣ م ٠

فلهوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الأموية
ترجمة د٠ محمد عبد الهادى أبو ريدة ـ راجعه د٠ حسين مؤنس
القاهرة ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ م ٠

فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين
ترجمة : جورج حداد ، عبد الكريم رافق ـ راجعه : جبرائيل جبور ٠
دار الثقافة ـ بيروت ١٩٥٨ ـ الطبعة الثانية ٠

كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية
يتناول صفة العراق والجزيرة وايران واقاليم آسيا الوسطى منذ الفتح الاسلامى حتى أيام تيمور
نقله الى العربية وأضاف اليه تعليقات بلدانية وتاريخية : بشير فرنسيس ، كوركيس عواد ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت١٩٨٥ الطبعة الثانية

محمد أمين صالح : دكتور ٠
العرب والاسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الخلافة الأموية
القاهرة ـ مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٤ م ٠

محمد بيومى مهران : دكتور ٠
تاريخ العرب القديم
الاسكندرية ـ دار المعرفة الجامعية ١٩٨٨ م ٠

محمد حميد الله الحيدر آبادى : دكتــــور .
مجموعة الوثائق السـياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة
القـاهرة ـ مطبعـة لجنـة التـأليف والترجمة ١٩٤١ م .

محمد الخضرى بك : محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية
تحقيق الشيخ محمد العثمانى ـ بيروت ـ دار القلم ١٩٨٦ الطبعة الأولى .

محمد الطيب النجار : دكتـــور
الموالى فى العصر الأموى
القاهرة ١٩٤٩ ـ دار النيل للطباعة
الدولـة الأمويـة فى الشرق بين عوامـل البنـاء ومعاول الفناء
القاهرة ـ دار الكتاب العربى ١٩٦٢ م .

محمد عابد الجابرى : العصبية والدولة « معـالم نظرية خلدونيـة فى التاريخ الاسلامى » .
الدار البيضـاء ـ دار الثقافـة ـ الطبعـة الأولى ١٩٧١ م .

محمد عزة دروزة : تاريـخ موجات الجنس العربى ودولها ومآثرهـا فى بلاد الشام « سورية ولبنان وفلسطين » قبل العروبة الصريحة .
بيروت ـ المكتبة العصرية ـ بدون تاريخ .

محمد كرد على : خطط الشام ٦ جـ .
دمشـق ـ مكتبـة النورى ـ الطبعـة الثالثـة ١٩٨٣ م .

محمد ماهر حمادة : دكتور .
الوثائق السياسية العائدة للعصر الأموى
مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٧٤ م .

محمد مبروك نافع : تاريخ العرب ـ عصر ما قبل الاسلام
القاهرة ١٩٥٢ م .

محمد محمد موسى الشيخ : الامارات العربية فى بلاد الشام فى القرنين ١١ ، ١٢ م ·
الاسكندرية ــ الطبعة الأولى ١٩٨٠ م ــ الهيئة العامة للكتاب

مصطفى أبو ضيف أحمد : دكتور ·
القبائل العربية فى الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية ·
المغرب ــ بدون تاريخ ·

مصطفى مراد الدباغ : القبائل العربية وسلائلها فى بلادنا فلسطين .
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت ١٩٨٦ م ــ الطبعة الثانية ·

موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ــ لندن ١٩٥٧ م ·
ترجمه وزاد عليه د· السيد يعقوب بكر ــ راجعه د· محمد القصاص ·
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٩٥٧ م ·

نجيب ميخائيل ابراهيم : دكتور ·
مصر والشرق الأدنى القديم ·
الطبعة الثالثة ــ ١٩٦٦ م ــ دار المعارف ·

نظير حسان سعداوى : دكتور ·
الدولة العربية الاسلامية ١ ــ ١٣٢ هـ ــ ٦٢٢ ــ ٧٥٠ م ·
دار النهضة العربية ــ القاهرة ١٩٦٧ م ·

نلدكه : أمراء غسان من آل جفنة ·
ترجمة بندلى جوزى ، قسطنطين زريق
بيروت ١٩٣٣ م ·

وصفي زكريا : عشائر الشام ٢ جـ ·
دمشق ١٩٤٧ م ·

ولفنستون : تاريخ اللغات السامية ·
القاهرة ١٨٢٩ م ـ الطبعة الأولى ·

يوسف العش : الدولة الأمويـة والأحداث التى سـبقتها ومهدت
لها إبتداء من فتنة عثمان ـ دمشق ١٩٦٥ م ·

ثالثا : المراجع الأجنبية :

ثالثا : المراجــع الأجنبيــة :

Bell R., The Origin of Islam in its christian environment.
London 1926.

Burckhardt : J. L., Travels in Syria and the Holy Land.
London 1822.

Bury : J.B., A History of the later Roman Empire.
2 Vols London 1931.

Doughty, Travels in Arabia Deserta.
2ed. London 1921.

Dussaud : R., Les Arabes en Syrie avant l'Islam.
Paris, 1907.

Eldon, The Holy Cities of Arabia.
London 1928.

Encyclopedie de L. Islam.
Par un nombre d'orientalistes.
leyde. 1913.

Francois Nau, Les Arabs christians de Mesopotamic et de syrie
Paris 1963.

Gibbon, The decline and foll of the Roman Empire.
6 Vols. London 1950.

Grant : C. P., The Syrian Desert.
London 1947.

Grimme, Muhammed - 2 Vols.
Munster 1892.

Hogarth : D. G., A History of Arabia.
Oxford 1922.

Huart : C., Histoire des Arabes.
2 Vols, Paris 1912.

Lammens, Etudes sur le régne du Calife Omaiyade Mo'awla ler. Beyrouth 1908.

Etudes Sur le siécle des Omayyades. Beyrouth 1930.

Le Berceau de L'Islam. Rom 1914.

Lewis, The Arab in History. 3 ed London 1950.

Margoliouth, Mohamed and the Rise of Islam. London 1905.

Musil A., Palmyrena. New - York 1927.

Arabia Deserta. New - York 1927.

North Nagd. New - York 1928.

Nicholson R., A Literary History of the Arabs. Cambridge 1962.

O'Leary De Lacy D. D., Arabia before Mohammed. London 1927.

Procopius, History of the Wars. 7 Vols London 1951.

Smith W. R., Kinship and Marriage in Early Arabia. London 1907.

Strabo, Geography, 8 Vols. London 1949.

Thommin, Histoire de Syrie 2 ed. Paris 1929.

تصويب أخطاء الكتاب

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٥	١٣	ساقطة كلة	تلك
٢٠	١٧	كتب	كتاب
٢٣	٣	فى	من
٢٨	٢	تركوا	نزلوا
٢٨	٤	الاكاسين	الاكاديين
٢٨	٥	العرب	الغرب
٣٤	٢	ويدورها	ويدوها
٣٤	هامش ٤	الهمذاتى	الهمدانى
٣٧	١٣	——	« من » زيادة على الأصل
٤٥	٢٠	دمشق	ودمشق
٤٨	هامش ٣	الأدب	الأرب
٤٨	هامش ٣	معركن	معرقة
٥٦	٨	——	عصر
٥٨	٨	القحطيانة	القحطانية
٥٨	١٨	بينهما	بينها
٦٥	٢	حضر البادية	الحضر والبادية
٦٥	١٣	سقط	« بنحو ثمانى سنوات وعاثوا فيها فسادا مما دفع هرقل الى التحول ..
٦٩	٤	للعرب	العرب
٧٠	٣	هرب	وهرب
٧١	هامش ١	جلاوة	حلاوه
٧١	هامش ٢	ايامه	ابامه
٧٢	هامش ١١	اللدنة	اللدنية
٧٧	١٣	فاخبرونى	فاخبرنى
٩٢	٦	عبيدة	ابو عبيدة
٩٣	٥	غيلة	عيلة
٩٩	٢٢	واستقبل	واستقبال
	هامش ٣	العشر	البشر
١٠٠	٤	أبيه	ابوه
١٠٠	٨	فاوطنهم	فأوطنهم
١٠١	١٦	لذلك	ذلك
١٠٣	٦	ليعينه	ليعينه
١٠٤	٤	هديم	هذيم
١٠٧	٢٠	ولا	والا لهم
١١٣	هامش ١٦	قـام	قال
١١٣	١٨	ووى	قرى

رقم الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
١١٤	٩	الداربين	الدار
١١٧	٢	تل	ثعل
١١٩	٧	حما	كلمة زيادة وتحذف
١٢٣	٦	المنتصرة	المتنصرة
١٢٥	٧	بعرعها	بفروعها
١٢٦	٦	موافف	طوائف
١٢٦	هامش ١٢	واخوانهم	واخوتهم
١٢٧	٢	اكثر	اكثرهم
١٢٨	١٧	الحمبرى	الحميرى
١٣١	هامش ١١	منتجات	منتخبات
١٣٣	هامش ١٦	الادب	الأرب
١٣٤	سط ر٢	قمعه	قمعة
١٣٤	هامش ٢	مضى	ضمرة
١٣٤	هامش ٢	سكانهم	سكانهم
١٣٦	س ٣	وكندا	وكندة
١٣٧	س ٤	بالخليل	بالخيل
١٣٧	هامش ٧	ـــــ	الى
١٣٨	س ٦	من	وقد
١٣٨	س ٧	يعلمون	يعلم
١٤١	هامش ١٥	الزبيرى	الزبيدى
١٤٢	١٢	اليمين	اليمن
١٤٣	٢	وقد	وقد
١٥٩	هامش ٤	قاميه	فاميه
١٥٩	هامش ١٣	كردى	كرد
١٦٠	هامش ٩	بعفرة	بقفرة
١٦٦	هامش ٤	اسعد	سعد
١٦٩	هامش ٤	وعندما	وعندها
١٦٩	٢٤	وعندما	وعندها
١٧٩	١٦	يتقذهم	ينقذهم
١٨٠	٥	نقد	فقال
١٨١	هامش ٥	البقة	البقعة
١٨٤	١٨	القبيلة	القبلية
١٩٠	٢	تهد	تهد
١٩٠	٣	والأدواء	والأذواء
١٩٤	١٤	وسهد	وسعد
١٩٨	١٥	مينياس	مبناس
١٩٩	هامش ١٣	محجم	معجم
٢٠٠	٨	وزبيدة	وزبيد

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠١	هامش ١٠	ونصيبين	ونصيبين
٢٠٩	س ٨	وشارع	وسع
٢١٠	هـ٠ س ٨	هـ	هم
٢١٤	س ١٦	التخصص	التخصيص
٢١٦	هامش ١٥	١٦١	١٧٧
ص ٢١٧	هامش ١٣	الهمذانى	الهمدانى
٢١٨	١٤	وعندما	وعندها
٢٢١	بدل السطر	سقط	فى عهد الامويين كعادتهم فى الشغب
	بدل السطر ٧		والفوضى لم يتقوا من اهل الشام ٠
٢٢١	١٤	يكونوا	يكون
٢٣٠	٨	والعراق	العراق
٢٣٠	هـ ٨	انصرمها	انصرامها
٢٣١	١٣	صديق	صديقـا
٢٣٦	٨	ولو	ولوا
٢٣٧	هـ ٣٤	عيد	عن
٢٣٩	٣	وهل	وعلى
٢٤١	٤	هوزان	هوازن
٢٤٦	٧	فقتلته	فقتله
٢٤٦	١٣	المبازة	المبارزة
٢٤٧	٤	لا اقتلنه	لأقتلنه
٢٤٨	١٤	والمبلاء	والبلاء
٢٤٨	١٢	اعز بك	اعزيك
٢٥١	٢	لقتلتـه	لقتله
٢٥٣	١٦	انكم	انهم
٢٥٣	هامش ٧	الكمل	الكامل
٢٥٨	٨	منكم	منهم
٢٦٠	٥	تكافؤ	لتكافؤ
٢٦٠	٢٣	والفظائع	والقطائع
٢٦٢	١	القضينه	القضيته
٢٦٤	٦	اذا	اذ
٢٦٥	٧	ابنته	ابنته
٢٦٦	٣	غضب	كلمة زائدة وتحذف
٢٦٨	٢	باحسا	باحسان
٢٦٩	٧	لبيلها	ليلها
٢٧٥	٨	وانشقوا	انشـقوا
٢٧٦	٢١	امسله	احس
٢٩٣	هامش ١٦	الخطيب	لخطيب
٢٩٥	س ٣	شسيال	شيمان

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٩٥	١١	احازت	اجارة
٢٩٧	٨	عارة	عمارة
٣٠١	٤	امتعنهم	امتعتهم
٣٠٢	هامش ٢	والنداية	والنهاية
٣٠٢	٧	وبينهما	وبيلها
٣٠٦	٨	عقلة	غفلة
٣٠٨	٣	يشر	يسر
٣١١	١٧	وتناقض	وتناقص
٣١٣	٩	شبتها	شبيبا
٣٢٠	هامش ٢	طمف	طرف
٣٢٢	هامش ٢	محمد	زكى
٣٢٤	هامش ٩	على	عليه
٣٢٤	هامش ٩	يخبرا	يخبر
٣٢٤	١٣	شوكتكم	شوكتهم
٣٢٥	٣	لمصر	لمضر
٣٢٥	٥	وبيلورت	وتبلورت
٣٢٥	١١	اتجاوز	أن تجاوز
٣٤٤	١٠	الأسدى	زيد
٣٤٤	٩	مجلســه	محبه
٣٤٦	٤	زيلم	زيد
٣٤٦	١٧	الذين	الذى
٣٥١	٢	يازا	ياذا
٣٥١	١٠	يسبى	بسبى
٣٥١	١٤	الأموال	الأموالا
٣٥٦	١٢	جلبت	جبلت
٣٥٨	٨	أنترك	أتترك
٣٥٩	هامش ١٨	قبل	قيل
٣٦٣	٣	السطرة	السيطرة
٣٧٠	١	الهجمية	الهجمة
٣٧١	٤	ساقط كلمة	وخلافا
٣٧٣	٥	ونبكى	وتبكى
٣٧٥	هامش ٦	المنته	المتتنة
٣٨٢	هامش ١٣	الجزية	الجزيرة
٣٨٢	١٤	وأحمد	وأخمد
٣٨٢	هامش ١٩	المصلحين	الصالحين
٣٨٦	١٤	لأنه	ولأنه
٣٨٧	هامش ٧	يقارع	يقارع
٣٨٩	١٠	لأنها	لأنه

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٩١	١٢	خليفة	حليفه
٣٩٣	١٦	يستبقون	يستيقوا
٣٩٤	١٠	عرا	عرى
٣٩٤	١٥	وانكار	وانكسار
٣٩٦	١	وجدتهم	وجدتم
٤٠٩	١٣	الديون	الديوان
٤١٠	١٧	الواقعة	الوقعة
٤١٥	٦	حلفاء	خلفاء
٤١٥	هامش ٦	جرائه	جرائه
٤١٧	هامش ١١	هذا الخلاف	هذه الخلافة
٤١٨	هامش ٩	الشرفاء	الأشراف
٤٢٠	٣	زنباغ	زنباع
٤٢٠	٧	بن	بين
٤٢٢	١	المهرب	المهلب
٤٢٥	هامش ٦	حمزة	حزم
٤٢٦	هامش ٧	المماليك	الممالك
٤٢٦	٨	من	عن
٤٣١	٢	أخنفهم	احتقهم
٤٣١	هامش ١٦	النبى	للنبى
٤٣٢	١٥	اليمامة	اليمانية
٤٣٦	٩	لثقفى	الثقفى
٤٣٧	١	١٧٤٤ م	٧٤٤ م
٤٣٧	هامش ٥	بن	كلمة زيادة وتحذف
٤٣٧	هامش ٢	١٤٣٢ هـ	١٣٢ هـ
٤٣٩	هامش ٧	البصر	البصرة
٤٤٠	٦	شرطة	شرطة
٤٤٠	٧	لأسواك	لأسوائك
٤٤١	٤	دراسة	الدراسة
٤٤٤	٣٠	حبسنا	حسبنا
٤٤٦	١	الكريمة	الكريهة
٤٤٦	٣٢	الأخيرة	الاخيرة
٤٤٧	٥	للقضية	للعصبية

الفهـــــــــرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
٤ ـ أيام متفرقة من حرب قيس وتغلب .	٣٩٨
٥ ـ موقعة الحشاك	٣٩٩
٦ ـ وقعة الكحيل	٤٠٢
٧ ـ موقعة البشر	٤٠٤
الفصل الثالث : القبائل العربية بالشام ودورها فى سقوط الدولة الأموية	٤١١ ـ ٤٤٠
أولا : سياسة الدولة الأموية تجاه القبائل وزعمائها	٤١١
١ ـ سيطرة الدولة على نفوذ زعماء القبائل والحد من سلطانهم	٤١١
٢ ـ مسئولية بنى أمية تجاه العصبية والروح القبلية	٤١٣
(أ) سياسة المصاهرات . . .	٤١٤
(ب) العصبية لقريش	٤١٦
(ج) التحريش بين الشعراء والأشراف	٤١٧
ثانيا : الفتن القبلية ابتداء من عهد الوليد بن يزيد ودور الخلفاء فيها وسقوط الدولة الأموية .	٤٢١
١ ـ نهاية عصر الاستقرار	٤٢١
٢ ـ اندلاع الفتن القبلية وعودة روح العصبية الى القبائل وأثرها فى زوال دولة بنى أمية	٤٢٦
(أ) الوليد بن يزيد بن عبد الملك .	٤٢٦
(ب) يزيد بن الوليد بن عبد الملك . .	٤٣٠
(ج) ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك . .	٤٣٤
(د) مروان بن محمد الجعدى . . .	٤٣٧
الخاتمة :	٤٤١ ـ ٤٤٧
الملاحق :	٤٤٩ ـ ٤٥٢
المصادر والمراجع	٤٥٣ ـ ٤٨٣

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٨/٧٤٧٦

ISBN — 977 — 01 — 5686 — 8

يتناول هذا الكتاب حياة القبائل العربية فى بلاد الشام فى فترة من أهم فترات التاريخ العربى الاسلامى هى بمثابة القاعدة له، وذلك فى إطار إرتباط وثيق بين التاريخ والأنساب بغرض تعميق المعرفة التاريخية وتأصيل قيمتها باسناد كل حدث إلى من قام به، لأن المسلمين الذين صنعوا أحداث التاريخ الإسلامى هم جماع قبائل عربية متعددة مختلفة الأصول والمشارب مما يؤكد وقوع الحدث التاريخى بما لا يدع مجالا للشك فيه، ومن ثم فهذه الدراسة معالجة حيوية لأنساب القبائل فى إطار من الاحداث التاريخية بعيدا عن الجداول الرقمية والإحصاءات الجامدة التى لم تعد تصلح وحدها لدراسة التاريخ .

والله الموفق

المؤلف

٩٠٠ قرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب